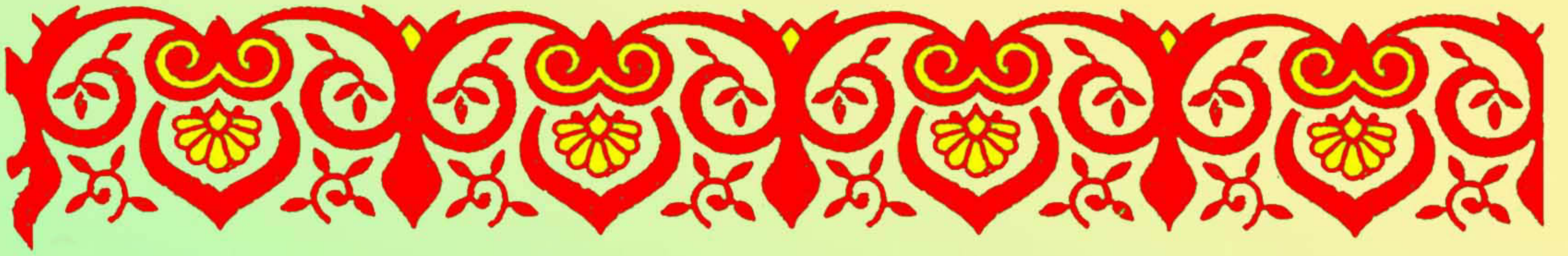




رَحِيْبَةُ الْجَسَائِنِ



أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني

تقدم لها
العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب

الدار العربية للكتاب



حَبْلِ التَّجَانِي



أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني

تقدم لها
العلامة المرحوم حسن حسني عبد الوهاب

دار الحديث للكتاب

© جميع الحقوق محفوظة الطبع في ليبيا

ليبيا - تونس 1981

رَحْمَةُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَمَدَّة

أصحاب الرحلات من المغاربة - أفارقة وأندلسيين - يعدون
بالعشرات بين قديمهم والجديد . وما تركوه لنا من أثر تقايبهم
في السفر يتفاوت قيمة وأهمية بطبيعة الامر ، لا من ناحية الوجهة
والغاية فحسب ، بل من ناحية التحقيق والتحرير وشدة الرغبة
في الاطلاع على حقائق الاشياء وأصولها .

وليس من شك أن فريضة الحج في الاسلام كانت من أعظم
البواعث على سفر آلاف من المغاربة في كل عام الى الحجاز للقيام
بهذه الفريضة . وبعد زيارة الحرمين الشريفين كان الكثير منهم
يقصدون المقامات المباركة بالشرق كالمسجد الاقصى بالقدس ، وقبر

ابراهيم الخليل في حبرون ، ثم يعرجون على دمشق ومدائن أخرى من الشام ، وطالما زاروا بغداد عاصمة العباسيين بالعراق . وفي رجوعهم يقفون برهة بمصر حيث جامع عمرو بالفسطاط ، والجامع الازهر وحلق تعليه ، والمشهد الحسيني ، ومقام الشافعي . ثم يقطعون مفازة برقة الى طرابلس - ان كان السفر في البر - ثم الى تونس ومنها يتهبون الى قرارهم الاصل بالمغرب الأوسط أو الاقصى أو بالاندلس وهي نهاية العالم الاسلامي وقتئذ .

وكان علماء نبهاء من بين هؤلاء الحجيج يدونون مشاهداتهم ، فيصفون تجوالهم في مختلف تلك الاقطار ، ويسجلون الاحداث التي عرضت لهم مدة ترحالهم تخليدا لذكورهم ، وهداية لآخوانهم وبقية مواطنيهم ، وتعريفا بالمسالك التي يجب سلوكها ، أو المهالك التي ينبغي اتقاؤها .

ومن بين هؤلاء الرواد من وصف ما اجتاز به من الافاق من وقت مفارقتة لوطنه الى حين عودته اليه ، وصفا يتشى مع ما تصبو اليه نفسه ، ويرتاح اليه خاطره ، ويتفق مع ميله الفريزي وتكوينه العلمي ، فيقصر تقييده على ما كان يقصد من ترحاله كالعرف برجال العلم الديني ولا سيما بأهل الحديث وأئمة الفقه ، فيذكر لنا أسماء من لقي منهم ، وما اخذ عن كل واحد ، وما اتصل به من أسانيدهم ، وطرائق رواياتهم ، ويجتهد في الحصول على أكثر ما

يمكن من الاجازات ، ويفض الطرف عما سوى ذلك من وصف
البلاد وما امتازت به ، وما احتوت عليه من معالم ورسوم وعادات .
وهذا الصنف من التقاليد قليل الفائدة ، محدود النفع اذ كان
محصورا في لون خاص من المشاهدة التي لا تهم الا من يعنى
بعلوم الدين الحنيف . ومنهم من انصرفت عنايته الى الادب، فحصر
تدوينه في سرد أسماء الأدباء المعاصرين والشعراء الذين اجتمع بهم،
فيثبت ما روى من نتائج قرائحهم ، ويسوق نماذج مختارة من
قصائدهم ، ولا يلتفت الى التعريف بالبلاد ، وما رأى فيها من
معاهد جليلة ومنشآت بارزة ، كما انه لا يكثرث بالبيئة الاجتماعية
التي اقام بين ظهرانيها ، ولا بأنظمتها وأخلاقها ، ولا يعبأ بأصناف
مصنوعاتها وتجاراتها ، ومحصول فلحها وما الى ذلك من أوضاع
اقتصادها .

وفريق آخر من الرحالين - وهم النادر القليل - وفق الى مراعاة
ذوق جمهور القراء فأتى بمشاهداته عامة متنوعة تشمل كل ما
يمكن أن يقال ويكتب عن البلد المزور من سائر نواحيه - الجغرافية
والتاريخية والعمرانية والاقتصادية ، بحيث يجعل القارىء رفيقا
ملازما له في سفره وصاحبها في تنقلاته ، ومنصتا لحديثه ، ومشارك
له في مشاهداته .

وعلى هذا المنوال نسج أبو بكر بن العربي الاشبيلي حافظ

الاندلس المتوفى سنة ٥٤٣ هـ في تقييد رحلته الذي لم يزل في
حيز المخطوطات . وكذا فعل ابن جبير الوزير الاندلسي في
تذكرة الاخبار ، عن اتفاقات الاسفار ، وهي بلا ريب من غرر
الرحلات المغربية ، وقد طبعت مرات وترجمت الى السنة كثيرة .

ولا ننس ان المقدم في هذا الميدان ، المتأخر في الزمان هو الرائد
المغامر ابن بطوطة الطنجي الذي طبق الافاق ، ودون ذلك التقييد
الحلاب الذي وصف فيه آثار المعمورة شرقا وغربا ابداع وصف ،
ونقل عن لقيه من اخوانه السياح نعت ما لم تشاهده عيناه ، ولم
تطأ قدماه ، فأتى بالصحيح الموثوق به ، وكذلك ضمن رحلته
شوارد من الاخبار تثير الاستغراب والاعجاب ، مما هو من نوع
الاساطير المسبوقة التي كان لها رواج في أفكار أهل ذلك العصر ،
وعلى كل فان هذا الصنف من مؤلفي الرحلات - على ندرته - هو
المرغوب فيه ، والمنظور اليه بعين الاشتياق من المطالعين مع الرغبة
والتقدير من الباحثين .

ومن حسن حظ القطر التونسي أن أنجب من بين أبنائه العلماء ،
وكتابه الادباء ، رحالة من هذا النمط الممتاز ، ونعني به : عبد الله
التجاني ، ذلك الموظف الحضري والكتاب الضليع الذي قام برحلة
في أنحاء القطرين التونسي والطرابلسي في صحبة أحد ملوك بني

حفص فى اوائل القرن الثامن للهجرة ، وسجل أنباء سفرته فى
تقييد زاخر بالفوائد ، مفعم بالأخبار الجغرافية والتاريخية والأدبية
والاجتماعية قلما اجتمعت فى دفتر مسافر رحال .

وقبل الاقبال على مطالعة أثره ، ومرافقته فى سفره ، يجعل بنا أن
نعرف الى شخصية المؤلف ونشأته العلمية وما كان للجو الذى
نشأ فيه وعاش فى كنفه من التأثير فى تفكيره .

التعريفُ بصاحب الرحلة

كل من يبحث عن تراجم رجال الحركة العلمية في عصر الدولة الحفصية يعجب كيف أغفل أصحاب الطبقات ذكر فحول من الأدباء ومشاهير من الكتاب البلقاء أهلّتهم صفاتهم وميزتهم نجائزهم بأن يكونوا في صف من يجب الاعتناء بأخبارهم وتعريفهم بما يستحقون . وإذا ما أجهد الباحث نفسه في التنقيب عنهم لم يجد من أنبأهم سوى نثف مبشرة هنا وهناك في غضون المخطوطات لا تستقيم إلا بلم الشتات .

ومن بين هؤلاء المهملين المجهولين «بنو التجاني، التونسيون، وقد نجب منهم غير واحد من الفحول ممن أكسبوا القطر الإفريقي

- مدر طويلة - صوتا بعيدا وسمعة شريفة في العلوم والاداب .
يتسبب أفراد هذه الاسرة الماجدة الى قبيلة « تجان » - بكسر التاء
- من قبائل المغرب الاقصى ، ويظهر أن أول من قدم منهم تونس
هو « أبو القاسم التجاني » ، وكأنه جاء مع جيش الموحدين الفاتح
لأفريقية بقيادة رجل المغرب ومنقذه : الخليفة عبد المؤمن بن علي ،
ذلك البطل الذي قضى على أمراء الطوائف المستقلين في أنحاء البلاد
كما قهر نصارى « النرمند » المتغلبين وقتل على الساحل التونسي
وقاعدته المهدية . وبفضل هذا الانتصار تمكن عبد المؤمن من
انشاء وحدة المغرب الكبير سنة ٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م
وبعد الظفر وأمد الاستقرار وقع اختياره على مدينة تونس
فاتخذها مركزا لجيشه ، ومقرا لولاياته ونوابه في تسيير شؤون
البلاد ، ونصب بها هيئة عليا تشرف على الادارة وهم (مشائخ
الموحدين) اصطفاهم من خيرة دعائه ، كما رتب بها مصالح
الحكومة الفتية ، فكان « أبو القاسم التجاني » من جملة من استوطن
حينئذ تونس ، ويظهر أنه كان في ديوان الكتبة - وقد تزوج فيها
واشترى دارا لسكناه مع جملة ربايع أخرى - لا ندرى في أية ناحية
من المدينة - وبعد حين كان لابي القاسم ولد وهو « محمد » اقتفى
أثر أبيه في الخدمات المخزنية .

ويستفاد من خبر أورده حفيده الاصر عبد الله الرجال الاتي (١)

(١) رحلة التجاني

أن في مدة حياة محمد هذا كانت ثورة « بنى غانية الميورقين ،
وهم من بقايا المرابطين الذين شاغبوا الخلفاء الموحدين بالعيش في
بلاد افريقية ، فقد خربوا عمرانها وأرهبوا سكانها بالظلم والعسف
بما لا يطيقون كما هو مبسوط في التاريخ .

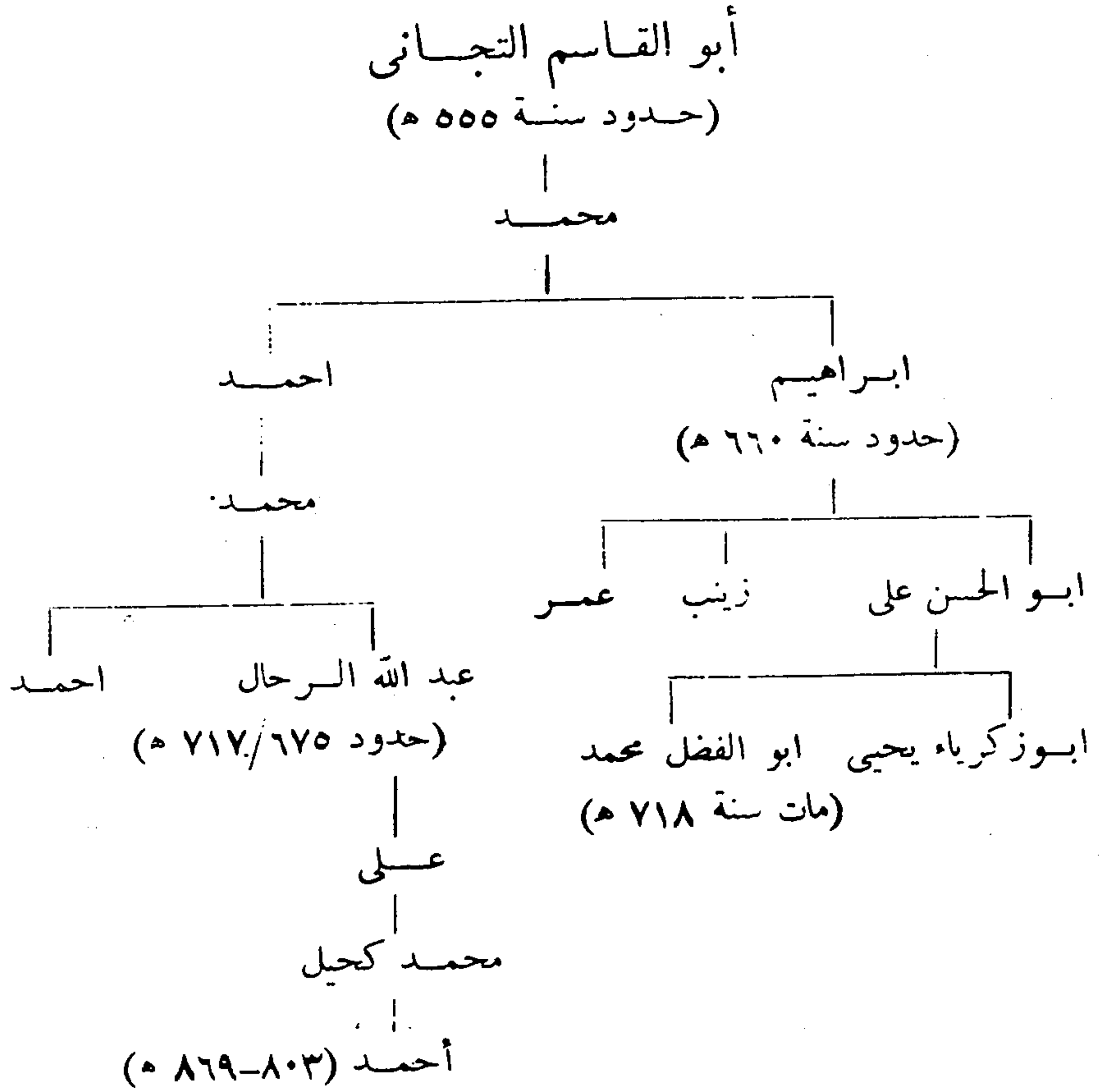
وقد تمكن أحد الثائرين الميورقين وهو « يحيى بن اسحاق ، من
اغتصاب مدينة تونس من يد المشائخ الموحدين ، فألق بأهلها من
القساوة والتنكيل بالفرم المالى ما باعوا فيه أملاكهم . ومن جملة
من نالته عقوبة التفريم الفادح « محمد التجانى ، المتقدم . قال
حفيده (١) : « ووقف له - يعنى الثائر الميورقى - على ظهير بصرف
بعض أملاك بنى التجانى عليهم ، مما تطرق اليه النزول - أى
المفرم - حين دخوله وقبل ذلك وتاريخ الظهير الثامن لذي
القعدة من سنة ستمائة ، .

ثم تدارك الموحدون حال افريقية فحاربوا الثائر وشردوه شر
مشرد . وعاد بنو التجانى الى مناصبهم المخزنية .
ابراهيم وأحمد التجانيان :

حتى اذا ما استقل (بنو حفص الهنتاتيون) بملكة افريقية - سنة
٦٢٥ هـ - رأينا أفراد آل التجانى فى زمرة رجال دولتهم وكتاب
دواوينهم . منهم الاخوان : « ابراهيم ، و « أحمد ، ابنا محمد بن

(١) راجع ازهار الرياض للمقرئ مخطوط بمكتبتى - و ك - نفع الطيب للمؤلف

أبى القاسم المتقدم ، فانهما كانا من كبار الموظفين المنظور اليهم
بغين التجارة والاعتبار فى بلاط أبى زكرياء الاول مؤسس الاسرة
الحفصية ، وقد ذكر رواية الاخبار أن « ابراهيم التجانى ، كان ممن
انتصر للحافظ الكبير محمد بن الابار القضاعى لما وفد سفيراً من
قبل أهل الاندلس مستصرخاً بالملك الحفصى لنجدة بلده بنسبة
وقد تقدم الى أبى زكرياء بتلك القصيدة العصماء التى مطلعها :
أدرك بخيلك خيل الله أندلساً ان السبيل الى منجاتها درسا
فانتقدها جماعة من أدباء العصر المفرضين ممن يحسد قائلها ،
فانتصر له ابراهيم التجانى فى تأليف مستقل أسماه (مؤازرة الوافد
ومبارزة الناقد ، فى الانتصار لابن الابار) . وقد نال هذا التأليف
اعجاب المعاصرين لما احتوى من تحقيق علمى وبلاغة تحرير .
وهكذا تهيأ للاخوين « ابراهيم ، و « أحمد ، الظهور فى المحافل
الادبية والاشتهار بالعلم الواسع والادب الغض ، ومن الاخوين
المتقدمين تفرع نسل التجانيين حسبما هو مبين فى الشجرة التى
رسمناها بقدر ما علمنا من الانباء عن أفراد الاسرة .



ونحن موردون هنا بعض أخبار من أمكننا الوقوف على ذكره من أعيان هذه الأسرة التي رفعت راية العلم والادب في البلاد التونسية مدة لا تقل عن الثلاثمائة سنة ، ولبتدىء بنسل ابراهيم ابن محمد بن أبي القاسم الذي ترك ابنين وبتتا وهم : علي وعمر وزينب .

(١) أما أبو الحسن علي بن إبراهيم ، فهو ممن أخذ عن علماء أعلام مثل ابن الأبار ، وحازم القرطاجني ، وعلي بن عصفور ، والكلاعي وغيرهم من جهابذة الأندلس المهاجرين إلى تونس في منتصف القرن السابع للهجرة ، لكن يظهر أن أبرز أستاذ تخرج عليه هو أحمد بن محمد المعروف بابن الغماز قاضي الجماعة بتونس ومحدثها الكبير ، وقد انتفع علي بالقراءة عليه والأسناد إليه ، فلما توفي شيخه هذا - سنة ٦٩٣ - جمع تلميذه أخباره وآثاره وما قيل فيه من النثر والشعر في سفر خاص (١) .

والتقى بعلي الرحال المغربي محمد العبدري الذي زار تونس مرتين في طريق ذهابه إلى الحج - سنة ٦٨٨ هـ وعند رجوعه - سنة ٦٩١ هـ - قال العبدري (٢) : « ولقيت بتونس الشيخ ، الأديب الحسيب الكاتب البليغ ، ذا الفضائل المذكورة ، والمثائر الماثورة ، شيخ الأدباء ، وواحد البلغاء ، وزين الناظرين والشعراء ، (أبا الحسن علي بن إبراهيم التجاني التونسي) له بيت عريق في العلم والأدب ، قال لي بمسجد أقرائه : « أنا الثاني عشر مدرسا من آبائي علي نسق كلهم قد قعدوا هنا للاقراء - وبيتهم بالعلم

(١) كـ الديباج المذهب لابن فرحون ص ٧٩

(٢) رحلة العبدري - خط بمكتبتي

شريف شهير وقل من لم يقل الشعر ، وأما أبو الحسن فهو فيه آية
الزمان اجادة معنى ، وتنقيح لفظ ، وسرعة بديهة ، وكثيرا ما يلميه
ارتجالا فيجود ويتقن وهو بالجملة من خواص أهل العلم
وآحادهم ، جالسته كثيرا وسمعت كلامه فى الادب وغيره وقرأت
عليه مقامات الحريرى وكان يرد فيها وينتقدها نقدا محققا
وقرأت عليه قصيدة الشيخ الحافظ أبى عبد الله ، ابن الابار ، التى
مدح بها الامير أبا زكرياء بن عبد الواحد أبى حفص وهى
مشهورة ، واولها :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا
وحدثنى بها عن مؤلفها سماعا منه وقرأت عليه قصيدة
الشيخ الاديب الفاضل أبى الحسن حازم بن محمد بن حازم
القرطاجنى الاندلسى وهى المقلوبة من قصيدة امرىء القيس فى
مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وقد حدثنى بها عن منشئها
المذكور وهى :

لعينك قل ان زرت أفضل مرسل
قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
وفى طيبة فانزل ولا تفش منزلا
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فيا حادى الامال سر بى ولا تقل
عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل ...

وقد ساق العبدري أخبارا وأشعارا كثيرة مما روى عن أبى
الحسن على التجانى ، ومن جهة أخرى نعلم أن عليا هذا كان
استوطن طرابلس برهة من الزمن ، ومنها توجه الى الحج - سنة
٦٨٤ - ثم عاد الى وطنه واجتمع بالعبدري كما مر وتوفى على بعد
سنة ٧٠٨ هـ يعنى بعد عودة ابن عمه عبد الله الرحال كما سيأتى ،
ونسب السيوطى - نقلا عن غيره - المقطوع الاتى الى أبى الحسن
على (١) .

ان الذى يروى ولكنه يجهل ما يروى وما يكتب
كصخرة تتبع أمواهاها تسقى الاراضى وهى لا تشرب

(٢) زينب بنت ابراهيم التجانى :

وهى من شهيرات هذا البيت ، بل من شهيرات الادبيات
التونسيات فى العصر الحفصى ، ذكرها العبدري أيضا فى رحلته
عرضا ولم يسمها ، وكنت عثرت اتفاقا على اسمها فى بعض
المخطوطات وخصصتها بترجمة فى غير هذا (١) وأورد لها العبدري
مقطوعين من شعرها أنشدهما له أخوها على . فمن ذلك قولها

(١) بغية الوعاة للسيوطى ط مصر ص ٢٢٦

ملنزة فيمن اسمه تميم :

يقولون لي هذا حبيك ما اسمه ؟

فما اسطعت افشاء وما اسطعت اكرم

فقلت اسمه ميم وحرف مقدم

فهذا اسم من أهوى فديتكم افهموا

ومن قطعة لها في وصف شعر احدي صويجاتها :

اذا انسدت منه عليها ذؤابة كفنن أراك غانقته أرقام

أثيث طويل فهو يستر جسمها اذا نزعت عنه الملابس اسحم

كأن الصباح ارتاع من خوف طالب

بشار فألوى بالدجى يتكتم

أقول : وكان مقطوعها الاخير ينظر الى قول زميلتها الشاعرة

الاندلسية حمدة بنت زياد النوادي آثية من أبياتها المشهورة ،

وعلى كل فان الواقف على هذا النزر القليل من نظم الادبية التجانية

يحكم بانه كلام عارفة بقوانين الصنعة، متمكنة من الادب وأوضاعه

تمكنا صحيحا وهي مع ذلك ذات خيال واسع مما لا يقع مثله الا

لحذاق الشعراء ، ولم تقف على طريقة تعلمها ولا على تاريخ وفاتها

(١) راجع شيئا من اخبارها في كتابنا « شهيرات التونسيات » ط تونس سنة ١٣٥٣ ص ٧١

(٣) عمر بن ابراهيم التجاني :

هو أخو كل من علي وزينب المتقدمين ، وكان أيضا من العلماء
الكتاب اجتمع به الرحال العبدري في تونس وأورد له مقطوعا من
شعره :

سرك ان أعلمته ثانيا فاعلم بأن قد آن أن تفشيه

لان ما أضمرت في حالة الافراد ستخرجه التثنيه

وعلق العبدري على البيتين بقوله : . وهذا الاستدلال بالتمثيل

النحوى مليح مناسب جدا ، ولا نعلم من أنباء هذا التجاني الا ما

تقدم .

(٤) - و من ولد أبي الحسن علي السابق الذكر . أبو الفضل محمد ،

أحد أعلام البيت التجاني ، كان في جملة كتاب ديوان الانشاء ،

واشتهر بالادب وتميز في فن الرسائل ، خدم الدولة الحفصية بثارائه

وقلمه في أيام السلطان أبي عصيدة ثم السلطان أبي يحيى زكرياء

الليثاني ثم ابنه السلطان محمد الملقب بأبي ضربة المتبد بأمر

افريقية بعد أبيه ، فكان أبو الفضل كاتب سره ومدبر أمره ، وقد

ضحب مخدومه هذا لما زحف السلطان أبو بكر الحفصي صاحب

المملكة الفريية على تونس فأوقع بأبي ضربة وجموعه في فحص

مصوج - من تراب أولاد عون الان - وقتل جماعة من أنصاره

ومن بينهم أبو الفضل - سنة ٧١٨ هـ (١) - والحق أن هذا التجاني كان من نوابغ أهل بيته ومن مشاهير شعراء عصره ، وقد أوردنا له شيئاً من نظمه في غير هذا (٢) ، وكان ابن عمه وتربيه عبد الله يحبه كثيراً ويعجب ببلاغته وطالما يروى له في تقييد رحلته نض رسائله وقصائده ، فمن ذلك قوله يصف إحدى عشاياه بقابس في بعض حدائقها المعروفة « بساحة عنبر » :

الجزو يتحفنا بنكهة عنبر	أذكر عشيتنا بساحة عنبر
بسطة لها من أخضر أو أصفر	حيث النخيل عرائس بسط الحيا
عنا بستر للعروس محبر	والشمس تستحي فتستر وجهها
والنور بين مدرهم ومدثر	والنور بين مفضض ومذهب
أذ صفت الغابات صف معسكر	والنهر والغدر أدرعن تحصنا
والبر يرمقنا بمقلة أعفر	والبحر يرمقنا بمقلة أزرق

وهذا القول - على تدلى الشعر في ذلك العصر - من أروع النظم في وصف ناحية ما زالت معروفة في واحة قابس

ولا يفوتنا أن نذكر أن أبا الفضل هذا له مصنفات حسان في التاريخ والأدب منها كتاب « الناسم » جمع فيه تراجم ومختارات

(١) ك - تاريخ ابن خلدون ج ١ من طبع الجزائر ١٨٥٠ وجاءت هناك نسبة معرفة الى البجائي بدلا من التجاني - ونفع الطيب ٢ - ٤٠٥ طبع مصر
(٢) ك - المنتخب التونسي - ط مصر سنة ١٩٤٤

لشعراء عصره وله « الحللى التيجانية والحللل التجانية ، أثبت فيه
اخبار النابغين من أفراد يتهم وما لهم من الاثار العلمية والادبية .
ومن المؤلف أنه لم يبلغنا من ذلك كثير ولا قليل .

أما أعيان الاسرة الثانية المتفرعة من نسل أحمد بن محمد أخى
ابراهيم المتقدم فقد اشتهر من بينهم :

(٥) محمد بن أحمد التجانى :

نعلم أنه قرأ بتونس على من كان بها من وجوه العلماء وكبار الادباء
من جمعتهم البيئة الحفصية فى أول نشأتها فامتزج بحلق تدريسهم
العالى ، وكانت حضرة تونس أو - الحضرة كما كانوا يسمونها -
حافلة بأعلام الوافدين عليها من الاندلس والمغرب مثل الحافظ
الجليل محمد بن الابرار المتوفى سنة ٦٥٨ - وأبى محمد بن برطلة
وأحمد الفماز البنسى قاضى الجماعة بتونس المتوفى سنة ٦٩٣ هـ
والحسن بن عمر الهوارى الطرابلسى وسواهم كثير ، وانخرط
محمد بعد تعليمه فى سلك ديوان الانشاء وظهرت عليه البراعة فى
الترسل ، ونجدد بعد سنين قليلة يتحول الى مدينة بجاية بطلب من
أميرها ، فيتولى كتابة العلامة السلطانية للوائق بالله أبى زكرياء
يحيى بن أبى اسحاق - سنة ٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م - صاحب المملكة
الحفصية الغربية ، ويعرف هناك محمد بصدق اللهجة وصفاء الطوية
والمقدرة على التحرير الراقى ، وبقي بين بجاية وقسنطينة الى أن تولى

الامير أبو يحيى زكرياء بن أحمد المشهور باللحياني مشيخة
الموحدين في تونس فاجتهد في اعادة محمد الى مستط رأسه وأسند
اليه خطة عالية في ديوان الرسائل وكان يرأسه وقتئذ العلامة أحمد
ابن الحجاز المهدوي، فاستعان به في مهمات مكاتباته، وأقام محمد على
هذا الوظيف مخمود السيرة الى أن عزم الامير زكرياء هذا على
السفر الى المشرق مظهر الرغبة في الحج وهو غير ما كان يضر في
باطنه، فترك على ديوانه لمباشرة شؤونه الكاتب الامين محمد
التجاني - سنة ٧٠٦ هـ - حسبما تراد مفصلا بعد . وتوفي محمد في
حدود سنة ٧١٠ هـ - بعد عودة ابنه الرحالة بستين او أقل من
ذلك، وكان شيخا وقورا حنكته التجارب محبوبا عند الخاصة
والعامة لطهارة سيرته، وسلامة سيرته .

عرف به أحد أمراء الاندلس في كتابه (١) فقال :

« ومنهم - اي كتاب العلامة - الكاتب الأديب صاحب القلم
الاعلى محمد بن أحمد التجاني التونسي، صاحب الشعر النفيس،
المجرى واديه كنفيس، المتطى صهوة النثار، والحائض في نعه
المثار، ورب الاحاجي المرموزة، ومعدن سر الاداب التي ليست
بمغموزة، ومثبت حروفها الساكنة والمهموزة »

(١) ك - مستودع العلامة، تصنيف الامير اسماعيل ابن السلطان يوسف النصرى الفرناطي
- مخطوط في بعض المكتبات التونسية - ص ٢٣

ويفهم من كلامه هذا أنه يشير الى تأليف - أو مقامات أدبية -
من وضع محمد التجاني ، ولم نتوصل الى معرفته ، ولا الوقوف على
حقيقته .

وعلى كل فانه كان أدبيا ضليعا يقرض الشعر الطيب بالمناسبات ،
كقوله يتشوق الى ابنه عبد الله حينما كان فى رحلته وكتب بها اليه
حملتم القلب اذ جد الرحيل بكم

من الصبابة ما لا تحمل الابل

فلو سلكتم سبيل الحزم ما عجزت

اذ ذاك منى عن دفع النوى الحيل

لكن عراني ذهبول يوم بينكم

كما يكابد من أجابه رحلوا

فالله يجمع منا الشمل عن عجل

فالخير أجمل ما فى نيله العجل

وترك محمد من الابناء - فينا علمنا - ولدين هما : أبو محمد عبد

الله صاحب الرحلة الاتى ، وأبو العباس أحمد وهو أصغرهما .

(٦) صاحب الرحلة :

فى تلك البيئة المخزنية الراقية ، وفى تلك الاسرة العلية الماجدة
نشأ ، عبد الله ، أبو محمد ، نشأة جد وعمل ومحافظة على تقاليد
موروثة من لدن جده الاعلى ، ولد عبد الله بحضرة تونس - ما بين

٦٧٠ ٦٧٥ هـ (١٢٧٢ - ١٢٧٦ م) وتربى فى حجر أبيه العالم الأديب المتقدم الذكر وهو أول من لقنه القراءة والكتابة كما صرح به الابن غير مرة . فيقول مثلاً : « وقد أخبرنى بهذا الحديث الوالد قراءة عليه ، قال أخبرنا الشيخ الحافظ محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى (أى ابن الأبار) ، وأقبل من صفره على حضور دروس الشيوخ فى التفسير والحديث وأنواع العلوم ما بين دينية ولسانية وأدبية حتى ترعرع وحصل ملكة التمييز ، ويناسب أن نشير هنا الى المشاهير من الشيوخ الذين أخذ عنهم الحديث والفقهاء والتاريخ ، والأدب ، غير والده محمد .

شيوخه :

وفى مقدمتهم أبوبكر بن عبد الكريم العوفى العلامة المغربى الوافد على تونس والمتوفى بها سنة ٦٩٨ هـ قال صاحبنا التجانى وقد ذكره فى أحد تصانيفه (١) :

« أخبرنى الشيخ الفقيه العدل الصالح أبو يحيى أبو بكر بن أبى محمد عبد الكريم العوفى فيما أجازنيه وقرأته بلفظى عليه سنة ثلاث أو أربع وتسعين وستمائة ، وهو أول من استفدت منه بالقراءة عليه ومثلت بالتعليم بين يديه . وكان - رحمه الله - قد نال من المعارف ما انتهى ، وحاز فيما حاز من الاحاطة بأقوال الفقهاء ،

(١) ك - د الوفاء ببيان فوائد الشفاء ، من تأليف عبد الله التجانى مخطوط ، وسيأتى ذكره

غاية المنتهى

ومنهم الشيخ أبو القاسم بن أبي محمد عبد الوهاب بن قائد بن علي الكلاعي قريب صاحب السيرة النبوية المشهورة بالسيرة الكلاعية، أحد علماء الأندلس اللاجئين إلى تونس، روى عنه التيجاني كثيرا ويقول في أسناده: «أخبرني الشيخ الأكرم أبو القاسم بقراءتي عليه» .

ويظهر أن دراسته المتينة في الحديث والأدب إنما تلقاها عن الأخوين التيجانيين علي وعمر وقد تقدم التعريف بهما، فيقول عن الأول:

«وهذا الحديث حدثنا به الشيخ اللغوي الأكتب أبو الحسن علي ابن الشيخ إبراهيم التيجاني ابن عم الوالد بقراءتي عليه عام سبعة وتسعين وستمائة، قال حدثنا . . . الخ» .

ويقول في مكان آخر عن الثاني:

«أنشدني الشيخ الجامع المتفنن أبو علي عمر بن الشيخ المرحوم أبي إسحاق إبراهيم التيجاني وهو ابن عم والدي»

ومن شيوخه: أبو علي عمر بن محمد بن علوان التونسي . وكان أخذ التيجاني عليه في خلال سنة ٧٠٢ وتوفي بتونس عام ٧١٠ هـ حسما نص عليه صاحبنا (١) .

(١) تحفة العروس - ط مصر سنة ١٣٠١

فهذه نخبة من الشيوخ الذين لقن عنهم . أما لو أردنا استقصاء
من عرفهم من رجال العلم المبرزين ومن الادباء المجيدين للزمانا قطر
ضخم لحصر مكاتباتهم له ، ومساجلاته لهم ، لكن سيرى القارىء
جانبا مهما منها فى غضون الرحلة ، ومن فحواها يتها لنا تقدير
علاقات التجانى وصلاته الوثيقة بالعلماء وأهل الأدب المعاصرين
له داخل القطر وخارجه ، وذلك أظهر دليل على اجتهاده - طول
حياته - فى ميدان العرفان وعنايته الكاملة بالعلم والادب ، وسعيه
المتواصل فى التعرف بأهله والمتسبين اليه .

مكتبته :

وتعجبنى من صاحبنا ظاهرة أخرى يتضح منها شغفه القوي
بالثقافة ووسائلها ، وهو اهتمامه الزائد بالكتب فى كل صنف وفى
كل فن ، يتبين ذلك جليا من مطاعة ما وصل اليها من تاليفه ، فانظر
مثلا الى وصفه المخطوطات النادرة التى يلاقيها فى سبيل رحلته فى
طرابلس وغيرها .

وليس من شك أنه كان يملك مكتبة ضخمة من مختار المصنفات
كما هو الشأن غالبا فى ذلك العصر لكبار الكتاب ، ومن يتبع
مؤلفاته يعجب من كثرة ما يذكر منها وينقل عنها ، وها هو ذا
يخبرنا أنه كان لديه نسخة كاملة من « سيرة الرسول » لابن اسحاق
فينقل عنها مباشرة ، ولا يخفى ان هذه السيرة مفقودة الان ولا

نعرف منها الا ما نقل ابن هشام ، كما كان لديه نسخة من « تفسير يحيى بن سلام » الذي حرره بالقيروان حوالى سنة ١٢٥ هـ .
ومن ناحية أخرى نعلم انه كان تحت تصرفه مصنفات وتقايد بخطوط أصحابها منها كتاب (العمدة) فى صناعة الشعر ، قال التجانى : « ونقلت من خط أبى على الحسن بن رشيق حكاية عن الفصل فى هذا البيت (١) ، ومنها بعض تاليف على بن سعيد الغرناطى الاديب الطائر الصيت ، قال : « ونقلت من خط أبى الحسن على بن موسى بن سعيد فى بعض تقايده (٢) ٠٠٠ »

ويفيدنا أيضا عن تصانيف اللغوى الكبير « ابراهيم بن اسماعيل الاجدابى ، صاحب ك « كفاية المتحفظ ، فى فقه اللغة وغيره ، أنها كانت فى خزائنه ، قال التجانى (٣) : « وأكثر هذه التاليف ملكتها بخطه وكان - رحمه الله - من أحسن الناس خطا ، عدد منها نحو الاثنى عشر كتابا .

ولا ننس أنه كان فى متناول صاحبنا مجموعة بديعة متنوعة من الكتب المتقاة ، وهذه المجموعة هى مكتبة السلاطين الحفصيين بقصبة تونس . ونعلم انها اشتملت على عشرات الالاف من المخطوطات

(١) ك - « الوفاء » للتجاني مخطوط

(٢) الرحلة ١٨١

(٣) الكتاب المذكور ١٨٩

الخزائنية النادرة الوجود ، وقد بذل السلاطين السالفون جهدا كبيرا ومالا كثيرا لجمعها وتكوينها في مائة سنة أو أكثر . ويمكن الحكم الان على نفاسة ما احتوت عليه من خلال الكتابين أو الثلاثة الواصلة الينا مما سلم منها ، وهذه المكتبة هي التي لجأ اليها عبد الرحمان بن خلدون لما أراد مراجعة الاصول التاريخية والتوسع في كتابه « ديوان العبر » ، وكان ذلك بعد وفاة التجاني بنحو نصف قرن .

وفي اعتقادنا ان صاحبنا كان يستعين بالمكتبة الحفصية التي بالقصبة استعانة مستمرة ويثابر على مواصلة المطالعة والمراجعة بها علاوة على ما كان يملكه شخصيا من الكتب الثمينة كما هو الشأن في كل بيت من بيوت العلماء والكتاب والادباء . ناهيك ما كان عند التجانيين من المخطوطات على مختلف ميولهم وأذواقهم ، ومن يظالم مصنفا واحدا مما وضع التجاني ويحصى ما يذكر من أسماء الكتب التي ينقل عنها أو يحيل عليها يجد المئات من المؤلفات ذات القيمة الثمينة ، وكثير منها لم يصل الينا .

ولا يخال لنا شك أن كثيرا مما كان في خزائن القيروان قبل خرابها بسبب الزحفة الهلالية - سنة ٤٤٩ - انتقل الى حضرة تونس ثم تسرب الى مشارق الارض ومغاربها .

حياته الادارية والادبية :

ولما تهيأت الاسباب للتجاني الشاب، وقد امتلا وطابه علما وأدبا،

انخرط في سلك الكتاب في ديوان الانشاء حيث كان يباشر أبوه
وأخرون من أقاربه ، متهججا صراط الابهاء والاجداد منذ أجيال ، وقد
امتزج في ذلك الوسط الادبي بثلة من أصحاب الاقلام المعروفين
مثل أبي ابراهيم بن حنينة ، وأبي زيد عبد الرحمان بن نزار ، وأبي
عبد الله محمد الهوارى ، ومحمد بن أبي زالى البلوى ، ومحمد بن
يعيش ، وأحمد الرصافي وغيرهم كثير ، وما منهم الا من يتتهجج
الترسل البديع ، ويقول الشعر ، وفي غضون تقييد الرحلة يرى
القارىء اتصالهم الوثيق بصاحبنا وما جرى بينه وبينهم مدة انتقاله
من المراسلات الادبية المناسبة لذوق العصر .

كان انخراط التجانى في زميرتهم في مدة السلطان محمد المعروف
بأبى عصيدة في بداية القرن الثامن ، ولم يكد يستقر في الديوان
حتى ظهرت عليه مخايل النجابة وعلامات النبوغ فاستصفاه لنفسه
كبير الدولة وشيخ الموحدين الامير أبو يحيى زكرياء بن اللحيانى
وقرب منزلته منه ورسمه في خواص كتابه ، فلما عزم هذا الامير على
تفقد شؤون المملكة وأذاع نيته على محاربة الاسبان المفتصبين لجزيرة
جربة وحدد موعده سفره الى تلك الوجهة ، عين ، أباً محمد عبد الله
التجانى ، لمصاحبتة وفوض اليه الاشراف على رسائله ، وذلك في
منتصف سنة ٧٠٦ هـ (ديسانبر ١٣٠٦ م) فكانت تلك الانتقالات
والجولات التى يراها المطالع مبسوطة في تقييد الرحلة التجانية
وتنتهى بعودة صاحبنا الى حضرة تونس في شهر صفر من سنة

٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) وقد فارق مؤلفنا مخدومه من تراب طرابلس لاسباب
صحية وسياسية معا : « فكان أمد الغيبة عامين وثمانية أشهر وأياما ،
وهي بحساب كمال الاشهر ونقصها تسعمائة يوم وخسة وسبعون
يوما ، كما نبه عليه التجاني .

ويهمنا من هذا أن عبد الله كان فى كامل تلك المدة محل الثقة
والعناية الفائقة من مخدومه شيخ الموحدين ، أنظر الكتاب الذى
ارسله الامير حين مقامه بطرابلس الى والد التجاني فى تونس ، نقل
الينا رحالنا فحواد قال : « وكان الامير - أعزه الله - وجه لوالدى كتابا
بخطه يعرفه فيه بحالتي معه ويصفنى فيه بما يليق بذاته الشريفة
ومرتبته الرفيعة المنيفة . . . »

الاضطراب الداخلى :

ويعود التجاني بعد رجوعه الى تونس الى ديوان الرسائل ويقيم
على خطته السابقة الى ان يرجع مخدومه من تجوله فى المشرق وحجه
الى البيت الحرام ، وفى أثناء مغيب الامير طرقت البلاد أحداث جسام
غيرت وضعية الحكم من جراء ثورات المتوثبين على الملك بمجرد وفاة
السلطان الواثق بالله الملقب بابى عصيدة فى خلال سنة ٧٠٩ هـ
(١٣٠٩ م) وقد أشرنا آنفا ان هذا السلطان كان اتخذ ابن عمه الامير
زكرياء بن اللحيانى وزيرا مفوضا لمباشرة سياسته وذلك من حين
توليه الملك سنة ٦٩٤ هـ (١٢٩٥ م) - اعنى مدة خمسة عشر عاما ،

وبوفاته انفتح باب الثورات والتنازع بين المتزعمين من الاسرة
الحفصية وهم كل واحد منهم باغتصاب العرش ومحاولة اعتلائه ،
ودامت الحرب على قدم وساق مدة عامين بين الامراء : ابي بكر
ابن ابي زيد المسمى بالشهيد ثم ابي البقاء خالد وغيرهما ولم يستقر
لهم الملك الا قليلا .

وفي اثناء هذه الاضطرابات المتوالية كان شيخ الموحدين ابو يحيى
زكرياء بن اللحياني قد عاد من الحج كما اسلفنا واستقر بمدينة
طرابلس يراقب الامور من بعيد ويتربص الفرص لما عسى ان يحدث
في تونس ، فلما ايقن ان الظروف قد سنحت برفع القناع عن مرغوبه
هجم من مكمنه على البلاد التونسية في جموع عظيمة من اعراب
وحضر وقصد العاصمة وتمت له البيعة العامة في (المحمدية) من احواز
تونس - ٢ رجب ٧١١ هـ (١٤ نوفمبر ١٣١١ م) - ودخل القصة
وتلقب بالقائم بامر الله وتسلم زمام الامر ، ومن اول اعماله ان عهد
لكاتب سره القديم صاحبنا عبد الله التجاني برئاسة دواوين رسائله -
وهي خطة العلامة الكبرى - ووزع بقية المناصب على من يثق به ،
ومن باكورة اعماله ايضا ان اسقط من الخطبة اسم المهدي الموحدي
التي جرت بها عادة الحفصيين واستبدلها باسم محمد بن قلاوون
صاحب مصر والشام لما كان بينه وبين هذا السلطان المملوكي من

الولاء والمجاملة (١) .

ولامراء ان عبد الله التجاني باشر ما القى على عاتقه من المهمات احسن مباشرة طيلة اقامة هذا السلطان في الملك ويظهر ان والده قد مات قبل ذلك بقليل ، ولم يزل صاحبنا يخدم بعمله وعلمه وقلبه البلاد، ويؤلف بين الفينة والفينة التصانيف المفيدة، الى ان عقد مخدمه العزم على مغادرة تونس لما كان يتوقع من سوء عاقبة الاحداث وكأنه أحس بعدم اقتداره على مقاومة قريبه وقريعه الامير ابي يحيى ابي بكر صاحب الملكة الحفصية الغربية ، فتهياً ابن اللحياني لمبارحة البلاد وباع كل ما لديه من غال ونفيس واخرج حتى المجموعة النادرة للمخطوطات التي كانت بقصورهم في القصبه واشهرها للبيع بالمزايدة في الاسواق ففرقت ايدى سبا ، ولم يسمع لها بعد نبأ .

تخلي اللحياني :

وخرج السلطان ابن اللحياني من الحضرة بدعوى تفقد الاوطان

(١) ولد السلطان ابو يحيى زكرياء بن احمد اللحياني في تونس سنة ٦٥١ (١٢٥٣ م) واما مسيحية تسمى « محرم » وكان عالماً محدثاً كاتباً شاعراً أخذ في سفره بالشرق عن علماء مشهورين منهم شيخ الاسلام ابن تيمية وقد استقر آخره بعد تخليه عن الملك الحفص بالاسكندرية حيث وافاه اجله المحتوم في المحرم ٧٢٧ هـ (ديسمبر ١٣٢٦ م) وقد جمع ديوان شعره مدة اقامته بصرى والى خطبا جمعية اسمها « روضات الجنات » طبعت على الحجر في الهند .

وترك مكانه ابنه وولى عهده محمد المعروف بابى ضربة فى زمن الربيع سنة ٧١٧ (١٣١٧ م) ولم يمض غير قليل حتى فاجأ الامير ابو يحيى ابو بكر تونس فى جنود جرارة واسطول عتيد ، وحاول أبو ضربة مدافعتة بصبر وشجاعة نادرة فلم يقدر وتحول ميدان الحرب الى اوساط المملكة فانهزم آخر جيش الامير ابى ضربة فى فحص مصوج قرب سليانة فى خلال ٧١٨ هـ (١٣١٨ م) ولاقى حتفه هناك الكاتب ابو الفضل محمد التجانى المتقدم ذكره ، وخلا الجو للسلطان ابى بكر الذى تمكن من توحيد المملكة الحفصية وارجاع شىء من نضارتها المفقودة وفاز بالعرش الافريقى بعد ذلك دهرا طويلا .

مصير التجانى :

وهنا تقف بنا احداث الاضطرابات السياسية والخطوب الدموية التى عاش فى غمارها رحالنا عبد الله التجانى ، وهنا ايضا يحل بخاطرنا مشكل من اعصى المشاكل على الحل اذ لم نهتد لكشف القناع عن غامض سره وهو ما ذا كان مصير صاحبنا اثر تلك الانقلابات ؟ فانا لم نعد نسمع له بخبر بعد سنة ٧١٧ ، ويختفى عنا نبؤه - وأنباء آل التجانى جميعا - سواء فى ذلك الكبير منهم والصغير . ولم نعر على ذكر لواحد منهم ، فماذا دهاهم يا ترى من وقت تسيطر السلطان أبى بكر على تونس ؟ فهل قتلوا عن آخرهم كما استشهد أبو الفضل محمد فى المععة ؟ أم فروا بحشاشات أنفسهم فى أثناء

تلك المحنة الى بعض الاماكن القاصية البعيدة لسبب انتسابهم لمن
سلف من الملوك واخلاصهم في خدمتهم ، فاختفوا هنالك ؟ هذا ما
لم ندرك حقيقته (١)

ومبلغ الظن أن الذوات البارزة من أفراد الاسرة ممن شارك
مشاركة فعلية في مقاومة المتوثبين قد أيدوا بالقتل في تلك
المشادات الدموية وفي مقدمتهم عبد الله صاحب الرحلة ، وشرذمة
بقي منهم ممن لم يقاوم شر مشرد ، فاختفوا وأصبحوا كأمس الدابر .
وكلنا يعلم ان قتل نفس - وان كانت بريئة - في تلك الظروف كان
شيئا تافها لا يعاب به ولا يعد جريمة تنكر ، وهذه حال الافذاذ من
الرجال في دول ملك الاطلاق ، والله الامر من قبل ومن بعد .

أعقاب التجاني :

فيمر قرن كامل من الدهر ، ويطوى الزمان - على عاداته -
الصحيفة المشوهة لتلك المحن ، فيظهر تحت سماء تونس الصافية
آخر عقب للتجاني ...

(١) لا عبرة لمن ادعى ان وفاة عبد الله التجاني كانت في خلال سنة ٧٢١ هـ فليس هناك مبرر
تاريخي لهذا الزعم الذي لم تقم عليه ادنى حجة .

أورد السخاوى فى كتابه الكبير للتعريف بأهل عصره (١) ترجمة عالم تونسى كان يعيش فى القرن التاسع للهجرة ويمت نسبه الى بيت التجانى وهو آخر من وقفنا عليه من رجال هذه الاسرة ونحن نختصر هنا ما جلب السخاوى : « أحمد بن محمد بن على بن عبد الله التجانى التونسى المالكى ويعرف بأبى العباس ابن كحيل - ولد فى ربيع الاول سنة ٨٠٢ - (١٣٩٩ م) - بتونس ونشأ بها وقرأ على محمد الصنهاجى صاحب الاجرومية وأخذ عن محمد بن خلفه الابى ، وعن البسيلى والشماع وابى القاسم البرزلى والزعبى وابن مرزوق وعبد الواحد الغريانى وأبى مهدى الغبرينى وشيوخه كثيرة ولقى (بمصر) شيخنا - ابن حجر العسقلانى - فى سنة ٨٤٦ هـ ولقيته بالقاهرة فى الجامع الازهر فكتبت عنه ما تقدم وصنف متنا فى الفقه سماه « المقدمات » فى مجلد لطيف ، وكتابا فى الوثائق سماه « الوثائق العصرية » وكتابا فى التصوف سماه « عون السائرين الى الحق » - وكان فاضلا، مفوها، طلق العبارة، حسن المحاضرة، بهى المنظر، حسن الخبر والمخبر ، والغالب عليه التصوف والصلاح وقد الزمه صاحب تونس (السلطان أبو عمرو عثمان الحفصى المتولى من سنة ٨٣٩ الى

(١) « الضوء اللامع » لاهل القرن التاسع ، ط مصر ١٣٥٤ ج ٢ - ١٢٦ ، وقد حصل تقديم وتأخير فى نسب المترجم له وهذا كثيرا ما يحصل فى فصول الضوء اللامع وغيره فلينبه له - وعن السخاوى نقل هذه الترجمة أحمد بابا التنيكى فى ك - « نيل الابتهاج بتطريز الديباج » ط مصر ١٣٢٩ ص ٨١ - وكذا - درة المجال - لابن القاضى ط فاس ١ - ٤١

سنة ١٨٩٣) فى السنة المشار اليها أن يكون قاضى الـركب - أى
ركب الحجاج - وبلغنا أنه مات قريبا من سنة ١٨٦٩ - ١٤٦٤ م - وله
اقارب علماء مصنفون رحمه الله وايماننا .

والظن الغالب أن أحمد التجانى هذا هو حفيد عبد الله رحالنا ،
وأنه - فيما علمنا - آخر من تيسر الوقوف على ذكره من تلك
الاسرة ، وأما أبوه محمد الملقب بكحيل وكذا جده على بن عبد الله
صاحب الرحلة فلم نعثر لهما على خبر فيما راجعنا من المصادر
العديدة التى لدينا .

وإذا قدرنا أن الحفيد الاصغر كان من العلماء المؤلفين وانه توفى
سنة ١٨٦٩ هـ أو قريبا منها وأن « أقاربه كانوا علماء مصنفين ، كما
يذكر السخاوى فيكون السند العلمى وأسبابه قد أقامت فى البيت
التجانى ولم تفارقه أكثر من ثلاثمائة عام ، وهو مقدار نادر فى حياة
الاسرات العلمية ، وربما يتاح لنا بعد حين أن نعثر على ما يوضح
التواحيى الغامضة المجهولة من أخبار البيت التجانى الذى تعده
مفخرة جلية من مفاخر القطر حسبما يشيد به بعض الشعراء
المعاصرين له فيصدق قائلهم :

لا غرو ان حاز الكمال فانما وقف الكمال على « بنى تيجان ،

مؤلفاته :

وإذا ما أردنا أن نحصى ما صنف التجانى من المؤلفات ترانا فى عجز عن معرفة اسمائها كلها إذ أن كثيرا منها لم ينص عليه أصحاب الاخبار ، وها نحن نحاول هنا ذكر ما توصلنا الى الوقوف على تسميته بعد جهد جهيد نبذله من عهد بعيد ، وإليك ما عرفناه مشيرين الى الموجود منها والمفقود ...

(١) « أداء اللّازم ، فى شرح مقصورة حازم ، وهى الفية - ذات الف بيت - وضعها أبو الحسن حازم القرطاجنى من قرطاجنة الاندلس - المهاجر الى تونس والمتوفى بها فى رمضان ٦٨٤ هـ (١٢٨٥ م) وقد مدح بها الخليفة محمد المستنصر بالله بن أبى زكرياء الاول الحفصى وذكر فيها مفاخره وصنائه وهى من البلاغة والمثانة بمكان ، وكان وضع التجانى لهذا الشرح فى المحرم من عام ٦٩٩ هـ (١) فهو من اقدم مؤلفاته ، والظاهر انه صنفه وله من العمر عشرون سنة أو نحوها ، وهذا الشرح مفقود الان بكل أسف ولا نعلم بوجود نسخة منه .

(٢) « الوفا ، بيان فوائد الشفاء ، قال التجانى فى مقدمته : « الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ... هذا كتاب مبارك اعتمدت وضعه على كتاب « الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، من تأليف

(١) كما شرح هذه للتصورة - بعد ذلك - قاضى غرناطة أبو القاسم محمد بن احمد الغرناطى المتوفى ٧٦٠ (١٣٥٩ م) وطبع هذا الشرح فى جزءين بالقاهرة سنة ١٣٤٤ هـ

القاضي ابي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ٠٠٠ وسميته بكتاب
الوفا بيان فوائد الشفا(١) ، ولا ريب أنه من أمتع شروح الشفا
تحرى فيه صحة النقل ودقة النقد للاخبار المروية ونبه على الاحاديث
الضعيفة والمرسل منها وبسط القول فى كثير مما أورد من الاخبار
والقصص والتراجم ، وهذا الشرح يخرج فى نحو اربعة اجزاء أو
اكثر ، والموجود منه فى مكتبة جامع الزيتونة قطعة صالحة لجزئين
وهى بخط تونسى قريب العهد مرسومة تحت رقم ١٣٢١ - وقد
استفدت كثيرا من مراجعتها فيما يتعلق بحياة التجانى ودراسته
وتلقيه للعلوم وبالجملة فهو كتاب متع بالافادات العلمية الدالة على
سعة معلومات المؤلف وسلامة ذوقه ومعرفته القوية باللغة والاخبار
الاسلامية الماضية .

ونسوق اليك على سبيل التمثيل اعتراضه على استعمال كبار الكتاب
بعض الكلمات فى غير معناها الاصلى ، كقوله بمناسبة كلمة
« سائر » :

« ووجدت أنا فى شعر أبى العلاء المعرى يتا استعمال فيه
لفظ « سائر » بمعنى الجميع ، وذلك قوله فى الشريف ابى ابراهيم
العلوى ، »

الزم العالمون حبك طرا فهو فرض فى سائر الاديان

(١) الوفاء للتجانى ، خط

وهذا البيت غريب وانما الاكثر فى كلام العرب استعمال سنائر
بمعنى الباقي لا غير ، وهو الذى يدل عليه حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم المتقدم واختلف القائلون بأنه انما يستعمل بمعنى
الباقي الاقل دون الاكثر ، وذهب بعضهم الى الباقي مطلقا ، قليلا
كان او كثيرا وهذا هو الصحيح . .

أقول : ويا حبذا لو وفق بعض شبابنا الناشط للعناية ببحث
هذا الشرح العلمى المفيد .

(٣) « الدر النظيم » فى الادب والتراجم ، والظاهر انه مصنف
كبير جمع فيه التجانى أخبار أدباء الدولة الحفصية ممن تقدم عصره ،
وكان وضعه له قبل ابتداء الرحلة اذ يقول فيها : « وقد ذكرناه
(أى فلان) وأخاه فى كتاب « الدر النظيم » ، بأنتم من هذا (١) ومن
دواعى الاسف أن يضع مثل هذا الكتاب الذى كان يفيدنا كثيرا
عن الحركة الفكرية فى بداية العصر الحفصى ، ولم نقف له على أثر
ولولا ذكر المؤلف له فى رحلته لما كنا نهتدى لوجوده .

(٤) « تقييد على صحيح مسلم » ، بن الحجاج القشيري ، حرره مدة
اقامته بطرابلس - سنة ٧٠٧ هـ حين قراءته بها على الشيخ عبد
العزيز بن عبيد السبائي من علمائها . قال التجانى : « وقد كنت

ابتدأت تقييد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة ، وأفادته المحاضرة ، مما جاء كالاكمال لكتاب الاكمال ، ويعنى كتاب « اكمال المعلم على صحيح مسلم ، وهو زيادة شرح للقاضى عياض السبتي على شرح « المعلم بفوائد مسلم ، للامام محمد المازرى دفين المنستير .

(٥) « تقييد على المسند الصحيح للبخارى ، وضعه أيضا بطرابلس فى التاريخ المتقدم بعد أن انتهى من قراءة صحيح مسلم قال التجانى : « ثم بعد ذلك فى الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للامام الحافظ أبى عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى البخارى ،

وكل من التقيدين السالفين مفقود ولا نعلم عنهما شيئا »
(٦) « نفحات النسرين ، فى مخاطبة ابن شبرين ، مجموع أدبى فى سفر ضخيم جمع فيه التجانى المخاطبات والمجاوبات الدائرة بينه وبين الاديب الاندلسى محمد بن أحمد بن شبرين الجذامى السبتي الاصل والمنتقل الى غرناطة ، وقد تولى قضاءها ، قال التجانى : « وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقا ، وأحسنه فى النظم والنثر طريقا ، وقد كنت اجتمعت به فى تونس ووصل اليها فى عام ٧٠٣ هـ وكانت نيته التوجه الى الحج فلم يقض له ذلك (١)

وقد اعتنى التجاني بجمع الرسائل الدائرة بينهما ، مما مثلاً سفراً
جميعته وسميته ، نفحات السريرين ، وهذا السفر مفقود أيضاً .
ومن المناسب أن نعرض هنا لونا مما كانت تحويه تلك المكاتبات ،
فمن قصيدة لابن شبرين يتشوق فيها الى الاجتماع بأحبابه
التجانيين في تونس يقول :

يا نسمة سحبت فضول ذبولها

ما بين ورد بالعذيب ونرجس

حطى رحال تحيتى فى معهد

بين الجوانح منه عهد ما نسى

والحى من « تيجان » فاشرح عندهم

فرط اشتياقى نحو ذاك المجلس

(٧) « علامة الكرامة فى كرامة العلامة ، ولأ نعرف من هذا

التأليف سوى اسمه ، والظاهر انه نوه بذكر وظيفة « العلامة

الكبرى » و « الصغرى » وهو ما كان يوضع من الكتابة بالقلم

الغليظ فى أعلى الظهائر السلطانية والاوامر الرسمية للملوك بنى

حفص ولغيرهم من ملوك المغرب ، وفى الحقيقة أن « صاحب

العلامة » كان يشغل منصب الرئاسة العليا لدواوين الانشاء ،

فالمعاهدات والمراسيم والرسائل التى تصدر عن السلطان للملوك

العالم كانت تحلى بالعلامة الكبرى ، كما أن المكاتيب العادية

والاذون للعمال والفضاة وسائر نواب الحكومة فى داخل القطر

وكذا تسمية الموظفين يوضع عليها العلامة الصغرى من تحرير غيره من كتاب الديوان ، والعلامة نفسها هي عبارة عن جملة مختارة فى معنى حمد الله تعالى وشكره وتمجيده ، ويختلف رسمها وعبارتها عند استيلاء كل ملك من ملوكهم (١) .

أما تأليف « العلامة » ، هذا فالغالب على الظن أن التجانى ترجم فيه للكتاب الذين تداولوا هذه الوظيفة - مثل ابن الأبار ، وابن أبى الحسين ، وابن الحجاز ، وقد تقدم ذكر البعض منهم ، ولو قدر لهذا السفر أن يصل إلينا لكننا نستفيد منه كثيرا عن نظام ديوان الرسائل فى الدولة الحفصية ، وعن تولائها من أعيان الأدياء .

(٨) « تحفة العروس ، ونزهة النفوس ، هذا التصنيف مفاير فى موضوعه لما مر بك من كتب التجانى ، إذ أنه مجموع أدبى رائق رتبته على خمسة وعشرين بابا فى معاشره النساء ، وأخلاقهن وخصالهن ، وصفة أعضائهن من حسن وقبح ، وفى العفاف والصون وفى الزينة والتطيب ، وفى حقوق المرأة على الرجل وفى الفيرة وبيان ما يحمد منها وما يذم ، وختمه بباب متسع فى الملح والمفاكهات من هذا النوع ، وأورد فيه من الآيات القرآنية والآحاديث النبوية مع تفسيرها وشرحها ، ومن الحكايات الطريفة ما يناسب كل مقال .

(١) راجع ما قال ابن خلدون عن العلامة فى مقنمة تاريخه .

وقد وهم بعض مستشرقى الافرنج - مثل بروكلمان وغيره - اذ ظن انه من نوع كتاب « رجوع الشيخ الى صباه » ، والحقيقة انه ليس هو من النمط المشار اليه ولم يوضع لهذا الغرض ، بل يلوح من خلاله أن المؤلف أراد أن يثبت - على عادته - سعة احاطته بالادب العربى القديم ، ورسوخه فى فهم نصوصه مع شرحها وتفسير الغامض منها ، ثم انه أبان فى مقدمة كتابه الغرض الذى رعى اليه من وضعه ، خشية منه أن يظن به النزول الى صف الكتب المصنفة فى المجون والفحش المستهجن على ما كان جائزا فى عصر تفهقر الاداب العربية ، فيقول فى خطبة « تحفة العروس » : « وليس كتابنا هذا فى الحقيقة كتاب سمر وانما هو كتاب علم ونظر ، والواقع يؤيد ذلك تأييدا كاملا .

وعلى كل فان عبارة « تحفة العروس » عبارة سهلة التناول ، ذات طلاوة واضحة وطريقة ظريفة فى عرض الحكايات والاشعار ، مع الحرص منه على نقدها وتمحيصها كما هو شأنه فى جميع تحريراته - ومن المحقق أنه ألفها بعد رجوعه من الرحلة بسنوات .

ويوجد منها نسخ مخطوطة فى غالب مكتبات الشرق والغرب ، منها نسخة صحيحة بمكتبتى الخاصة تاريخ نسخها سنة ١٠٦٠ هـ اى اقل من مائة سنة بعد المؤلف ، وطبعت « التحفة » فى القاهرة عام ١٣٠١ وترجمها الى اللغة الفرنسية باختصار وبأغلاط كثيرة روسو

Rousseau. ونشرت في الجزائر وباريس سنة ١٨٤٨ تحت عنوان :

« Touhfat El Arous, ou Cadeaux des Epoux ».

**

تحقيق اسم المؤلف :

والجدير بالملاحظة أن اسم المؤلف التجاني وقع فيه اضطراب كبير ، فقال بعضهم انه : « محمد بن أحمد بن ابراهيم » ، وجعله آخر : « محمد بن عبد الله بن ابراهيم » ، وسماه ناشر : « تحفة العروس » بمصر أبو عبد الله محمد بن أحمد التجاني ، وكأنه توهم انه (احمد التجاني) صاحب الطريقة الصوفية المغربية المعروفة أو انه ابنه علي الاقل ، فوصفه بقوله : « صاحب السز الرباني »

والذي يخطر ببالنا أن هذا التشويش ناشىء عن أمرين : الاول - عدم وجود تعريف لحياة مؤلفنا في الكتب المتداولة للتراجم ، والثاني - اللبس الذى يحصل من ابدال اسماء الرجال بالكنى وكانت طريقة مستعملة كثيرا في أثناء القرون الوسطى الاسلامية في المغرب ، مثال ذلك : من اسمه محمد لا يقال فيه الا أبو عبد الله ، وعبد الله لا يعرف الا بأبى محمد ، وزكرياء بأبى يحيى ويحيى بأبى زكرياء ، واسحاق بأبى ابراهيم ، وابراهيم بأبى اسحاق ، وهلم جرا مما يؤدي بطبيعة الحال الى الالتباس والتشويش فى تعيين الاشخاص عند ما تذكر كناههم دون أسمائهم .

وهذه الكنى هي فى الحقيقة اصطلاحية ومصطنعة ولا تتفق مع الواقع، لا كما كان الشأن عند العرب وجرت به عادتهم فى القرون الاولى من استعمال الكنية من باب التبجيل والترحيب وفى دائرة خاصة ، فينسب الرجل الى اسم البكر من اولاده ، وبتعاقب الزمان صار الامر على خلاف ذلك من لدن الدولتين : الموحدية والحفصية بالمغرب ، واستمر كذلك الى عهد غير بعيد .

وربما كانت البلية عامة فى جميع البلاد الاسلامية فى الوقت نفسه اذ أنه أضيف الى الاسماء فى المشرق خاصة القاب كأنما يقصد بها المباهاة وزخرف القول فقليل : فخر الدين الرازى ، وعز الدين بن عبد السلام ، وسعد الدين التفتزاني وما لا يعد كثرة من النعوت التى لا تمت الى الحقيقة بشيء ولا ييسر التوصل منها الى الاسم الاصلى الذى النى تماما ، فاذا قيل مثلاً « ولى الدين بن خلدون ، لا يهتدى الى معرفة أنه عبد الرحمن ، فيشتبه حينئذ الامر مع أسماء بقية أفراد أسرته الكثيرين .

وقد رأينا من الحتم التنبيه على هذه الاوضاع المتفشية فى العصر الحفصى حتى لا يستغرب من استعمال الكنى بدل الاسماء .

أما تحقيق اسم صاحبنا التجانى فهو ما رسنا فى طالعة الكلام عليه وعلى المشهورين من آل بيته ، ولنعد الى ذكر مؤلفاته ، فمنها :

(٩) « تقييد الرحلة ، أخرنا ذكر هذا التصنيف لسبب واضح اذ

أنه الغرض الاصلى من هذه المقدمة .

وماذا عسى أن نقول عنها وسيطالعها القارى، ويتبع خطاها
مرحلة مرحلة، لكن سبق أن عرفنا بما وصل لعلنا من مؤلفات
التجاني، فلا بأس بأن نبدي رأينا في قيمتها .

الحق ان « الرحلة » من غرر المصنفات التونسية، وكأنها الوحيدة
من نوعها في وصف البلاد الافريقية والتعريف بعمرانها أوائل
القرن الثامن للهجرة، أحد العصور الغامضة الانباء في تاريخ تونس
الاجتماعى والسياسى لندرة النصوص الواصلة الينا عنه .

فمن أهم خصائصها أنها تبسط لمطالعها أخبار المدائن والقرى
التي يمر بها الرحال كل واحدة بانفرادها، وتجعله يحيط علما بما
مضى من أحداثها، مع التعريف بالنابعين من أبنائها ما بين فقهاء،
وقواد، وأدباء، وصلحاء قدامى ومعاصرين، ثم انها لا تقتصر على
وصف المدائن التي يجتازها بما فيها من معاهد ومعالم ذات شهرة
وقية بل تبين - نقلا ومشاهدة - أسماء الاوطان والنواحي، ومن
يسكنها من القبائل، وما يتفرع عن كل قبيلة من بطون وأفخاذ.
من البدو الرحل، فيميز بين أصولها وفروعها، وينسب كلا منها
الى أن ينتهى الى مشهور الاصل الجامع .

وهكذا يزور التجاني الساحل التونسى الزاخر بال عمران قديما
وحديثا ويمر بصفاقس، ثم ينزل الى الجنوب ناحية قابس وجزيرة
جربة فيعرفها أحسن تعريف، متعرضا للعقائد والعادات المحلية

الشاذة مثل وصفه لطريقة دفن الاموات بقرية « المقدمين » بجبال
مطماطة ، وهى من تقاليد قدماء البربر ، وقد انقطع استعمالها اليوم ،
ثم يدخل الواحات الجنوبية بقسميها الشرقى (مطماطة ونفزاوة)
والغربى (بلاد الجريد) ويقطع سبخة تاكمرت ، ثم يعود فى ركاب
مخدومه فيجوز الى التراب الطرابلسى ويزور منازل الساحلية
ومداشره كزواة وزواغة وزنزور وينعتها بما تستحق ، ويقوم
بمدينة طرابلس مدة يتصل فيها بمن هو متصف بالعلم ، ويحضر
مجالس بعض محدثيها ، وبعد برهة من الزمن يسافر مخدومه الى
المشرق فيفارقه التجانى ويلوى عنان جواده عائدا الى وطنه على
طريق الجادة الازلية التى تربط افريقية بالمشرق ، ويعود الى وصف
ما يمر به على غير الطريق الاولى الى أن يبلغ فى آخر ترحاله الى
حضرة تونس عاصمة البلاد وقصبتها الشامخة من حيث ابتداء الرحلة
ومن طريف أوضاع المؤلف فى تقييده أن يعرض على قارئه
تفصيل ما يرد عليه من المكاتبات العائلية والاخوانية ، وينشر بين
يديه ما تشمله الرسائل من شعر ونثر ، وكلها محررة على ذلك
النمط المسجع الذى ولع به أهل القرون الوسطى الاسلامية ، وهى
- على سذاجتها - تعرفنا بشال بيت رحالنا وبأجابه ومعارفه فى
داخل القطر وخارجه .

ومما يلفت النظر فى الرحلة أن صاحبها أورد فى غضوناتها وثائق
تاريخية بنصها الاصلى ، وقلما رأينا رحالا يأتى بمثل هذه النصوص

المهمة ، ومن أخطرها ذلك السجل الصادر عن الحسن بن علي آخر
الامراء الصنهاجيين المعلن بانتصاره على جيش (البرمانديين) في
وقعة الديماس بالساحل التونسي ، أضف الى ذلك جملة أحداث
معاصرة لم نكن نعرفها لولا ما أثبت من أنبائها وتفصيلها .

وجملة القول أن رحلة التجاني مرآة صقيلة صافية تمثل فيها
صورة البلاد التونسية من حيث عناصر السكان وهيئتهم الاجتماعية
والاقتصادية علاوة على تفصيل جغرافية القطر وتاريخه وتراجم
مشاهير أنبائه مع التعرض للنباتات الخاصة بكل جهة من جهاته ،
وهو مقدار من الافادات قلما اجتمع في رحلة واحدة ، وفي ذلك
بلاغ .

تحقيق أصل الرحلة :

في خلال ١٩٢٣ خطر لادارة المعارف السابقة أن تعهد الى لجنة
تتألف من سبعة أشخاص لتحقيق مخطوطات عربية مختارة من بين
المصنفات التونسية في الادب والتاريخ والجغرافية بقصد نشرها
وترجمتها الى اللغة الفرنسية ان اقتضى الحال .

ووقع اختيار اللجنة على نحو عشرين مخطوطا منها ، وقع توزيع
الاشتغال بها على الاعضاء فتكفل الاستاذ المرحوم « وليم مرسى »
رئيس اللجنة بالاشراف على تحقيق « رحلة التجاني » وكان من
نصيب كاتب هذه الاسطر تجهيز كتاب « آداب المعلمين » لمحمد

ان سحنون ، وكلف بقية الاعضاء بمخطوطات اخرى ، وأقبل
الجميع على العمل مع مراجعة بعضهم لبعض عند الحاجة .
وأول ما صدر من المجموعة المتفق على نشرها « آداب المعلمين ،
فطبع على نفقة ادارة المعارف ، وتأخر ظهور « الرحلة التجانية ، الى
ما بعد ذلك ، لما لزم من المراجعات والمقابلات والتحقيقات وكانت
الاصول التي اعتمد عليها من الرحلة ست نسخ خطية استعيرت من
عدة مكاتب ، فمن الزيتونة ، ومن المكتبة الشعبية بالجزائر ، ومن
تلمسان ومن خزانتى الخاصة ، وقد بذل الاستاذ « مرسى ، جهده
وكامل عنايته وخبرته العلمية فى العمل .

وفى الواقع أن جميع هذه النسخ المجلوبة كانت على جانب
عظيم جدا من التحريف والتصحيف والسهو والاغلاط الفادحة ،
ولم يكن من بينها واحدة قديمة ثابتة يرجع اليها ويعتمد عليها ،
فكلها متأخرة النسخ ، وكأنما نقل بعضها من بعض حتى فى
أغلاطها وأوهامها التي لا تحصى عددا ، لا سيما فى القصائد
الشعرية الواردة فى الاصل ، ومن المراجع التي عدنا اليها
ك « الحلل السندية فى الاخبار التونسية ، تأليف محمد الوزير
السراج الذى أتى على غالب الرحلة فأدمجها فى كتابه ، ويظهر أنه
كلما عرض له تحريف أو تصحيف فى النسخة - أو النسخ - التي
بين يديه كان يعوضه بلفظ من عنده بدلا عن الحلل أو النقص
الموجود فى الاصول المنسوخ منها خصوصا فى القصائد الشعرية .

ولما انتهى من اثبات النص الكامل بعد ضبطه وتصحيحه حرص
الإستاذ « وليم مرسى » على نشره وتم ذلك في « المطبعة الرسمية
التونسية » القديمة ووقف بنفسه على مراجعة التجارب بقدر
الاستطاعة فبرزت الرحلة في خلال سنة ١٣٤٥ هـ (١٩٢٧ م)
من غير أن تصدر بتوسطة مناسبة ولا فهارس ، وحال دون ذلك
من بعد نشوب الحرب الكبرى الثانية ، وتسلمت إدارة المعارف
يومئذ ما طبع من النسخ واخترته في دواوينها ، وبقيت هنالك
هي وصاحبها كتاب « آداب المعلمين » عرضة للسطو والاهمال ،
ممنوعة عن أنظار المشوقين الى مطالعتها ، ولم يفلت منها سوى
نسخ قليلة تهافت عليها من كان من القراء في حاجة اليها .

فلما ظفرت البلاد التونسية باستقلالها وفازت بحريتها المنشودة
وتهيأت لها وسائل النهوض ودعائم الوعي القومي ، انبعثت
(وزارة التربية القومية) بنشاط حيث لتدارك ما فات ، وارجاع ما
كاد يضمحل أو يموت ، وما فئت دائبة على جد العمل لتأييد
حركتنا العلمية المباركة ، باذلة السعي المتواصل لاجياء تراثنا
القومي الزاخر ، وبعث ماثرتنا الزاهرة من مرقدتها وتشخيص
مزاياها الفاخرة .

ويحق لنا أن نشيد هنا بتوجيهات فخامة رئيس جمهوريتنا ،
الساعي لاعلاء كلمتنا ، وتحقيق نهضتنا ، المجاهد الاكبر السيد
* (الحبيب بورقيبة) * اذ اليه يرجع الفضل في الاشارة باعادة طبع

« رحلة التجاني ، وغيرها من الذخائر التونسية ، وقد أذن كاتب دولته للتربية القومية بالمبادرة لاعادة طبعها ، وبعثها من مرقدتها وازالة غبار النسيان عن سفرها ، لينتفع بها أهل الابحاث ، وهواة الرحلات ، فلفخامته المحبوبة الشكر الاوفر من تونس الناهضة على عنايته بكل ما من شأنه أن يزيد في معرفة البلاد ويرفع بين الاقوام من قدرها ، ويدل على مجدها وفخرها . »

وأبناء القطر التونسي العزيز في حاجة ملحة اليوم الى معرفة ماضي بلادهم والاحاطة بما كانت عليه من العزة والعظمة في غابر الزمان حتى يضطلعوا بالزيادة من محبتها ، والتضافر لرفع منزلتها ، والظروف تفرض عليهم هذا الواجب الاقدس في عصر تستشرف فيه تونس لمستقبل مجيد ، وها هي تناشد أبناءها الابرار التفاني في الاجتهاد ، وتدعوهم لاقتفاء أثر الاجداد الامجاد .

واذا عظم البلاد بنوها أنزلتهم منازل الاجلال !

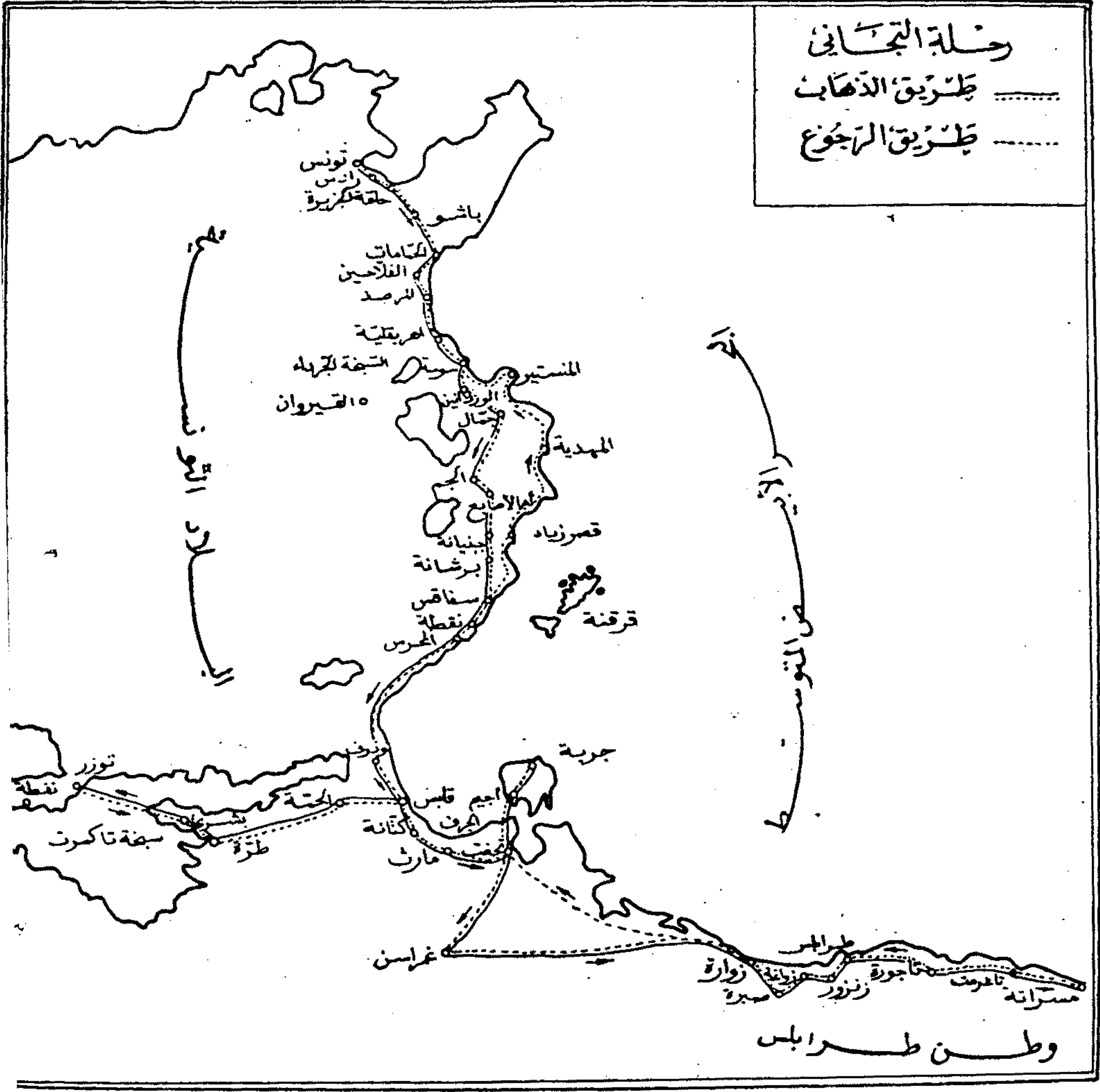
عن مكي عبد الوهاب

عن سلام بو - مستهل ربيع الاول ١٣٧٧

رحلة التمساحي

طريق الذهاب

طريق الرجوع



وطن طرابلس

لَحْلِيَّةُ الْجَمِيَّةِ

قونست - طرابلس

٧٠٦ / ٧٠٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما (١) بعد حمد الله الذي سوغ عوارف فضله ، وأسبغ موارد
ظله ، وقاد العبد بسائق حكمه ، الى ما جرى في سابق علمه ، من
حالتى ارتحاله وحله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي
اظهر الله بهجرته الدين الحنيفى على الدين كله ، وقضى له
بالبركة ، فى تلك الحركة ، فقال به الايمان لعزه والكفر لذه ،
وعلى آله وجميع أصحابه الذين هجروا حلالهم للهجرة الى محله ،
وأحرزوا من الثنا ، بما لهم من صفات السنا ، ما لا يفى (٢) كثير
العبرة بأقله ، فهذا تقييد يشتمل على وصف ما شاهدته فى هذه
السفرة المباركة من البلاد مضمن ذكر أحوالها وصفاتها ، وبيان
طرقها ومسافاتها ، والاشارة الى مفتحيها وبناتها ، وأحوال من
اشتملت عليه من أصناف العوالم ، وما يتميز به كل بلد من الآثار
والمعالم ، وما تشوف اليه ، ويتشوق الى الاطلاع عليه ، وقد البس
ذلك من حلة النظم والنثر مما ورد فى هذه السفارة الى او صدر
عنى استفتاح خطاب ، او رد جواب ، ما تحسن المحاضرة به ،
وتحصل الافادة ان شاء الله تعالى بسببه .

(١) اختلفت النسخ فى صدر الخطبة ففى بعضها : أما بعد حمد الله الخ كما ترى وفى بعضها :
الحمد لله الذى سوغ الخ تم : وبعد فهذا تقييد الخ .
(٢) فى نسخة يكفى

فكان خروجي من تونس المحروسة صحبة الركاب العلي
المخدومي الليمومي (١) أعلى الله مقامه ، وأطال في العز دوامه ، ففى
آخر جمادى الاولى من عام ستة وسبعمائة وكان مراده منها بالقصد
الاول انما هو التوجه لاداء فريضة الاسلام ، التى لا يسع تركها
بعد الاستطاعة عليها أحدا من الانام، بهذا تعلقت آماله ، وعليه كان
عن الخلافة (٢) انفصاله ، الا أن أمر الحج طوى على الناس فى هذه
الحركة ذكره ، وأخفى عنهم امره ، وسبب ذلك أنه لما علم فى تدبير
الرعية من حسن غنائه ، وما اجتمعت عليه قلوب الجمهور واستتم
من محبته وثنائه ، لو بين لهم انطلاقه ، لا بدى (٣) كل منهم به اعتلاقه
فصدوه عن حجه ، وردوه عما ييم من نهجه ، فرأى أن كتم الحج
أصلح ، وأنه الاكد فى طريق السياسة والارجح ، فجعل أمر جربة
سببا الى نيل ذلك المرام ، ورجا مع ذلك ان يكون على يده
استرجاعها الى الاسلام ، فاعلن بذكر التوجه اليها وأشاع انها
المقصودة بالحركة وأنه اذا انفصل عنها ، بعد ان يقضى وطره منها ،
يتوجه بالمحلة الى البلاد الجريدية ثم يعود صحبة المحلة الى الحضرة
وبنى فى باطن الامر على أنه عند تمام حركة الجريد يرد الجيش الى
تونس ويقوم هو ببعض البلاد الى أن يصل الركاب بهدية ملك
المغرب أبى يعقوب المريني الى ملك المشرق فيتوجه معه وقد كان

(١) هكذا فى جميع النسخ التى بايدينا

(٢) لعله دار الخلافة

(٣) فى بعض النسخ « لا بد »

ملك المشرق وجه الى المريني هدية صحبة بعض أمرائه اجتازت على تونس متوجهة اليه (١) في أوائل شهر ربيع الثاني من عام التاريخ فكان يظن أن هؤلاء المشاركة يسرع اياهم ، ولا يبطؤ انقلابهم .

هذا بيان ما بطن من هذه القضية وما ظهر ، وشرح ما استتر منها وما اشتهر ، ولم يعلم بأمر الحج فيها إلا ناس قليلون غير أن العامة ربما كان حصل لهم به شعور فكانوا يشيعونه ولا يتحققونه وتعينت للتوجه الى جربة حصتان برية وبحرية وتقدم اقلع البحرية عن ارتحالنا نحن بناء على أن يكون اجتماعنا بجزيرة جربة فكان اقلعها في أوائل جمادى الاولى وتأخر ارتحالنا نحن الى أواسطه فكان خروجنا من تونس يوم الثلاثاء الرابع عشر منه فنزلنا يومنا ذلك برادس على ستة اميال من تونس وأقمنا بها ثلاثة عشر يوما الى أن استوفى الاجناد من الحضرة مرادهم ، وأكملوا لما يستقبلون من السفر استعدادهم .

ورادس هي المنزلة الاولى للمحال والعساكر دائما اذا خرجوا من تونس لا يتجاوزونها الى غيرها وهي قرية قديمة الرسم ، شهيرة الاسم ، وبها كروم كثيرة ومزارع متسعة وجامع للخطبة عتيق وابتنى بها في وقتنا هذا جامع أضخم منه الا أن الخطبة لم تنقل اليه (٢)

(١) انظر كتاب العيز لابن خلدون (ط الجزائر) ج - ٢ - ص - ٢٢١ - ٢٢٢
(٢) الخطبة الان في الجامع الجديد

ولم تنزل رادس في القديم رباطا مشهورا بالفضل ، وقد روى ابو عبيد في المسالك عن زيد بن ثابت وانس بن مالك موقوفا عليهما انها قالوا : من رباط برادس يوما واحدا فله الجنة (١) و ذكر ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق (٢) في تاريخه : ان علماء المشرق وفقهاء كتبوا الى اهل افريقية : من رباط عنا برادس يوما واحدا حججنا عنه حجة . وكان الروم اغاروا عليها في ولاية عبد الملك بن مروان في مراكب لهم فقتلوا من بها وسبوا وغنموا ولم يكن للناس اذ ذلك شيء يحصنهم فبلغ أمرها من المسلمين كل مبلغ فانتقل اليها أمير افريقية حسان بن النعمان الفساني فاقام مرابطا بها وكتب بذلك الى عبد الملك وارسل مع كتابه اربعين رجلا من اشراف العرب يخبرونه بما نال المسلمين من الجهد فعظم ذلك عليه ، وكان التابعون اذ ذلك موفورين وفيهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت وانس بن مالك فقال (٣) لعبد الملك : أمد (٤) هذه البلاد وانصر اهلها ليامنوا من العدو فانها من البلاد المقدسة المرحوم اهلها . فبعث عبد الملك الى اخيه عبد العزيز وهو أميره على مصر يأمره ان يوجه الى حسان الف قبطي والى قبطية يستعين بهم فحملهم عبد العزيز في البر فلما وصلوا الى حسان اثبت كثيرا منهم في رادس وفرق باقيهم في مراسي افريقية . و امر عبد الملك حسانا ان يخرق البحر الى

(١) انظر كتاب المسالك للبكري (ط الجزائر) ص ٢٧ - ٢٨

(٢) انظر المنتخبات التونسية لحسن حسني عبد الوهاب ص ٧١ - ٧٢

(٣) في بعض النسخ - فقالا

(٤) في بعض النسخ - امدد

تونس من جهة رادس وكان موضع البحيرة اليوم على ما ورد في التاريخ مزارع وبساتين فحفره حفرا وخرقه الى ان وصل الى دار صناعتها وانشا فيها مراكب كان يغير فيها الى ساحل الروم فشغلهم بانفسهم عن الاغارة على افريقية . هكذا ذكر المؤرخون هذا الخبر وفيه بينهم اختلاف

ففى كتاب أبى عبيد ما تقدم (١) من ان ذلك كان فى ولاية عبد الملك بن مروان وفى كتاب أبى اسحاق الرقيق ان ذلك كان فى ولاية الوليد بن عبد الملك وان الوليد كتب بذلك لعنه عبد العزيز والصحيح فى ذلك ما ذكره ابو عبيد فان وفاة عبد العزيز ابن مروان متقدمة على ولاية الوليد بن عبد الملك وانما مات عبد العزيز فى حياة اخيه عبد الملك . وقول الراوى فى هذا الخبر : وكان التابعون اذ ذاك موفورين وفيهم رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنس بن مالك وزيد بن ثابت ، هذا مما زاده أبو عبيد ولم يذكره الرقيق وهو كلام غير صحيح فان زيد بن ثابت توفى فى ايام مروان بن الحكم وهو الذى صلى عليه لا خلاف فى ذلك بين المؤرخين على الجملة وان اختلفوا فى تعيين السنة ولم يكن الوليد اذ ذاك خليفة على قول الرقيق ولا عبد الملك على قول أبى عبيد بل لعل الوليد اذ ذاك لم يكن وليدا فانما تصح الرواية بذلك ان ضحت عن انس فقط ،

فان وفاته تأخرت الى آخر ولاية الوليدة. وانا اعجب من ابي عبيد على اتساع باعه وقوة حفظه للتاريخ والوفيات كيف يتعرض لمثل هذا الخبر مع ظهور وهنه ووهيه

وقد روى ان السفينة التي هي مذكورة في القرآن انما خرقتها الحضرة ببحر رادس هذا وان الملك الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا هو الجلندي ملك قرطاجنة وان الجدار اقيم بطنبذة القرية المعروفة بالمحمدية على أميال من تونس (١) وهناك فارق الحضرة موسى عليهما السلام والله اعلم ، وكان هذا مخالفا لما ذكره المؤرخون من ان الانبياء عليهم السلام لم يدخل منهم أحد شيئا من ارض المغرب ، ولكن خرج الحافظ أبو أحمد ابن عدي (٢) من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغنا مجمع بينهما ، قال افريقية قال عبد الحق (٣) في الاحكام بعد ذكره لهذا الحديث يرويه محمد ابن أبان بن صالح وكان من رؤوس المرجئة يتكلم فيه من أجل ذلك ومع ذلك يكتب حديثه قال الامام أبو الحسن بن القطان (٤) وفي سند هذا الحديث أيضا ممن لم ينه عليه عبد الحق يحيى بن عبد الحميد الجمانى وهو راويه عن محمد بن أبان فان أكثرهم يضعفه ،

(١) اعتنى بعمارتها احمد باشا باي ١٢٥٣ - ١٢٧١ وهي الان على حالة خراب

(٢) هو ابو احمد عبد الله بن محمد الجرجاني المعروف بابن عدي صاحب كتاب الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة

(٣) هو ابو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان الازدي الاشبيلي المتوفى سنة ٥٨١ صاحب كتاب الاحكام الكبرى في الحديث

(٤) هو ابو الحسن علي بن القطان الفاسي المتوفى سنة ٦٢٨ صاحب كتاب الوهم والايهام الواقعين في كتاب الاحكام تتبع فيه زلل عبد الحق الاشبيلي في تاليفه المذكور اعلاه وبهارج له زائفة

وكان أحمد بن حنبل يرميه بالكذب ولم يوثقه الا ابن معين . قال
ابن القطان وخرج عبد الحق هذا الحديث موقوفا على ابن عباس
وهو في كتاب ابي احمد بن عدى الذى نقله عبد الحق منه ، مرفوع
الى النبى صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام ابن القطان

ونحن انما وجدنا هذا الحديث فيما وقفنا عليه من نسخ الاحكام
مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم لا موقوفا عن ابن عباس ،
فقد ابن القطان هذا ساقط عنه ، وقول من قال ان السفينة خرقت
ببحر رادس وان الجدار أقيم بالمحمدية هو قول يخالفه اكثر المفسرين
فمن بعضهم ان القرية التى استطعم اهلها برقة ، وعن بعضهم انها
الجزيرة الخضراء بالاندلس ، وقال بعضهم هى انطاكية وعن بعضهم
الايلة واهل الايلة معروفون بالبخل ، ويروى أنهم أتوا الى عمر بن
الخطاب رضى الله عنه فرغبوا اليه ان يثبت فى المصحف قوله سبحانه
فأبوا أن يضيفوهما بالتاء المثناة

وأمام رادس على قرب منها الوادى المعروف بوادى ملبان وعليه
القنطرة الشهيرة ضخامة وارتفاعا ، والتونسيون يذكرون انها
ابتئت بمال رجل من الغرباء كان يتكفف الناس فيتصدقون عليه
ولا يعلمون بحاله وسعة ماله الى ان توفى فوجد له مال ممدود فأمر
الأمير زكرياء ان يصرف فى بنائها

ثم انتقلنا عن رادس يوم الاثنين فاجتازنا في اول المرحلة بالحامة
المعروفة بحامة الجزيرة وماؤها مفرط السخانة وهي موصوفة بإبراء
ذوى العاهات يطلبون الجلوس على مائها لدوائهم، قال البكرى في
المسالك : وهذه الحامة جليلة مجربة النفع انتهى كلامه (١) وكانت
قبل هذا محجورة عن الناس ببناء محدد بها ثم ابيحت بعد للناس
والبناء المحدق بها باق الى الان (٢)

وهذه الحامة هي منتهى الارض المعروفة بمرناق سميت باسم
بعض من ملكها من النصارى بعد افتتاح المسلمين لارض افريقية
وكان ملكه لها بخديعة تمت على حسان بن النعمان، وذلك أن مرناق
هذا كان صاحب قرطاجنة فلما دخل المسلمون الى أرض افريقية
وافتح حسان مدينة تونس نهض لقتال مرناق فكان يغدو كل يوم
اليه ثم يروح الى تونس وكانوا اذا غدوا للقتال قابلتهم الشمس
فناذتهم في أعينهم فكتبوا بذلك الى عثمان رضى الله عنه فأمرهم
بقتالهم بعد الزوال فضاقت الروم بها وكيانت لهم سفن بيناب
النساء فحملوا فيها نساءهم وأولادهم ليلا وأسلموا المدينة ولم يبق
فيها الا الملك المسمى بمرناق وأهله وولده فكتب الى حسان : هل
لك أن تعاهدنى فى أهلى وولدى وأشترط لنفسى ما شئت من المنازل
وأسلم لك المدينة؟ ولا علم عند المسلمين بفرار من فر منها فاجابه

(١) انظر مسالك ابى عبيد البكرى - ص ٤٥

(٢) تعرف الان بحمام الانف قرية عامرة بهاقصر نلوك العائلة الحسينية كانوا يشتون به وبها
عينان حاروتان تقصدان للاستشفاء

حسان الى ذلك فاشترط هذه الارض المسماة به الان وهى اذ ذاك
قرى كثيرة (١) ثم أمكنهم من المدينة فلم يجدوا فيها غيره وغير ولده
واهله فوفى له حسان بما أعطاه من العهد واقام مرناق مالكا لهذه
الارض

ودخلنا بعد الخروج من أرض مرناق فى أول ارض الجزيرة
المعروفة فى القديم بجزيرة شريك تنسب الى شريك العيسى أحد
العاملين عليها فى قديم الزمان وهو والد قررة بن شريك والى مصر
من قبل الوليد بن عبد الملك (٢) الذى يقول فيه الشاعر (٣) (خفيف)

عجبا ما عجبت ممن أتانا حين أمرت قررة بن شريك

وهذه الجزيرة لم تزل معروفة بالحصب والبركة وهى كما قال
الشريف حيث وصفها فى كتابه المؤلف للبحار : طيبة مباركة ذات
دارات متصلات ، وبركات وخيرات ، ومياد وغللات ، وبالجملة
ففيها خصب زائد على غيرها من الارضين (٤) قال أبو اسحاق
ابراهيم بن القاسم الرقيق فى كتابه : ولم تخل هذه الجزيرة قط
من عابد مذكور (٥) وذكر أن عبد الله بن الاغلب أراد أن يحدث على
الناس مظالم من جملتها أن يرفع عنهم طلب العشر ويضع على كل

(١) هى الان مشهورة بجودة الزيتون وطيب الهواء
(٢) هو قررة بن شريك بن مرثد بن حازم العيسى القيسى مات سنة ٩٥ وقيل ٩٦ انظر الكامن
فى التاريخ لابن الاثير - ج - ٥ - ص - ١٣ والنجوم الزاهرة لابن حجرى بردى ج
١ - ص ٢٤١ .
(٣) يوجد البيت فى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص - ١٢١ وفى حسن المجاهرة للسيوطى
ج - ١ - ص - ٦ بروايات اخرى
(٤) انظر نزهة المشتاق لفتشريف الادريسي ص - ١١٨ ولفظ الادريسي « ذات عمارات متصلات »
(٥) والان بها زوايا كثيرة واحباس وافرة على قراء القرآن وتقصده لذلك من جميع جهات تونس

زوج ثمانية دنانير أصابوا أو لم يصيبوا فاشتد ذلك على الناس وقدم حفص بن حميد الجزري ومعه قوم صالحون من أهل الجزيرة وغيرها فاستأذنوا عليه وكان من أجمل الناس فكلمه حفص بن حميد وقال له : اتق الله أيها الأمير وارحم جبالك وشبابك فان النار أمامك ، فلم يجبه الى شيء مما أراد وأظهر الاستخفاف به وبين معه فخرج حفص بن حميد (١) وأصحابه فلما صاروا ببعض الطريق قال لهم حفص : انا قد يئسنا من المخلوق ولن نياس من الخالق فلم يفتح باب الدعاء حتى فتح باب الاجابة ، فنزلوا واسبقوا الوضوء فصلى بهم حفص ركعتين ودعوا على ابن الاغلب ان ينعه الله مما أراد من اذاية (٢) المسلمين ويكف عنهم جوره قال : فبعد خمسة ايام خرجت له قرحة تحت أذنه فقتلته في اليوم السابع من دعائهم ، قال : فحكى المتولى لنفسه قال كشفت عنه الثوب فوجدته قد عاد أسود ، كانه زنجي بعد ذلك الجمال العظيم

وذكر (٣) أيضا عن فضل بن أبي العنبر وكان واليا على الجزيرة قال : تقدم غلمانى مرة فنزلوا ببعض قصور الجزيرة التى على ساحل البحر فأدخلوا الى مسجد من مساجد القصر أسبانيا وادخلوا طيورا كانت معهم وكلابا فوصل الى اسماعيل بن رباح من أهل الجزيرة

(١) فى بعض النسخ « عمير » وفى بعضها « حمير » واخذنا تحرير الاسم من البيان المغرب لابن عذارى ج - ١ - ص ٨٧

(٢) كذا فى جميع النسخ والمعروف فى اللغة اذية او اذاة

(٣) انظر طبقات علماء افريقية لابى العرب - ص ٧٠ - والترجمة الفرنسارية

١٣٥ - (ترجمة اسماعيل بن رباح الجزرى)

وقال : ألا ترى ما فعل غلمانك في بيت من بيوت الله تعالى ؟ قال
فزجرتهم وأخرجتهم وأمرت بأدبهم ، فنظر الى اسماعيل وقال لي
حقن الله دمك ، قال فشهد فضل بعد ذلك حروبا كثيرة وكان يقول :
والله لو شعبت على الاسنة ما خرجت مني محجمة دم لان دعوة
الرجل الصالح قد سبقت الى ومات فضل بعد ذلك على فراشه .
وبجزيرة شريك هذه اجتمع الروم عند دخول عبد الله بن سعد بن
ابى سرح المغرب ثم ارتحلوا منها الى مدينة اقلبية وركبوا منها الى
جزيرة قوسرة ، فيقال انهم أقاموا بها الى خلافة عبد الملك بن مروان
فأغزى عبد الملك بن قطن في البحر فافتتح جزائر افريقية كلها (١)
وكانت جزيرة شريك هذه محتوية على أقاليم كثيرة أعظمها
المنزل الكبير المعروف بمنزل باشو - بالباء المفردة والشين المعجمة
المشددة - وكان بلدا كبيرا أهلا به . جامع وحمامات وأسواق عامرة
وبه كان قصر عيسى بن احمد القائم على بنى الاغلب ، وهذا المنزل
الان خراب لم يبق منه الا مكانه ، ويقال ان عمدة الجامع الذي كان
به وشىء (٢) من الرخام المنجور المحكم الصنعة نقلت في هذا الزمان
القريب الى تونس فاقيم عليها (٣) جامع قصبتها ، ينسب الى مدينة
باشو هذه صلحاء وفضلاء منهم أبو عبد السلام مفرج بن يياضة
يأتى بعض اخباره في موضع آخر من هذا التقييد

(١) أخذه التجاني من كتاب المسالك للبكري - ص ٤٥

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « ومي »

(٣) في بعض النسخ « اليها »

وفي تاريخ ابن شداد (١) وذكر شدة ما انتهى اليه حال افريقية
ايام استيلاء علي بن اسحاق الميورقي عليها فقال : أخبرني أبو عبد الله
محمد بن البراء المهدوي وقد وصل الى دمشق في هذه السنة يعني
سنة اثنين وثمانين (٢) وخمسمائة قال فسألته عن احوال افريقية
فقال : هلك العباد وخرب البلاد ثم قال : وسأخبرك ببعض ما تستدل
به على الحال : لما نزل علي بن اسحاق على منزل باشو من الجزيرة وهو
على بعض يوم من تونس سأل أهله الامان فامنهم ودخل عسكره
الى انزل المذكور فانتهبوا جميع ما فيه وسلبوا أهله حتى ثيابهم
التي توارىهم وامتدت أيدي العبيد وجفأة الاعراب الى البنات (٣)
فاضطر أهله الى الفرار ففروا بأجمعهم الى تونس ونزلوا بين سوريها
فدخل عليهم فصل الشتاء هنالك فأهلكهم البرد والماء ، واحصى من
مات منهم بتونس فكانوا اثني عشر الفا ، انتهى كلام ابن شداد

وفي مياومة الفاضل ابن البيساني (٤) أن الخبر وصلهم في جمادى
الآخري من سنة خمس وثمانين ان يحيى بن اسحاق الميورقي وأبا

(١) هو أبو محمد عبد العزيز بن شداد من ذرية المعز بن باديس الصنهاجي ملك افريقية مؤلف
كتب (الجمع والبيان في اخبار المغرب والقيروان) من رجال آخر القرن الهجري للهجرة
وفه هاجر الى الشام ومات به وكان من امراء العساكر في دولة صلاح الدين الايوبي

(٢) سقط لفظ ثمانين في بعض النسخ

(٣) في بعض النسخ « البناء » وفي بعضها « النساء » انظر الكامل في التاريخ لابن الاثير - ج
١ - ص ٣٤٣

(٤) هو القاضي الفاضل ابو علي عبد الرحيم بن محمد اللخمي الفساني المعروف بابن البيساني
حرف اسمه في اكثر النسخ التي بايدينا

زياد المغربي (١) دخلا الى جزيرة باشو بقرب من تونس واستأصلا
أهلها فانتقلوا الى تونس ودخلوا حفاة عراة فمات منهم بالجوع
والبرد والانقطاع نحو اثني عشر الفا ، هكذا ذكر الفاضل ان ذلك
من فعل يحيى بن اسحاق وفي الحديث المتقدم ان ذلك من فعل علي
بن اسحاق اخيه فيمكن أن تكون قضية واحدة وقع الغلط في نسبتها
ويمكن أن تكونا قضيتين وهذا هو الظاهر فان سنة اثنين وثمانين
على ما ذكر ابن شداد انما كان الامر فيها لعلي بن اسحاق وبعده ولي
اخوه يحيى والله اعلم . وفي موضع آخر من تاريخ الفاضل أن الاجناد
وصلت من الاسكندرية في سنة ثمان وثمانين وان قراقوش الارمني
عاث في جزيرة باشو وافسد نضرتها ونضرة صفاقس والمهدية ،
انتهى ما نقلناه من كلام الفاضل

ومن اول الجزيرة هذه ابتدأنا بالسلوك في منازل العرب المتولين
لارض افريقية ، وهذه الارض الان من منازل بنى دلاج وهم فرقة
من بنى عوف بن سليم وكانت قبل هذا من منازل الرياحيين فلم
تزل وفود الاعراب عند وصولها من المشرق تززع (٢) من بين يديها
من العربان الذين كانوا وصلوا قبلهم الى أن حصلت هذه الارض
في وقتنا هذا لمن ذكرنا

(١) اختلفت النسخ اختلافا لا يمكن معه ضبط هذا اتعلم فحتها ما اتى به على صورة « ابا زيد
المغربي » ومنها ما اورده على صورة « ابا زياد المغربي » او « القرى » الى غير ذلك ولا
يبعد ان تكون تلك الروايات كلها محرقة من اسم « يوزيا » او « بوزبا » او « بوزابة »
الغزى الذي ذكره ابو شامة في كتاب الروضتين ج ٢ - ص ١٧١ - س ١١ - وص ١٧٧ -
س ١٨ وكذلك ابن الاثير في كامل التاريخ ج ١١ - ص ٣٤٢
(٢) في بعض النسخ « تفزع » ولعل الصواب هو « تدع »

وجور هذه الطائفة المعروفة بدلاج في فعلها وعيها في البلاد
وأهلها أشهر من ان نشير اليه ، أوندل بعبارة مختصرة عليه ،
وأنصف الله من الجرجرائي الاقطع فهو الذي أمكن العرب من
الدخول الى هذه البلاد ، وعن فكره السييء نشأ بأرض افريقية ما
نشأ من الفساد ، فانهم كانوا قبل ذلك نازلين بصعيد من ارض
مصر لا يحدثون أنفسهم بالجواز الى هذه البلاد الى أن ندبهم
الجرجرائي الى ذلك وأفرج لهم عن طريقهم ، فأغص منهم أهل
هذه البلاد بريقهم ، لحاجة كانت في نفسه من افساد هذه البلاد
تعجل قضاءها ، ووجد عند الله بما لقيه جزاءها ،

وقد رأينا أن نلمع هاهنا بطرف من الخبر عن ذلك فهو من تمام
فوائد هذا التقييد ، ونعتمد فيما نقله على فصل من كلام ابن بسام
رحمه الله تعالى في « الذخيرة » ثم نضيف بعد تمامه اليه ، ما نستدركه
بعد ذلك عليه .

قال ابن بسام : « لما تغلب بنو عبيد الناجمون بافريقية على مصر
فخلص لهم صميمها ، وتم لهم ملكها ونعيمها ، وأراد معد بن
اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمعز لدين الله اقتعاد صهوتها ،
واثبات قدمه على ذروتها ، دعا زيرى بن مناد وهو يومئذ من
صنهاجة بمكان السنام من الغارب ، وبمنزلة الوجدان من نفس
الطالب ، وكان له عشر من الولد آساد شرى وأقمار سرى ، فقال
ادع لي بنيك ، فقد علمت رأيي فيهم وفيك ، وكان اصفرهم سنا ،

واهو نهم عليه شأننا ، يوسف بن زيرى فدعا ولده ما عداه ، والمعز ما يريد سواد ، وكانت عند المعز - زعموا - أثارة من الحدثان قد علم بها مصائر احواله ، وأهل الفناء من أعيان رجاله ، وكانت عنده خليفته على افريقية اذا صار إليه ملك مصر علامة يأنس بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفان العاشق بديار أحبابه ، فنظر فى وجود بنى زيرى فأنكرها ، حين تفقد تلك العلامة فلم يرها ، فقال لزيرى هل غادرت من بنيك أحدا ، فليست أرى لمن هاهنا منهم أيدا ولا يدا ، فقال له الا غلاما وطفق يصغر شأنه ، والمقدار قد عناه وأعانه ، ويطوى اخباره ، والاختيار يدير عليه مداره ، فقال له المعز لا أراك حتى أراد ، فليست أريد سواد ، فلما رآه عرفه ، وفوض إليه من حينه واستخلفه ، فاستولى من وقته على الامور ، وزاحت مهابته الاهواء فى الصدور ، وبعدت أسفاره ، واشتهرت أخباره ، واشتمل على طرف الايام والليالى ايراده واصداره ، بلغ بغزواته سبته فى خبر طويل ليس من جنس ما ألفت ، ولا فى معنى ما صنعت ، ثم اجاب صوت مناديه ، وخاع الامارة على أعطاف بنيه ، حتى انتهت منهم الى المعز بن باديس شرف العشيرة ، وآخر ملوكه المشهورة ، فأول ما افتتح به شأنه ، وثبت به فيما زعم سلطانه ، قتل الراضة ومراسلة أمير المؤمنين ببغداد فكتب إليه بعهدده ، وجاءته الخلة واللقب من عنده ، واتصل ذلك بالجرجرائى وهو المتحكم فى دولة العيندى فاضطمنها عليه ، وفوق سهام مكروهه إليه ، وكان بطون

من بنى عامر بن صعصعة: زغبة، وعدى، والاثبيج، ورياح وغيرهم تنزل
بالصعيد لا يبيع لها بالرحيل ، ولا يخلى بينها وبين اجازة النيل ،
فأفرج لهم الجرجرائى عن السبيل ، وأذن لهم فى المعز امنية طالما
سرت اليها أطماعهم ، وعكفت عليها أبصارهم واسماعهم ، فغشيه
منهم سبيل العرم ، ورماء منهم بدؤلول وابنة الرقم ، وتهاون المعز
بهم أولا فشغلهم بخدمته ، وأثقلهم بأعباء نعمته ، وهم فى خلال
ذلك يتمرسون بجهاته ، ويدبون الى انصاره وحماته ، ويطلعون على
مقاتله وعوراته ، حتى بان لهم شانهُ ، وهان عليهم سلطانه ،
فجأهروه بالعداوة ، وأرادوه على الاتاوة ، وجرت بينهم أثناء ذلك
حروب كان من افراها لاديمه ، وألصقها بصميمه ، وقعة « حيدران ،
فى سنة أربع واربعين فانها اوهنت بطشه ، وثلت عرشه ، وأحاط
الاعراب بالقيروان وانسطوا فى البلاد يخطون حريمها ،
ويتعرضون راحلها ومقيمها ، الى أن أعطاهم الدنية وناشدهم التقية ،
واشترط المهدية ، وقد كان نظر فى ماله ، وفكر فيمن بازائه من
أقباله ، فزف الى زعمائهم بنات كن نجوم الليالى ، وأمانى المغالى
فأصبحوا له أصهارا ، وقاموا دونه أنصارا ، ثم استجاش من قبله ،
واحتل حرمه وثقله ، وترك الملك لمن حماه وحمله ، وجاء أنصاره
فكانوا بحيث يسمعون نثيه ، ويمنعون من عساه أن يكيده او يضيئه ،
حتى بلغ المهدية أسقط من الشمس فى الميزان ، وأهون من الفقير
على القيان ،

قوله في هذا الفصل فأول ما افتتح به شأنه، وثبت به فيما زعم (١) سلطانته، قتل الرافضة، كان المعز لا يزال يتحامل على بنى عبيد الله ويلعنهم خفية ويؤذى أشياعهم ثم آل الأمر به إلى التصريح فلعنهم على المنابر وقتل أشياعهم المرة بعد المرة وتتبعهم في الاقطار بالقتل وكان قبل ذلك يكتب الوزير الجرجاني مستميلا ومعرضا بالتحزب معه على بنى عبيد الله وانما يفعل ذلك رمزا وتعريضا له لعله يرى منه قبولا له فيجد في السعي معه على القوم، وكتب إلى الجرجاني مرة بخطه قطعة تمثل بها منها (بسيط)

وَفِيكَ صَاحِبْتُ قَسْوَمًا لَا خَلَاقَ لَهُمْ

لَوْلَاكَ مَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّهُمْ خَائِقُوا

يشير إلى بنى عبيد الله ويزعم أنه إنما ابقى عليهم بعض الإبقاء من أجل حبه فيه فلما وقف الجرجاني عليها قال: إلا تعجبون من هذا الأمير، صبي مغربي بربري يريد أن يخدع شيخا بغداديا عربيا، وانما اتهمه بأنه فعل ذلك ليوقع بين القوم ووزيرهم ان عثروا على هذه الرموز، ثم قال الجرجاني: والله لا جيشت له جيشا ولا تحملت فيه نصبا وكاف العرب العبور بمجاز النيل ولم يأمرهم بشيء لعله انهم لا يحتاجون إلى وصاية (٢) وكتب إليه معهم: أما بعد فقد أرسلت إليك خيلا فحولا، وحملنا عليها رجالا كهولا، ليقضى الله أمرا كان مفعولا، وقد كان كتب إليه قبل ذلك كتاب وعيد

(١) في بعض النسخ « به رغم سلطانه » وفي بعضها « به فيما دعم سلطانه » وكلاما تحريف واحصواب ما اعتمدناه هنا طبقا لما هو مثبت اعلاه - ص ١٧ س ١٧

(٢) في بعض النسخ « وصية »

وتهديد ، قال فيه : وان لم ترجع عن رأيك أتتك الجيوش موصلة
سنايك خيلها ، ناسخة بنقعها ووميضها حكم نهارها وليلها

وقوله : فأفرج لهم على السبيل أمنية طالما سرت (١) اليها أطماعهم ،
ليس كذلك فالمنقول أنه لما كلفهم العبور امتنعوا فجعل لكل عابر
فروا ودينارا فحينئذ جازوا ، ثم انهم لما وصلوا الى بلاد افريقية
واستطابوها كتبوا الى اخوانهم فى اللحاق بهم فلم يتركهم
الجرجرائى أو يؤدى كل عابر فروا ودينارا فأخذ بذلك اكثر مما
أعطى ، وقوله (٢) و كان من افراها لاديمه وقعة حيدران ، « حيدران »
اسم جبل معروف بمقربة من القيروان كانت الواقعة به وكان
جيش المغز فيها ثلاثين الفا ومبلغ جيش الاعراب ثلاثة آلاف فهزم
جيش المغز ومن ستم منهم من القتل لم يسلم من النهب ، وفى ذلك
يقول على بن رزق الرياحى أحد أولئك الاعراب من قصيدة
اشتهرت فى زماننا أولها (٣) (طويل) :

لَقَدْ زارَ وَهناً مِنْ أُمَمٍ خَيالُ وَأَيدي المطايا بالذميلِ عِجالُ
ويقول فيها عند ذكر الواقعة :

(١) كفى بعض النسخ « شهرت » انظر ما ثبت قبله - ص ١٨ - س ٤

(٢) انظر ما قبله - ص ١٨ - س ١٠

(٣) انظر كتاب العبر لابن خلدون (طبع الجزائر) ج ١ - ص ٢٠ والنسخة البولاقية - ج ٦ -
ص ١٥ - برواية اخرى

وان ابن باديس لا فضل مالك لعمري ولكن ما لديه رجى
ثلاثون الفا منهم هزمتهم ثلاثة آلاف وذلك ضلال

وإن ابن باديس لأخترمُ فمالك ولكن لعمري ما لديه رجال
ثلاثة آلاف لنا غلبت له ثلاثين ألفاً إن ذا لصال

وكان الوزير الجرجرائي مجيز هذه الاعراب واسمه احمد بن
علي ويكنى بأبي القاسم ، أحد رجال الدنيا سياسة ودهاء وبعد غور
ونفوذ فكرة ووزر الظاهر العيدي بمصر ثم لابنه المستنصر وعتب
عليه الظاهر في أمر ، فأمر بقطع يديه فقطعتا معا فخرج من فوره
وجلس بدسته لخدمته على عادته وقال ان الخليفة انما قطع يدي عتوبة
لي ولم يعزلي فاستعظم له الظاهر ذلك وشرف لديه وكان ذلك
سبب ارتقائه الى الوزارة وانما كان قبل ذلك في أحد الدواوين (١)
وكان كثير المصادرة للعمال وربما صرح لهم بقوله : أبيتم الا اخيانة
فقال فيه أبو طالب محمد بن عبد الله الانصاري (مجزوء الكمال)

إغميد لسانك والتزم طرُق السلامة والصيانة
كَمْ ذا تقول أبيتم إلا الجنايَةَ والحِيَانَةَ
أتراهم قطعوا يدي كَعَلَى النزاهة والأمانَةَ

وتوفي سنة ست وثلاثين واربعمائة .

ومن الناس من نسب اجازة العرب لغير الجرجرائي واستدل على
ذلك بما قدمنا من تاريخ موت الجرجرائي وانما كان جواز العرب

(١) وفي بعض النسخ « الزاريتين » وهي ~~بعضها~~ الراويتين .

بعد ذلك بأعوام ، وذكر ان المميز لهم انما هو اليازورى واسمه الحسن بن علي ويكنى بأبي احمد وقد كانت وزارته بعد موت الجرجرائي وله اخبار مدونة لشهرته وغلبته على الدولة العبيدية ولا يبعد ان يكون هذا هو الصحيح والله اعلم ، فيكون هذا من جملة ما يستدرك على ابن بسام .

وقد أرخينا للقلم في هذا الفصل فضل عنانه ، وفسحنا له في ميدانه ، وفاء بما عنينا ببيانه ، فلنعمد (١) الى ما بينى عليه هذا التقييد من ذكر المراحل والمنازل مستعينين بالله تعالى ، فكان نزولنا من المرحلة المتقدمة بصلتان وسميت بذلك لان اقواما من البربر يعرفون ببني صلتان نزلوا بها في اول الزمان ، وكذلك تعرف في القديم قرية بني صلتان وبها كانت الواقعة بين عمار بن علي بن الحسين وبين مستوية النكارى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وذلك ان ابا يزيد لما ملك القيروان وجه مستوية هذا الى تونس لما بلغه من مخالفتهم عليه - وقد كانوا دخلوا في طاعته قبل هذا - وعلم بذلك القائم فوجه عمارا ليسيقه اليها فلما قرب عمار منها وجد مستوية قد دخلها وأخذ كثيرا من اهلها وأخرب كثيرا من مساجدها فعزم على الرجوع ، فخرج اليه مستوية فيمن معه من النكاراة فالتقوا بصلتان هذه فانهزم عمار بن علي والكتاميون هزيمة شنيعة ، وقتل من الناس جماعة وحال الليل بينهم فلجأ عمار الى الرحيل فسرب الى جبل

(١) في بعض النسخ « فليعمد » ويكنى ان يكون « فليعمد »

الرصا ص فامتتع به ليلته وأصبح مرتحلا فأتبعه مستوية بجنوده
فالتقوا ثانية فانهزم النكارة وقتل بشر كثير منهم وجرح مستوية
وبلغ ذلك اهل تونس فأخرجوا من كان عندهم من النكارة وقتلوا
كثيرا منهم .

وأقمنا بصلتان بقية يومنا ثم ارتحلنا عنها صباح الغد فنزلنا
بالفلاحين . والفلاحين هي آخر أرض الجزيرة المعروفة بجزيرة شريك
كما تقدم وأول الأرض المعروفة بوادي الرمل وتنتهي أرض وادي
الرمل الى حيث انتهت بنا مرحلتنا من الفلاحين وذلك المبنى المعروف
بالمنارة وهو بناء مستدير الشكل مفرط الارتفاع قد انتظم من
فصوص الحجارة المربعة الضخمة ينسب بناؤه لابن الاغلب باني
هذه القصور والمحارس الافريقية كلها ، وهي متصلة فيما بين
الاسكندرية وبحر الزقاق الذي بسبته واليه تنسب المنارة الاخرى
المشهورة بقرطاجنة تونس ، وتراءت لنا في هذه المرحلة على بعد منا
منازل البلدة المعروفة بالحمامات وهي على شاطئ البحر ، ثم ارتحلنا
من هناك صباح الغد وهو يوم الخميس غرة جمادى الاخرة فمررنا
في اول المرحلة بالقرية المعروفة بالمرصد وسيأتي لها ذكر بعد هذا
وقطعنا الرمل المتصل بها .

ثم قطعنا بعدد السبخة المعروفة بالجرداء وأخذنا ذات اليمين سالكين
وسط الشعراء متجنبين لطريق الشاطئ مؤثرين لقرب الطريق ،

وهناك قام بين أيدينا القصر المعروف بالمدفون وضخامته تشعر
بضخامة بانيه وهو منسوب لابن الاغلب المتقدم الذكر وهو في
زماننا هذا خال خرب ، وتسميته بالمدفون تسمية مفهومة فان
الشعراء قد حفت به من جميع جهاته فكأنه مدفون هناك .

وانتهى السير بنا في هذه المرحلة الى القرية المعروفة باهرىقلية
وهي قرية كبيرة على سفح جبل (١) مشرف على البحر وأهلها
يزعمون انهم من العرب ، وبهذا الموضع الذي نزلنا به كانت الواقعة
بين أيوب بن خيران الزويلي النكارى أحد قواد أبي يزيد وبين
بشرى الصقلبي (٢) خادم أبي القاسم القائم ، وكان القائم لما سمع
باطلال أبي يزيد عليه ووصوله الى باجة وذلك في أول اقباله الى
البلاد وجه خادمه بشرى المذكور ليأذن أبا يزيد بدخول باجة
فيضبطها ويعسكر بها فتوجه بشرى اليها وعسكر بها ووصل أبو
يزيد الى باجة فوجد بشرى قد سبقه اليها فوقع القتال بينهما فانهزم
اصحاب أبي يزيد هزيمة فاحشة فلما رأى أبو يزيد ذلك نزل عن
فرسه واستدعى بحماره الاشهب فركبه وقال لمن معه : ليست هذه
حال من يريد الهرب بل حال من يطلب الموت ، ثم خالف بشرى الى
أخيته فجازها (٣) فعلم بشرى بذلك (٤) فأدركه رعب وانهزم موليا

(١) في بعض النسخ بزيادة « عال »
(٢) كذا في كتاب العبر (طبع الجزائر) ج ٢ - ص ١٨ - وفي كامل التاريخ لابن الانبار
« بشرى » غير منسوب وفي جل النسخ التي بأيدينا « بشر الصقلي »
(٣) وفي بعض النسخ « فجازها »
(٤) وفي بعض النسخ « ذلك »

وتبعه أصحاب أبي يزيد بأسرون ويقتلون ووصل بشرى منهزما الى تونس ودخل أبو يزيد باجنة بالسيف ثم خرج بشرى عن تونس متوجها الى سوسة فكتب أهل تونس الى أبي يزيد فأمنهم وولى عليهم واليا من قبله ، ولما اتصل بالقائم خبر انهزام بشرى ووصوله الى سوسة أمدده بالجيوش والاموال وأمره ان يستعد (١) للقاء أبي يزيد ثانية ، فخرج بشرى من سوسة متوجها الى أبي يزيد ثانية فوصل الى المرصد وهي القرية الكبيرة المذكورة قبل فلما علم أبو يزيد بخروجه وجه للقاءه أيوب بن خيران المذكور قبل فوصل الى بشرى وهو بالمرصد فتقهقر بشرى راجعا الى اهريقلية هذه وتحيز الى سور القلعة وأقبل اليه أيوب فالتقيا بهذا الموضع ، فانهزم أيوب وقتل من أصحابه آلاف وأسر منهم مئون فرجهم بشرى الى المدينة فقتلهم العامة بالعصى (٢) والحجارة ، وانقلب أيوب الى أبي يزيد فاخبره بالوقعة فساءه ذلك ورحل بنفسه قاعدا بشرى فوجده قد انصرف الى المهديّة فوقف على المعترك وترحم على قتلهم وأمر بمواراتهم .

ثم ارتحلنا عن اهريقلية يوم الجمعة ثاني جمادى الاخرى فنزلنا بسوسة وهي مرحلة قريبة ، وسوسة مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سور منيع من الصخر ينتهي البحر اليه ويضرب فيه

(١) وفي بعض النسخ « يعتد »
(٢) وفي بعض النسخ « بالعصا »

وبها آثار الاول واليها تنسب الثياب الرفيعة السوسية ، والمسافرون يقصدونها من الافاق وبها جامع للخطبة حسن كان بناؤه في ولاية أبي العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب سنة ست وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام ، وكانت سوسة اذ ذاك قرية وأتى بعده ابن أخيه أبو ابراهيم أحمد بن الاغلب فجدد سورها وألحقها بالمدن وكان تجديده لسورها سنة تسع وأربعين ومائتين . وبصحن جامعها المذكور بيت قد كتب فيه بخط قديم نقشا في الحجر « القرآن كلام الله ليس بمخلوق » وكتب مثل ذلك ايضا في عمد الجامع وذلك كله تنبيه على مذهب أهل السنة وتثبيت له بسبب كثرة ما كان بها وبجميع بلاد افريقية في القديم من مذاهب المنحرفة عن المذهب السني ثم ما كان بها منها في زمن ملك الروافض لها ثم في زمن تغلب الخوارج عليها .

ومن سوسة هذه ركب أسد بن الفرات البحر غازيا الى صقلية سنة اثنتي عشرة ومائتين فافتتح كثيرا من معاقلها وتغلب على كثير من مدنها ومات في العام الذي يليه وهو محاصر لها ، قالوا ونزل الروم على سوسة في الزمن القديم في ثلاثين الف مقاتل فبلغ ذلك معاوية بن حديج السكوني وقيل التجيبي وقيل الكندي قال أبو عمر ابن عبد البر والصواب ان شاء الله السكوني وخطأ الرشاطي (١) وقال اذا كان سكونيا فهو تجيبي وكندي ، وكان معاوية هذا واليا

(١) في بعض النسخ « الرصاحي »

على فريقية من قبل عمرو بن العاص فبعث عبد الله بن الزبير الى
سوسة في جمع كثيف ليحميها فتوجه عبد الله ونزل بجمعه على
شرف عال بينه وبينها اثنا عشر ميلا أو نحوها فلما علم الروم بوصوله
رفؤوا (١). جميع سفنهم الى شاطئ البحر وازمعووا (٢) الارتجال
فوصل عبد الله بجمعه من الغد حتى انتهى الى سور المدينة ، ثم نزل
عن فرسه وقام يصلي بالناس بعض الصلوات الحاضرة فجعل الروم
يتعجبون من اقدمه وقلة اكرائه بهم فاخرجوا له جمعا من حماتهم
فرحفوا (٣) اليه وهو مقبل على صلاته لا يهوله ذلك حتى اذا قضى
صلاته ركب فرسه وحمل عليهم فانكشفوا عنه وولوا ادبارهم
فصعدوا الى مراكبهم واقلعوا الى بلادهم

ولم تزل سوسة معروفة بالامتناع على من رامها واهلها يوصفون
بالباس والنجدة، وحسبك من امتناعها ونجدتهم ان ابا يزيد لما تملكها
وفعل فيهم الافاعيل (٤) الشنيعة من قتل الرجال وسبى النساء وقطع
الاعضاء وبقر البطون خالفوا عليه وبايعوا ابا القاسم القائم الشيعي
ووجهوا عامل ابي زيد اليه وذلك كله عام اثنين وثلاثين وثلاثمائة ،
فوصل اليها ابو يزيد بنفسه في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة
وحاصرها حصارا شديدا وكان ما اخذه التحصيل من جند ابي يزيد

(١) رفؤوا - قربوا

(٢) في بعض النسخ « عزموا »

(٣) في بعض النسخ « رجعوا » وفي بعضها « خرجوا »

(٤) في بعض النسخ « الافعال »

مائة الف خص يسكن في الحص الواحد الثلاثة والاربعة فصاعدا ،
فكان يقاتل سوسة كل يوم فمرة له ومرة عليه ولم يزل محاصرا لها
الى ان توفي القائم في ذلك العام وولى بعده ابنه اسماغيل الملقب
بالمصور فوجه الى ابي يزيد جيشا كان سبب ارتحاله عنها ، وفي
ذلك يقول بعض شعرائها : (١) (كامل)

إِنَّ الْخَوَارِجَ صَدَّهَا عَنْ سَوْسَةَ مِنْهَا طِمَعَانُ السُّمْرِ وَالْإِقْدَامُ
وَجِلَادُ أَسْيَافٍ تَنْطَايِرُ بَيْنَهَا فِي النَّقْعِ دُونَ الْمُخَصِّنَاتِ الْهَامِ

وقال أحمد بن أفلح من قديم شعرائها : (٢) (كامل)

مِدِينَةُ سَوْسَةَ بِالْمَغْرِبِ ثَغْرٌ تَدِينُ لَهُ الْمَدَائِنُ وَالْثَغُورُ
لَقَدْ أَعْيَنَ الَّذِينَ بَعَثُوا عَلَيْهَا كَمَا لَعِنْتَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرُ
أَتَاهَا الْخَارِجُونَ لِيَمْلِكُوهَا فَكَانَ مِنَ الْإِلَهِ لَهَا نَصِيرُ
وَلَوْلَا نَصْرُهُ لَدَهَّتْ دَوَاهُ يَشِبُّ لَهْوَلِهَا الطِّفْلُ الصَّغِيرُ
سَيَبْلُغُ ذِكْرُ سَوْسَةَ كُلِّ أَرْضٍ وَيَتَغَشَى أَرْضَهَا الْجَمُّ الْفَقِيرُ

وقد خالف اهل سوسة ايضا على المعز بن باديس صاحب افريقية
سنة خمس واربعين واربعمائة ومنعوه ما كانوا يحملون اليه من المال
وقالوا نحن اولى به لنذب به عن بلدنا ، وتوفيت اخت المعز عندهم

(١) هو سهل بن ابراهيم الوراق كما ورد في كتاب المسالك للبكري - ص ٣٥
(٢) في بعض النسخ : احمد بن فلح ، وفي كتاب المسالك للبكري : احمد بن بلح ، وللابيات
زيادة مع اختلاف ما في الروايات في البيان المغرب لابن عذارى ج ١ - ص ٣٢٧ - وفي
كتاب المسالك - ص ٣٥

فضموا اموالها وابوا من توجيهها اليه فبعث المعز اليهم في ذلك فقالوا لرسله : كيف ندفع له اموالا نتقوى بها نحن علي مدافعته وحربه ، فبعث المعز اليهم من المهديّة اسطولا ضخما فصبح (١) مرسى سوسة فاحرق ما فيه من المراكب وكانت نيفا وستين مركبا اكثرها لاهل سوسة ، فعمد اهل سوسة الى من كان عندهم من اهل القيروان فاخذوا اموالهم واهانوهم اشد الاهانة فوجه المعز اليهم جيشا فيه مائة فارس وامرهم ان يتظاهروا (٢) مع الاسطول على حصار سوسة لياخذوا بمخنقها برا وبحرا ، فكان من قدر الله الغريب الاتفاق ان اجتاز على سوسة يوم خروج هذا الجيش اسطول من قبل صاحب صقلية فتهيئه اسطول المعز فانصرف راجعا الى المهديّة ولا علم عند المعز بذلك ، ووصل جيش المعز الى سوسة فسالوا عن الاسطول فاخبروا باقلاعه ، فسقط في ايديهم فخرج اهل سوسة ومن حفر بها من الاعراب اليهم فادخلوهم الى المدينة واجالوا السيف على جميعهم ونصبوا رؤوسهم على السور ، قال ابن شرف : اخبرني من شاهدها ان عدتها نيف وخمسون راسا قال وانما سلم من سلم من الجيش لضعف في دوابهم منهم من الاحاق باخروانهم فلما تحققوا الخبر ولوا راجعين فسلموا بذلك ومات المعز بعد ذلك سنة اربع وخمسين وسوسة مخالفة عليه فلما ولي ابنه تميم اتابوا له فعنا عنهم وتغمد ذنوبهم وذلك سنة ست وخمسين .

(١) في بعض النسخ « اصبح بمرسى سوسة »
(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « يتظاهروا »

وتوالت على سوسة بعد ذلك أمراء من العرب ملكوها حين استولوا على البلاد وانتزعوها من أيدي صنهاجة واستقرت أخيراً تحت ملك جبارة بن كامل بن سرحان بن أبي العنين (١) الفادعي البعيد الصيت المشتهر بالجود ، ومن يده أخذها النصارى حين أخذوا المهديّة من يد الحسن واستولوا على سائر بلاد السواحل ، ولما وصل عبد المؤمن إلى إفريقية واستنقذ المهديّة من يد النصارى وقام أهل كل بلد على من عندهم منهم أمثال أهل سوسة ذلك ورحل أشياخهم إلى عبد المؤمن ورحل (٢) إليه أيضاً جبارة بن كامل المذكور فقدم على أهل سوسة حافظاً من الموحدين يعرف بعبد الحق بن علس الكومى فطرقهم اسطول النصارى ثانية وهم على غرة فاستولى على البلد وقتل من أهله من قتل وسبى من سبى وخرب البلد تخريباً عظيماً لانه لم يبق على الإقامة فيه وأسر الحافظ المذكور وأهله وولده وتوجه بهم إلى صقلية فأقاموا بها مدة ثم افتدوا (٣) بعد ذلك وخرجوا (٤) ومن حينئذ استولى الخراب على مدينة سوسة وهلم جرا

وكفى فخراً لسوسة أن المنستير الذي وردت الأحاديث في فضله محرس من محارسها ومنسوب إليها ، روى أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم في كتاب الطبقات من تأليفه بسنده إلى سفيان بن

(١) في بعض النسخ « أبي العنين »

(٢) في بعض النسخ « وصل »

(٣) في بعض النسخ « افتقدوا »

(٤) كذا في جميع النسخ ولعل « نصاب » ورجعوا »

عينة عن عبد الله بن دينار (١) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رابط بالمنستير ثلاثة ايام وجبت له الجنة، وبسنده الى خالد بن معدان (٢) عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بمدينة قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير ينقطع الجهاد في آخر الزمان من كل موضع فكأنى اسمع صرير المحامل من مشارق الارض ومغاربها الى ساحل قمونية

وبسنده عن عباد بن كثير عن ليث بن ابي سليم عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بساحل قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله ومن خرج منه فبعفو الله ، وعباد بن كثير الواقع في هذا السند متروك الحديث عندهم ، وليث بن ابي سليم لا يحتج به من كتاب ابي العرب (٣)

وبسنده ابي العرب الى عبد الرحمان بن زياد بن انعم عن مطرف ابن عبد الله قال : المنستير باب من ابواب الجنة فينما هم في الصلاة اذ سمعوا هدة (٤) فبعثوا رسولهم لياتيهم بالخبر فما لبثوا ان انصرف فقالوا له ما صرفك؟ فقال لهم : سيرت الجبال فيخرون سجدا لله فيقول الله تعالى يا اهل المنستير لولا ان كتبت الموت على خلقى لا ادخلتكم

(١) في بعض النسخ « ابي يسار » انظر طبقات ابي العرب - ص ٣ - ونزعة الانظار لتديش

ج ١ - ص ١٩٧

(٢) كذا ورد في جميع النسخ ولا ذكر لخالد بن معدان في ميزان الاعتدال

(٣) انظر طبقات ابي العرب - ص ٢

(٤) في بعض الروايات حاتفا بدل هدم

الجنة يعنى قبل الموت فتخرج عليهم ريح صفراء ما بين القبلة
والمشرق فتخرج ازواجهم من الحور العين وخدمهم (١) . وعبد
الرحمان بن زياد ايضا متروك الحديث ضعفه ابن معين والبهلول بن
راشد ، سمعت سفيان بن عيينة يقول : جاءنا عبد الرحمان بن زياد
الافريقي بستة احاديث رفعها الى النبي صلى الله عليه وسلم لم
اسمع احدا من العلماء رفعها وذكرها

وبسند ابي العرب الى سفيان بن عيينة موقوفا عليه قال : الفضل
في ثلاثة مواضع : المصيصة باب من ابواب الجنة ليحشرن منها يوم
القيامة سبعون الف شهيد ، وعسقلان باب من ابواب الجنة ، وموضع
هنالك بالمغرب يقال له الياقوتة بالمنستير داخل في البحر الى جانبه
سبخة على تلك السبخة قنطرة من قناطر الاولين يحشر منها يوم
القيامة سبعون الف شهيد (٢) وفي كتاب الرقيق قال : يقال ان
بافريقية ساحلا يقال له المنستير هو باب من ابواب الجنة وبها جبل
يقال له مطور هو باب من ابواب جهنم انتهى كلام الرقيق . وهذا
الجبل هو المعروف في وقتنا هذا بجبل وسلات يسكنه اخلاط من
البربر

قال الرقيق وسبب تسميته مطور ان معاوية بن حديج لما وصل
الى افريقية نزل على هذا الجبل فاصابه فيه مطر شديد فقال : ان هذا

(١) انظر طبقات ابي العرب - ص - ٥ - ٦

(٢) لم نعثر على هذا الحديث في نسخة انطبقات تطبوعة بالجزائر

الجبل منطور اذهبوا بنا الى ذلك القرن فسمى ذلك الجبل مطورا
وسمى ذلك الموضع القرن ، واما ما ادعاه ابن شرف في تاريخه
من ان اهل سوسة في الاصل عبيد لاهل القيروان قال: وذلك انه لما
افتتحت افريقية اشتدت اغارة الروم على مدن البحر فابتليت القصور
على السواحل كقصور سوسة وغيرها وجعل بها من عبيد اهل
القيروان ومن انتدب معهم قوم للرباط فكثروا هنالك واستقلوا
بمدينتهم فمجرد دعوى حملت عليها العداوة والعدوى ، والواجب
ان لا يقبل كلام قروي على سوسي وبالعكس لما صح بينهم من
العداوة المتوارثة (١)

ومن شعراء سوسة المتقدمين بالزمان ، المشهورين باصابتة غرض
الاحسان ، محمد بن الحسين بن ابي الفتح بن ميخائيل القرشي
قال ابن رشيق في الانيب (٢) : هو من اهل سوسة وسكن
القيروان قال : وكان يسلك مسلك قدامة في انتقاد الشعر ومطالبة
الحقائق وربما سهل الفاظه وعبث بملح (٣) كقوله (سريع) :

صُورَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ مِسْكَةٍ وَصُورَ الْإِنْسَانُ مِنْ طِينِ
أَبْدَعَهُ الْخَالِقُ سُجَّانَهُ كَمِثْلِ حُورِ الْجَنَّةِ الْعَيْنِ

(١) في بعض النسخ « المتواترة »

(٢) هو « النموذج الزمان في شعراء القيروان » ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون - ص ٦٥ :
(طبع ليبزيك)

(٣) في بعض النسخ « نملح »

..... (١) سَيْفٌ عَلِيٌّ يَنُومُ صَفِينِ

في مثله يُوصَلُ حَبْلُ الصفا (٢) وَتُؤَثَّرُ الدِنْيَا عَلَى الدِّينِ

قال ابن رشيقي : لم اتصفح هذه الايات الا مرة واحدة فوجدتها قد علت بنفسي وخفت على لساني حتى كدت اتهمه فيها لولا علمي به ، قال وكثيرا ما يجرى ذلك في الشعر المطبوع حتى ان قائل الايات ربما استراب بها لسهولتها عليه فاسقطها ، وشعر ابن ميخائيل هذا في الانموذج وغيره كثير مشهور .

ومنهم علي بن احمد بن الصفار السوسى قال ابن رشيقي : وهو شاعر متسع القافية عالم باللغة فمن قصائده (طويل) :

آ نَسْتُ بِالْعَلِيَّاءِ نَارًا لَهَا سَنَى لِلَّيْلِ بَلِيلٌ قَدْ دَجَا وَتَغَضَّنَا
وَمَا أَوْقِدَتْ إِلَّا لِخَابِطٍ ظُلْمَةً مُضِلٌّ وَضَيْفٌ جَاءَ بِمَقْتَادِ ضَيْفَانَا
فَمَا بَلَفْنَا حَتَّى أَكَلَّا وَالصَّقَا (٣)

قَلُوصِيهِمَا بِالْأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الْوَنَى

قال : وهذا كلام عربي صريح قلما ياتي مثله للمتقدمين المحسنين فضلا عن المتأخرين لا سيما في مثل هذه القافية ، قال : وانت ترى حال ابي نواس فيها على جلالته وجرأته (٤) . ولابن الصفار المذكور

(١) بياض في جميع النسخ

(٢) في بعض النسخ « الضبا »

(٣) وفي بعض النسخ « والنبا »

(٤) اشار ابن رشيقي الى قصيدة ابي نواس التي يمدح بها الفضل بن يحيى بن خالد ومطلعها (طويل)

طرحتم من الترحال ذكرا ففنا فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنا

انظر ديوان ابي نواس (طبع اسكندر آصف) ص ٧٥

قصيدة اخرى في ذكر الشباب والشيب قال ابن رشيق : وهو مليح
جدا (طويل)

أَرَى الْبَيْضَ لَا يَمُنَّجُنَ ذَا الْبَيْضِ مَنِحَةً

سِوَى مَنِحَةِ تُهْدِي الْكَأَبَةَ وَالْثُّكْلَا

كَأَنَّ لَأَيَّامِ الشَّبَابِ بَسَّالَةً

طَلَبْنَ لِأَيَّامِ الْمَشِيبِ بِهَذَا ذُحْلَا

وَلَمْ تَرَ عَيْنِي كَالشَّبَابِ وَحُسْنِهِ (١)

أَقْبِرْ لِأَجْفَانِ الْقِيَانِ وَلَا أُحْلَى

وَلَا كَبَيَّاضِ الشَّيْبِ فِي أَغْيُنِ الدُّمَى

قَدَى بِسَمَا (٢) يَغْشَى الْقَدَى الْاَغْيُنَ الْاَجْلَا

فَلَا غَرَوْا أَنْ أَرْعَى الشَّبَابَ وَعَضْرَهُ

وَلَا لَنُومٍ أَنْ أَنْعَى الْمَشِيبَ وَلَا عَدْلَا

قال ابن رشيق : ما رأيت اعجب من البيت الثاني من هذه

الايات اما ينظر الناس الى هذا المعنى الغريب ، والتخلص العجيب ،

في اللفظ الرائع المتكّن ، والنظم الرائق المستحسن

ومنهم أبو الفتوح بن محمد قال ابن رشيق : نشأ بسوسة وهو

(١) في بعض النسخ « واهته »

(٢) في بعض النسخ « مزلما »

من اهلها وشعره سهل وطىء لا يتكلف فاذا تكلف ظهر عليه اثر
ذلك ، وانشد له يمدح حسن ابن البلبل متولى سوسة ، وقد رفع
عليه مال ، وقيلت فيه اقوال ، فلم يضره ذلك (بسيط).

دُمُّ هَكَذَا دُمُّ عَلِيٍّ رَغِمَ الْعِدَى أَبَدًا

عَلَاكَ فِي الْيَوْمِ تَعْلَاهَا عَلَاكَ غَدًا

فَدَقَدَرَ اللَّهُ أَنْ تَعْطَى مِنْكَ وَمَا

أَعْطَى حَسُودَكَ إِلَّا الْبَثَ (١) وَالْكَمْدَا

ومنهم أبو موسى عيسى بن ابراهيم البوسى المعروف بالقطان
قال ابن رشيق : كان شاعرا مشهورا بالشعر مليح المقطعات كنت
اسمع بذكره وهو بسوسة الى ان اجتمعت به فأنشدنى بعض شعره
ثم قال كيف رضاك عما سمعت فقلت أحسن رضا واتمه فتكلم
بكلام جميل ولم أره بعد ذلك الاجتماع وأنشد له فى الانموذج
(كامل) :

أَهْدَى إِلَى الْغُضَنِ الرُّطِيبِ قَبَوَامَا

وَإِلَى فُؤَادِي لَبْوَعَةَ وَغَرَامَا

ظَبِيَّ أَعَارَ الظَّبْيِ مِنْهُ مَجَاجِرَا

وَأَعَارَنِي مِنْ سَقْمِهِنَّ سَقَامَا

ما ضَرَّه لَوْ كَانَ مَعَهُ كَلْفِي بِهِ
يَهْدِي إِلَيَّ مَعَ الرِّيحِ سَلَامًا

قال وهذه الفاظ طيبة ومعان رائعة

ومنهم عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسي ويعرف بابن
الغطاس قال ابن رشيقي : هو من أبناء سوسة ومستوطنها وهو
شاعر متدرب قد جمع الى زقة المعنى متانة اللفظ وقرب المقصد
وأشده له (طويل)

كَمَ لَيْلَةٌ جَاذَبَتْ مِنْ رَاحَتِي بِهَا
نُهُودَ الْعَدَارَى فِي قَنِيصِ الدُّجَى الْوَحِيْفِ
وَبِتُّ يُعَاطِينِي الْعُقَارَ مُهْفَهْفُ
هَضِيمِ الْحَشَا مَخْطُوفُهُ وَأَفِرُّ الرِّدْفِ
وَأُظْمَأُ فَأَسْتَسْقِي ثَنَائَاهُ ظَامئًا
فَتَغْنِي (١) ثَنَائَاهُ عَنِ الْقَهْوَةِ الصَّرْفِ
وَأَجْفَانُ دَهْرِي مُغْضِيَاتٌ عَلَى الْقَدَى
وَأَيَّامُهُ يُقْطَعْنَ بِاللَّهْوِ وَالْقَصْفِ
وأشده له أيضا يصف خيارا (مخلع البسيط)

(١) في بعض النسخ « تنوب ثنياه »

جِشْمٌ لَجِينٌ يَكَادُ يَجْرِي لَوْلَا تَرَدُّدِيهِ ثَنُوبِ سَامٍ
مَا اغْتَرَضَتْهُ الْعُيُونُ إِلَّا رَأَتْ بِهِ مَقْبِضَ الْحُسَامِ

ومنهم محمد بن عبدون السوسي قال ابن رشيقي : أصله من
الفيروزان ، وهو من أكابرها ، وابوه هو المنتقل الى سوسة ، قال : وهو
شاعر وطى ، الكلام كلف بعدوية اللفظ والتوصل الى المعنى البعيد
بلطافة وسكون جأش لا يكاد يلغى بالشعر الا قال ، وكانت له
رحلة الى ثثة الدولة يوسف (١) بن عبد الله يعنى الى صقلية فامتدحه
وأضافه الى ولده جعفر فادناه وقربه وكان من أكرم الناس عنده
وسأله الرجوع الى وطنه ورفع اليه قضية تشوق فيها معاهدة منها
(سريع)

بالله يا جبل المسكردع	رييح الجنوب لعلها (٢) تسري
كيا أسائلها فتخبرني	ما يفعل الجيران بالقصر
يا قصر طارق الذي طرقت	أخشاي فيه بلايل الصدر
والله ما قصرت عن قلق	لكني قصرت بالقصر
فسقائك منهل الحيا وسقى	عصراً تقضى فيك من عصر

(١) هو ابو احتوج يوسف بن عبد الله بن محمد بن حسن الكلبى المتولى امر صقلية للعزيز
بانته سنة ٣٧٧ انظر كتاب اعمال الاعلام للسان الدين الخطيب ص ٧٩ من طبعة بالرمو
سنة ١٩١٠

(٢) فى بعض النسخ و توت او ،

يَنَارُ بَع كَم لِي فَيْكَ مِنْ غُصْنٍ يَهْفُو صَبَاهُ بِهِ وَكُم بَدْرٍ
وَمُنَاسِبِ الْأَوْصَافِ أَثْقَلَهُ حَقِيفٌ يَسْكَادُ يَنْوُءُ بِالْحَضْرِ
قَدْ طَالَمَا عُقِدَتْ قَلَائِدُهُ مَنِي مَكَانٍ قَلَائِدِ النَّحْرِ
وَلَثِمْتُ صَدْرًا فَوَاحٍ غَبْرَهُ مِنْ غَيْرِ مَا طِيبٍ وَلَا عَطْرِ
وَضَمَمْتُ أَنْفَاسِي عَلَيْهِ وَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ نَفْسِي الَّذِي يَسْرِي
وَكَأَنَّ صَدْرِي لَا ضَلُوعَ لَهُ وَكَأَنَّ قَلْبِي بَانَ عَنْ صَدْرِي
أَعْطَى عَهْدَ اللَّهِ عَفْقَةَ مَنْ أَعْطَى الْعَهْدَ بِجَانِبِ الْحَجْرِ
لَوْ أُسْتِطِيعُ سَبَحْتُ مِنْ طَرْبٍ شَوْقًا إِلَيْكَ سَوَادَ ذَا الْبَحْرِ
حَتَّى أَقْبِلَ جَانِبَكَ كَمَا قَبَّلْتُ فَيْكَ مَرَّاشَفَ الْبَدْرِ
وَأَفِيضُ أَجْفَانِي لِيَدِكَ كَمَا فَاضَتْ عَلَيْكَ وَمَا بِهَا تَدْرِي

قال ابن رشيقي : رقة الشوق ظاهرة على هذا الشعر ولطف الحضارة مع مباد تكاد تتبع من جانبه فهو أندي من الزهر غب القطر، وأحلى من الوصل بعد الهجرة ، قال ولما سمعها جعفر ازداد به إعجابا وفيه رغبة فمنعه من السفر فكتب الى ثقة الدولة يسأله فيما سأل فيه ولده ويشكر ما ناله من الجود ويذكر وطنه أيضا (بسيط)

لِيَا قِصْرَ طَارِقِ هَمِّي (١) فَيْكَ مَقْصُورُ
شَوْقِي طَلِيقٍ وَخَطْبُويِ عَنكَ مَأْسُورُ

(١) في بعض النسخ « حبي »

إِن نَامَ جَارُكَ إِنِّي سَاهِرٌ أَبَدًا
أَبْكِي عَلَيْكَ وَبِأَكْيِ الْبَيْتِ مَعْدُورٌ

عَدِي مِنَ الْوَجْدِ مَا لَوْ فَاضَ مِنْ كَبْدِي
إِلَيْكَ لِاحْتَرَقْتَ مِنْ حَوْلِكَ الدُّورُ

ومدح فيها ثقة الدولة فلم يجد عندهما ما يشتهي فخرج عنهما
مسارقة قال ابن رشيقي : ومن ملح ما رأيت له قوله لجعفر حين
استأذنه في الرجوع الى وطنه فعتب عليه وحجبه (طويل)

ولمَّا رَأَيْتُ الْبَدْرَ قَمْتُ مُسَلِّمًا عَلَيْهِ وَأَظْهَرْتُ الْخُضُوعَ لَدَيْهِ
وَقُلْتُ لَهُ إِنَّ الْأَمِيرَ ابْنَ يَوْسُفَ شِيهَتْ قَدَّ عَزَّ الْوَصُولَ إِلَيْهِ
فَكُنْ لِي شَفِيعًا عِنْدَهُ وَمُذَكِّرًا إِذَا جِئْتَهُ تَبَغَى السَّلَامَ عَلَيْهِ
قال فكتب هذه الايات ولقيه بها في منزله له فطرب وأعجب
بها اعجابا شديدا وأمر له بمال كثير ، قال والايات مأخوذة من قول
ابن الرومي (كامل)

بِاللَّهِ يَا قَمْرَ السَّمَاءِ كُنْ لِي لِمَنْ أَهْوَى شَفِيعًا

قال ومن عجيب كلامه قوله (مقارب)

أَتَبْصُرُ أَمْ أَنْتَ لَا تَبْصُرُ هُوَ الْحُبُّ يَجْرِي بِمَا يُقَدَّرُ

تَذَلُّلٌ وَكُنْ خَاضِعًا خَاشِعًا فَذُلُّ الْهَوَى عِزُّكَ الْإِكْبَرُ

ولا تُكِرَنَّ احكام الهوى فأحكامه فوق ما يُنكرُ
 إذا عَزَّ دمعٌ فأغر الهوى به وائبك إن البكا أعذرُ
 أيا واحد الحسن أوجدتني لما بي وإن كان لي معشرُ
 يحامون دوني ولكن حمي فؤادي أبيع ولم يشعروا
 عزمت (١) بهجري وغرقتني بدمع يفيض ولا يقطرُ
 وعانيتني (٢) كيف أشكو الهوى كما يشتكي فقره الميسرُ

قال ابن رشيقي : لله خفة أنفاس البغداديين النفيسة لم يخنها طبع
 ولا أعجزتها صنعة ، ولو مزج هذا الكلام بكلام العباس بن الاحنف
 ظريف الشعراء لامتزج به امتزاج الحمر بالماء ، والنور بالهواء ،
 ولا بن عبدون في ملعب سوسة وهو مما أنشد ابن رشيقي (خفيف)
 أين من شاد ذا ومن رفع السمك لك وأعلاء فوق ما يحتاجُ
 أين ذاك الملك الشديد الذي ن وذاك البرواح والإدلاج (٤)
 أين تلك الحدور أين بدور حيثها الجوش والأغلاجُ
 أين اربابهم ومن رفع التاج ج على رأسه وأين التاجُ
 ضمت الارض والبلاد عليهم فطوتهم وطبها إدماجُ

(١) في بعض النسخ « عذبت »

(٢) في بعض النسخ « علمتني »

(٣) ورد الشعر في الحلل السندية (ص ١٢٢) بزيادة بيت بين هذا البيت والذي يليه
 والمزيد هو :

أين ذاك الدمع الذي يرجف الارض من جيوشه يضيق عنها الفجاج

طحنهم طحن الرجا فاذا الان سالت والدهر صخرة وزجاج

ومنهم عبد الحليم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسي الكاتب

لم يذكره ابن رثيق ، وذكره ابو الصلت (١) في الحديقة وانشد له

(طويل)

همت بأن تخفى بقايا شية كغرة ليل أو حشاشة مهزوم

تري الشعرات السود والبيض حولها

كمثل أسارى الزنج في عنكر الروم

وانشد له في عرد نشابة اتخذ نصابا لذبة (٢) (خفيف)

ليالي في نقض حالي عظام حار في وصفها ذوو الألباب

صرت في الحوص بعد لبس الحوافي واعمادي بأزرق كالشهاب

بعد ذب الكمأة في جومة (٣) اله (٤) تنقات بي لذب الذباب

وله ما لم يشده ابو الصلت (سريع)

ندرت لله إذا ما التقت شافهنا بمد التوى للقبل

سومي على الراح سوى ما حوى مبسمها العذب وراح المقل

(١) وفي النسخ التي بأيدينا ، ابو الصلت ، هو ابو الصلت امية بن عبد العزيز صاحب الحديقة فر شعراء الاندلس المتوفى بالمهدية سنة ٥٢٩ نسج فر تاليفه على منوال النعالي

في بيتية الدهر

(٢) سقط في بعض النسخ

(٣) وفي بعض النسخ ، حرم

(٤) وفي بعض النسخ ، الفز

وله (بسيط) :

عيني دَهْتَنِي (١) والعين الكاحيلة مع

عين الرقيب واخذُ الناس بالعين

هَبْنِي اتَّقَيْتُ عَدَوًا مَن لَأَرْبَعَةَ

ما أَجْلَبَ العين مذ كانت إلى حَيْنِي (٢)

ومنهم التراب السوسى ذكره عماد الدين الاصبهاني فى

« الحريدة » ، وأنشد له من قصيدة يمدح بها جيارة بن كامل المتولى

على سوسة وقد قدمنا الخبر عن تملكه لها (رمل)

بات بالابرق بَرَقَ يَتَسَامَى فجفا الجفنُ لرؤياه (٣) الأناما

طلعت راياته خافقة خفقان القاب أمسى مستهاما

بِذَمَامِ الحَبِّ يا بَرَقُ عسى لك عِلْمٌ حَبِيبٌ أَعْيَا الأناما (٤)

أَنَسُوا عَامَا فَلَمَّا مَلَكُوا رِقَ قَلْبِي أَوْحَشُوا عَامَا فَعَامَا

وَاسْتَمَالُونِي بِوَصْلِ خَادِعٍ فَكَمَا مِلْتُ رَاوَا وَضَلِي حَرَامَا

ومنها فى مدح جيارة :

فَإِذَا ابْصَرْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَإِذَا خَاطَبْتَ خَاطَبْتَ هُمَامَا

(١) وفى بعض النسخ « مدتنى »

(٢) وفى بعض النسخ « إلى الحين »

(٣) فى بعض النسخ « وانرام »

(٤) فى بعض النسخ « حبيب امين اقام »

وإذا استصرخت في حادثة فعلى الحادث جردت حساما
وله فيه هذه القصيدة التي اولع أعراب زماننا بانشادها ، وكثرة
تردادها ، ولاجل ذلك ذكرناها بكمالها وان كان فيها بعض طول
فان الحسن غير مملول : (مجزوء الرجز)

يَلِيْمٌ عَلَى ذِي سَلَمٍ مَعْنَى الْهَوَى الْمُسْتَقِيمِ (١)
وَقِفْ بِهَا مُسَائِلًا عَنِ سَاكِنِ وَالْحَيْمِ
وَاسْتَمَطِرِ الْعَيْنَ بِهَا صُوبَ دَمُوعِ وَدَمِ
فَهَذِهِ اَطْلَالُهُمْ مُنْدَرِسَاتُ الْأَرْسَمِ
وَهَذِهِ عِرَاضُهُمْ مَسْتَوْحِشَاتُ الْمَعْلَمِ
كَأَنَّهُنَّ أُسْطَرٌّ فِي كُتُبٍ لَمْ تَفْهَمِ
لَمْ تَبْقَ مِنْهُنَّ الصَّبَا وَوَاكِفَاتُ الْيَدِيمِ
سِوَى ثَلَاثَةٍ صَائِمًا تِ قَائِمَاتِ جِشْمِ
وَاشْعَثَ مَطْرَحٍ بَرَبِعِهَا الْمَهْدَمِ
اضْحَتِ خِلَاءٌ بَلْدَقَمَا بُوَايِنَا كَالرِّمَمِ
لَا تَسْمَعُ الْأَذْنَ بِهَا إِلَّا نَعِيْبَ الْأَسْحَمِ
إِلَى صَرِيرِ جُنْدَبٍ إِلَى عَوَاءِ دَيْسَمِ

إلى ضبيح ثعلب
ولا ترى العين سوى
وشوذاق ونيقنيق
بعد السرور والمنى
والغانيات كالدمى
من ابيض مجبر
واحر معتسق
من كل خود كحلت
جينيها من قمر
وقدها من غصن
يلوح في بنائها
رقم من الوشمي في
تفتت عن مفلج
مفضض مذهب
حلو اللمني وإنما
إلى زئير ضيفم
حدرتق مخيم
ولقلق وشيهم
والأمل المتهم
يسجن كل معالم
واخضر مننم
واصفر مسهم
مقلتها بالسقم
وفرعها من ظلم
وخدها من عديم
وكفها والمعصم
سلخ اديم الازفم
عذب الشايا شيم
مدبج مرسم (١)
لحظي جناه لافمي

من كل رثم مائس كالقُصن المنعم
وصاله من سكر وصدّه من عقم
مبتسّم عن جوهر في عسجد منظم
إن ضياء في بزرقمه كالشرفي المخدم
قامت له مداممي مقام مهراق الدم
سقى للذاتي بها وعيشي المنصرم
أيام كانت لمتي مسوودة كالحتم
وقامتني قويمه شبابها لم يهرم
والدهر لم يخطُ الى مساءتي بقدم
فلا نهاني عندي ولا لحاني لومي
ثم انقضت بسرعة اينام ذلك الموسم
كانني كنت ارى عيشي به كالحلم
ياربيع احباب نأوا عن مدنف متيم
انعم صباحا وانسليم سقيت نوء المرزم
إن لم أمت من أسف وحسرة عليهم
كذبت في دعوى الهوى لست بهم بيقرم

كانني بالوصل من
ولم ايت ريان من
في ليلتين ليلى
ما بين تفاح الخدو
وين رمان النهو
في فرش وثيرة
حتى تولى الليل في
واقبل الصباح في
كانه لما بدا
وجه الامير ابن الامير
جبارة بن كامل
الفارس الذي اذا
وسل كل مرهف
واضربت نار الوغى
واشفق الابطال من
اجبتى لم انعم
رشف عقار المبسم
وليل شعر اسحم
د العاطر الموشم
د الارج المكرم
لم تفتش للحرم
حميسه المنهزم
جحفله القرمم
يشرق تحت الظلم
ر الاكرم ابن الاكرم
سيف الندى والكرم (١)
اسرج كل شينظم
وطر كل لهذم
وفر حامى الحرم
وقع القنا المقوم

(١) في بعض النسخ « سيف الندى »

وَحَشْرَجَتْ نَفْسُ الْجَبَا نِ مِنْ كَرِيهِهِ الْمَقْتَدِمِ
وَافَى عَل ظَامِي الْحَشَا عَابِلِ الشَّوَاءِ مَقْرَمِ (١)
مِنَ الْهَلَالِ مُسْرَجِ مِنْ الثَّرِيَّا مَذْجَمِ
مِنَ الضَّحَى مَجْجَلِ مِنْ الصَّبَا مَجْجَمِ
مَقْلِدَا بَصَارِمِ عَضْبِ الْمَضَاءِ مِخْذَمِ (٢)
ثُمَّ انْتَشَى يَسْبَحُ فِي بَحْرِ الرَّدَى الْمَلْتَطِمِ
فَأَجْفَلُوا أَمَامَهُ بَعْضًا عَلِي بَعْضِهِمْ
كَانَهُ ضِيَاعِمُ سَطَّتْ بِسْرِبِ الْقَتْمِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلِ دَجَا وَانْهَلْ صَوْبُ الدِّيمِ
وَوَعَّوَعِ السَّرْحَانُ مِنْ طَوْلِ الطَّوَى الْمُخَيِّمِ
وَجِئْتُ مَعْتَرًّا إِلَى مَنْزِلِهِ فِي الْعَتَمِ
أَلْفَيْتَهُ خَيْرَ فِتَى طَرَقَتْهُ فِي الظَّلَمِ
يَلْقَاكَ مِنْ قَبْلِ النَّدَى بِالْبِشْرِ وَالتَّبَسُّمِ
إِلَى (٣) كَرِيمِ خَيْمِهِ سَمِحِ وَفِي الدِّمَمِ

(١) فِي بَعْضِ النِّسَخِ « مَقْدَمِ »

(٢) فِي بَعْضِ النِّسَخِ « الْمَهْزِ » وَفِي بَعْضِهَا « انْحَا » عَوْضِ « الْمَضَا »

(٣) فِي بَعْضِ النِّسَخِ « السُّوَى »

آرأوه في الحادثا
وحلمه (١) أَمْنَعُ من
وخلقه أحسن من
نما به (٢) الى الفعا
صيد من العرب الألى
وكانت الارض ارتسوت
من دير سنعان (٣) الى
بجانبي وادي القرى
ثم انقضوا وذكُرهم
من بعد ما أوصوا بيب
بالصبر في وقت الوغى
فجاء يقفوا مجدهم
يا حاسديه اتبهاوا
أَطْطَمُونَ في علا
ت نُفِّذُ كَالْأَسْهَمِ
رَضَوِي لِكُلِّ مُجْرِمِ
بُرءُ بِأَثَرِ السَّقَمِ
لِ وَالْمَقَامِ الْأَعْظَمِ
كَانُوا مَلُوكَ الْأُمَمِ
مِنْهُمْ بِجُودِ وَدَمِ
نَجْدِ بَوَادِي إِضْمِ
فَالدَّوْحِ مِنْ ذِي سَلَمِ
كَالشَّهْدِ فِي كَلِّ فَمِ
مُكْرَمًا عَنِ مَكْرَمِ
وَالكَيْفِ عِنْدَ الْمَغْنَمِ
وَحُسْنِ تَلِكِ الشِّيمِ
مِنْ رَقْدَةِ التَّوْهَمِ
قَدْ حَازَهَا أَوْ هَمِمِ

(١) في بعض النسخ « حمله »

(٢) في بعض النسخ « نهى »

(٣) انظر معجم البلدان لياقوت ج ٢ - ١٣٩

كَلَّا وَلَوْ رَقَيْتُمْ ۖ إِلَى السَّمَاءِ بِسُكْمٍ
أَبَا عِنَانٍ زِدْ عَلَا ۖ عَلَى مَحَلِّ الْأَنْجَمِ
أَقْسَمْتُ بِبَالِيَةِ الْحَرَا ۖ وَالصَّفَا وَزَمْرَمِ
لَأَنْتَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ ۖ الْمَصْطَفَى الْمُكْرَمِ
وَأَلِيهِ وَصَحْبِهِ ۖ أَهْلِ الْوَفَا وَالذِّمَمِ
أَجَلٌ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ ۖ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ
لَوْ كُنْتُ يَا ابْنَ الْإِكْرَامِ ۖ فِي الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ
لَأُنزِلَتْ فِي فَضْلِكَ ۖ نِكَمَلُ التَّمِيمِ
مَفْصَلَاتِ سَوْرٍ ۖ مِنْ الْكِتَابِ الْمُحْكَمِ
أَنْتَ الَّذِي لَوْلَمْ أَكُنْ ۖ مِنْ عَزَّةٍ فِي حَرَمِ
مَأَقَلْتُ (١) لِلدَّهْرِ الظُّلْمِ ۖ مِنْ الْجَائِرِ الْمُحْتَكَمِ
يَا دَهْرَ أَنْ شِئْتَ فَصَلْ ۖ حَبْلِي أَوْ شِئْتَ اضْرَمْ (٢)
وَأَنْ تَشَأْ لِيْنَ وَاسْتَقِمْ ۖ وَأَنْ تَشَأْ جِرْ وَأَظْلِمْ
فَمَا أَبَالِيكَ وَلَا ۖ أَلْقَاكَ كَالْمُسْلِمِ
أَنْيَ مِنْ ابْنِ كَامِلٍ ۖ ذِي الْبَأْسِ وَالتَّكْرَمِ

(١) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « لَقَلْتُ »
(٢) فِي بَعْضِ النُّسَخِ « حَبَالِي أَوْ اضْرَمْ »

في ظل سيف مُرَهَفٍ ونائل منسجِمِ
وعزّة قد خيّمَت بين السُهَى والمِرْزَمِ
قد رُفِعَت من الثَرَى الى الثَرِيّا قَدَمِي
فالنجم لي مُجَالِسِ كأنّه من حَرَمِي
والسعدُ لي مساعدُ كأنّه من خَدَمِي
هو الذي لو أمّه كلُّ الورى لم يسأمِ
ولو سخّا بنفسه لِسائلٍ لِم يندمِ
علمني الجود بما قلّ دنسي من أنعمِ
فَرُحَت والدينارُ في يدِّي مثل الدرهمِ
فإن غَدوتُ مادحا لغيره من عَدمِ
فجائزُ ضرورة على حدودِ الحَرَمِ
كالماء ان عِدَمته صلّيتُ بالتيَمِ
لا جعلن ما حيي ت ذكره شغلُ فمي
وان أمت فشكره في القبر شغلُ أعظمي
لا زال طول عمره مؤيدا بالعِصمِ (١)

مستسكاً من سعده بعروة لم تُفصم
ربوعه مأهولة سابغات النعم
وسنره مخمرة من العداة بالدم
ما اومضت بوارق في جنح ليل مظلم
وما شدت حمائم على فروع السلم

ومن ينسب الى سوسة هذه شيخ شيوخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي قديم المولد كان يسمى ملحق الاباء بالابناء لطول أمدته وقدم مولده توفي بتونس في الثاني والعشرين لذي القعدة سنة اثنتين وستين وستمائة وأنشد له ابن سعيد في خزانة الادب (متقارب)

عكفنا على الكاس في جنة نعا كسي بها ميل أغصانها
ورسل النسيم بها سُخْرَة تحرّش ما بين زئحانها
أظنُّ تغاريد الحانها زهتها فاضفت بأذانها

ولأبي عبد الله شعر حسن والموجود منه قليل ، ومنه قوله من بداية قصيدته يمدح بها الشيخ أبا محمد عبد الله ابن الشيخ المقدس أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص (كامل)

جردت عزمك صارماً مسلولا ماءً ولكن ما يبيل غليلاً

وقوله يخاطب بعض الرؤساء وقد قدم له فرس أشهب حديدي
لر كوبه (١) (كامل)

إِزْكَبَ بِإِقْبَالِ السَّعَادَةِ أَشْهَابًا مِثْلَ الصُّبْحِ إِذَا يَشُوبُ الْغَيْهَبَا
مَا شَابَ مِنْ مَرِّ السِّنِينَ وَإِنَّمَا لَاقَى سَنَاكَ فَلَاحَ (٢) يَحْكِي الْأَشْيَا
قَدْ أَجْمَوْهُ بِالثَّرِيَّا فَانْهَوَى (٣) يَنْقُضُ فِي لَيْلِ الْعِجَاجَةِ كَكُوبَا
وكان يداعب طلبته من اهل تونس بسؤالهم عن قول الشاعر
(خفيف)

لا تَلْمَنِي عَلَى الْإِنْسَانِ دَنَاةَ إِنِّي تُونِسِّي وَجُرْتُ يَوْمًا بِسُوسَةَ (٤)
اي البلدين يقتضى الشعر ان يكون اعظم دناة؟ فيقولون له سوسة،
وهذا البيت ذكره جعفر بن شرف فى تاريخه كما انشدته ، وسمعت
كثيرا من اشياخنا يقولون انه مغير وان البيت المشهور انما هو غير
ذلك مما اضربنا عن ذكره

ونختم هذا الفصل من ذكر سوسة وشعرائها بحكاية ذكرها
الحميدى فى تاريخه (٥) قال : اخبرنا بعض اصحابنا بالاندلس عن
سليمان بن محمد المهرى (٦) الصقلى قال كان بسوسة افريقية رجل

(١) فى بعض النسخ « يريد ركوبه »

(٢) فى بعض النسخ « مراح »

(٣) فى بعض النسخ « اعتدى »

(٤) فى بعض النسخ « وقد مرت بسوسة »

(٥) هو ابن عبد الله بن محمد بن ابي نصر الحميدى الاندلسى جده المقتبس فى تاريخ
الاندلس المتوفى سنة ٤٨٨

(٦) فى بعض النسخ المهدوى

اديب شاعر و كان يهوى غلاما جميلا من غلمانها و كان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه ، قال فينما هو ذات ليلة يشرب وحده على ما اخبر عن نفسه وقد غلب عليه غالب من السكر اذ خطر بباله ان ياخذ قيس نار ويحرق عليه داره لتجنيه عليه فقام من حينه وفعّل ذلك واتفق ان رآه بعض الجيران فبادروا النار بالاطفاء ولما اصبحوا نهضوا الى القاضي فاعلموه فاحضره القاضي وساله عما فعل فانشا يقول (مخلع البسيط)

لَمَّا تَمَادَى عَلَى بَعَادِي وَأَضْرَمَ النَّارَ فِي فَوَادِي

وَلَمْ أَجِدْ مِنْ هَوَاهُ بُدًّا وَلَا مَعِينًا عَلَى السُّهَادِ

حَمَلْتُ نَفْسِي عَلَى وَقُوفِي بِبَابِهِ حَمْلَةَ الْجَوَادِ

فَطَارَ مِنْ بَعْضِ نَارِ قَلْبِي أَقْلٌ فِي الْوَصْفِ مِنْ زِنَادِ

فَأَخْرَقَ الْبَابَ دُونَ عِلْمِي وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ مَرَادِي

قال فانتظرفه القاضي وتحمل عنه ما افسده واخذ عليه ان لا يعود

وخلي سبيله

قال الحميدى : كنت اظن ان هذا المعنى مما تفرد به هذا الشاعر

حتى حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد بالفسطاط قال : قال لنا

القاضي ابو الحسن ابن صخر اخبرني بعض شيوخ البصريين ان

ابا القاسم نصر بن احمد الخزازي الشاعر (١) دخل على ابي الحسن

(١) هو نصر بن احمد الخزازي الشاعر (١) دخل على ابي الحسن الخزازي ترجم له الثعالبي في الجزء الثاني من اليتمية ص ١٣٢

ابن المثنى فى اثر حريق المربرد فقال له هل قلت فى هذا شيئا فقال
ما قلت شيئا فقال او يحسن بك وانت شاغر البصرة والمربرد اجل
شوارعها واعظم اسواقها ولا تقول فيه شيئا فقال ما قلت شيئا
ولكنى اقول الان وانشا مرتجلا (١) (متقارب)

أنتكم شهود الهوى تشهد فما تستطيعون أن تجحدوا
فيا مربرديون ناشدتكم على انني منكم مكمند
جرى نفسي صعدا نحوكم فمن اجل ذا احترق المربرد
ولولا دموع جرت لم يكن حريقكم أبدا يخمد
وهاجت رياح حيني لكم فظلت بها ناركم توقد

قال الحميدى : فاتى بالمعنى وزيادة وذكر هذه الحكاية ابن
بشكروال فى الصلة ناقلها عن الحميدى (٢)

فأقمنا بظاهر سوسة يوم الجمعة كما تقدم ويوم السبت والاحد
بعدد بسبب بعض من تاخر عن صحبتنا من الاجناد وانتقلنا عن
سوسة صباح يوم الاثنين ففارقنا بفارقتها ارض دلاج وابتدانا
بالسلوك فى ارض حكيم وطرود وكان نزولنا فى هذا اليوم بمنزلة
بين زرمدين وجمال وزرمدين مفتوحة الزاى ساكنة الراء مكسورة

(١) اورد ياقوت الحموى الحكاية والابيات (مع اختلاف ما فى الرواية) فى معجم البلدان ج ٤
ص ٤٨٣ وكذلك النزول فى مطالع البدور

(٢) انظر كتاب الصلة لابن بشكروال ص ٢٠٤٠

المدال المهمة وجمال مفتوحة الجيم مشددة الميم ، وبزرمدين حصن حصين اسفله حجارة واعلاه طين ياوى اليه اهله وبخارجها مقبرة الشيخ ابي محمد عبد السيد الزرمديني من اهلها يذكر عنه صلاح وفضل زرنا قبره ودعوتنا عنده واكتفنا في اثناء هذه المرحلة من اليمن والشمال قصور متفرقة وقرى كثيرة قد اخلتها العرب واجلت ناسها .

وهناك قصور الوردانيين وهي القرية التي ازمع اهلها على قتل الشيخ الصالح ابي يوسف الدهماني (١) رحمه الله ايام سكناة بمسجد غانم على قرب منهم واتفقوا مع بعض العرب فظهرت له معهم الكرامة المشهورة ولقيه العربي فخر عن فرسه لاثما قدمى الشيخ طالبا منه الدعاء وعرفه القضية وسال منه ان يركب فرسه فاسعفه بذلك وقال له : يا بشى علم الله ضعفى وقلة قدرتى على المشى فاتانى بك وتاب العربى وحسنت حاله ، ينسب الى الوردانيين هذه ابو محمد يونس بن محمد الوردانى كان صالحا جليل القدر ثبتا فى روايته اخذ العلم عن سحنون بن سعيد وصحح عليه جميع كتبه ودعا الله تعالى ان يخمل ذكره فكان لا يولد له

ولما دخل عيد الله الشيعى افريقية وغلب الشيع على اهلها جمع ابو محمد هذا اهله وقال لهم ان امر هؤلاء القوم قد اشتهر فاما ان

(١) ترجم له الدباغ فى كتاب معالم الايمان ج ٣ - ص ٢٦٣ = ٢٨٩ وافرد له الدباغ كتابا على حدة توجد منه نسخة خطية فى خزانة الجزائر عدد ١٧١٨ ونسخة بمكتبة ج - ح - ع - ح - ع - ح الوهاب بتونس

تركونى أفر بدينى الى بلاد لا حكم لهم عليه واما ان أحمل نفسى على (١) الاشتغال برعى البقر لعلى أسلم من فقتهم فعظم ذلك عليهم ثم راوا ان رعى البقر خير لهم من مفارقتة فاجابوود الى ذلك فكان يحمل مصحفه معه ويعد عن العمران ويقبل على القراءة فاذا جن الليل اقبل بالبقر الى منزله وربما اراد بعض الناس زيارته فاذا رآهم من بعد صاح وهرول يريهم أن فى عقله اختلالا توفي سنة تسع وتسعين ومائتين

ثم انتقلنا من مناخنا ذلك يوم الثلاثاء فنزلنا بالحصن المعروف بالجم (٢) وهو اعظم حصون افريقية واشهرها على القدم وليس بافريقية بعد الحنايا التى بقرطاجنة بناء اضخم منه ولا اعجب ، وشكله مستدير وارتفاعه فى الهواء مائة ذراع - وذكر البكرى ان تكسير دائرته فى الارض ميل (٣) ويقال ان الكاهنة المعروفة بكاهنة لواتة حصرها عدوها بهذا الحصن فحفرت منه سربا فى الحجر الصلد نفذت به الى مدينة سلقطة وكانت اختها هنالك فكان الطعام يجاء به اليها فى ذلك السرب على ظهور الدواب

ولما قتل بافريقية زهير بن قيس البلوى وبلغ ذلك عبد الملك بن مروان عظم عليه فاستشار المسلمين فيمن يوجه لافريقية عوضا عنه فاشاروا عليه بحسان بن النعمان فتوجه حسان لافريقية بجيش

(١) فى بعض النسخ « ان احمل نفسى بالاشتغال »

(٢) فى بعض النسخ « بالاجم »

(٣) انظر البكرى ص ٣١

يقال انه لم يدخلها جيش للمسلمين اضخم منه فحاصر قرطاجنة وافتتحها وخربها وتوجه الى هذه الكاهنة فهزمته واسرت كثيرا من فرسانه واتبعته حتى اخرجته من قابس ، فكتب بالهزيمة الى عبد الملك وسار الى دمشق مشيا رويدا طمعا ان يلحق به من افلت من المسلمين فعاد اليه جواب عبد الملك يأمره ان يقيم حيث وافاه كتابه ولا يبرح منه فوصل اليه الكتاب وهو ببرقة فأقام هناك وابتنى بها القصور المعروفة به الان الى ان وصل الجيش اليه من قبل عبد الملك فعاد الى افريقية واخذت الكاهنة في قطع الشجر وتغوير الماء لتزهد المسلمين في افريقية ، وقد علمت بكهانتها انها ستقتل فامرت ولديها بالتوجه لحسان ففعلوا ووقع اللقاء حتى ظن الفريقان انه الفناء وانهزمت وتبعها حسان حتى قتلها عند البئر المنسوبة اليها ، وعقد حسان لابنيها (١) على البربر فاتخذهم اجنادا مع العرب فلم ينازعه احد طول حياته

ويروى ايضا عن عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما بعثه عثمان رضى الله عنه الى افريقية فلقى جرجير وكان من قتل عبد الله بن الزبير له ما كان اصاب الروم رعب شديد فلجؤوا الى الحصون والقلاع فاجتمع اكثرهم بهذا الحصن فطلبوا من عبد الله بن ابي سرح ان يأخذ منهم ثلاثمائة قنطار ذهبيا على ان يكف عنهم ويخرج من بلادهم فقبل ذلك منهم وقبض المال ، وكان من

(١) وفي بعض النسخ « لآخيه »

شرطه ان ما اصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم وما اصابوه بعد الصلح ردوه يريد والله اعلم بعد الصلح وقبل علمهم به .

وقد قاتل اهل هذا الحصن يحيى بن اسحاق الميورقي فاعياه وارتحل عنه خائبا ويذكر انهم رموه منه بعد الحصر الطويل بالسلك حيا وانهم جلبوه من ذلك الثقب النافذ الى سلقطة فحينئذ ايس منهم وارتحل عنهم ، والى جانب هذا الحصن قرية عامرة بها جنات ومزارعات متسعة ومسجد جامع واسواق نافقة يسكنها قوم من البربر كانوا قبل هذا ساكنين بقصر مليئة من ارض زوارة وقد رأته وسيأتي ذكره بعد هذا فأخفته العرب واجلتهم منه فسكنوا بهذه الارض ، وماء هذا الحصن فيما ذكر في بشر شروب وانما كان وردنا فيه من غدر غادرها(١) المطر هنالك

ومن هذا الموضع ظهر لنا الكوكب المعروف بسهيل وليس يظهر بتونس ولا ما قاربها وانما مبدأ ظهوره فيما يظهر فيه من ارض افريقية لمن وصل من المغرب مشرقا بهذا الموضع فما سامته من ناحيتى الجنوب والشمال ، ويقال انه لا يظهر فى شيء من جزيرة العرب كلها ولا فى شيء من بلاد الاندلس الا فى جبل سهيل من اعمال مالقة وبه سمي الجبل واليه ينسب أبو القاسم السهيلي العالم الفاضل (٢)

(١) فى بعض النسخ « غادرتها »
(٢) هو ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن احمد السهيلي صاحب كتاب الروض الانف فى تفسير السيرة النبوية لابن هشام

وجزم عاصم في كتاب الانواء بأنه لا يظهر في شيء من بلاد
الاندلس البتة ، وهو كوكب منفرد من الكواكب لا يقطع الى
الغرب كسائرهما ولكنه يطلع من افق القبلة شيئاً يسيراً ثم يغيب في
ذلك الافق ولذلك قال جران العود (طويل)

أراقب لَوْحاً من سُهَيْل كأنه إذا ما بدا من آخر الليل يَطْرِفُ
يُعَارِضُ عن مجرى النجوم ويتمي كما عارض الشَّوْلَ البعيرُ المؤلَّفُ

يشبهه لاعتزاله النجوم وميله عنها ببعير ضم الى ابل وليس منها
فهو يتف منفرداً عنها ، وقال ابو العلاء المعري يصف متغرباً في
البلاد ماثلاً الى الانفراد (وافر)

كأنك من كواكبه سُهَيْل إذا طلع اعتزلاً وانفراداً (١)

ومبدأ ظهوره فيما يظهر فيه من بلاد افريقية عند الفجر في السابع
من شهر شتبر ، وعلى قريب اذا كانت الجوزاء سحراً في وسط
السماء رثى سهيل في المواضع التي يظهر منها واذا كانت غائبة او
هابطة في أقصى المشرق لم ير وهو من الكواكب اليمانية ولذلك
قال عمر بن ابي ربيعة في الثربا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية
الاصغر بن عبد شمس لما تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان
(خفيف) (٢) :

(١) انظر التنوير ج ١ - ص ١٦٩
(٢) انظر كتاب الاغانى ج ١ - ص ٩٤

أبها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى
وفيه فيما يظهر لناظره احمرار واضطراب شديد وذلك لقربه من
الافق فان الكواكب تكثر حر كاتها هنالك وكلما ارتفعت قلت
حر كاتها وقد تعرض لها حركة أيضا وهي مرتفعة اذا كان فى
الهواء تموج وقد قال ابو العلاء المعرى (خفيف) (١) :

وسهيل كوجنة الحب في اللون وقلب الحب في الخفقان
يسرع الملح في احمرار كاتسرع في الملح مقلعة الغضبان
قدماه وراه وهو في العج زككاع ليست له قدمان
قدماه كوكبان تحته يعرفان بقدمى سهيل يقول : قد ثبت أن له
قدمين ولكنه لم يبرح فكأنه لا قدمين له يشير الى طول الليل ،
وانشد أبو علي فى الامالى لاعرابى يصف نارا (٢) (وافر)

رأيت بحزن عزة ضوء نار تلالاً وهني وانحة المكان
فشيء صاحبى بها سهيلا فقلت تثبتا ما تبصران
أناراً أوقدت لتنوراهما بدت لكمام البرق اليماني
كأن النار يقطع من سناها بئاق جبته من أرجوان

(١) انظر التنوير ج ١ - ص ٩٢
(٢) انظر امال القائل ج ٢ - ص ٢٠٨

كل ذلك اشارة الى احمراره واضطرابه

وتتقدم قبل سهيل خمسة كواكب تسمى العذارى ، وهى فى
المجرة اسفل من الشعرى العبور ، وكوكب آخر يسمى حضار على
وزن حذام ويقال له ايضا الميخنة ، وذلك لانه شبيه بسهيل فيظن من
رآه انه هو ويحلف على ذلك فاذا طلع سهيل تبين له انه غيره
فيحنت ، وكانت العرب تزعم ان سهيلا كان رجلا يعشر الناس
بضم الشين اى يأخذ عشر اموالهم ، وكذلك الضب وانهما كانا
مكاسين على تجار البر والبحر اتاوة فسخهما الله عقوبة لهما وجعل
أحدهما نجما فى السماء والاخر حيوانا فى الارض ، والى هذا اشار
الحكيم بن عمر البهراني الاعمى بقوله وكان أتى ابن العنبر (١)
بالبادية وأقام معهم فكان يتفقه بفقهم ويفتى بفتياهم (خفيف) :

إِنَّ رَبِّي لِمَا يَشَاءُ قَدِيرٌ مَا لِمَا إِنْ أَرَادَهُ مِنْ مَفَرٍّ

ماسخ الماكسين نجما وضبا حين جاء بكل مكس وعشر

وذلك من خرافات الاعراب وباطلهم وانما الغريب من أمر
سهيل وهو صحيح مشاهد ان الابل ساعة طلوعه تستدبره فلا
تزال مولية بوجوهها عنه ما دام طالعا وان كانت حين طلوعه مستقبلة
لجهته استدار فى الحين فولته اذ بارها ، وهذا امر شائع مستفيض
لم أر من اهل الابل الا مقرا به مصدقا له ، وكانوا يزعمون ان

(١) كذا فى جميع النسخ والمعروف « بلعير »

طلوعه سبب موت الابل ووقوع الوباء فيها فلاجل ذلك تكرهه
وتستدبره وقد أشار الساجع الى ذلك بقوله طلوع سهيل ، طلوع
ضر للابل وويل ، وقال الشاعر (وافر) :

وكان أضرّ فيهم من سهيل إذا وافى وأشام من قزاح

وعليه بنى أبو العلاء قوله (١) (كامل)

لا تحسبي إيلي سهيلا طالما بالشام فالمرثي شمة قايِس

يريد ان ابله رات قبسا بالشام حسبته سهيلا فخشيت الموت فقال
لها ليس سهيل من الكواكب الطالعة بالشام فتخافيه وانما رأيت
قبسا فلا تراعى ، وكذلك ايضا قول ابى الطيب (٢) (وافر)

وتُنكر موتهم وأنا سهيل طلعت بموت أولاد الزنا

وذلك انه جعل حساده وأضداده بهائم لجهلهم فسهيل يميتهم
بطلوعه وجعلهم اولاد زنا لانتسابهم للفضل وليسوا منه كما ينسب
أولاد الزنا لآباء ليسوا منهم ، وسألت أعراب زماننا عن هذا الذى
يذكر من تأثيره فى الابل فقالوا لا نعلم له تأثيرا فيها الا أن طلوعه
عندنا أمان للابل المغشوشة من الموت ، والغش داء معروف عندهم
قالوا فما لم يمت بالغش قبل طلوعه لا يموت بعده ، وكانت العرب
عند طلوعه تفصل الجوران (٣) من أمهاتها يقال ان ذلك هو سبب

(١) انظر التنوير ج ١ - ص ٨٧

(٢) انظر شرح العكبرى على المتنبي ج ١ - ص ١١

(٣) فى بعض النسخ « الحيران » وفى بعضها « الحيوان »

كراهة الابل لسهيل ولهذا قال ساجعهم اذا طلع سهيل ، برد الليل وخيف السيل ، وامتنع القيل ، وكان لام الحوار الويل ، فانما كان هذا الويل لفراقها له ، ويروى كان للحوار الويل لفصله ومنعه من الرضاعة ، وقد تكون الرواية الاولى موافقة لهذه فيكون معنى قوله وكان لام الحوار الويل اي للحوار نفسه، والقيل في هذا السجع اما من القائلة وهي نومة الظهيرة أو من الشرب في ذلك الوقت فانه يسمى القيل ، وقالوا ايضا في سجع آخر اذا طلعت الجبهة ، تحانت الولهة ، وتنازعت السفهة ، وقلت في الارض الرفهة فالولهة بتحريك اللام النوق تحن الى اولادها وتوله عليها لاجل ما ذكرناه فان طلوع الجبهة مقارن لطلوع سهيل ، وقوله وتنازعت السفهة بفتح السين والفاء يعني أن السفهاء توثبوا بطرا فأكثروا الغارة والفساد ، وانما بطروا لانهم في خصب من اللبن لما فصلت الاولاد عن أمهاتها والرفهة بضم الراء وفتح الفاء قصب الزرع بعد اخراج الحب منه يعني أنه لم يبق من الحبوب اذ ذاك الا الرفهنة (١) لاحتياجهم الى حفظ نعمهم لما تنازع السفهاء خوف الغارة، أعرف (٢) ان ابن السيرافي لما تعرض لشرح قول الشاعر (وافر)

ألم أك جاركم فتركموني لكلب في دياركم عواء
وأخرت العشاء إل سهيل أو الشغرى فطال بي الاناء

(١) في بعض النسخ « فيطلبه اهل الرامية لاحتياجهم الى علف انعامهم »

(٢) في بعض النسخ « اعلم »

قال : انما قال الشاعر هذا لان سهيلا انما يطلع سحرا وكذلك،
الشعري فاراد انى انتظرت معروفكم حتى أيست منكم كما يش
صاحب العشاء اذا طلع سهيل لانه لو أتى اذ ذاك بما يأكله لم يسم عشاء
لفوات اسم العشاء بدخول السحر، ورد (١) الذى قال ابن السيرافى
بأن (٢) سهيلا يختلف باختلاف الازمان واختلاف البلدان فرب بلد
يطلع فيه سحرا وقد طلع فى غيره عشاء وكذلك انفسول ربما
طلع فى فصل عشاء وربما طلع فى ذلك الموضع بعينه فى فصل آخر سحرا
وهو فى هذا كسائر الكواكب الا ان يعنى أنه فى ذلك الزمن
الذى قيل فيه الشعر كان يطلع فى ذلك البلد سحرا فحينئذ يصح
قوله على بعد هذا التأويل من كلامه .

وارتحلنا عن الجم يوم الاربعاء ففارقنا بمفارقتة أرض حكيم
وطرود ودخلنا فى أرض اخوتهم حصن وكان مسيرنا منذ فارقنا
الجم فى الزيتون القديم المتصل المعروف بزيتون الساحل وقد أذهب
افساد الغرب أكثره ، وغير بعد الاستواء أسطره ، فكأنه كان
مفروسا على حالة مغلومه ، وأسطر متناسبة منظومه ، فأبطل الافساد
أكثر ذلك ، وعلى هذا الزيتون كان مدار غلات افريقية فى القديم ،
وقد روى ان ابن أبى سرح لما افتتح افريقية وقتل ملكها وعجد أكثر
أموالهم الذهب والفضة فغنم منها ملء (٣) أيدي جنده وسألهم أنى

(١) فى بعض النسخ « وهذا »

(٢) فى بعض النسخ « ان »

(٣) فى بعض النسخ « ماملا »

لكم هذا فجعل أحدهم يلتبس شيئا في الارض حتى أتاه بنوأة زيتون فقال له من هذا أصبنا هذه الاموال (١)

قال الرشاطى في كتابه المسمى « باقتباس الانوار » وانما سمي هذا الموضع الساحل وليس بساحل بحر لكثرة ما فيه من سواد الزيتون والشجر والكرم ، قال وهو كله قرى متصلة البعض ببعض ، وذكر من المنسوبين اليه من العلماء اسرائيل بن روح الساحلى وأخبر أنه لقي مالك بن أنس وحدث عنه قال : أبوبكر أجمد بن علي بن ثابت الخطيب أخبرنا أبو الفرج أحمد بن علي قال حدثنا أحمد الواعظ قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن زياد قال حدثنا اسماعيل بن حصن قال حدثنا اسرائيل بن روح الساحلى قال : سألت مالك بن أنس فقلت يا أبا عبد الله ما تقول في اتيان النساء في أدبارهن فقال أما أنتم قوم عرب ؟ هل يكون الحرث الا في موضع الزرع ؟ أما تسمعون الله يقول نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم قائمة وقاعدة وعلى جنبها ولا تعدوا الفرج ، فقلت يا أبا عبد الله انهم يقولون انك تخبر بذلك (٢) فقال يكذبون علي وكررها ثلاثا

وانتهى السير بنا في غابته المتصلة الى منزلة تعرف بأم الاصابع (٣) لدى قصر قد شيد في سالف الزمن بنيانه ، وأحكم

(١) انظر الى كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ١٨٥

(٢) في بعض النسخ « نجيز ذلك »

(٣) المكان المعروف قديما بأم الاصابع هو المنسى اليوم بالرقعة وبه آثار رومانية عظيمة منها قوس نصر قائم الذات ومواجه للمياه ومسرح وغير ذلك

تأسيسه واتقانه ، وجعلت أبراجا مستديرة اركانها ، الا أن طول الزمن المتباعد ، قوض أحد تلك الاركان من القواعد فتداركه أربابه الان ، ببناء لا مناسبة بينه وبين ما كان ، وبذلك الابراج المستديرة فيه سمي ام الاصابع لانها بقيت لارتفاعها عما اتصل بها من البنيان كأنها اصابع قائمة ، واحتطب الناس من هذه الشجر ما استصبحوا لمرحلة الفد لان الحطب بها معدوم ، ثم سرينا منها آخر ليلتنا فاجتزنا صباحا على قرية صغيرة ذات قصور مفترقة تعرف بيرشانة ، وحاذانا على بعد ساحل البحر القصر المعروف بقصر زياد وهو قصر حصين وفي أهله نجدة موصوفة ، وشجاعة معروفة ، قال الليدي في أخبار الشيخ أبي اسحاق الجبنياني نفع الله به : وكان قصر زياد يسمى دار مالك لكثرة من به من أهل العلم في ذلك الزمان

وبعد مجاوزتنا له سامتنا من البحر جزيرة قرقنة على مسافة بعيدة لا يمكن ظهورها منها وموضعها بين هذا القصر وصفاقس وسطا ، وهي جزيرة قوية العمارة شهيرة الذكر على القدم والنصارى في وقتنا هذا متغلبون عليها متحكمون في أهلها ، وليس لها سور ولا دور وانما سكنى أهلها في أخصاص يجعل كل واحد منهم في أرضه ما أحب منها وفي الجهة الغربية منها كهوف يتحصنون بها ، وطول هذه الجزيرة ستة عشر ميلا في البحر وعرضها ثلث ذلك

ووصلنا الى صفاقس ظهرا فرأيت مدينة حاضرة ذات سورين
يمشي الراكب بينهما ويضرب البحر في الخارج منهما ، وكانت بها
قبل غابة زيتون ملاصقة لسورها فأفسدتها العرب فليس بخارجها
الآن شجرة قائمة وفواكهها مجلوبة اليها من قابس ، وماؤها شراب
لا يساغ وانما يعتمدون في شربهم على ما يدخرونه من مياه الامطار ،
ويصطاد بها من السمك أنواع تفوت الاحصاء وبيحرها يوجد
صوف البحر الذي يعمل منه الثياب الرفيعة الملوكة وربما وجد في
بحرها صدف يشتمل على لؤلؤ صغير الحب ، ومرساها مرسى حسن
ميت الماء والماء يمد به ويجزر عنه كل يوم فاذا جزر استوت السفن
على الحماة واذا مد عامت ، وفي هذا المد والجزر يقول بعض المجيدين
من شعرائها وهو علي بن حبيب التنوخي وسياتي ذكره بعد هذا
(مجزوء الكامل) :

سقياً لأرض صفاقس ذات المصانع والمُصَلِّي
فحمى القصر إلى الخليج فقصرها السامي المَعْلَى (١)
بلد يكاد يقول حين تزوره أهلاً وسهلاً
وكأنه والبحر يحسرتارة عنه ويملاً
صَبُّ يريد زيارة فإذا رأى الرُقَباء ولي

١ في بعض النسخ « حسي » « وبقصرها »

وأين هذا من قول أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح أبي
تسيم المعز بن سليمان يذمها ويخيل أن هذا الجزر هروب من البحر
عنها لقبها وقد كان ولي اشرافها سنة خمس وستين وستمائة
فقال فيها (بسيط)

صفاقس لا صفا عيش لسا كنها ولا سقى أرضها غيث إذا انسكبا
ناهيك من بلدة من حل ساحتها عانى بها العاديين الروم والعربا
كم ظل في البر مسلوبا بضاعته وبات في البحر يشكو الاسر والعطبا
وليتها فتولتني الهموم وقد لقيت من سفري في أرضها نصبا
قد عاين البحر قبحا في جوانبها فكلما همم أن يدنو لها هربا

وبها جامع حسن ، ذكر الليدي في أخبار الشيخ أبي اسحاق
الجنياني أن علي بن سالم جد الشيخ أبي اسحاق هو الذي بناه
وكان سحنون ولاد قضاء صفاقس وهو ولده من الرضاة أرضته
زوجه أم محمد بن سحنون مع محمد قال : وهو الذي بنى أيضا سور
صفاقس بالطوب وبالطين ، وبنى المحرس المعروف في القديم
بمحرس على وعرف بعد بالمحرس الجديد ، وقد شاع في الناس
تسمية صفاقس بلعنة الله وبلغ الامر في ذلك أن بعض الملوك قال
لمن راجعه الكلام اذهب الى لعنة الله ، فأخذ في الارتحال الى صفاقس
وكانت ولايتها في القديم تتردد عليها من قبل صنهاجة الى أن

ولى المعز بن باديس عليها منصور البرغواطى وكان من الفرسان المعروفين بالاقدام فأراد أن يثور بها وأخذ فى مخالفة العرب فعاجله ابن عمه حمو بن مليل وقتله غدرا فى الحمام وذلك سنة احدى وخمسين وأربعمائة ، ولما قتله وصل حلفاء منصور من العرب فحاصروا حمو بصفاقس فبعث اليهم يسألهم هل قصدهم الاخذ بثار ابن عمه منه أو المال فقالوا نحن لا ندخل بينكم فى الدماء وانما غرضنا الاموال ، فالتزم لهم من المال ما رضوا به وعجل لهم ما تيسر وانفصلوا ، وثار حمو بصفاقس وأظهر العناد على بنى مناد ومات المعز بن باديس سنة أربع وخمسين وولى تميم ولده فطمع حمو فى تمام الاستبداد والتغلب على غير صفاقس من البلاد فحالف جماعة من العرب عديا والاثبج ومن ضامهم وزحف بهم وبمن معه من رجاله الى بعض القرى فملكها واستحوذ عليها ثم نهض الى المهديّة يريد حصرها فنهض تميم للقائه فولت فئة حمو أدبارها ، واسرعت فرارها ، ورجعوا الى صفاقس

ودام أمر حمو فى صفاقس زمانا ثم وجه تميم ابنه يحيى لمحاصرته فحاصره أياما ثم رجع عنها ، ويقال ان يحيى أخب الأبقاء على حمو فلم يبالغ فى حصاره وكان حمو يقول ان هذا لعجب بالامس أخلص يحيى من القتل الى حكاية ذكرها أبو الصلت وغيره من المؤرخين ، قال كان فلان التركي هاجر من المشرق الى تميم فى جماعة من أصحابه فأكرمه تميم ورتب له جراية فلم ترضه وبلغه

عن تميم ما أوحشه ، وكان داهية ذا مكر وخبت فخرج يوماً في جماعة مع يحيى بن تميم يتصيد فأبعدوا عن المدينة فقبض التركي على يحيى وعلى جماعته وتوجه بهم (١) هارباً وأفلت رجل من حضر فوصل يركض إلى تميم فأعلمه وأنفذ الخيل في طلبه ففات ولجأ إلى صفاقس فأكرمهم حمو بن مليل وبالغ في التحفى يحيى وحبه عنده ثم خاف أن يوليه أهل صفاقس عليهم فأحب إخراجه من البلد فكتب إلى أبيه يعرفه أنه إن بعث أموال الترك الهاربين وأهلهم وجه إليه ابنه يحيى ففعل تميم ذلك ووجه إليه حمو ابنه يحيى فلما وصل يحيى إلى تميم رده لحصار (٢) صفاقس كما ذكرنا فرجع عنها ولم يفتحها

فلما كان سنة ثلاث وتسعين توجه إليها تميم بنفسه فافتحها وفر حمو منها فاستجار بمكي بن كامل الرياحي بقابس ، وكان لحمو ابن مليل أيام ملكه لصفاقس كاتب يعرف بمظفر بن علي مشهور بالبلاغة وحسن الكتابة ، وكان يكتب عن حمو إلى تميم ما يفيظه ويبلغ منه كل مبلغ ، فلما فر حمو إلى قابس لم يشعر تميم إلا ومظفر قائم بين يديه يطلب العفو فعفا تميم عنه مع شدة حقه عليه ، قال أبو الصلت : ومثل هذا الذنب لا تغتفره الملوك بل يجاوز الشريب ، فيه إلى التعذيب ، ويتعدى العقاب ، إلى ضرب الرقاب ، وذكر أبو

(١) في بعض النسخ « بها »
(٢) في بعض النسخ « إلى حصار »

الصلت جبلة مما تمثل به مظفر في الكتب عن مخدومه الى تميم
قال : أمكنت حمو فرصة في طائفة من جند تميم فقتلهم بصفاقس
وكتب مظفر في ذلك الى تميم متمثلا بقول أبي الطيب (١) (متقارب)

إذا كان أعجبكم عامكم فعودوا إلى حمص في القابل
فإن الحسام المصيب الذي قُتِلتم به في يد القاتل

قال وتحدث مرة بالمهدية بموت حمو وبلغه ذلك فأمر مظفر أن
يكتب الى تميم في هذا المعنى فكتب اليه متمثلا بقول أبي الطيب
أيضا (٢) (بسيط) :

كم قد دُفنتُ وكم أُقبرتُ عندكم ثم انتفضتُ فزال القبر والكفنُ
ما كلُّ ما يتمنى المرءُ يدركه تجري الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ

وكتب اليه تميم يوعده ويهدده ويتمثل فيه بقول الشاعر (طويل)
ستعلم لي أي دين تداينت وأي غريم للتقاضي غريمها

فراجعته عنه مظفر متمثلا بقول قيس بن ذريح (طويل)

ستعلم إن شطت به غربة التوى وزالوا بليلى أن عقلك زائل

وفي رواية ان مظفرا تمثل له في مراجعته عن هذا الكتب بقول

جرير (٣) (كامل) :

(١) انظر شرح العكبري على المتنبي ج ٢ - ص ٢٧ (برواية اخرى)
وان كان اعجبكم عامكم فعودوا الى حمص من قابل

(٢) انظر العكبري على المتنبي ج ٢ - ص ٤٧٨

(٣) انظر تقاض جرير والفرزدق ص ٩٧٢

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشِرْ بطول سلامة يا مربِعُ
وكتب اليه في اثر وقية كانت له عليه كتاب ايناس والطاق
فراجعه متمثلاً بقول عبد الله بن محمد العطار (رمل) :

لا تظننَّ امرأً أغضبه سبب ثم انقضى ذاك السبب
سالم الصدر من الحقد ولو أظهر الود ولم يبد الغضب
كرماد النار يبقى حرُّها كما في فيه وإن زال اللهب

ولما افتتح تميم صفاقس كانت ولايتها تتردد من قبله الى ان
توفي سنة احدى وخمسمائة ، وولى ابنه يحيى فولى عليها ابنه
ابا الفتوح فقام عليه اهلها ونهبوا قصره وارادوا قتله ، فغضب يحيى
لذلك واخذ في تفريق كلمة اهل صفاقس وتشتيت شملهم ولم يزل
يوالى عليهم البؤس ، ويملا منهم الجبوس ، الى ان شفى نفسه منهم
ثم عفا عنهم بعد ذلك ، وفي الواقعة يقول ابو الصلت يذكرها ويشكر
ليحيى عفوهم من قصيدة طويلة (طويل) :

وربَّ أناس أججوا نار فتنة يجنبها الاتقى ويضلى بها الاشقي
وجرَّ عليهم جهلهم حلم مالك يرق ويحنو كلما ملك الرقا
ولو شاء روى السيف منهم فطالنا نضاه فسقاه من الدم ما استسقى
ولكن دعاه الحلم والفضل والحجى الى أن يكون الاحلم الاكرم الاتقى

سجية مجبول السجايا على الهدى إذا غضب استأنى وإن ملك استبقى
وإول هذه القصيدة :

قضى الله أن يفنى عداك وأن تبقى وتخلد حتى تملك الغرب والشرقا
قال أبو الصلت : أنشدت يحيى هذه القصيدة وخاصته بين يديه
وعبد العزيز بن عمار في الجملة وكان في هذه الصناعة أبصر الجماعة
فقال له يحيى : كيف ترى ما تسمع فقال حسن الحوك محكم السرد
فقال : أتعرف قائله قال لا ، قال : هو ذاك الجالس يشير الى فعلاه فتور
ونفور عن الاستماع ، بحسب ما يعرض من العوام الرعاع ، عند
ما ينشدون لمن جمعهم واياهم مكان وزمان ، وان كان في اول جريدة
ذوى الاحسان ، وانما عنوا بامتداح القديم ، وتعظيم العظم الرميم ،
وسبب ذلك الحسد فكثيرا ما يعيد الصواب محالا ، والعداة آلا ،
والقوام اعوجاجا ، والعذب ملحا اجاجا ،

ثم ولي يحيى على صفاقس ابنه عليا وهو ولى عهده فلما كانت
سنة تسع وخسمائة توفى يحيى وعلى بصفاقس فوصل واستبد بالملك
وكان يبعث الكولاة الى صفاقس الى ان توفى ، وولى ابنه الحسن فوقعت
الوحشة بينه وبين « جبار » فوجه جبار اساطيله لحصار المهديّة وكان من
تغلبه عليها وخروج الحسن منها ما ياتى ذكره مستوفى بعد هذا ان
شاء الله تعالى ، فلما تملك المهديّة واستقر عامله بها وذلك في سنة
ثلاث واربعين أنفذ منها أسطولا الى مدينة صفاقس فملكها وأمن

اهلها وقد أسكن بها جملة من النصارى الذين افتتحها بهم وحصل
منها رهائن منها شيخ البلد وصالحه ابو الحسن الفريانى ، وبقي ولده
عمر بن ابي الحسن متصرفا فى اعمال البلد ، وكان ذا اقدام وشهامة ،
ولما ودعه ابوه قال له : يا بنى انى قد كبرت واشرفت على الموت وقد
هدقت نفسى على المسلمين فان امكنتك الفرصة فى هؤلاء النصارى
فانتزها ودعنى اقتل !

فلما كانت سنة احدى وخمسين امثل أبو علي وصية ابيه وثار على
من بصفاقس من النصارى فقتلوا قتلا ذريعا فبلغ ذلك طاغية صقلية
«غليام بن لجار، فقيد الشيخ ابا الحسن وسجنه وارسل الى ابنه عمر يوعده
بقتل ابيه ان لم يرجع الى الطاعة ، قال الرسول : فوصلت الى صفاقس
فلم امكن من النزول الى البر ولما كان من الغد سمعت فى البلد ضجة
ثم فتح باب البحر وخرج الناس يكبرون ويهللون ومعهم نعش قد
رفعوه على رؤوسهم فخطوه ثم تقدم عمر فصلى عليه ودفنه وعزاه
الناس وانفصلوا، قال : فاستدعيت الجواب فقيل لى : ان الشيخ مشغول
بالعزاء فى والده الذى بصقلية والنعش الذى قد رأيت نعشه وقد
عزم على موته والسلو عنه وليس لك جواب الا ما رايت . فلما بلغ
ذلك طاغية صقلية امر بالشيخ ابي الحسن فسحب الى المشنقة بوادى
عباس فشئق وهو يتلو كتاب الله تعالى الى ان فاضت نفسه رحمه الله
وكان انتقاض صفاقس على النصارى سببا فى انتقاض سائر بلاد
السواحل وزوالها من ايديهم ، واقام عمر يدبر امر البلد الى ان نزل

الخليفة عبد المؤمن الى افريقية بحصار المهديّة فوصل اليها عمر المذكور مع جماعة من اشيّخ صفاقس فاذعنوا له بالطاعة وعين لهم عبد المؤمن حافظا من الموحدين وامر عمر بالرجوع الى بلده وان تكون الاشغال المخزنية تتصرف على يده ، فأقام على ذلك الى ان توفي ، وخلفه في ذلك ولده عبد الرحمن بن عمر وقام مقامه فوصل الميورقي الى صفاقس واستولى عليها فرغب اليه عبد الرحمن ان يسرحه الى الحج فارتحل بأهله ولم يعد ، وبقي بعض ولده بصفاقس وذريتهم بها الى الان ومنهم من له شعر وسياتي الذكر على ما أمكن منهم في هذا التقييد ان شاء الله تعالى .

وممن ذكر ابن رشيق في الانموذج من شعراء صفاقس : علي بن حبيب التتوخي قال : موطنه صفاقس وبها نشأ وهو شاعر عذب اللفظ، لطيف المعنى، سهل الطريقة، قليل التكلف، رحل الى المشرق ولقى جماعة من رؤساء العرب فحظى عندهم وأقام بمدينة « لك » الى ان تشاجرت القبائل على يديه ونجا بشعره من شرّ عظيم قال :
وانشدني لنفسه في غلام جاء في طلبه الى الحضرة بعد أن امتحن عليه (كامل)

يا معطشي من عذب مورده تجرّد غليل جوانحي العطشي
أترى الذي أرجو أفوز به منكم فقد كان الذي أخشى
ولقد شخصت إليك من بلد قد أظلمت أرجاؤه وحشا

وتنكرت للعين بهجته منذ ارتحلت كأنني أغشى
والله ما من ساعة عبرت إلا علي لذكركم بفتى
قال ومن جيد كلامه قوله من قصيدة (خفيف)

يا إلهي في ذرى ابن حسين هل معاد قبل الممات إيا
قد نشرنا صحائف الحزق نشرأ وطوينا الغزاء بمدك طيا
واطلنا البكا عليك وأنسي لعليم ان ليس يرجع شيا
فإلى الله من فراق رماني (١) عنك (٢) بعد الدنو مرمى قصيا
ولكم قد حذرت منه ولكن كان أمراً مقدرأ مقضيا

قال وفوق النهاية من شعره قوله في الوعظ والزهد (سريع) :

للمرء في أيامه واعظ لو فكر المغرور في أميه
كم من قرير العين في غبطة أعراه صرف الدهر عن لبه
قفارق الأجاب عن كرهه واستبدل الوحشة من أنسه
يارب غفرانك يرجو الذي اسرف في الدنيا على نفسه

ومنهم : مضر بن تميم الفزاري قال ابن رشيق : موطنه صفاقس
وهو شاعر حسن الطريقة في الشعر وأنشد له (بسيط) :

(١) في بعض النسخ « ومثني » .
(٢) في بعض النسخ « منك » وفي بعضها « عند »

يامن عذيري من شوقي وتسهيدي

ومن معيني على نوحى وتعديدي (١)

تطاول الليل وامتدت غواربه فالصبح ورد ليني غير مورود
لا أطمع الغنض إلا أن يطيف به طيف ويذهب مفقود مفقود

قال هذا من حر الكلام ونفيسه وفي هذه القصيدة (بسيط) :

وما استقرت على بحر الهوى سفن (٢)

شطت بهم عن كئيب القلب معبود

أستودع الله من ولى وأودعني شوقا إليه جديداً غير مجدود

قال قوله جديداً غير مجدود من عجيب الشعر والمجدود هنا

المحظوظ ولو جعلته من الجد الذى هو القطع كأنه قال غير مقطوع

لكان جيداً والاول أشهر

ومن علماء صفاقس وشعرائها ولم يذكره ابن رشيق فى الإنموذج

وهو من المعاصرين له أبو عمرو عثمان بن أبى بكر بن حمود الصدفى

الإمام المحدث المعروف بابن الضابط له رحلة الى المشرق وأخذ

فيها عن جماعة يطول تعدادهم ، منهم الحافظ أبو نعيم صبه باصبهان

وكتب عنه كثيرا ذكر أنه كتب عنه بخطه مائة الف حديث وكان

(١) فى بعض النسخ « تفريدي »
(٢) اخذنا هذا المصراع من اللؤلؤ السندية ص ١٤١ وفى موضعه بياض فى جميع النسخ
التي بايدينا

يقول لم ألق مثل أبي نعيم علما وعملا ، ثم توجه الى الاندلس سنة ست وثلاثين وأربعمائة فأقرأ بها وأخذ عنه علماءؤها وأثنوا عليه وعاد منها الى القيروان فوجهه صاحبها الصنهاجي رسولا الى القسطنطينية فمات في طريقه أما واردا وأما صادرا وذلك بعد سنة أربع وأربعين ، ذكره أبو عمر بن الحذاء (١) في تسمية رجاله الذين التقى بهم فقال :
قدم علينا طليطلة وسنه نحو الخمسين وكانت له رواية واسعة ومعه كتب كثيرة قد رواها بالعراق والشام والحجاز ومصر ونجول عندنا بالاندلس نحو غامين ثم انصرف الى القيروان ، وكان لي صديقا وتكرر كتبه الى من القيروان الى ان أرسله الصنهاجي الى القسطنطينية فبلغتنا وقاته ، وذكره الحميدى ايضا فقال كان حافظا عاقلا قرأت عليه كثيرا وكتبت عنه وأنشدني (مقارب) :

إذا ما عدوك يوما سما إلى حالة (٢) لم تطق نقضها

فقبل ولا تأنقن كفه إذا أنت لم تستطع عضها

وذكره أبو القاسم بن بشكوال في الصلة (٣) وأثنى عليه وأخبر عنه انه قال : بعث الى شعراء القيروان حين مقامي بها منهم ابن رشيق وابن شرف وابن حجاج والطار يسألوننى ان أرسل اليهم بشعري ، فقلت للرسول انه في مسوداته فقال أحمله كما هو فأخذته وكتبت عليه ارتجالا ثم بعثت به (مقارب)

(١) انظر الصلة لابن بشكوال عدد ٨٧٦

(٢) في بعض النسخ « الى رتبة »

(٣) انظر الصلة عدد ١٣١

خطبتَ بناتي فأرسلتهنَّ إليك عواطلَ من كلِّ زينته
لتعلم أني ممن يجود بحض الوداد وليس ضنينه

قال فأجابوني عن بطاء بهذه الايات :

أتتنا بناتك يرفلن في ثياب من الوشي يفتن زينه
فلما سفرن فضحن الشموس وسرب الظباء وأنجلن عينه
ولما نطقن سحرن العقول وظل القرين ينادي قرينه
أفي بابل نحن أم في العراق وفوق البسيطة أم في سفينه
فدعني اراقب ضوء الجميع لنسمع من كل مدح عيونه

وأبو عمرو هذا هو أول من أدخل الى الاندلس كتاب « غريب الحديث » للخطابي وله جزء تضمن عوالي كتبها لابي محمد عبد الرحمان بن عتاب (١) تعرف بعوالي الصفاقسي

ومن منازل صفاقس الراجعة الى عملها المحتوية على من يذكر من الفضلاء جنيانة التي منها الشيخ الصالح العالم أبو اسحاق بن أحمد ابن علي بن سالم، وقد قدمنا ان جده علي بن سالم كان قاضيا بصفاقس فلما مات ولي ابن الاغلب ابنه أحمد خراج افرنجية فتورط معهم، وكان من أهل الادب والفهم ثم ارتقت حاله معهم الى ان صار

(١) هو أبو محمد عبد الرحمان بن عتاب المتوفى سنة ٥٢٠ بقرطبة

مشاورا ووزيرا وكان اذا مشى ، مشى فى عسكره وبين يديه وخلفه الجنائب كما كان الوزراء يشون اذ ذاك ، وكانت له بصفاقس ما ينيف على الاربعين دارا ، وربى الشيخ أبو اسحاق رحمه الله فى مثل هذا الحال أخبر من رآه وهو صبي وقد وكل بحفظه خمسة عشر صقليا (١) يحفون به اذا مشى ، ثم ترك ذلك كله لما ناهز الحلم ولبس عباءة وفر عن والده ووالدته على تلك الحال التى ذكرنا مع بنى الاغلب

وكان أبو اسحاق يتطوف على من بالسواحل من العلماء والصالحين فاذا علم ان أباه طلبه أخفى نفسه الى ان اختلفت (٢) الدولة وطلب أبوه فيمن طلب وأخذت أملاكه ومنازله ورباعه وأمن نفسه (٣) فلزم الحير وقراءة القرآن ، ثم توجه الى الحج فحج ومات رحمه الله تعالى ، واشتهر أبو اسحاق بالعلم والعبادة ولزم سكنى جنيانة الى ان توفي فيها رحمه الله تعالى وكانت وفاته فى التاسع عشر من محرم مفتتح تسعة وستين وثلاثمائة ودفن فى شرقى جنيانة ، زرت قبره ودعوت عنده ، وأخباره رحمه الله مؤلفة مشهورة ، وولده أبو الطاهر كان صالحا فاضلا وكان لابی الطاهر ولد يسمى عبد الله أديب شاعر ظريف ذكره ابن رشيق فى الانموذج وأخبر ان صفاقس موطنه وان بها منشأه ، وقال : وكانت له نياهة وظرافة فى

(١) كذا فى النسخ التى بايدينا والاطهر ان يكون الصواب « صقليا »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « اختلفت » اى استوصلت

(٣) فى بعض النسخ « امن فى نفسه »

جميع أحواله مع نزاهة نفس وبعد همة قال : واجتمعت به في صفاقس فكنت اقطع الغربية بقربه ، ثم انفصلت الى الحضرة فلم يكن الا قليل حتى اجتاز علينا متوجها الى الاندلس فسألته عن سبب ذلك فأخبرني ان عليه دينا ثقيلا قد استغرق ذمته وأنشدني لنفسه وهو يتمايل وكان متعلق النفس بجارية له أم ولد تركها بموضعه (واقر) :

سأضربُ في بلاد الناس بَرًّا وبحرا بالسفائن والركابِ
الى أن تُنكِرَ الاحباب مني ثوائي بالمغارب واغترابي
ليأْكسِبَ ثروة وافيد مالا وأبلى عُذر نفسي في الطلابِ
فإن نلتُ المراد فذاك حسبي وإن أحرَمَ فإني ذو احتسابِ
وما فارقتُ اخواني وأهلي ومن أُحْبِبتُ إلا عن غلابِ

قال وارتحل فاتصل بالحاجب الموفق مجاهد بن عبد الله فاكرمه وعظمه وادناه وقربه وكشف عنه فوجد فضلا وجمالة فاستمسك به وحسد على مكانه منه فوجد في منزله مذبوحا وسكين الاقلام بين يديه مغالطة كانه فعل ذلك بنفسه وبقية الروح فيه فسالوه من به فاشار الى فقيه الموضع ، وكان الفقيه المذكور كثير الملازمة له وهلك من ساعته فقال الفقيه انما اشار الى بالوصية فقيد وسجن اني ان جاء ولى الدم فطلبه فلم يتوجه عليه حق فاطلقه وكانت وفاة عبد الله المذكور سنة خمس عشر واربعمائة

ومن منازل صفاقس ايضا قرية ليدي كذا تحققتها وسمائها
الرشاطى لييدة ، ينسب اليها الفقيه الصالح ابو القاسم عبد الرحمن بن
محمد الحضرمى اللبيدى ، قال ابن شرف فى صلته لتاريخ الرقيق : كان
بقية اهل العلم وله تصانيف فى الفقه وبر (١) فى الفتوى وذكر
الرشاطى ان كتابه المسمى « بالشرح والتفصيل لمسائل المدونة » كتاب
كبير . قال : وتوفى قريبا من سنة ثلاثين واربعمئة ، وابن شرف قد نص
فى تاريخه على ان وفاته كانت سنة اربعين ، وهو المؤلف لخبار الشيخ
ابى اسحاق الجبنيانى التى نقلنا منها ما تقدم ، وانشد لنفسه فى كتابه
المذكور شعرا ضعيفا وولده ابو بكر بن عبد الرحمان كانت له رئاسة
وسعة حال ، وكان من اهل الادب والفهم وله شعر حسن أخبر عنه
ابن شرف فى تاريخه .

ومن شعراء صفاقس ايضا ثم من الفريانيين ورؤسائها عبد الله بن
عبد الرحمان بن على الفريانى ممن تقدم عصرنا قليلا مولده بمالقة
من بلاد الاندلس وابوه هو المنتقل اليها من صفاقس ، له رحلة ابعدها
النجعة فيها شرقا وغربا اخبرنا عنه صاحبنا ابو العباس احمد بن
عبد السلام الاموى التاجورى وقد رآه وجالسه بطرابلس وسمع منه
بعض شعره وكان هجاء مقذعا (٢) ومن شعره حين ولى السعيد
مراكش وكان السعيد أسود اللون (كامل) :

(١) كذا فى النسخ التى بايدينا ولعل الصواب هو « يبرز فى الفتوى »

(٢) فى بعض النسخ « مقزعا »

كان الخلائف قبل في مراكش صورا من الكافور يعجب خالصه
فأتى علي بعدهم ختما لهم كالمسك لونا ليس فيه خصائصه
وله في مثل ذلك (كامل) :

أستفا على مرّا كش وولاتها لم يبق للايام فيها رونق
كانوا حماما فالليالي لم تدع في دارهم الا غرابا ينطق

والم ابن الابار في التحفة (١) بذكر جماعة من هجاء الشعراء
فذكر اولهم ابا محمد عبد الله بن عبد الرحمن الفرياني ، وكان
باشيلية ناظرا في المواريث لابي سليمان داود بن ابي داود وأنشد له
بيتين في هجاء ابن زهر وهو غير الذي ذكرنا وان توافقا في الاسم
والاب والنسب والصفة لبعدهما بين زمانيهما فان مولد الفرياني الذي
ذكرناه سنة تسع وستمائة ولعلها سنة وفاته .

فاقمنا بصفاقس يوم وصولنا اليها وهو يوم الخميس كما تقدم ،
واصبحنا يوم الجمعة مرتحلين عنها فاجتزنا على طينة - بكسر الطاء
وفتح النون - ثم على نقطة - بفتح النون وتشديد القاف - وهما
قصران عامران ويقال ان جماعة من اصحاب معروف الكرخي (٢)
رحمه الله رابطوا بقصر نقطة هذا وماتوا به فقبورهم هنالك

(١) هي تحفة القادم لابن الابار المتوفى سنة ٦٥٨

(٢) هو معروف بن نيروز الصوقى المتوفى ببغداد سنة ٢٠٠

وانتهى السير بنا الى المحرس وهو قصر قديم البناء سام للسماء
ينسب بناؤه الى ابن الاغلب ، والى هذا الحصن يلجأ جملة (١) أهل
تلك القصور اذا وصل اليهم عدو واضطروا الى قتال ، ويقال
ان الميورقي اجتاز عليه واراد محاصرته ففتح اهله باب
الحصن ووقفوا ذونه يقاتلون فعلم انه لا مطمع له فيه فتجاوزه
الى غيره ولم يتعرض له ، وأهله قوم من هوارة كانوا
ساكنين قبل هذا بالقصور المعروفة بقصور بنى خيار فاجلبتهم العرب
منها فانتقلوا الى هذا الحصن ، وكان مسجدا خاليا للعبادة والرباط
فابتنوا ديارا الى جانبه وجعلوا على الجميع سدا ، وقد اجتزت على
القصور المذكورة المعروفة ببني خيار فرأيتها خالية خربة وهى فى
جبال مسلاتة من شرقى طرابلس

وارتحلنا عن المحرس يوم السبت فاجتزنا فى اول المرحلة على المورد
المسمى بصعيب وهم يتكروهون هذا الاسم فيكنونه بابى سهيل ،
ووصلنا بعد جهد جهيد ومشقة الى قصور المباركة وهى كلها عامرة
واهلها موصوفون بالبخل وقد شاهدت من منعهم للماء ما يصدق
ما اشتهروا به من ذلك

ومن هذا الموضع فارقنا أرض بني عوف - ودخلنا فى ارض
اخوتهم بنى دباب بن ربيعة بن زغب بن جرو بن مالك بن خفاف بن

امرىء القيس بن بهثة بن سليم بن منصور، كذا تلقينا هذا النسب من علماء الاعراب المعلومين بحفظ الانساب و كذا ذكره الرشاطى فى كتابه ، وهذه الارض لطائفة من الدبايين يعرفون بالنوائل ينسبون الى نائل بن عامر بن جابر بن فائد بالفاء بن رافع بن دباب وهم أخوة لبني وشاخ بن عامر وبني سنان بن عامر وسياتى بعد مزيد بيان وارتحلنا يوم الاحد فنزلنا بمنزل فيه نخيلات قليلة وعيون ماء جارية وقصر متسع يعرف بوذرف وفى هذا الموضع يقول ابو عبد الله محمد بن محمد الزدورى الهنتاتى ايام اضطرته الحال الى الخروج من تونس ^{الى} والسكنى بتلك الجهات اشدييه (رجز) :

هذي عيون وذرفِ دعِ العيونِ تذرِفِ
بُدَّتْ من ارضي بها واأسفي واأسفي

فتنا بوذرف تلك الليلة واصبحنا يوم الاثنين مرتحلين، فاشرفنا على غابة قابس ، ووصلنا اليها ضحى فراينا بلدا قد استوفى المحاسن واستفرقها ، واذكر بمنظره الانضر ، وورقها الاخضر ، جنة الخلد واستبرقها ، وقد احدثت غابته من جميع جهاته ، وبهذه الغابة من الجواسق ، والنخل المتناسق ، ما يستوقف الطرف ، ويستوفى الحسن والظرف ، ويحقق ما قيل ان قابس جنة الدنيا ، وانها دمشق الصغرى ،

وهي مدينة بحرية صحراوية فان الصحراء متصلة بها ، والبحر على
ثلاثة اميال منها ، فهي احق بقول ابن عيينة : (١) (بسيط)
زُر وادي القصر نعم القصر والوادي

وحبذا أهله من حاضِر بـادي
ترسي قراقيره والعيس واقفة والضب والنون والملاح والحادي
ويقول الخليل بن احمد : (٢)

ياجنة فاقت الجنان فما لعلها قيمة ولا ثمن
صاهر حيتانها الضباب بها فهذه كنة وذا ختن
من سفن كالنعام مقبلة ومن نعام كأنها سفن

ويقال انه لا يجتمع في مائدة صيد البر وصيد البحر واصناف
التمر الا في مائدة من يسكن قابس

وعلى قابس سور صخر (٣) جليل من بناء الاول ولها ارباض واسعة
وجل اسواقها في ارباضها ، وقد دار بسورها خندق متسع يجرون
الماء اليه اذا خافوا من نزول عدو عليهم فيكون أمنع شيء لها ، ولها
واد يسقى بساكنها ومزارعها ، ويخترق في كثير من مواضع الغابة

(١) هو ابن عيينة عبد الله بن محمد المهلبى والقصر الذي قال فيه بيتيه المشهورين هو قصر
عيسى بن جعفر بالحريية انظر الى الاغانى ج ١٨ - ص ١٥ والى معجم ياقوت ج ٤ - ص ١١٨
(٢) هذه الابيات لابن عيينة ايضا قالها فى مدح البصرة كما رزى فى الاغانى ج ١٨ - ص ٢١
وفى معجم ياقوت ج ١ - ص ٦٤٩ وفى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٦٠
(بزيادة ثلاثة ابيات وبروايات اخرى)

(٣) وفى بعض النسخ « ضخم »

دورها وشوارعها ، واصل هذا الوادي من عين خراطة في جبل
بين القبله والمغرب منها ، واكثر جناتها فيما بين المدينة والبحر، وبذلك
الجهة الساحة المعروفة بساحة عنبر

وانشدني الفقيه الكاتب البليغ ابو الفضل محمد بن علي
التجاني لنفسه يصف احدى عشاياته بتلك الجهة في تلك الساحة
وما اقتضبه (١) بها من الانس والراحة : (كامل) :

اذ كُرَّ عَشِيَّتَنَا بِسَاحَةِ عُنْبَرٍ وَالْجَوِّ يُتَحَفُّنَا بِنَكْهَةِ عُنْبَرٍ
حَيْثُ النَّخِيلُ عَرَائِشٌ بِسَطِّ الْحَيَا بُسُطًا لَهَا مِنْ اخْضَرٍ اَوْ اصْفَرٍ
وَالشَّمْسُ تَسْتَحْيِي فِئْتَرِ وَجْهَهَا عَنَّا بَسْتَرٍ لِلْعُرُوسِ مَحْبَرٍ
وَالنُّورُ بَيْنَ مَفْضُضٍ وَمَذْهَبٍ وَالنُّورُ بَيْنَ مُدْرَهَمٍ وَمُدْنَرٍ
وَالنَّهْرُ وَالْفُؤْدُ اَدْرَعْنَ تَحْصِنَا اِذْ صُفَّتِ الْغَابَاتُ صَفَّ مَعْسَكِرٍ
وَالْبَحْرُ يَرْمَقُنَا بِمَقْلَةٍ اَزْرَقٍ وَالْبِرُّ يَرْمَقُنَا بِمَقْلَةٍ اَغْفَرٍ
فِي جَنَّةٍ لَوْ نَلْتُ مِنْ خُلْدٍ بِهَا قَصْدِي بَلَّغْتُ اِلَى النِّعَمِ الْاَكْبَرِ
وَمَحَلِّ اُنْسٍ قَلْتُ بَيْنَ رِيَاضِهِ رِيَاضَةَ قَادَتِ لِأَبِيهِ مَنْظَرٍ
مِلْنَا بِمَنْعَرَجٍ اَنْصَلَّى نَحْوَهُ حَذَرَ الرَّقِيبِ وَلَيْتَهُ لَمْ يَحْضُرِ
وَجَرَى لَنَا فِيهِ حَدِيثُ كَلِّهِ لَطْفَ حَضْرِنَا مِنْهُ اَطْيَبِ مُحْضُرِ

تَجْرِي احاديث الصباية والصباء بآرق من مشرى الصبا المتعطر
ونُدِير كاسات المحبة بيننا فنمِل منها بالحلل المنكر
حتى اذا ولى العشي وآن ان نتماز عن نظر المراد الانضر
قننا نجر من العفاف سوابغا لما نغيرها بصنفة منكر
يوم " بقابس جنة الدنيا وفي قلبي لوشك (١) الين حرقة مسعر
ومن المكاره التي حفت بها جنة قابس ، ما يعاها من الوباء ،
ويتاب ساكنها (٢) من الامراض ، وسبب ذلك فيما يذكر أهلها
كثرة شجرة الدفلى بها ، فيكتسب الماء منها لذي جريه سمية ومرارة
تضر بأبدان ساكنيها (٢) كثيرا ، ولذلك لا تجد وجود كثير من
أهلها الا مضرة ، وفي هذا البلد ايضا فساد وتغير سببه كثرة عفوناتها ،
وليس في جميع مياها ما يسلم من ذلك الا انعين المعروفه بعين
الامير ، والعين الاخرى المعروفه بعين سلام ، فان ماء هاتين يسلم من
الفساد لعدم مروره على الدفلى ، والاولى منهما منسوبة للامير الازدى
المعروف بابن الصغير ، واما الثانية فالمشهور في اسمها عين سلام باللام
مخففة ، وهي انما توجد في عقودهم القديمة عين سنام بالنون ، ومما
يذكره أهل قابس وهو من جنس الخرافات ما حكاه البكري (٣) عنهم :

(١) وفي بعض النسخ « لسوق »

(٢) وفي بعض النسخ « سكانها »

(٣) ص ٤٦

ان مدينتهم كانت سالمة من الوباء الى ان احتفروا فيها موضعا
توهموا ان فيه مالا ، فاستخرجوا منه تربة غرباء فحدث الوباء عندهم
بسببها من ذلك الزمان الى هلم جرا .

وقد اشتهر عن أهل قابس ما اشتهر من بيع فضلاتهم ، وهم يقرون
بذلك ويدعون شدة احتياجهم اليها وأن النخيل في بلادهم لا يثمر
الا به ، ومن رسالة لابي مطرف ابن عميرة (١) في وصف قابس ،
وكان ولي قضاءها في مدة الخليفة المستنصر رحمه الله : « بلد غوطي
البساتين ، طورى الزيتون والتين ، فاما النخل فجمع عظيم ، وطلع
هضيم ، وسكك مأبورة ، ونواعم في الحدور مقصورة ، وان بقعته
لوارفة الظل ، آمنة الحرم والحل ، جنة لو نزع ما في صدور اهلها
من الفل ، وبالجملة فهو تام الغرابة ، مدهام (٢) الغابة ، مستأثر
بسيد من سادات الصحابة ، ولا عيب بترتبه الا وخامة مائها ،
وحيات قلما يعرى من عدوائها . »

وفي فصل من رسالة اخرى له يصف شدة الوباء بها ، وما يذكر
من كثرة عقاربها : « وهذه البلدة الان في ضلال من شرخ الشباب ،
وظلال من ثمرات النخيل والاعناب ، فهي بحال يقر بجمالها
الاندلسي ، ويجارى بين خلالها الدبسي ، ولا عيب فيها الا هواء
وخامته تخاف ، وماء غير من خالصه الماء المضاف ، وليوت المدينة

(١) هو ابو المطرف احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي الذي ترجم له المقرئ في نفع الطبيب

ج ١ - ص ٢٠٠ - ٢٠٣

(٢) في بعض النسخ « مدلهم »

دواجن سيئة الجوار ، سريعة الى القطان والزوار ، كراها تنفيه ،
وسرها تخفيه ، وصلحها لا يطعم أحد فيه ، فقبحت شائلة الاذنان ،
شاملة بالعذاب ، كامنة بارزة ، هامزة لامزة ، تطرق بالبلية ، وتقسم
شرها بين البر والفاجر بالسوية ، دبت عندنا لينة الى من كان يرمق
ديبها ، ويحاول قبل ان تصيبه ان يصيبها ، فأوقعت به لدغا في
القدم ، ولقى أشد الالم ، وبات وبتنا معه في ليلة أخى ذبيان ، (١)
وتعالى الله ما اطول ما كانت واهول ما كان ،

أشار أبو المطرف بقوله في الرسالة السابقة مستاثر بسيد من
سادات الصحابة الى ما يذكره اهل قابس : ان أبا لبابة الانصاري
مدفون ببلدهم وقبره عندهم مزار مشهور ، وبقابس ايضا مسجد
ينسبونه اليه ولم أر احدا من المؤرخين عد أبا لبابة ممن دخل افريقية
من الصحابة فلعله ان ثبت ان قبره هناك ممن اغفل المؤرخون ذكره
منهم ، واسم ابى لبابة بشر بن عبد المنذر ويقال رفاعه بن عبد المنذر ،
وهو ممن شهد العقبة وبدرا ، ويقال بل أمره رسول الله صلى الله
عليه وسلم على المدينة في غزوة بدر ولم يشهدا ، غير ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم أمره ايضا على المدينة في غزوة السويق ، ومات
في خلافة على رضى الله تعالى عنهما ، ولعل قدومه الى افريقية كان
هجرانا لدار قومه بسبب ذنبه الذى اذنبه ، فتاب الله عليه فقال :
يا رسول الله ان من توبتى ان اهجر دار قومي ، وان انخلع من مالى ،

(١) انظر كتاب نوار القلوب للشعالي ص ٥٠٩ باب الليالى المضافة . ليلة النابغة .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجزيك من ذلك الثلث .
واختلف في ذنب ابي لبابة فقيل هو تخلفه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في غزوة تبوك ، فلما غزا النبي صلى الله عليه وسلم ورجع
ندم ابو لبابة فربط نفسه بسارية ، وقال والله لا احل نفسي منها ولا
اذوق طعاما ولا شرابا حتى يتوب الله علي او اموت ، فبعث اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرفه بتوبة الله عليه ، فقال والله لا احل نفسي
حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني ، فجاء النبي
صلى الله عليه وسلم فحله بيده ، فقال : يا رسول الله ان من توبتي
ان اهجرك دار قومي الحديث . وقيل بل ذنبه اشارته الى حلقه لبني
قريظة حلفائه اي انه الذبح ان نزلتم على حكم سعد بن معاذ ، فنزلت
فيه : يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ،
ثم تاب الله عليه . والله اعلم (١)

وانشد ابو الحكم الحسن بن عبد الرحمن بن عذرة في كتابه
الكبير الذي سماه : منتهى السؤل ، في امتداح الرسول ، ، صلى الله
عليه وسلم لابي المطرف ابن عميرة وقد انصرف من قبر ابي لبابة
(كامل)

خَبِرُ الْأَجْبَةِ مَا لَدُّ مَسَاقَهُ وَجَنَى الْقَطِيعَةِ مَا أَمَّرَ مَذَاقَهُ
وَهَوَى الْقُلُوبِ لَهَا عَلَيْهِ شَوَاهِد سَبَقَتْ بِنَاطِقِ حَالِهَا اسْتِنَاطَهُ

(١) الاظهر ان يكون التجاني اخذ ترجمة ابي لبابة الانصاري رضي الله تعالى عنه من اسد
الغابة لابن الاثير انظر ج ٥ - ص ٢٨٤ - ٢٨٥

وأبي المنازل إذ ذكرت عهدها
يعتاده منها جوى بين الحشا
وبيت منها كالسليم وماله
حمل الغرام وما استقل لحمله
ورمت به الاقدار كل تنوفة
قبر تشا كينا الفراق لدينه وال
وموارد حملت أجنة آجن
خفق الجوانح دونه ويرد من
مازلت أقطعها مهامه لم تزل

فتهيج من كلف بها أشواقه
والصدر رقرق دمه وأراقه
أرق إذا مد الظلام رواقه
قبل النوى فالآن كيف أطاقه
لم تأله لجمالها إغراقه
أشهى لنا ان لا نسام فراقه
يلقى بها طعم النوى من ذاقه
أفضى اليه مع الصدى اخفاقه
بالصبر حتى مزقت أخلاقه

حتى وقفت وما أفقت بمنزل

كالظلم في صدري أرى آفاقه (١)

وقبست من شوقي لقياس جذوة

شبت على قلب سواها (٢) شاقه

من بلدة في العين اظلم جوهها مع أنها ما أنكرت اشراقه

قد كان منظرها يروق بعين من يشكو النوى لو أن شيئاً راقه

(١) في بعض النسخ « احداقه »

(٢) في بعض النسخ « سواها »

لكن بقبر أبي لبابة لي هوى مامن هوى في النفس (١) الأفاقه
أمل بنفسي لو ظفرت بتربه فجعلت ائمد ناظري دُقاقه
وتمثل القبر الكريم بمقلتي فدنوتُ منه والتزمت عناقه
فوثاقُ ذنبي أرتجي تفككا كه من فكُ خيرُ العالمين وثاقه
صلى الإلاه على النبي محمد واناله بجواره استحقاقه
وعلى صحابه وعترته التي لزمت (٢) رضاه واقتفت أخلاقه
وقضى لنا من بطئنا في سيرنا يوم الجزاء على الصراط لحاقه
وبشرفى قابس موضع يعرف بالمنارة (٣) كان به منار مرتفع
يظهر للاتى من جهة المشرق قبل وصوله الى البلد بمسافة بعيدة ، وقد
سقط الان فلم يبق له اثر ، وذكر البكرى ان الحداة يحدون عند
قدومهم من مصر الى افريقية فيقولون : (٤) (رجز)

لا نومَ لا نومَ ولا قرارا حتى ارى قابسَ والمنارا

وبداخل المدينة مسجدها الجامع وهو مسجد متسع ، له منار مرتفع ،
قد مال وخرج عن الوزن ، الا انه لصحة موضعه لا يخشى من وقوعه ،
وبمقربة من هذا الجامع قصبة قابس وبها المبنى المشتهر المعروف

(١) في بعض النسخ « للنفس »

(٢) وفي بعض النسخ « امت »

(٣) وفي بعض النسخ « المنار »

(٤) ص ١٧

بالعروسين ، الذي لا يزي مثله ظرفا وحسنا قد استولى الخراب في وقتنا هذا على القسبة وعليه ، والعروسان من بناء بنى جامع الهلاليين الذين كان لهم أمر قابس فطوت ايدي التوحيد (١) آثارهم ، ومحت أخبارهم ، واهل قابس ينسبون بناءه لرشيد بن مدافع بن جامع أحد من تملكها منهم وممدوح أبي محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي بقصيدته التي يقول فيها (٢) (كامل)

أفلا يُحالفني الرشادُ وهمتي قصدت بعزم للامير رشيد

وهو مضموم الرء الا انه وقع في هذا البيت بالفتح ضرورة وقد وقفت في بعض أبواب القصر على اسطر كتبت نقشا في الحجر نصها : « أمر بعمل هذا الباب الامير الشهم رافع ابن امير الامراء مكى بن كامل بن جامع في رجب سنة خمسمائة ، فان كان ما يذكره اهل قابس من ان رشيدا هو الذي ابتناه صحيحا فيكون هذا الباب خاصة هو الذي امر ببنائه رافع بن مكى واخبرني بعض الطلبة من اهلها انه وقف لبعض المؤرخين على ان صنهجة هم الذين ابتدأوا بنيانه وانتهوا به الى قدر ثلثيه فاتمه بنو جامع الهلاليون . ونحن نذكر هاهنا أصل تملك بنى جامع هؤلاء لقابس فهو من شروط هذا الموضع :

(١) وفي بعض النسخ « الموحدين »

(٢) لا يوجد البيت في ديوان ابن حمديس المطبوع

كانت ولاية قابس في ايام الشيعة مترددة في بنى لقمان الكتامين،
وفي بعض امرائهم يقول الشاعر (١) (سريع) :

لولا ابن لقمان حليف الندى سُلَّ على قابس سيف الردى

فلما ملكت الشيعة مصر وانقلبت الدولة الكتامية بافريقية
صنهاجية ، ترددت ولاية قابس في صنهاجة وعبيدهم ، فولياها في اول
الامر بنو عامر ، ثم وليها ابراهيم بن يوسف بن زيري وهو اخو
باديس ، ثم منصور بن ماواس ، ثم توالى بعد في اقوام من برغواطة
ولاهم المعز بن باديس .

فلما اجتازت العرب الى افريقية بتدبير الوزير اليازورى حسبما
شرحناه قبل هذا فتغلبوا على اكثر البلاد والجاؤا المعز الى المهديّة ،
كان والى قابس اذ ذاك المعز بن محمد الصنهاجى وكان اخواه
ابراهيم وقاضى قائدى الاعنة بحضرة المعز بن باديس فعزلهما المعز
ابن باديس عن ذلك لغرض عن له ، ففرا عنه مغاضبين ولحقا بمؤنس
ابن يحيى الهلالى احد العرب القادمين من مصر ، فاكرمها وكساهما
ثيابا وصلت اليه من مصر وسر بقدمهما ، وانصرفا الى قابس فاجتمعا
باخيها فاتفقوا على قطع اسم المعز بن باديس من الخطبة وصرف
الطاعة الى مؤنس بن يحيى فكان ذلك اول تملك العرب لها ، ولحق
المعز بن محمد بمؤنس فكان في صحبته ، واقام ابراهيم واليا على

قابس وهو في طاعة مؤنس الى أن توفي المعز بن باديس وولى بعده ابنه تميم ، ثم مات ابراهيم بقابس فولى بعده أخوه قاضي فقتله أهل قابس غدرا وبعثوا الى عمر بن المعز بن باديس أخى تميم ، وكان مخالفا على أخيه ، فأمرود على أنفسهم وذلك في سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، فلما علم تميم بولاية أخيه تحرك الى قابس وجد في حصارها الى أن افتتحها ، وكان قبل ذلك متراخيا عنها فقيل له في ذلك ، فقال : . لما كان فيها قاضي اخو ابراهيم كان بمنزلة عبد من عبيدى فكان زواله سهلا على متى أردت ولما صار ابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس صار الملك مقسوما وعاد شريكالى فهذا لا يكون أبدا ما دمت حيا ، وفي فتحها يقول الشاعر : (كامل)

ضحك الزمان وكان قدماً عابسا لما فتحت بحد سيفك قابسا

أضدقت عذرتها نكاحاً جائزاً سمر القنا وبواترا وفوارسا

من كان بالبيض القواضب خاطباً حلت له بيض البلاد عرائسا

ثم خالفت قابس بعد ذلك على تميم ورجعت الى طاعة العرب ، واختلف عليها أمراؤهم فوليها منهم مكى بن كامل بن جامع وهو الذى أجاز حمو بن مليل البرغواطى الثائر بصفاقس لما أخرجه منها تميم بن المعز ، وقد ذكرنا ذلك قبل هذا ، ثم وليها بعده ابنه رافع بن مكى وهو الذى كتب اسمه فى عروسيها كما تقدم وتوفى تميم ورافع هذا متولى قابس ، ثم ولى يحيى بن تميم فصالحه وداراه

طول حياته ثم توفي يحيى وولى بعده ابنه على ، فانف من مصالحة رافع .

وكان يحيى يحتل لرافع أمورا منها : أن رافعا أنشأ بساحل قابس سفينة أعدها لما يعرض له في البحر من الامر فلم يبد يحيى انكارا لذلك بل أعانه عليها وامده بما احتاجه اليه فيها، فلما ولى على أنف عن ذلك وكره أن يقاومه أحد من أهل افريقية في اجراء السفن في البحر ، فأنفذ أسطولا الى ساحل قابس لمنع هذه السفينة من الاقلاع وأخذها ان أقلعت ، وعلم بذلك رافع فكتب للجبار صاحب صقلية يسأله الاعانة على على ويخبره أنه انما أنشأ تلك السفينة لبعث هدية يجب أن يهديها اليه ، فبعث لجار الى قابس أسطولا ضخما لنصرة رافع ، فلما بلغ ذلك عليا جمع رجال دولته واستشارهم في ذلك فكلهم أشار عليه باسترجاع أسطوله والتغاضي عن رافع في هذه المسألة حفظا لما بينه وبين لجار من المصالحة ، فرأى على في ذلك وهنا عليه فأمر بقية أسطوله فأخرج للحين (١) ووجهه الى قابس فوجد الروم قد نزلوا من قطعهم لضيافة اعددها رافع لهم ، فلم يرعهم الا وصول الاسطول ، فبادروا الى قطعهم فغلبهم المسلمون على أكثرها وقتلوا منهم جماعة كبيرة، قال أبو الصلت : وسلم من سلم منهم فلاذ بالهرب، وطار من خفة الخوف لا من خفة الطرب (٢) وكان ذلك من

(١) وفي بعض النسخ « في الحين »

(٢) كذا في جل النسخ وفي بعضها « من خيفة الخوف لا من خيفة الطرب »

أشد الأسباب في الوحشة التي وقعت بين جبار وعلى وابنه الحسن
بعده حتى أدت إلى تغلب الروم على المهديّة وانقراض دولة بني مناد
منها ، وفي هذا الفتح يقول محمد بن عبد الله الكاتب يمدح على بن
يحيى من قصيدة ضعيفة النظم : (طويل)

ليهن المعالي أن تملك رِقَّها علي بن يحيى بالحجا والتكرم
جرى وجرى صيد الملوك قبدهم (١) إلى غاية في المجد لم تتقدم
وصتم تصميم الحسام مبادرا لاطفاء نار آذنت بالتضرم
تعدى على الأعلاج في بحر قابس وسار إليهم في الحميس العرمم
فولوا على الأدبار كلاً وأجفلوا بناب نبا عنهم وظفر مقلّم
ولما تم هذا الفتح لعلي دون قبائل العرب ، أعد الاساطيل لمحاصرة
قابس وذلك في سنة احدى عشرة وخمسة مائة فلما بلغ رافعا أرسل
جماعة من وجوه قومه إلى علي راغباً في المصالحة فلم يجبه على اليها
ف رأى أنه ليس له قبل بقتال علي ، فقصده إلى القيروان وكانت تحت
ملك العرب فاتفق بنو عمه علي أن اعطوه اياها ، ففي دخوله اليها
يقول محمد بن بشير من كلمات : (بسيط)

سل رافعا ما الذي أجرى تنصره وهل نفى الذل عنه من به وثقا
لو لم ير الروم أهلاً والصلب أباً لم يشك من عيشه في قابس رنقا

(١) في جميع النسخ « بيزم »

إنفاقك المال في العلاء الحقه بالقيروان التي يعتدها نفقا
أبدت له عزّة (١) للجاهلين به وكان ستره عليه قبل فـانخرقا
لله فملك لا للمال تجمعهم وكيف ذاك وقد شتته مرقا
وكل مال تُشادُ المكرماتُ به أشد ما هو توفيرا إذا محقا
وملك قابس بعد دخول رافع الى القيروان محمد بن رشيد من
بنى جامع أيضا ، وغلب على دولته مولاة يوسف ، واتفق أن خرج
محمد من قابس لحرب عدو له وترك أحد بنيه نائبا عنه فطرده
يوسف مولى ابيه منها واستولى على المدينة وانتسب الى طاعة لجار ،
فقام عليه أهل قابس ودفعوه الى العرب فعذبوه عذابا شديدا وقطعوا
مذاكر لانهم نسبوه للتعرض لحرم مولاة ، وكان ليوسف أخ
اسمه عيسى ففر الى صقلية مستنصرا بطاغيته وزعم له أن أخاه انما
صنع به ما صنع لانه منتسب الى طاعته ، فخرج لجار أسطوله لحصار
قابس فحاصرها مدة ثم رجع ، وكان آخر من ملكها من بنى جامع
مدافع بن رشيد بن مدافع بن كامل بن جامع ومن يده أخذها
الموحدون ، وقد كان عبد المؤمن بن علي لأطفه واستدعاه بأشعار
خاطبه بها وتلوم عليه فامتنع من جوابه ثم رُصل الى حصار المهديّة
حسبما يأتي به الذكر بعد هذا في آخر التقييد ان شاء الله تعالى ، أنفذ

(١) في بعض النسخ « عزّة » وفي بعضها « غرة » ولعل الصواب « عمرة »

اليه عسكرياً قائده ابنه عبد الله ، فلما علم مدافع باقباله جمع أهله وعشيرته ومن انحاش اليه وفر ، ولقيه عسكري عبد الله فاتبعته شزيمة منه فواقفهم ساعة ثم انهزم ، وقتل جماعة من أهله وعشيرته ، وملك الموحدون قابس ، وتوغل مدافع في الهرب فاستجار بأعراب طرابلس فأجاروه ، وكان شاعراً حافظاً للسيرة والاختيار عالماً بالانساب فلما أتى عليه عامان طريداً شريداً استشار عشيرته في اللحاق بعبد المؤمن فأشاروا عليه بذلك فسار اليه فلقيه بمدينة قابس فرضى عنه وأسكنه هنالك فتوفى بها وقد ناهز التسعين وكان له أيام ملكه وزير يعترف بسلام بن فرحان بذل نفسه دونه يوم خروجهم من قابس وقاتل عنه الى أن قتل ، وأنشد له العماد الاصبهاني في الخريدة في مدح مدافع المذكور (بسيط) :

مازلتُ أفري أديم الأرض منفرداً أطوي المفاوز غيطانا وآكاماً
حتى حطت رحالي في ذرى ملكٍ غير المواهب للقصاد بساماً
بشيراً (١) مدافع ان الله خوله سبدا ينال به ككل الذي رانا
قم فافتح الأرض فالأملاك كلهم سواك أضحووا عن العلياء نؤاما
وأنشد له من ابيات ذكر انه قالها يوم قتله (كامل)

أَكْذَا أَمُوتُ وَمَا بَلَّغْتَ مَرَادِي بَيْنَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا المِيَّادِ

(١) وفي بعض النسخ « حتى »

حيث العيون لوامح وطوامح ما بين أحباب وبين أعادي
وذكر صاحب « الحريدة » أيضا أن أبا ساكن عامر بن محمد بن
مكي بن كامل بن جامع خلص يوم خروجهم واتصل به الفرار
الى دمشق فاستوطنها وقال يذكر ايامهم بقابس (سريع) :

يا جارِ طرفي غيرُ هاجعٍ والدمع من عيني هامعٍ

ولقد أرقّتُ مُسامرا نجما بدا في الشرق طالع

متدكيرا بصروف ده سرأصبحت فينا قواطع

إني من الشّم الألى شادوا العلى أبناء جامع

أهل المراتب والكتا ثب والمواهب والصنائع

يتساقون إلى المعا لي كلهم فيها مسارع

ولقد ملكنا قابسا بالمشرفيات القواطع

تسعين عاما لم يكن فيها لنا أحد منازع

وجنابنا للمعتف من بزهرة المعروف يانع

وإذا شهدنا مجما يومئى إلينا بالأصابع

عثت بنا أيدي الزما ن وأحدثت فينا البدائم

وذكر أن ابنه ساكن بن عامر ورد أيضا الى دمشق وكان

موجودا سنة احدى وتسعين وخسمائة وأنشد له (طويل) :

إذا عز من أهوى أغض له طرفي
وأخفي الذي بي من سقام ومن ضعف
وأكتم عن سرّي هواه صيانة
ولو كان في كتمانها أبدأ حنفي
مخافة أن يشكو فؤادي صابتي
إلى مقتلي يوما فتبدي الذي أخفي

وتغلب على قابس بعد خلوصها للموحدين شرف الدين قراقوش
الارمني ميلوك الملك المظفر تقي الدين بن شاهنشاه بن أيوب بن
شادي ابن أخي السلطان صلاح الدين ، وكانت بينه وبين علي بن
اسحاق الميورقي مهادنة ومصالحة وكانا يجتمعان في أكثر حروبهما
ويقيمان الدعوة العباسية في هذه الجهات ، وسندكر سبب وصوله
الى هذه البلاد باثر الفراغ من خبري هذا ان شاء الله تعالى ، فتحرك
اليها المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فكانت له عليها
الوقعة المعروفة « بوقعة الحامة » ، وذلك في سنة ثلاث وثمانين ، وسيأتي
خبر هذه الوقعة عند الكلام على الحامة ان شاء الله تعالى ، وفر قراقوش
والميورقي فدخلا الى صحراء توزر ورجع المنصور الى قابس
فاستسلموا له وفتحوا أبوابها وسلموا له تباع قراقوش وشيعته ، وقد
كان أعدها حصنا وشحنها بأهله وأتباعه وامتنع أهله بقصر

العروسين منها يومين ثم نزلوا الى المنصور راغبين فى الامان فبعث بهم فى البحر الى حضرة تونس ثم رفعوا بعد الى مراکش والى المغرب ، فأظهر قراقوش الانابة وهاجر الى الموحدين وذلك فى سنة ست وثمانين ، وقد مات على بن اسحاق الميورقى وولى اخوه يحيى فاجتمع قراقوش بتونس بالسيد أبى زيد ابن السيد أبى حفص وهو اذ ذاك الوالى عليها من قبل المنصور فاقام بها زمنا تحت كرامته ، ثم انصرف فارا عنه فرجع الى قابس وخادع أهلها حتى دخلها فقتل جماعة منهم وأظهر الرجوع على الانابة واستدعى اشياخ العرب الدبائين فقتل أعيانهم بقابس ، ومن جملة من قتل منهم محمود بن طوق بن بقية واليه تنسب المحميد ، وحמיד بن جارية وهو أبو الجوارى فى سبعين من كبارهم وذلك بداخل قصر العروسين منها فى موضع منه معلوم الى الان .

وأخبرنى أبو صيرة مسعد بن الازرق الضريسى أن الدعى ابن أبى عباره لما تغلب على قابس سنة اثنين وثمانين وستمئة أمر بحفر ذلك الموضع لبناء أحب احداثه هنالك ، قال : فوافق الحفر موضع دفنهم فرفعوا منه بين أيدينا نيفا وستين رأسا فأمر الدعى بنقلها الى غير ذلك الموضع فدفنت به ، ثم توجه قراقوش بعد افتتاحه الى طرابلس ، وقد كانت بايعته أول اقباله وانتقضت عليه فحصلت طرابلس وقاس تحت ايلته ، ووقع بينه وبين يحيى بن اسحاق الميورقى

تغير والميورقي اذ ذاك ببلاد الجريد ، فسار الميورقي اليه الى طرابلس
وخرج قراقوش للقائه فالتقيا بخارجها فانكسر قراقوش وفر الى
جبالها ولم يدخل الى البلد خوفا من الحصار ، وكان من حصار
الميورقي لطرابلس واستيلائه عليها ما يذكر عند ذكر طرابلس ان
شاء الله تعالى .

ثم اخذ الميورقي أيضا في الحركة الى قابس وكان نائب
قراقوش خرج منها لما انهزم قراقوش ووجه اليها الشيخ ابو سعيد
ابن ابي حفص بن تونس حافظا من الموحدين يعرف بابن تافراجين ،
فتحرك الميورقي اليها ووصل الى المنزل المعروف بزريق - الزاي
متقدمة على الراي - وسياتي ذكره بعد هذا ان شاء الله تعالى ، وكتب
الى اهل قابس يندرهم ويحذرهم ومن بعض فصول كتبه في ذلك :
، ولما عزمنا على قرع بابكم ، والحلول بجنابكم ، رأينا تقديم
الانذار اليكم ، وايراد النصيحة عليكم ، والكف عنكم ثلاثة ايام لا
تمد لكم فيها يد ، ولا يتقدم اليكم بالاضرار أحد ، لنعلم ما عندكم ،
ونتبين غيكم أو رشدكم ، فان آثرتم الطاعة ، وتبعتم الجماعة ، مددنا
لكم اكناف العدل ، واتبعنا فيكم كريم القول وصحيح الفعل ،
وان أبيتتم الا خلافا فقد أبلغنا النفس عدرا ، وأتيننا بالتبري من
أمركم برا ، ولا تغتروا بأهل طرابلس فلو كان لهم سواد يقطع ،

أو مياه تصد (١) وتمنع ، لجروا الى الطاعة ، وحملوا انفسهم منها فوق الاستطاعة ،

فلما انقضى أجله الذي حد ولم ير منهم اجابة ، ولا آنس منهم انابة ، زحف اليها بجموعه فحاصرها حصارا شديدا وقطع جميع غابتها ، فيقال انه لم يبق منها الا نخلة واحدة تركها عبرة لهم ، فأناجوا له بعد أن اشترطوا عليه مسالمة واليهم ابن تافراجين وأن يتوجه بأهله وماله في البحر ، فاشترط لهم ذلك ووفى به وأغرهمهم ستين الف دينار عقوبة لهم . وقد وصف ذلك كله كاتبه أبو محمد عبد البر بن فرسان (٢) في كتاب كتبه عنه لاهل طرابلس وهي اذ ذاك في طاعته مبشرا بافتاحه لقابس ، ونقلت هذا الكتاب بطرابلس من خط شيخنا الفقيه ابي فارس عبد العزيز بن عبيد العظيم بن عبيد يقول في بعض فصوله ، الحمد لله الذي أعاض من النصب راحه ، وأضاء باسراق الدعوة (٣) العباسية جهة من هذه المدينة كانت مظالمة وساحه ، بعد حاجة شيطانها ، ومكابدة قطانها ، وتضييق أعطانها ، بمجانيق مسامته (٤) لمبانيها ، على توانيها ، لا تبلى أهلها ريقا ، ولا تجد لهم (٥) للمدافعة طريقا ، فريقا ترهب على البعد وتقتل فريقا ،

(١) في بعض النسخ « تصدع »
(٢) ترجمته في كتاب « تحفة القادم » لابن الأبار - مخطوط بالإسكوريال وفي خريدة القصر -
للأصفهاني - مخطوط - بالمكتبة الزيتونية
(٣) في بعض النسخ « الدولة »
(٤) في بعض النسخ « مسامية »
(٥) في بعض النسخ « ولا تجدهم » ولعل الصواب « ولا تخذلهم »

و كنا قبل وضع تاجها ، و خلع رتاجها ، و كسر مهابتها ، و التوغل
فى غابتها ، خاطبنا جمهورهم ، و استنزلنا معوزهم للطاعة و مغبورهم
رغبة فى الابقاء عليهم ، و انذارا لم يكن بد من تقديمه اليهم ، فرفعوا
عراءهم ، و ركبوا اهواءهم ، و استنهضوا غويهم فنصب للشقاوة
لواءهم ، و كان فيها من رجال الدرق ، و رماة الحدق ، غثيا أسندوا
اليهم ظهورهم فانقصت ، و تمسكوا بعراهم فانقصت ، و غرغاء
استنفروها من الجبال ركدوا بعد الهبوب ، و عرفوا سموم تلك
الجنوب .

و من فصول هذا الكتاب : « فاخذهم هول الحصار ، و أحاطت
الحيام بالاسوار ، حتى كانت المدينة معها كالزند فى ضمن السوار ،
و كالعنق تحت محيط الازرار ، (١) و كالمركز للفلك الدوار ، و كما
لاحت فى هالتها اجسام الاقمار ، لا ينسون الا على اذن واعية ،
ولا يتسللون الا على عين مراعية ، فضجوا من ثلاث ، ساقتهم الى
التشجب سوق احتثات ، بعد القسوة ، و انصداع عصى الاسوة ،
و العجز عن حماية الثغر و الاولاد و النسوة ، ولما سقط فى ايديهم
و لم يجدوا راحما يعصمهم ممن يؤذيهم ، سئدوا للطاعة طريقه ،
و تظاهروا بها مجازا او حقيقه ، فقبلت على حكم التسليم و التفويض ،
و القيام بعبء وظيفه المال و النهوض ، و انتقلوا من الحرم الى الحل ،
و من الحرور الى الظل ، و قصر عن العدو حد السيف المثل ، و تفقدوا

(١) و فى بعض النسخ « الازار »

سوادهم فوجدوه طامس الاثار ، مجتث الاشجار ، مفور المياه
الغزار ، لا منورا أبقت الايدي منه ولا مشورا ، يقول ناظره
متعجبا ومعتبرا ، وكان الله على كل شيء مقتدرا .

وفي فصل منه : « واذا تقرر على الشرط حكم الاصطلاح ، ووجد
المسترزق منهم والمتطوع من ملابس السلاح ، وحمل غويهم
المؤمن في نفسه وأهله مع من اختار صحبته من جنده الحاسر على
ذات الدر والالواح ، فرضنا عليهم مائة الف دينار عددا ، لم
نفسح لهم في اقتضائها أمدا ، فعجزوا واستكانوا ، وتضاءلوا بذلك
كأنهم غير الدين كانوا ، فوسعهم التفتات ديني ، ونظر على الرحمة
مبنى ، خفف المتون ، فاضحت المائة وهي ستون ، وهم في شأنها
مفيضون ، وعما عداها معرضون ، فخطبناكم بهذا الفتح ، الذي
أشرقت من جانبيه شمس النجح ، لتأخذوا من المسرة بحظ من تين
لعينه تبلج الصبح ، فقد تقرر لدينا ما تعتقدون من الاعتماد علينا
والاقتصار ، ومزيد النظر كل حين في احكام الطاعة والاستبصار ،
ما عضد خبره بالاختبار ، ولم يرتفع منه الايما وقع بالموافقة وجاء
على الاختيار . » وتاريخ الكتاب العشر الاخير من رمضان سنة احدى
وتسعين .

وفي هذا الفتح والتخفيف على أهل قابس فيما طلبوا به يقول أبو
محمد عبد البر بن فرسان المذكور ، وزعم ابن نخيل في تاريخه أن
عبد البر قال هذه القصيدة عند فتح طرابلس وليس كما زعم : (طويل)

أجل أنه النصر المهنا والفتح طواه الدجى وقتا ويته الصبح
عصوا ثم جاءوا طائمين امامهم عماية غتي كان آخرها النجح
هدوا للهدى بعد اقتحام مضلة بأوجههم من منح ضرائها لفتح
عموا عن سبيل الرشديت أبصروا وقد كان نشوان الضلالة لا يصحو
وفاءوا على حين اقتراح سمائهم الى غرة قد كان منهم بها قرح
أجالوا قداح الرأي أثناء عزمهم فحين أنابوا فاز بالأمل القدح
وما اذعنوا للشرط حتى أراهم ردى فهم في كل حرب لهم بريح
فما ورئت منهم زناد استكانة

من الشر حتى حك في ستمها (١) القدح
جثوا لقبول العفو في مجلس الرضا على بذل مال بان عنهم به الشح
فأوسفتهم عفوا وخفت عنهم من المال ما لولاه أدهم القدح
وهبت الذي لو ضن غيرك أنه يفوز به لم ينجهم عندها الصلح
وما المال إلا للنفس وقاية خسارته في جنب ما يتقى ربح
تقود الجيوش الدهر (٢) برا وجة فقي سبب وخد وفي لجة سنج
تنازل من عاداك في عقر داره فتزله لو كان منزله الصرح

(١) في نسخة « في مسه »
(٢) وفي نسخة « الدهم »

وتضرب بالحق الصحيح كلى العدى اذا كان حظ البطل من غيرك الجرح
وتطلع فجر العدل في مشرق الهدى اذا امتد من ليل اعتداء العدى جنح
وتسرد من آي العلى سوراً لها براهين لا يخفى لها ابداً شرح
تقوم لها في المكرمات دلائل كما قام عن مستودع الروضة النفع
فلا زلت فتاح البلاد مهدياً جوانبها ما التاح من بارق لمنح
ودان لك الداني وقص من الذي قصاً طاغياً ريش وحم له ذبح
وبقيت قابس في حكم الميورقي الى أن وصل الناصر الى افريقية
في سنة احدى وستمئة فاستنقذ من يده قابس وغيرها ، وتردد
عليها حفاظ الموحدين من قبل الناصر مدة اقامته بافريقية ومن قبل
الشيخ أبى محمد بن أبى حفص بعد انفصال الناصر وهلم جرا ، وفي
اثرهم استقر قراقوش بودان فتوجه الميورقي اليه بمن استصحب
معه من العرب الدبائين الموتورين من قبل قراقوش فحصره بها
الى أن فنى طعامه وأعطى بيده سلباً واشترط على العرب أن يقتلوه
قبل قتل ولده وكان شديد المحبة له فلما خرج هو وولده اليهم قال
له الولد: يا أبت الى أين يروحوا (١) بنا ، فقال: الى حيث رحنا بأبائهم ،
فقتلوه وقتلوا ولده بعده وصلبه الميورقي بظاهر ودان وذلك في
سنة تسع وستمئة ، وهذا الاخير (٢) من صفة موت قراقوش هو

(١) كذا في جميع النسخ
(٢) وفي بعض النسخ « وهذا الذى ذكرته اخيراً »

ما تلقيته من أفواه العرب الدبائين وهم يزعمون أنهم أخذوا ذلك عن آبائهم عن حضر ذلك من أجدادهم ، وترك قراقوش ولدا آخر اشتهر أمره بعد مدة وكان شجاعا كريما حسن الصورة جدا تميل العيون الى شخصه والاسماع الى ذكره ، ورتبه الخليفة المستنصر بالحضرة في أجناده ، قدمه لطائفة منهم ، فحدثه نفسه بالثيارة وأراد أن ينسج على منوال أبيه فهرب بجمع من أصحابه ولحق ببلاد ودان حيث قتل أبوه وأشعل تلك البلاد نارا فأنفذ اليه ملك الكانم من قتله وأراح تلك البلاد من فتنه وحمل رأسه الى بلاده فطيف به فيها وذلك في سنة ست وخمسين ، وقد كان البطالون من الاجناد بالحضرة قد اشتغلوا بذكره ، واكثروا الخوض في أمره وقد كنا وعدنا بذكر السبب في وصول قراقوش الى هذه البلاد ونحن الان نذكر ذلك (١) :

كان صلاح الدين يوسف بن أيوب انما ملك هو وعمه أسد الدين شركوه بجيش نور الدين محمود بن زنكي وقوة سلطانه ، وهما في ذلك من جملة أمرائه وأعوانه ، وبعد استيلائه على مصر وموت أسد الدين حدثت بين صلاح الدين ونور الدين وحشة خاف بسببها صلاح الدين أن يتحرك نور الدين على مصر ويستولى عليها فاحتاط لنفسه وبني على الأندفاع أمامه ان وصل ، وذلك في سنة ثمان وستين وخمسمائة ، فانقسم أمره بين بلاد اليمن وبلاد

المغرب فقال له أخوه تورانشاه بن أيوب أنا أتوجه الى اليمن وأستفتحها وأعيدها (١) لك ان احتجت اليها، فتجهز اليها في السنة المذكورة وافتحها في السنة التي بعدها وبعي سنة تسع وستين ، وقال له الملك المظفر تقي الدين ابن أخيه شاهنشاه ابن أيوب أنا أتوجه الى المغرب فأفعل مثل ذلك فاشتغل تقي الدين بالنظر في حركته ثم انه زهد في بلاد المغرب وعرف ما بينه وبين افريقية من العربان والمهالك فاستغنى من ذلك .

وكان سرى خبر تغريبه الى جمع من جنود وخواصه فاشربوا لذلك وبنوا عليه فلما امتنع تقي الدين من التغريب فر بطائفة منهم مملوكه قراقوش الارمني وبطائفة أخرى منهم ابراهيم بن قراتكين (٢) سلاح دار المعظمى وهو منسوب الى الملك المعظم شمس الدولة أخى صلاح الدين ، وكان في اجناد تقي الدين ، فجاز المذكوران بمن معهما الى المغرب ، ولما جاوزا العقبة رأيا أن يفرقا لينفرد كل واحد منهما بما قدر له من الملك واثرائة فصار قراقوش الى سترية فافتتحها وخطب فيها للسلطان صلاح الدين ولاستاذه تقي الدين بعده وكتب اليهما بذلك وافتتح زلة (٣) وأوجلة وأزال من بلاد فزان دولة « بنى خطاب » الهواريين وكانت قاعدة ملكهم زويلة وهي المعروفة بزويلة بنى الخطاب وعذب ملكها محمد بن

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « اعدتها »

(٢) في نسخة « قراتكين »

(٣) في بعض النسخ زويلة وهو غلط والظاهر ان تلك المدينة هي والتي سماها البكرى زلهي (ص ١٢) ش. واحد

خطاب بن عبد الله بن زنفل بن خطاب آخر ملوكهم على المال حتى هلك وخطب فيها لصالح الدين ولتقى الدين .

ولم يزل على هذه الطريقة يفتح البلاد ويخطب فيها لمن ذكر الى أن وصل الى طرابلس فاجتمع عليه الدبايون ونهضوا معه الى جبل نفوسة فاستولى عليه واستخلص منه أموالا عظيمة أرضى بها العرب، وكان من الاتفاق أن مسعود بن رمان (١) أمير الرياحين خالف في ذلك الزمان على بنى عبد المؤمن وفر أمامهم فوصل الى هذه البلاد فكان تارة يكون مع زغب وتارة يكون مع دباب ، فلما سمع بوصول قراقوش ومن معه من رماة الغز سر بهم وتوجه بمن معه من أبطال الرياحين اليه فحصر قراقوش بهم طرابلس وصادف بلادا لم تتوقع نائرا ولا مخالفا فهي خالية من الاجناد ومن العدد والاقوات ، فاستولى عليها فعظم اذ ذلك أمره ، وتوقع من بتونس وغيرها شره ، ووصلت اليه العربان من كل مكان فاحتيج الى تكليف الرعية فوق طاقتهم فأبغضه الناس بعد ما كانت القلوب كلها قد مالت اليه ، وأقبلت عليه ، وقد ذكرنا في هذا التقييد من أفعاله الشنيعة ومخالفته على بنى عبد المؤمن وتلاعبه بالمهاجرة اليهم مرة والفرار عنهم أخرى ودوام ذلك نحو من أربعين عاما الى أن قتله الميورقي . ما وسعه الذكر واحتمله هذا التقييد بحول الله تعالى .

(١) في بعض النسخ « بن رمان » وعند ابن خلدون « ابن زمام »

وأما إبراهيم بن قراتكين فإنه سار بجمعه ووقع في خاطره
المهاجرة الى بنى عبد المؤمن والركوب عندهم فصدده أشياخ العرب
المخالفون عليهم عن ذلك وحملوه على الانفراد وطلب الرئاسة
وساروا معه الى قفصة فاستولى على جميع منازلها وأرسل الى « بنى
الزند ، (١) رؤساء قفصة فمكنوه من البلاد لانحرافهم عن بنى عبد
المؤمن وجههم في الخطبة العباسية التي ألفوها ، فدخلها إبراهيم
فخطب فيها للخليفة العباسي ثم لصلاح الدين ، وقدر أن كان قتل
إبراهيم المذكور وجملة من أجناده بعد ذلك على يد المنصور
يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن في قفصة حسبما نشرحه ان وجدنا
محلا لذكر ذلك ان شاء الله تعالى .

وكان يقال لقراقوش المظفرى لانه مملوك الملك المظفر والناصرى
لانه كان يخطب للملك الناصر صلاح الدين وكذلك كان يكتب
في ظهائره . وقفت على ظهير بتوسيع (٢) أملاك لبعض أهل
طرابلس سمي فيه نفسه « قراقوش الناصرى ولى أمر المؤمنين ، بسكون
الميم في لفظ أمر وكتب علامة الظهير بخطه ، وثقت بالله وحده ،
وتاريخ الظهير عام تسع وسبعين ، وكان الميورقى يكتب العلامة
في كتبه ، وثقت بالله وحده ، ويجعلها في أسفل الرقم .
ومما كتب به الميورقى الى العرب يذكرهم الرحم التي بينه

(١) كذا اثبت ابن خلدون وفي بعض النسخ التي بأيدينا « بنى الزند »

(٢) وفي بعض النسخ « بتسويغ »

وبينهم لانه واياهم من سليم ويعيرهم انقيادهم لقراقوش
ويستدعيهم للوصول لحضرته (بسيط) :

يا أيها الراكب الساري لطيته على عذافرة تشقى بها الأكف
بلِّغ سليما على بعد المزار لها يني وينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إن خمدت واستمسكوا بعري الايمان واعتصموا
يقودهم أرمني لا خلاق له كأنه فيهم من جهلهم علم
الله يعلم أنني ما دعوتكم دعاء ذي ترة يوماً فيتقم
ولا لجأت لامر يستعان به من الامور وهذا (١) الحق قد علموا
لكن لأمر رسول الله عن رحم يني إليه وترعى تلکم الذمم
فإن أتيتم فجل الود متصل وإن أيتم فعند السيف نحكم

واعلم أن ما (٢) ذكرناه من معالم هذه البلدة المنار ، وقد وصفناه
أولاً ، وعين سلام على المشهور في لفظها أنها باللام ، وقصر العروسين
قد وافقت قابس في جميع هذه الاسماء القلعة المعروفة بقلعة بنى
حماد فاشتملت على معالم تسمى بجميع ذلك ، فالعروسان بالقلعة مبنى
بناه الناصر بن علناس بن حماد ، والمنار مبنى مطل عليها بناه المنصور
ابن الناصر وعين سلام عين بالوادي المعروف بوادي جراوة وهو

(١) كذا في جميع النسخ

(٢) وفي بعض النسخ « ما »

من نواحي القلعة ، وحيشا ورد شيء من هذه الاسماء. في شعر أبي
عبد الله محمد بن علي بن حماد (١) فانما يعني مباني القلعة فانه كان
معنيا بئدب تلك المعاهد كقوله من أبيات : (بسيط)

أين العروسان لا رسم ولا طلل وأين ما شاد منه القادة الأول
ومجلس النوم (٢) قد هب الزمان له بحدث قل فيه الحادث الجلل
وما رسوم المنار الآن ماثلة لكنها خبر (٣) يجري بها المثل
وكقوله من أخرى : (طويل)

الا ليت شعري هل أيتن ليلة بوادي الجوى ما بين تلك الجداول
وهل أسمعن تلك الطيور غديّة تجاوب في تلك الفصون الموائل
وهل أريدن عين السلام على الصدى فأبرد من حرّ الضلوع النواهل
وانظر طيقان المنار مطلة على الوججات الزاهرات الحمائل
كأن القباب المشرقات بأفقه نجوم تبثت في سود المنازل
فإن ننت الأيأم عنها أعنتي وانزلني في غير تلك المنازل
فصبر جميل غير أن صابتي ستبقى بقاء الطالعات الاوافل

(١) هو ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابي بكر الصنهاجي صاحب النيد
المحتاجة في اخبار صنهاجة بانريقية وبجاية توفي عام ٦٢٨ انظر ال عنوان الدراية
للغبريني ص ١٢٨ - ١٢٩

(٢) وفي بعض النسخ « القسوم »

(٣) وفي بعض النسخ « نيد »

وقال من ابيات أخرى : (وافر)

على عين السلام سلام صب غذاه ماؤها العذب النير
تأود أيكها وجرت صباها وشمألها كما فتق العبير
وأبرد ما يكون الماء (١) فيها وأندي حين يحتدم الهجير
وما ادري أيجري فوق در أم ابتست بمنبعها الثغور
وقد قام المنار (٢) على ذراها كما قام العروس أو الأمير
بنا يزدرى إيوان كسرى لديه والخورنق والسدير

فأقمنا بظاهر قابس بعد يوم الوصول إليها أربعة أيام آخرها يوم
الجمعة السادس عشر من شهر التاريخ ووصل الى في أثناء اقامتنا
بها كتب من الوالد حفظه الله صدره بقوله (بسيط)

حملتم القلب إذ جد الرحيل بكم من الصباية ما لا تخمل الإبل
فأو سلكتم سيل العزم ما عجزت إذ ذاك مني على دفع النوى الحيل
لكن عراني ذهول يوم ينكم كما يكابد من أحبابه رحلوا
فأله يجمع من الشمل عن عجل فالخير أجل ما في نيله العجل
وانقلنا عن قابس يوم السبت السابع عشر منه ففارقنا بفارقتها

(١) وفي بعض النسخ « الجو » وهو اظهر حيث لا يحسن ان بوصف الماء بالندى وهو من
الاعراض اللازمة بجوهره
(٢) في بعض النسخ « المقام »

أرض النوائل واجتزنا في أرض اخوتهم الوشاحين ثم في أرض
المحاميد منهم والوشاحيون من كانت عليه ولادة لوشاح بن عامر
وقد قدمنا أن وشاحا ونائلا أخوان ورفعنا نسب نائل وفي وشاح
ابن عامر يقول الشاعر (طويل) :

صنعت صنيعا ضاع في نجل عامر كما ضاع في الاصنام وادي زُرُودِ

ووادي زرود في قبة القيروان بينها وبينه أميال يسيرة واصله

من موضع يعرف بفران بضم الفاء وتخفيف الراء وهذا الوادي يمر

في طريقه على مزارع تسقى منه ويتفجع به فيها فاذا انتهى الى

الاصنام وهو موضع في جوف القيروان انتشر في سبغة هنالك

متسعة ضاع ماؤه فلم يتفجع به فأشار هذا الشاعر الى هذا .

ورئاسة الوشاحين الان محصورة في قبيلتي الجوارى والمحاميد

وما عدا هاتين القبيلتين من بنى وشاح كالعمور والجواوبة يضاف

اليهما وهما قبيلتان متكافئتان في العدد والقوة فهما تقص من

احدهما فارس بموت أو غيره تقص من الاخرى نظيره ، عادة

أجراها الله تعالى بينهم فتجد احدى الطائفتين اذا مات واحد من

الاخرى يتوقعون موت مقابله منهم فيقع ذلك عن قريب ، ورئاسة

المحاميد في بنى رحاب منهم ، وهو رحاب بن محمود بن طوق بن

بقية بن وشاح ، وسيأتى ذكر الجوارى بعد هذا حيث يتعين ذكرهم

ان شاء الله تعالى

وكان نزولنا في هذا اليوم بظاهر كتانة وهي قرية صغيرة ملتفة الشجر حسنة المنظر كأنها بستان واحد خضرة ونضرة وعمامة شجرها الزيتون ، وكان غرسه بها أيام ولاية الامير أبي زكرياء على قابس سنة أربع وعشرين ، ولاهلها قصر كبير ياوون اليه وبها عين فوارة عذبة قد اجتمعت منها بركة ماء متسعة تلاصق سور القصر من جهة غربيه، وتخرج مذائب ومسارب تخرق الغابة فتعمها بالسقى . ومنها يوم الاحد الى الزارات وهي قرية ذات نخل كثير وماء غزير ينبع من عين حثة وقد اجتمعت لدى منبعها أيضا بركة ماء متسعة القطر بعيدة القعر

ومن هذه القرية كان الابتداء بسلوك منازل البربر المستسكين بمذهب الخوارج المستحلين لدماء المسلمين وأموالهم ، وهذا المذهب هو الغالب على جميع البقاع التي بين قابس وطرابلس وخصوصا أهل الساحل منهم ، فهم بهذا المذهب المذموم يتقربون بيوع من يمر بهم من المسلمين للروم فتجد الناس لاجل ذلك يتحامون الانفراد في قراهم ويتجنبون ايواهم وقراهم ، وهم من بقايا الشرذمة الضالة التي قام بها أبو يزيد مخلد بن كيداد في افريقية فانه لما أظفر الله به وأراح منه البلاد والعباد تفرقت أتباعه في الاقطار فسكنت هذه الشرذمة بهذه المواضع ، وسكنت طائفة اخرى بجبال بجاية وقسنطينة وما والاها الى بونة ، ومالت طائفة أخرى الى بلاد الجريد فاستوطنت

نقطة ونفزاوة وما والاها من البلاد ، وسنذكر كثيرا من معتقداتهم وتصرفاتهم في عبادتهم عند ذكر جربة وزوارة فيما ياتي بحول الله تعالى .

ومنها يوم الجمعة الى وادي مجسر وهذا الوادي أصل مائه من الجبل المتصل من المغرب الى المشرق في جهة الجنوب وسنذكره بعد ان شاء الله تعالى ، ينحدر ماؤه فيجتمع عند جبل صغير يعرف برأس تاجرا على نحو خمسة عشر ميلا منه حيث أوقع الشيخ أبو محمد بالميورقي وقعته المشهورة التي استأصل فيها أكثر أجناده ، وروى من دمائهم المراقبة ظماء جواده ، وهي الوقيعة المعروفة بوقية تاجرا تضاف الى هذا الموضع ، وكانت سنة اثنين وستمائة ، ثم يفرق من تاجرا واديان ينتهيان الى البحر أحدهما هذا الوادي وهو وادي مجسر والآخر الوادي الاعلى الى جهة المشرق وهو المعروف بـ وادي الفجاء (١) فلا بد لكل سالك بين تاجرا والبحر من قطع هذين الواديين ، ووادي مجسر منهما معروف بكثرة الاسود وهي موصوفة بشدة الاسر ، وقوة القسر ، وقد كان بنى في الوسط من هذا الوادي مشاريع فأجلت الاسود ناسها ، وأكثرت فيهم افتراسها ، ففارقوا مغناها ، (٢) ولم يستطيعوا لاجل ذلك سكنها ، وهذا الوادي ما كان من أرضه منخفضا كان الماء به دائما لانه يعود بطبع الارض

(١) وفي بعض النسخ « وادي الفجاء »

(٢) وفي بعض النسخ « مقتناها »

ملحا أجاجا ولا سيما ما قرب من البحر ، وتوجد فيه أنواع من الجوت مستطابة وما كان منه مرتفعا لم يكن به ماء الا حين حمله عند نزول الامطار وتنت به غابة مشتبكة من الاثل (١) والطرفاء .

وكان هذا المنزل الذي نزلنا به من المواضع المرتفعة فلم يكن به اذ ذاك ماء فبتنا به تلك الليلة ، ثم انتقلنا عنه يوم الثلاثاء فنزلنا بساحل المجاز المعروف بمجاز الجرف وبقيت منه جزيرة جربة ظاهرة بين ايدينا ، وعرض هذا المجاز من الجرف الى ساحل الجزيرة أربعة أميال ، فباتت المحلة على الجرف تلك الليلة ولما أصبحنا من الغد وهو يوم الاربعاء الحادى والعشرين منه شرع الناس فى الجواز الى جزيرة جربة وقد أعدت لهم السفن لذلك فاجتازنا نحن أولا وأقمنا بساحلها من داخلها بموضع منها يسمى بساحل آجيم بمد الالف وتشديد الجيم تنتظر أن يستوفى الناس أشغالهم ، وان يجيزوا خيلهم وأثقالهم الى أن استوفى ذلك ، وتوافقى (٢) جميعهم هنالك ، وزرت بهذا الموضع الذى أقمنا به مسجدا هناك مباركاً يذكر أن الامام المهدي رحمه الله سكن به أول جوازه الى المشرق فانه كان دخل فى رحلته الى هذه الجزيرة

وجزيرة جربة من أعظم الجزائر خطرا ، وأشهرها فى سالف الزمن عمارة وذكرها ، وطولها من المغرب الى المشرق ستون ميلا

(١) وفى بعض النسخ « من الالباء »

(٢) وفى بعض النسخ « ووفى »

كذا ذكر الشريف في كتابه المؤلف للجار (١) ، وأما عرضها فمختلف
فعرض الرأس الغربى منها عشرون ميلا وهو الطرف الواسع ومن
هذا الموضع الى جزيرة قرقنة فى البحر ستون ميلا و عرض الرأس
الشرقى منها خمسة عشر ميلا وهو أضيق مكان بها ، وهى ارض
كريمة المزارع ، عذبة المزارع ، وأكثر شجرها النخيل والزيتون
والعنب والتين وبها أصناف كثيرة من سائر الفواكه الا ان هذه هى
أكثر ثمرها وعليها مدار غلاتها ، وغيرها من كرائم الارضين لا
يقاربها على الجملة فى ثمارها أو يساويها ، وتفاحها لا يوجد فى جميع
بقاع الارض له نظير لا يوجد بها منه صفاً وجفافاً وطيب مذاق ،
وعطارة استنشاق ، ورائحته توجد من المسافة المديدة ، والاميال
العديدة ، وكان من شجره بهذه الجزيرة قبل هذا كثير ثم قل الان
بسبب أن النصارى يتحفون به ملوكهم وكبارهم ، دون تعويض
لاربابه عنه فرأى أهل الجزيرة أن غيرد من الشجر أعود بالفائدة
عليهم فقطعوا أكثره ، واختصت هذه الجزيرة أيضا دون غيرها من
البلاد بحسن الاصواف المحمودة الاوصاف التى ليس بافريقية لما
ينسج من أثوابها نظير ، وذلك معلوم من أمرها شهير .

وأكثر مساكن أهلها أخصاص من النخيل ، يجعل كل واحد منهم
فى أرضه واحداً أو اثنين أو أكثر من ذلك ثم يسكنه بعياله ، وليس

(١) هو الملك « روجا » ملك الترمند وقد اعتاد كتاب العرب رسم اسمه لجار - انظر نزهة
المشتاق ص ١٢٧ - ١٢٨

بها بناء قائم الا دور قليلة ، وهم ينقسمون الى فرقتين فرقة تعرف
«بالوهبية» ورثاستهم في بنى سمو من وأرض هذه الفرقة من الجزيرة
الجهة الغربية فما والاها من جهة الشمال ، وفرقة تعرف « بالنكارة »
ورثاستهم في بنى عزون وأرضهم الجهة الشرقية فما والاها من
جهة الجنوب .

وكانت مدينة جربة فاصلة بين أرضيهم وكلا الطائفتين خوارج
غلاة في مذهبهم مكفرون العصاة على ما هو معروف من مذهب
الخوارج لا كمذهب المعتزلة في امتناعهم من اطلاق اسم الكفر
على من واقع كبيرة ولم يتب منها فان المعتزلة لا تسميه كافرا ولا
مؤمنا وتسميه فاسقا على حكمهم بتخليده في جهنم ، وكان المعتزلة
بزعمهم توسطوا في هذا بين مذهب الخوارج ومذهب أهل السنة ،
والمصلحون منهم لا يماسحون بثيابهم ثياب أحد ممن ليس على مذهبهم
ولا يؤاكلونه في آنيته وان استسقى عابربسيل ماء من بعض آبارهم (١)
استخرجوا ماء البئر كله فما حود ، وثياب الجنب عندهم لا يقربها
طاهر وثياب طاهر لا يقربها جنب ، وقد شاهدت منهم من كان
على طهر اذا أجنب غسل ثوبه الذي أجنب فيه يرفعه بعضا أو
بمحجن ثم يلقيه في البحر فيخضخضه بعصاه ساعة ثم بعد ذلك
يتناوله بيده ، ويوجبون على أنفسهم الغسل صباح كل يوم رجالا
ونساء أجنبوا أو لم يجنبوا ، ويتوضؤون ثم يتيمنون وقد شاهدت

(١) كذا في جميع النسخ والصواب : آبارهم او ابارهم

هذا منهم كثيرا ، ويشترطون في وضوئهم غسل الايدي من
الاكتاف الى غير ذلك من آرائهم الواهية ، والافعال التي حكينا
عنهم منها ما شاهدناه وهو ما قصصنا ومنها ما حكاه عنهم الشريف
في كتابه المؤلف للجار (١)

وأول من افتتح هذه الجزيرة في أول الاسلام رويغ بن ثابت بن
سكن بن عدى بن حارثة الانصارى من بنى مالك بن النجار وهو
من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وممن سكن مصر منهم ، وكان
معاوية امره على طرابلس وذلك سنة ست وأربعين فغزا منها
افريقية سنة سبع وأربعين ووصل الى جربة فافتتحها ثم رجع من عامه
فمات في برقة وقبره بها ، ويقال بل مات بالشام ، ولما افتتحها جمع
السبى والمغنم وقام فى الناس خطيبا فقال : يا أيها الناس انى لا
أقول لكم الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنا
يوم خير حين افتتحها قام فينا خطيبا فقال : لا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الاخر أن يسقى ماؤه زرع غيره يعنى اتيان الجبالى من
السبى ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الاخر أن يركب دابة
من فىء المسلمين حتى اذا أعجفها ردها فيه ولا يحل لامرئ يؤمن
بالله واليوم الاخر ان يلبس ثوبا من فىء المسلمين حتى اذا أخلقه رده
فيه ، رواه حنش بن عبد الله الصنعانى (٢) وتوهم البخارى أنه حنش

(١) انظر نزهة المشتاق ١٢٨

(٢) راجع اسد الغابة لابن الاثير ج ٢ - ١٩١ ومعالم الايمان للدباغ ج ١ ص ١٠١

ابن علي الصنعاني فذكر أن الاختلاف في اسم أبيه وقد وهمه في ذلك علي بن المديني وفرق بينهما فقال حنش بن عبد الله صنعاني من صنعاء اليمن وحنش بن علي من صنعاء الشام (١) وخرج هذا الحديث ابن صخر عن حنش بن عبد الله الصنعاني قال : غزونا المغرب وعلينا رويغ بن ثابت ففتحنا قرية يقال لها جربة فقام فينا رويغ بن ثابت خطيبا وذكر الحديث مختصرا .

وكان الثائر النكاري قام على المعز بن باديس سنة احدى وثلاثين وأربعمائة ووصل الى جربة وافتحها وقتل من أراد من أهلها وسبى ذراريهم وأسر ابن كلدين مقدمهم ثم قتله وصلبه فجهز اليه المعز أسطوله وقتل أصحابه قتلة شنيعة واستقرت جربة تحت طاعته، وتوفي المعز فثار أهلها وأظهروا العناد والفساد وأنشأوا مراكب يقطعون بها السبل في البحر على سائر السواحل

قال أبو الصلت في كتابه الذي ذيل به علي كتاب الرقيق : « لما ولي أبو الحسن (علي) بن يحيى بن تميم بن المعز وذلك في آخر سنة تسع وخسمائة واستتب له امره واستوثق ملكه (٢) أمر بأعداد الاساطيل لغزو جزيرة جربة ، وحركه في ذلك ما ترادف عليه من قطع أهلها في البحر واخافتهم المسافرين فيه ، فتم ذلك وقدم على الاسطول قائد الجيش ابراهيم بن عبد الله وأصحابه من أهل الدولة للمشورة

(١) راجع طبقات ابن سعد ج ٥ - ص ٣٩١ وميزان الاعتدال ج ١ - ص ٢٩١ ومعالن الايمان ج ١ - ص ١٤٤
(٢) في بعض النسخ « استتم له امره واستوثق ملكه »

فلانا وفلانا ، فساروا اليها وذلك فى سنة عشر وخمسمائة فحاصروها وأخذوا بمخنتها الى أن أقر (١) أهلها بالطاعة للسلطان وانقادوا لامره ونزلوا على حكمه وضمن أسيانهم ومقدموهم قطع جميع الفساد الواصل الى ساحل افريقية من قطاعهم واشرازمهم وأن لا يتعدوا بمتاجرهم المهديّة وأعلم السلطان بذلك فكف عنهم ورجع الاسطول وصلاح البحر وارتفع الفساد وأمن المسافرون . .

قال : « وكان أمر جربة واستصلاح (٢) أهلها قد استعصى على من تقدم من آباءه وأجداده على اتساع ملكهم وكثرة جيوشهم ووفور أموالهم ، ثم تغلب النصارى عليها فى سنة تسع وعشرين وخمسمائة فقتلوا من قتلوا وبقي الباقون تحت طاعتهم ، فلما كان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ثار أهلها على النصارى وقتلوا منهم جماعة كثيرة فغزاهم النصارى من عامهم وتغلبوا على الجزيرة ثانية فنقلوا أكثر أهلها سبايا الى بلادهم ولم يبقوا بها الا من لا بال له ، ثم تملكها المسلمون بعد ذلك ، ولم تنزل من أول الفتح الاسلامى على هذه الصفة مترددة بين تملك المسلمين وتغلب النصارى الى زماننا هذا وكان تغلبهم عليها فى هذه المدة الاخيرة سنة ثمان وثمانين وستمائة بسبب اشتغال ملك الحضرة اذ ذاك رحمه الله ببعض الثائرين عليه .

(١) وفى بعض النسخ « حزم »

(٢) فى بعض النسخ « امر استصلاح جربة وطاعة أهلها »

فأقمنا كما تقدم بذلك الموضع من الجزيرة الى أن عبر جميع الناس الينا وحصل سائرهم لدينا ، ثم انتقلنا عنه يوم الجمعة الثالث والعشرين لجمادى الاخرى عصرا مقربين لمرحلتنا من الغد الى حصنها المسمى « بالقشتيل » دمره الله فبتنا تلك الليلة الى جانب مدينة جربة القديمة حيث كانت قصبة الجزيرة وهي الان خلاء لا أنيس فيها ، ومشيت مع لمة من أصحابنا فجست خلالها وجلت حلالها فرأيت بقايا مدينة صغيرة الصنع ، مربعة الوضع ، ويحديق بها سور مرتفع هو باق الى الان ، وبداخلها جامع حسن البناء وقد تخرب الان فليس الباقي الا آثاره ، ورأيت على جهة منه نقشا لم تصل يد الفناء اليه فوجدته فى غاية الاحتفال وحسن الصنعة ، ولم يصل أحد منهم بهذا الجامع كراهية لاقامة رسم الاسلام بتلك الجزيرة لا خوفا من النصارى كما يزعمون ، وأما الجمعة فتركها أصل من أصولهم لانهم يشترطون فى اقامتها وجود الامام العدل ، وفى آخر المدينة بقايا أطلال القصبة حيث كانت سكنى حافظ البلد وقد استولى الخراب على جميعها وفى موضعها الان شجرة عظيمة من السدر المعروف فى هذه البلاد بالسدر المصرى قد ملات ذلك المكان ، وهذا السدر مخالف لسدر بلادنا هذه وهو أكبر ثمرا وأعطر رائحة وأما المطعم ففيه غثاثة ، ورأيت منه بتوزر وما والاها من البلاد شجرا كثيرا وانما نسب لمصر لكثرتة بها ، وكان الى جانب هذه القصبة حمام صغير هو الان باق لم يتسلط الخراب على

شيء منه فبتنا الى جانب هذه المدينة تلك الليلة ثم أصبحنا من الغد مرتحلين فلم نزل نمشي بين نخيل باسقة ، وثمار متناسقة ، الى أن وصلنا موضع القشتيل دمره الله فرأينا حصنا ، يهول الناظر اتقاننا وحصنا ، وهو مربع الشكل وفي كل ركن منه برج فائنان منها مستديران واثنان مثنان وبين كل برجين من هذه في وسط الحائط برج صغير مربع ويدور به فصيل قصير ويدور بجميع ذلك حفر متسع فنزلنا على مقدار ميل منه

ووصل الينا اذ ذاك شيخ النكارة وقد كان هو ونظيره من الوهبية فرا عن الجزيرة أول اقبالنا عليها خوفا على أنفسهما فلما حللنا بها كتبنا اليها كتابا يطلبان الامان فأسعفا به ، فوصل النكارى وتأخر وصول الوهبي فوصل بعده بأيام ، ولما اجتمعا تكفلا باستخلاص ما وضع من الاداء على قومهما وانفصلا ليشغلا بقبض ذلك من يومهما واستمرت المحاولة في قتال الحصن المذكور شهرين كاملين فوجدنا قوما قد أطالوا للحصار استعدادهم ، واستفرغوا في التحرز جهدهم واجتهادهم ، وكانت كثرة الجيش الذى معنا من أعظم الاسباب فى الاقلاع عنه لانقطاع الاقوات بتلك الجزيرة وتعذر الميرة الا فى الشيء اليسير الذى لا تحصل به كفاية ، فعلمنا أن أخذه يصعب بتلك المحاولة ، ولنا يؤخذ بالحصار والمنطاولة ، ورأينا أن ننفصل عنه لما كنا بنينا عليه من تهدين البلاد الجريدية وقبض مجايها فاذا تم ذلك وعاد الجيش الى الحضرة عينت له

جريدة خيل بينى فى أمرها على الاختصار (١) فتوطن على السكنى
هنالك للحصار ، فكان ذلك .

وكان الانتقال من جربة يوم الخميس السادس والعشرين لشعبان ،
فكانت مدة الإقامة بها من يوم الدخول إليها الى يوم الخروج عنها
خمسة وستين يوما .

ووصلت إلينا ونحن بها قصيدة من الوالد فى مخاطبة مخدمنا
صدر بها كتابا رأيت اثباتها هاهنا (طويل) :

على ذلك المجد الصميم سلامٌ كما فُضَّ عن أذكى المسوك ختامٌ
وما زجه نشرٌ من الروض قد جرى عليه نسيمٌ واستهلَّ غمَامٌ
وإلا كما قص الرواة حديثكم وردد منه فى النديّ كلامٌ
فكل يوافي عنكم بحاسن إذا كَلَّ عنها الشرّ ناب نظامٌ
فكم قائل قد شكّ إذ شمّ طيبه أدارين أم دارٌ لكم ومقامٌ
فليت الصبا تهديه عني إليكم وتشدو به فوق الغصون حمامٌ
ولما توجهتم وجدّت ركابكم وسرّح للجُرد العناق لجامٌ
أقنا وللسلوان عُنّا ترحل وللشوق ما بين الضلوع سُقامٌ
فلو كانت الآمال اجنحة لنا لطرنا وإبكن لا جناح يُرامٌ

(١) ونى بعض النسخ د بينى على أمرها فى الاختصار .

امولاي كل الناس يشكو بشوقكم ولكنني للمشتكين إمام
يذكرنيكم كل شيء رايته جميل به يعني وفيه يهام
ولكنني القاه في الناس ناقصاً وفيكم زيادات له وتمام
وبي للتلاقي شوق سرب ظواميء رايين قراح الماء وهو جمام
وقد صدها عن ورده خوف صائد فهن حيام حوله وهيام
فيا لتي ادري متى الدهر مسعني بذاك فتشفي لوعاة وغرام
أجاهد اشواقني جهادك للعدى فكل يلاقي الجيش وهو عرام (١)
والكن لك السيف المصنم في الوغى وسيفي في تلك الحروب كهمام

ووصلتني ونحن بها ايضاً ابيات من الاديب ابي محمد عبد الله بن
احمد الازدي العسيلي غابت عنى الان ، مطلعها : (خفيف)

يا نسيم الصبا ديوني فاقض إن بلغت الحمى وإلا فامض

فاخبتة عنها بقولي

قبل لبرق جلا الظلام بومض ذاهب في السرى للأرض فأرض
غير مستشعر لقلبي سكونا لا ولا لائذ لجفني بفض
أيها البرق أنه نحو العسيلي سلاماً تؤد أكد فرض

ولتبلغه أنني ذو اشتياق قد قضى لي أليمه ان سأقضي
لست أرضى على البعاد لعهد مبرم العقد أن يشاب بنقض
وصنيع الإلاه عندي سما عن أن تقوم الشفاء منه ببعض
لمع مولى فاق البرية طولا تعاطى (١) المنى فيمطي فيرضي
أحرز المجد بين جود بعرض مستباح الحمى وبخل بعرض
من أتاه يشكو بجذب وبؤس آب في عيشه بخصب وخنفس
رائداً بارض الجميم لديه وارداً من حمامه غير برض
وهو يهدي إليك منه سلاما ينسك (٢) المسك عرفه إثرفض
لم يزل عنك سائلا كل حين وعلاه بمثل ذلك تقضي
زاده الله مكنة وسمودا يأمر الدهر كيف شاء فيمضي
يا صفيتي الذي محضت علاه كل صفو من الوداد ومخض
هاكها اقبلت إليك حياء ترتجي أن تعيرها لحظ منمضي
واتصل بها نثر

ولما انتقلنا من جربة لم نخرج من المجاز الذي دخلنا
منه بل خرجنا من مجازها المعروف بساحل البر المتصل بمقدار

(١) في بعض النسخ « بتعاطى »

(٢) كذا في جل النسخ وفي بعضها « ينسى »

ثمانية اميال في البحر اكثرها قصر تقطعه الخيل مشيا وفيه مواضع عميقة لا يمكن السابحات قطعها الا سبحا فهو مجاز خيث لا يجوزه الا عارف به متكرر عليه ، فاجتزنا نحن اولا في السفن وشرع الناس في الجواز فأجازت السفن قوما وأجازت الخيل آخرين مشيا وعموما الى ان استوفى الجواز جميع الناس ، واقمنا بظاهر المجاز خمسة أيام آخرها يوم الاثنين الموافق ثلاثين من شعبان

وكان ارتحالنا غادين (١) الى قابس يوم الثلاثاء غرة شهر رمضان فنزلنا يومنا ذلك بموضع يعرف بسواني خلف الله وهي منسوبة الى رجل من مرابطي العرب احمدي وهو من تلامذة الشيخ أبي عيسى العموري كان ابنتى هناك مسجدا رسمه الى الان باق وأحيى بمقربته ارضا مواتا فمنعه عما أراد من عمارة تلك الارض كثرة فساد حواشي (٢) العربان لما يزرع بها فان العرب كثيرا ما يفصدونها بمواشيهم لانهم يقولون : أمراً باقل ترعى الابل به في تلك الارض وأمرعه ، وحد هذا البائل عندهم من هذه السواني الى البحر ، والبائل عند هؤلاء العرب اسم مرعى من النباتات مخصوص ، وهو في اللفظة اسم لكل موضع انبت البقل والبقل كل نبات تخضر منه الارض ليس له أرومة ، وقد ابقل المكان رباعيا فهو باقل على غير قياس هذا هو الأكثر الشائع فيه وقد سمع فيه مبقل على الفياس

(١) وفي بعض النسخ « عائدتين »

(٢) كتاب في جميع النسخ ولعل الصواب « مواشي »

ومنها يوم الأربعاء الى موضع يعرف بتجفت بفتح التاء وتشديد الجيم
وسكون الفين المعجمة وهو بسيط متسع من الارض رأينا به وبساتير
هذه المسافة آثارا قديمة ومباني مختلفة الاشكال ومصانع للبياه
مصنوعة (١) وقد سقط من كثير من تلك المباني احجار مرسومة
بخطوط ليست من خطوط اهل زماننا هذا فاني استدعيت كثيرا
من النصارى لفكها فلم يعرفوها ، وبهذا الموضع ايضا بقايا محارس
متفرقة مع ساحل البحر ليس فيها متسع الا لجلوس رجل واحد
وبالجملة فآثار هذا الموضع كثيرة ، ورسومها الى ضخامة بانيتها
مشيرة .

ومنها يوم الخميس الى وادي مجسر ويعرف هذا الموضع منه
بالطواحين بانحاء المهلة وتضاف اليه فيقال طواحين مجسر وقد تقدم
ذكر هذا الوادي قبل ، وكان منزلا في هذه الخطرة متعاليا على
منزلنا الاول الى جهة الجنوب فجاء المنزل الاول بيننا وبين البحر
وهذه الطواحين مواضع هذا الوادي المنخفضة وقد ذكرنا قبل أن
ما كان منه منخفضا كان الماء فيه دائما فكابد الناس في هذا اليوم
مشقة شديدة في اجتيازه وخوض مائه ، ووجدنا بعض المرابطين قد
زرع على احد جانبيه زرعاً بلغ في ذلك الزمن ان يكون للبهائم مرعى
وقد قام عليه ليمنعه من الجيش مدلا برباطه فثارت دهماء الاجناد
رعى الزرع على رعيه ، وانجلى الامر على ابطال كدح المرابط وسعيه .

(١) في بعض النسخ « متنوعة »

وانتقلنا عنه يوم الجمعة فنزلنا بكتانة وقد تقدم ذكرها ومنها يوم السبت الى قابس وهذه خطرتنا الثانية اليها فأقمنا في الاخية بظاھرھا عشرة ايام آخرھا يوم الاثنين الرابع عشر منه واستعد الاجناد فيها لدخول البلاد الجريدية حسبما كنا بنينا عليه اول السفارة فكان رحيلنا عن قابس متوجهين الى توزر يوم الثلاثاء الخامس عشر من رمضان فدخلنا في اول هذه المرحلة من ارض دباب في منازل بنى أحمد وهم بنو احمد بن دباب بن ربيعة بن زغب وربما شاركهم في منازلهم هذه بنو يزيد .

وبنو يزيد أربعة أفخاذ من دباب تحالفت وانتسبت على مدلول الزيادة لا الى رجل متسم بيزيد وهم : الصهبة والحمارنة والخرجة والاصابة ، فأما الصهبة - بسكون الهاء - فبنو صهب بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب ، وأما الحمارنة فبنو حمران بن جابر اخوتهم ، وأما الخرجة - بسكون الراء - فجماعة من آل سليمان بن رافع بن دباب ، اخرجهم بنو عمهم آل سالم بن رافع من أرضهم فمالوا الى مخالفة هؤلاء وساكنوهم بمنازلهم هذه ، وكانت أرضهم مسلاتة وما قارب منها ، وأما الاصابة فهم منتسبون الى رجل كانت له أصبع زائدة ودباب يطعنون عليهم نسبهم ويذكرون انهم خارجون عنهم . وحلنا الحمة يومنا ذلك وتعرف بحمة مطماطة تفرقة بينها وبين حمة توزر المعروفة بحمة (١) البهاليل ، فرأيت مدينة حاضرة تحف بها غابة

(١) في بعض النسخ د حامة ،

نخل تحمل حملة وجميع مياه هذه البلدة شروبة وهي في غاية
السخانة وبسخانة مائها سميت الحممة، والحممة في اللغة هي العين التي
بمائها سخانة، وجاء في الحديث « مثل العالم مثل الحممة (١) »، قال
الهروى في غريبه الحممة عين حارة يستشفى بها المرضى، وذكر أبو
عبيد في كتاب الامثال أن من أمثالهم: العالم كالحممة يأتيها البعداء
ويزهدها القرباء، ولم يزد أبو عبيد على هذا، وهو أثر وتامه:
فينا هم كذلك اذ غار ماؤها فانتفع بها قوم وبقي قوم يتفكرون (٢)
ويتفكرون بالنون أى يتندمون، تفكن تفكنا، وقرأ أبو حازم العكلى
فظلتم تفكنون (٣) وهو من هذا، والنسبة الى الحممة حمى، وذكر أبو
عبد الله محمد بن على المصرى في صلة السقط أنه سمع فى ذلك
حامى بالالف وهو من شواذ النسب .

وهذه البلدة فى أكثر أوقاتها سالمة من الوباء فاذا وبثت - بفتح
الواو وان ثثت ضمت - استأصلت أهلها وكانت فى ذلك أشد من
قابس، وكان عليها سور مرتفع ورأيت مواضع منه قد تهدمت ولم
يشتغل أهلها برمها فسألتهم عن ذلك فقالوا نحن لا نعتمد على سور
وانما سورنا سيوفنا فذكرت قول الشاعر (وافر):

إذا صدق الحسام ومُنْتَضِيهِ فكل قرارة حصن حصين
وما لث العرين بذى امتناع إذا لم يحمه إلا العرين

(١) انظر النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير ج ١ - ص ٢٦٢

(٢) انظر النهاية ج ٢ - ص ٢١١

(٣) راجع الكشاف ج ٢ - ص ١٥٩ - ١٦٠ (المطبعة الاميرية ١٣١٩)

وبناء داخل هذه المدينة في غاية الارتفاع وهم يتنافسون في ذلك ورأيت في قصبتها وهي موضع سكنى الزوالى آثارا تدل على ضخامتها غير أن الحراب استولى الآن على كثير منها ، وبهذه القصبه قناة ماء يتسرب اليها من خارجها في غاية القوة وقد بنى عليها بيت على شكل حمام جاء في نهاية الظرف والحسن وبظاهر هذه البلدة كانت الواقعة للمنصور أبى يوسف يعقوب ابن عبد المؤمن ملك المغرب على على بن اسحاق الميورقى ومن معه من العرب والغز في بلاد افريقية ، فتحرك الى تونس فلما وصل اليها وجه ابن عمه يعقوب بن أبى حفص بن عبد المؤمن في عسكر ضخمة للقاء الميورقى فالتقوا بمقربة من قفصة فكانت لليورقى عليهم الواقعة المعروفة بوقية عمرة ، قتل فيها أكثر جيش المنصور ، وتحامل من سلم من القتل فوصل الى قفصة فاستدعاهم الميورقى موهما لهم بالامان فلما اجتمعوا أجال السيف على جميعهم ، فامتعض المنصور من ذلك ونكب عن المشورة واستبد برأيه وتحرك من تونس واستخلف عليها أخاه السيد أبى اسحاق ونزل رادس متلوما وقد ظهر تكاسل الناس فعاقب أقواما على تأخرهم وتوجه ، فلما كان على فرسخين من الحمة سرح سرية الى منزل العرب الذين مع الميورقى فشنت الغارة عليهم واكتسحت أموالهم ففل ذلك شوكتهم ، ثم لبس المنصور لامته وناجزهم الحرب مباشرة لها بنفسه فاستوصلت الموارقة وأفلت على بن اسحاق وقراقوش فتبعهما الموحدون سالكين سيلهما حتى

أشرفوا على توزر فوجدوهما قد توغلا في صحرائها فرجعوا عنها ،
وانصرف المنصور الى قابس فأحاط بها برا وبحرا الى أن فتحوا له
أبوابها ، وفي ذلك يقول أبو بكر بن مجبر (١) من قصيدة طويلة
(واقر) :

لقد برزت إلى هول المنايا وجوه كان حجبها اللثامُ
وما اغنت قسي الغر عنها وليست تدفع القدر السهامُ
وهي ثابتة في ديوان شعره ، ومما قاله هو والجواري (٢) في هذه
الوقعة وثبتت القصيدة في ديوان الجواري (بسيط) :

رأى الشقاء ابن اسحاق أحق به من السعادة والمحدود محدودُ
وكيف يحظى بدنيا أو بأخرة مُخلّب عن طريق الرشد مطرودُ
أعمى ونور الهدى باد له وكذا من لم يساعده توفيق وتسديدُ
والسيف أبلغ فيمن ليس يردعه عن الفواية ايماد وتهديدُ
أولى له لو تراخى ساعة لـفد وريده وهو بالخطي مورودُ
أنحى الزمان على الاغرار (٣) واجتهدت

في قطع خضرائهم أحداثه السودُ

(١) وفي بعض النسخ « ابو بكر بن بحر »

(٢) وفي بعض النسخ « الجوراني »

(٣) وفي نسخة « الاغزاز »

ونازعتهم نفوس الهند أنفسهم فلم يفدّهم عن الهيجاء تعزید (١)
فهم على الترب صرعى مثله عَدَدًا ان كان يُقضى بأنّ الترب معدودُ
وَلَوْ اَفلا صاحب عن نفس صاحبه يفني ولا والد يرجوه مولودُ
يوم جدير بتعظيم الأنام له فما يقاس به في حسنه عِيدُ
أضحت على فضله الايتام تحسده ان اليه الرفيع القدر محسودُ

ثم توجه المنصور الى قفصة فحاصرها حصارا شديدا الى أن خرج
اليه أهلها راغبين في العفو فشارطهم على تأمين أهل البلد في
أنفسهم خاصة وتبقى أملاكهم بأيديهم على حكم اساقية وجميع
من عندهم من الحشود والغرباء ينزلون على الحكم فوقع الاتفاق على
ذلك ، وخرج جميع من في البلاد من أهله وغيرهم حتى لم يبق فيه
الا النساء فميز أهل البلاد وأمروا بالرجوع الى بلدهم ، وبقي من كان
به من الغرباء والحشود والاجناد ، ومن جملتهم ابراهيم بن قراتكين
المعروف بسلاح دار المتقدم الذكر فثقفوا ساعة ثم جلس المنصور
بأثر صلاة الظهر بموضع جلوسه وأخذ الناس سرايتهم وأمر
بأولئك المثقفين فقيدوا اليه فأمر بذبحهم فذبحوا بين يديه أجمعين
لم يفلت أحد منهم ، وكان الاعشى الفهمى حاضرا وهو نحوى فاضل
كان الخليفة يعينه لقراءة اولاده القرآن ، فطلب أن يسمع له بشخص

منهم يتولى ذبحه بيده فأجابه الخليفة الى ذلك ولما أضحج له طلب
يسيرا من الملح والصعتر كما يفعله العامة بالضحايا فأضحك بهذا
الفعل المبكى جميع من حضر ، وأمر المنصور بهدم سور قفصة
وقسمه على جميع من بالمحلة فأعادوه في مدة يومين أثرا بعد عين ،
وفي هذه الخطرة هلك أكثر نخيل قفصة اذ كان المنصور قد آلى
أيام حصارها لها أن يقطع كل يوم ألف نخلة وفي هذا الفتح يقول
أبو بكر بن مجبر أيضا (بسيط) :

ما غرَّ قفصة إلا أنها اجترمت فلم يكن عند أهل الحلم تثيريبُ
ما بالها زار أمن الله حوزتها فلم يكن عندها أهل وترحيبُ
تلك البغي التي خانت فحاق بها وبالزناة بها رجم وتغريبُ
قد فُضَّ شملهم عنها وقد نعبت بها من الحين غربان غرابيبُ
أما ير دسلما منا يباشره وفيه للنفس ترغيب وترهيبُ
هذي أعاديه قد صارت مقسمة على البلايا فمقتول ومسلوبُ

فترلنا بخارج الحمة كما تقدم وأقمنا هنالك ستة أيام آخرها يوم
الاحد العشرون من شهر التاريخ ، وصليت في أثنائها صلاة الجمعة
بجامعها وهو جامع حسن ظاهر البركة والخير ، ورصل الي ونحن بها
كتب من الشيخ الاديب الفاضل أبي زيد عبد الرحمان بن أبي
القاسم بن نزار السهمي وكنيت كلفت بعض من كتبت له بتبليغ

السلام اليه فكانت في كتاب الشيخ (١) أبي زيد هذه الايات
(كامل) :

وصلت تحية نازح بوساطة فكأنها نشر الرياض مع الصبا
وكأنما يهدي النسيم من الشذى منها ثناؤك (٢) الاطيبا
وكان عبد الله إذ حيتي بها عيسى بغير نبوة لكن نبيا
فعلية مني ردها لو أنني جيت القفار به لكان الأوجباً
فكتبت اليه جواباً عنها :

أحملت عرف المسك يا ربيع الصبا أم ساق نورك لي حديثاً طيباً
فلقد أعاد الروح رَوْحَكَ اذسرى من بعد ما قد قاربت أن تذهباً
هي تحفة وقت بنوسهم بها سهمي وأولوني الحباء المحسباً
دعت الحياة فأقبلت منقادة واستدنت الأمل القصي فأكتباً
وأنت إلى وقد حوى إيضاحها جملاً أعادت لي السرور مقرّباً
يا ماجدا أعددت لي سيّدا وأعدّه كبيراً وإجلالاً أباً
هاك السلام على النوى من ذا كر لك بالجميل مشرقاً ومغرباً
واصحب أباً زيد جديد سعادة تشني الابني من المطالب مصحّباً

(١) في نسخة «بتبليغ السلام اليه مصرحاً فرد الى سلامي في كتاب الشيخ الخ ،
(٢) بياض في جميع النسخ التي بأيدينا

وارتحلنا عن الحمة يوم الاثنين الحادى والعشرين متوجهين الى
نقراوة فنزلنا يومنا ذلك بمنزل يعرف (١) بمجزم وهى قرية كبيرة
وعليها غابة نخل ممتدة وبها قصور ومنازل ضخمة بالنسبة الى مباني
البادية ، ووجد الاجناد أهلها قد فروا عنها جلاء ، وتركوها خلاء ،
فانطلقت أيديهم بالعيث فى ربوعها والرعى لزروعها وكثيرا ما
كانوا يحتفرون أرضا فيجدون أهلها قد أودعوا هنالك ما صعب
عليهم نقله ، وأثقلهم من الاثاث حمله ، فأذهبوا بالافساد رسمها ،
ولم يبقوا منها فى الحقيقة الا اسمها .

ومنها يوم الثلاثاء الى منزلة تعرف بعميون رحال وهى قفرة تنبع
بها عينان نضاختان ، والى جانبها نخيلات يسيرة ، وفى مرحلتنا هذه
فارقنا أرض بنى أحمد ودخلنا فى أرض زعب ، وزعب قبيلة تنسب
الى زعب الأصفر ابن زعب الأكبر بن جرو بن مالك يجتمعون مع
دباب ، فى هذا المعنى يقول الدبائيون ان زعبا منهم يريدون هذا
القرب الذى بيثهم فى النسب ، وقد تبين من كلامنا هذا وما تقدم
أن زعبا الأكبر ولد ولدين زعبا الأصغر وربيعة أبا دباب ، فدباب على
هذا هو ابن أخى زعب الأصفر واذا تداعى الزعيون بزعب فانما يعنون
به الأصفر ولو عنوا الأكبر لدخلت معهم فى ذلك دباب ولكانت
دباب من زعب ، والاشهر فى الزاى منه الضم وضبطها الاجدابى (٢)

(١) فى بعض النسخ « بقرية تعرف »
(٢) هو ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل الاجدابى صاحب كفاية المتحفظ ونهاية المتلفذ
ذكره السيوطى فى بغية الوعاة ص ١٧٨

بالكسر وكذا سمعت الفصحاء من أعراب زماننا ينطقون به ، وكذا ذكر الرشاطى هذا النسب فى كتابه : قال هو منسوب الى زعب بزاي مكسورة وعين مهملة قال الامير ابن ماكولا فى الاكمال ، : له والى اليوم منهم خلق بالحجاز زعييون ولهم غفارة فى طريق مكة ومنها يوم الاربعاء الى طرة احدى قاعدتى بلاد نزاوة وهما طرة وبشرى ، فرأيت بلدا بلا اسم وقرية بلا معنى وهى محفوفة بالنخيل وبها التمر المفضل على جميع البلاد وليس فيها ما ينظر اليه على الجملة غير العين المعروفة بعين طرة فان لها بركة ماء متسعة حسنة المنظر ، شارحة للنفس ، تدخل البهائم اليها عند الشرب الى حد معلوم لا تتجاوزه وان جاوزته غابت فى مغايض (١) لا قصر لها ، ويذكرون أن لها قى كل عام رجلا تقتله لا بد لها من ذلك وأكثر ما يكون ذلك فى الغرباء ، ومن ماء هذه العين يكتسب صبغ بلاد نزاوة عند الغسل ما يظهر عليه من الرونق والطلاوة ، وبقرية من هذه العين قصة البلد حيث كانت الولاية وقد أعادها الحراب دكا فلم يبق منها غير سورها المحيط بها ، وبخارج هذه البلدة نخيل منفرد يدعى بنخيل فرعون يعتقد جميع أهل ذلك الموضع أنه غرسه فرعون وهو غير مستملك ، وتمره مباح لمن اجتاز به من الغرباء ومن الغرائب ما اختصت به هذه البلدة من شدة عصف الريح واتصال ذلك غير مختص بفصل من فصول العام ، وهم يسبون

(١) فى بعض النسخ « مغايض »

ذلك الى طلسم كان مدفونا بها وأن بعضهم أخرجه وكسره فكان
بسبب ذلك عندهم دوام الريح هنالك ، ويزعم أهل نفاوة ان
الرياح انما يشتد عصفها ببلدهم عند نزول الجيوش عليها ، ويعدون
ذلك من جملة الرفق بهم لان الجيوش تسرع الارتحال بسبب
ذلك عنهم

ونفاوة اسم نقل الى الموضع من اسم القبيلة التي سكنت به في
اول الدهر ، وهم بنو نفاو بن الاكبر بن بر بن قيس عيلان بن
الياس بن مضر بن نزار ، قال الشريف في كتابه المؤلف للجار (١) :
ومن ولد نفاو هذا جالوت الذي قتله داود عليه السلام واسم
جالوت ضريس وهو ضريس بن الاصفر بن نفاو ، ومن نفاو
تفرعت زنانة كلها وهم في الاصل عرب ، وانما تبربروا بمجاورتهم
للبربر من المصاميد ومخالطتهم لهم ، وقد اختلف حفظ الشيوخ في
لفظ نفاوة فبعضهم ينصبون النون منها وبعضهم يكسرها

ومن المنتسبين الى طرة هذه الشيخ : أبو يعقوب الطرى صاحب
الرسالة التي اولها : « الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الانسان
تحصيل ما عليه الوجود في نفسه ، قسم فيها مدلولات لفظ العقل
ومراتبه تقسيما أخذ جله من كلام الامام أبي حامد الغزالي رحمه
الله تعالى ، فوقف على رسالته الشيخ أبو علي النفطي رحمه الله تعالى

(١) انظر نزهة المستنق من ٨٨ (مع اختلاف كبير في الاخبار)

فخطبه بالرسالة التي أولها : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق (طويل) :

أما آن من صبح الرشاد نفس وحتى متى ليل الظلام معسس
تراني أرى فجر الهدى متعرضا فينزع للترحال صب مفرس
وما حذري الا شعوب مفيرة وملاح اصباح ولا اشمط حنيس
من شيان الابله الى الجبر ابي يعقوب : أما بعد فان كتابك ورد
مشتلا على ماهية العقل وحقيقته وقد ألفيته وافيا بمقصودك ، غير
واف بمقصودي ، ولست ممن قنع عن الدر بالصدق ، واقتنى علوما
لم يؤمر بها شرعا فاستفرقت فيها همته حتى نزلت (١) به قدم
الفرور في مهواة من التلف ، وكل ما تذروه رياح الموت فالهمة
تقتضى تركه ، وقد استشهدت بالحديث في النظر في الاسباب
والترقى منها الى مسببها فالامر كما ذكرت لكن ليست اسبابا هي
ظلمات ثلاث بل هي اسباب نورية يستدل بها على منورها ، فمعرفة
النفس مقام محمود وهو مقام المقربين الذين يمزج من شرابهم
الصرف لاصحاب اليمين ، فالمقرب من عرف نفسه موحدا لربه ،
وما هنا نظر لا يسلم منه الا من سلم من رعونات البشر والحظوظ
النفسانية ، ويمكن الارتفاع الى من عرف نفسه موحدا لربه ، وقد من
الله سبحانه بعلوم جليلة ربانية محمدية يعضدهما الشرع ، ويشهد لها

(١) كذا في النسخ ولعل الصواب « نزلت » .

العقل السليم الجامع بين الاصل والفرع ، كالجمع والافتراق ،
وخرق السبع الطباق ، وحقيقة البرزخين ، وما اشتملت عليه أرحام
الانثيين ، والترقى من الاين الى حيث لا أين ، وكيفية الارواح
والاشباح ، وسكون الليل وانفلاق الصباح ، واختلاف اللسان
والاصوات ، ومنطق كل شيء وعجائب الايات ، الى غير ذلك مما
لم يلف قط مسطورا ، وقد اضمحل الوجود وبطل دعواه ، وبرز
المكنون على كل شيء ، كلاب هو الله ، وأعرب بلسان ناطق فصيح
غززا أو رمزا ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ،
(كامل) :

بل لو ترانا والاحبة يننا لرأيت غزلاتنا تصيد سباعا

بل لو ترى تلك البقاع وحسنا لظلت بالحسن البديع مراعا

كذا وقع مراعا وفعله ثلاثي فانما هو مروع :

حبي طباع واصطباري كلفة وأرى التكلف لا يزيل طباعا

وكثيرا ما يشير الى مطالعة كتب حرم الوقوف عليها عقلا وشرعا
ولنا في رسول الله أسوة حسنة ، من يطع الرسول فقد أطاع الله
وكفى بهذا جمعا ، والحنيفية السمحة قد أشرق سراجها وغر نورها
وقهر سلطانها كل أشوس عاتى القلب ليس له تحقيق أهل الوصول ،
ولا تدقيق أهل الاصول ، الهمج الرعاع ، الذين هم لكل ناعق اتباع ،
قد أوثق الفى عقولهم فهم في ريبهم يترددون ، أفنى معرفتى ، أرى الشر

من ذوى النباهة قريبا ، و كانى بسيدى يقول شب عمرو عن الطوق ،
وما أحوجه فى حقيقة الشرع وحالة التصوف الى شىء من الذوق ،
وأعلم أنه لا تظهر حالة حسنة الا بلازمة أصل صحيح ، فان كنت
ممن أراد الاخرة وسعى لها سعيها وأنا اب الى الله بقلب سليم فما أنا
أقبل قدميك ، متبع ما يوحى اليك ، والا فاطو عنى طومار الهديان
ولا تقعق لي بالشنان ، « يا أبت انى قد جاءنى من المعلم ما لم ياتك
فاتبعنى أهدك صراطا سويا ، يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ، يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من
الرحمن فتكون للشيطان وليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربي
انه كان بى حفيا ، (طويل) :

ولما استبان الصبح أدرج ضوءه^١ بأنواره أنوار ضوء الكواكب
أشرق فى الليل نور بهجته ولاح ، حتى أطفأ بشعاعه كل مصباح
(بسيط)

مازلت انكر أيتامى وأعرفها حتى استبان فلابيض ولا سود^١
وجال بى فى بحار الكشف مخبىطا لا الكشف كشف (١) ولا الإبعاد تبعيد
جعلنا الله واياكم من الموحدين المتبعين ، ولا جعلنا من الملحدين
المتبعين ، وما كان لنا أن نأتيكم بسطان الا باذن الله وعلى الله
فليتوكل المؤمنون ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ،

(١) فى بعض النسخ ، لا القرب قرب ،

وفي مياومة الفاضل البيهقي مما يتعلق بذكر طرة قال: « وفي هذه السنة يعني سنة ست وثمانين وخمسمائة وصل الخبر بأن الميورقي حصر ياقوتا نائب قراقوش في طرة حتى أخذه وأخذ من الغز الذين كانوا معه مائة فارس أضافهم الى جنده فأطبقت على طاعته العربان واستولى على بلاد الجريد » انتهى كلام الفاضل

وفي فصل من تاريخ ابن نخيل قال: « ولما وصل الناصر الى افريقية في سنة احدى وستمائة خرج الميورقي من تونس ووصل بعسكره الى القيروان فاقام بها أياما ثم انتقل منها الى قفصة ومن قفصة الى جبل دمر، وفي خلال تنقله الى تلك الجهات بلغه عن أهل طرة من اقليم نفزاوة ما غيرد عليهم فوصل اليها وقتلها حتى افتتحها ثم أطلق الجند عليها فقتلوا الرجال وانتهبوا الاموال واقتربوا الابكار، وأخربوا المنازل والديار، ووجد الميورقي بها رجلين من اجناد الموحدين كانا قاطنين بها منذ زمان فضرب رقابهما صبورا وترك طرة خاوية على عروشها وخرج من سلم من أهلها ففرقوا في بلاد نفزاوة، انتهى كلام ابن نخيل

ويوم حلولنا بطرة رفع شاعر نفزاوة المستقل برسم الادب فيها أبو بكر بن فتح الفماری النفزاوي لمخدومنا قصيدة مطولة يمدحه بها وكتب الى بهذه الايات (سريع):

يا أيها السيد والمستفاد جوهرة أحسد فيها العباد

خاطبت ذاك المجد أثناء ما رفعت للنولى الأجل المعاد
وإن علي أنه صائر اليك تقريرا عن الاعتقاد
لوجد قصاري عن رائد (١) خشية تنقل الكلام المعاد
فقم بمذري وانتشق مسكة تسلم يعتد منك المعاد (٢)
منتظرا عنه الجواب البذي أنا الثرى وهو انسكاب المعاد
مسافرا منه تزودت ممن رضاه زاداً ماله من تقاد
وأنت زودني مقيما فلي من فضل سمي صالح خير زاد
زادان ذا يعني لأدنى مدى وذاك يبقى ذخرة للمعاد
ودم لعين الأدب المتقى قرير عين قررة في السواد
ولما ناولنيها رسوله ارتجلت له فى الحال :

يانسة الروض سقه المعاد صوب حيا روى الربى والوهاد
وحدقت أزهاره أعيننا مرادها رؤية ذاك المراد
أنهي الى على ابن فتح اذا بلفته عنى السلام المعاد
قولي لمن أفردت عليه منى بود صادق واعتق المعاد
ان لم نكن قبل اجتماعنا فقد رآته قبل العين عين القواد

(١) كذا فى النسخ التى بايدينا
(٢) كذا فى نسخة روى سائر النسخ بياض

وَجَّهْ نَحْوِي رُقْمَةً بَرَّةً قَدْ نُظِّمْتَ نَظْمًا يَهْزُ الْجَمَادَ
نَظْمٌ بَدِيعٌ اللَّفْظُ مُسْتَحْكَمٌ السَّمْعِيُّ شَدِيدُ الْأَسْنِ سَهْلُ الْقِيَادِ
قَرَّرَ فِيهِ بَيْنَنَا ذَمًّا بَاقِيَةَ الرَّسْمِ لِيَوْمِ التَّنَادِ
فَتَقَّ بُوْدٌ مِنْ أَخٍ مُخْلِصٍ يِرَاكُ أَسْنَى صَاحِبِ مُسْتَفَادِ
وَهَاكُمَا مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَزَلْ يَهِيمُ مِنْ حَبِّكَ فِي كَلِّ وَادِ
مُشْتَغِلُ الْخَاطِرِ قَدْ قَسَمْتَ أَفْكَارَهُ أَيْدِي النَّوَى وَالْبِعَادِ
مَا بَيْنَ تَحْنَانٍ إِلَى مَوْطِنٍ قَدْ طَوَّحْتَنِي عَنْ ذَرَاهِ الْبِلَادِ
وَقَرَطِ وَجْدِ بَأْنَانٍ بِهِ مَحْضَتُهُمْ مَنِي صَرِيحِ الْوَدَادِ
وَابْتَقَ مَدَى الْأَيَّامِ فِي عَزَّةٍ وَأَنْصَمَ لَيْسَ لَهَا مِنْ تَقَادِ
مَا غَرَّدَتْ وَرَقَاءً فِي أَيِّكَ وَهَزَّتْ الرِّيحُ قَضِيْبَا فَمَادِ

ولما وصل اليه جوابي رجع الى بقوله :

أَرَا حَةَ غَيْبِ أَلِيمِ الْعُنَا أَمْ سِنَةٌ مِنْ بَعْدِ طَوْنِ السَّهَادِ
أَمْ فِجَاءُ الْوَصْلِ غَمِيْبِ الْجَفَا أَمْ مُسْتَطَابِ الرِّيِّ بَعْدَ الْحِرَادِ
أَمْ رُقْمَةٌ مَنَّنَ بِهَا سَيِّدِ طَابَتْ بِهَا الْأَذْكَارُ فِي كُلِّ نَائِدِ
أَشْعَرَنِي الْبُشْرَى وَحَسْبِي بِمَا قَرَّرَ مِنْ وُدِّ وَحَسَنِ اعْتِقَادِ
أَيَّتَهَا النَّفْسُ اتَّكَالًا عَلَيَّ مِنْ رَفْعِ السَّبْعِ الطَّبَاقِ الشَّدَادِ

وفعل مؤلى شد ركن العلى مطرزا أعلامها بالجهاد
أيده الله بأيده له فقل العوالي والسيوف الحداد
وأنت يا أفضل من يرتجى لفضل سمي صالح مستفاد
داركك الله بالطرافه مقربا شملك بعد البهاد
صاير لك الخير ضروب النوى واقطع مسافات الربى والوهاد
فمن قليل سوف تُلقي الألى مخضتهم منك صريح الوداد
قرير عين بالذي شئت من قرب وساد بعد (١) طول السهاد
وفضل نفي بزدها سابع ما انهل قطر فوق قطر وجاد
وصل صلاة الله للمصطفى خير شفيع ضامن الخلد هاد
وقد تعرض في قصيدته التي رفع لمخدومنا الى ذكرى فقال في
فصل منها (كامل) :

هذا انصاب المبدخفة ناقد أوذي معارف يستطيل ياني
لاسيما ولديك جهيد نقيدها والوبل من نجاجها التيجاني
الفاضل الفطن المجلي في المدي والاصل المختار خصل رهان
بأبي محمد استقل رواؤها وشفى الروى منها صدى الظمان
غواص لجتها ومخرج ما بها من لؤلؤ رطب ومن مرجان

ومقلد الاجيادِ كلَّ سِنِيَةٍ أَزْبَتِ عَلَى الْيَاقُوتِ وَالْمَعْيَانِ
وَلرَبِّمَا أَهْدَى إِلَيَّ جَيْلٌ مَا مِنْهُ بَطَّحَ الْغَيْبُ قَدْ أَوْلَانِي
فَلَمَّا جَمَلْتَن مِمَّا عَنَانِي شُكْرَهُ وَأَسْجَلْتَن فِيهِ هَمُومَ عَنَانِي
وَأَعْوِذُ مِنْ بَاعِ ذَوِي قَرِيحَةٍ خَدَمَتْ بِحُكْمِ طَوَارِقِ الْأَزْمَانِ

ولما رأى ما لجوابي المتقدم من الحنين الى الوطن ، والتشوق الى
المسكن والسكن ، كتب الى بهذه الارجوزة المزدوجة مداعبا ومنبها
على حسن التوسط له (رجز) :

إِزْبَابُ بِنَفْسِ حُرَّةٍ عَنِ ذِكْرِ مَا يَبْلُبُ الْبَالُ لِسُكَّانِ الْحِمَى
وَعَدُّ عَنِ رَقَّةٍ طَبَعَ عُنْدِي فَمَا لَذِي عَقْلٍ بِهِ مِنْ عُدْرٍ
وَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ بِالشَّهَامَةِ فُؤْمٌ بِهَا حَفَّتْ بِكَ الْكِرَامَةُ
وَاحْتَمَلَ الْقَسْوَةَ وَالْيَسَادَاةَ وَأَهْنَاهَا مَا دَمْتُ فِي تَفْزَاوِهِ
طَبَعَ الْمِيَاءُ وَالسَّهْوَاءُ وَالْبَلَدُ لُنْدُ عَائِدًا بَقْلٌ هُوَ اللَّهُ أَحَدُ
إِنَّ هِيَ إِلَّا سَفْرَةٌ تُسْفِرُ عَنِ حَسَنِ عَقْبِي مَعَ وَفْرِ يَفْرِ
لَوْ بَمَتَّ فِي اثْنَائِهَا دِنْيَاكَا وَأَنْتِ ذُو مَلِكٍ وَمَا أُدْرَاكَا
بِجَلْسَةِ بَيْنِ يَدَيِ عَمَّادٍ وَقِيَّتَ فِيهَا أَعْيُنَ الْحُسَّادِ
وَنَظْرَةَ لَوَجْهِهِ مُشْتَقَّةً مِنْ نَضْرَةِ النِّعَمِ فَاعْلَمْ وَافْقَهُ

كنتَ على ما بعت منه رابحا فاضمتم على يقينك الجوانحا
زهر الجيوم حاسدات موضعت إي والذي بفضلته قد رفعك
وأنت بالتمييز جِدَّ عالم بين الذي رأيت من عوالم
فاحكم بمقل راجح وفهم تجذك فزت بأجل سهم
فاشكر بزدك الله من إكرامه والحسب المرضني من إمامه
بأفضل الخصلة والمراتب اضحى لك الخير ويمن راتب
صابر على التأويب والإدلاج ودائم الإلجام والإسراج
واقطع مداها فندفدا قندفدا واضع لحاد في مراعيها حدا
واشرب زلالا لا زعاقا آسن وعد عن تعيق كل ماجن
كذاك حتى تبصر المعالما من دار ترشيش صحيحا سالما
كبر هناك ساجدا لله سجد عبد حامد أوّاه
واستقبل الأعراس والأفراحا وعاط من تهواهم الأقداحا
قرير عين باجتماع الشمل وانس النوى بعد بطيب الوصل (١)
يا أسعد المولى العماد المحسن كهف بني الدنيا وحيد الزمن
أدام ذو العرش له السمودا وأرغم الشانثي والحسودا

وخصَّ كلاً منه بالإنعام ما سبَّح الرعد من الغمام
إيه (١) أخوا الفضل العيم ذكّر مقامهم بعبدهم وقرّر ز
فإنه يرتقب الوعودا مؤملاً جودهم المتبيدا
عساهم ان يجيروا الكسيرا كان الإله لهم نصيراً
وأفضل الصلاة والتسليم على النبي المصطفى الكريم
وهذا الفقيه أبوبكر بن فتح له من الادب ولطافة الشعر ما تراه
وهو ممن يستغرب وجوده في مثل تلك البقاع وله التقدم في حسن
الخط وهو انفرد فيه بطريقة اخترعها لم تعرف قط في أنواع الخط
المعدودة، وبرع فيها في وقتنا هذا جماعة من أهل الجريد أخذوها عنه
وسياتى لهذا الرجل ذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

فأقمنا بطرة يوم حلولنا بها، ويومين بعده، وارتحلنا عنها يوم
السبت الحادى والعشرين منه فحللنا بظاهر بشرى (٢) وهى القاعدة
الثانية من اقليم نغزارة وبينها وبين طرة اثنا عشر ميلاً أو نحوها
اجتزنا فيها قرى كثيرة منها قرية تعرف بكليكل وقرية تعرف بياسك
وقرية تعرف بنى يوسف وقرى سواها، ودخلت الى بشرى فرأيت
قرية أضخم من جميع ما قبلها من قرى نغزارة وبخارجها عين
تعرف بعين تاورغا أعظم اتساعاً من عين طرة وأقوى ماء الا أن فى

(١) فى بعض النسخ « ايها »

(٢) ينطق اسمها اليوم بتشديد الشين بعد باء مكسورة

تلك حسنا ليس في هذه ، وبها سفرجل قل في جميع البقاع ما
يئاظره أو يقرب منه طيب طعم وضخامة جرم وكثرة ماء وخلوص
صفا ، وليس يشبهه الا السفرجل الموجود بتاجورة من قرى طرابلس ،
وحدث عندهم في وقتنا هذا صنف من اصناف الكثرى بديع
الشكل شهي الاكل قلما يوجد مثله طيبا وهم يضيفون الى الطير
جنسه ، اذ لم يتول احد منهم بتلك البلدة غرسه ، فاقمنا بها بقية شهر
رمضان واستهل شهر شوال بالاربعاء فاصبحنا يوم عيد الفطر فغدونا
الى المصلى ووصل خطيب البلد فصلى ثم اخذ في الخطبة فلم أر رجلا
افصح منه ولم اسمع ايضا مثل الخطبة التي خطب بها وكنت اتخيل
انها من انشاء ابي بكر بن فتح المتقدم الذكر فاخبرت انها من انشاء
بعض أهل توزر وسالت عن الخطيب فقيل هو ابو عبد الله محمد بن
حيون من اهل نزاوة .

واصبحنا يوم الخميس متوجهين الى توزر فارتحلنا عن نزاوة ظهرا
مقربين لمرحلتنا من الغد وشرعنا في اول السبخة المعروفة بتاكرت
فقطعنا سيرا منها وبتنا هناك على عين ماء فلما كان ثلث الليل الاخير
ارتحلنا واخذنا في اجتياز هذه السبخة فلم نزل نقطعها سرى وسيرا
الى الزوال من الغد وهو يوم الجمعة ، ووجدنا فيها معالم قائمة من
جدوع النخل تمنع السالك من الخروج عن طريقها المسلوك بينا
وشمالا لان ما على يمينها وشمالها من الارض مغائض لا تثبت عليها

قدم ولا يسلكها احد جاهل بها الا غاص فيها ، قال البكري في المسالك (١) : وقد هلكت فيها الجماعات والمساكر ممن دخلها ولم يدر امرها ، ثم كلامه . واذا غاص فيها احد التأمت الارض في الحين وعادت كما كانت

واخبر مخدومنا قال : اخبرني محمد بن ابراهيم بن جامع المرداسي قال سلكتها قافلة لنا فيها الف جمل فند بعير منها عن الطريق وتبعه باقى الابل فلم يكن أسرع من ان ساخت في الارض وغاص فيها الف جمل ثم عادت الارض كما كانت وكان لم يكن لتلك الابل اثر ، وذكر ابو الحجاج مسير يوسف بن المنصور الى توزر فقال : وتمادى به السير الى الملاحة المجاورة لتوزر وهي من غرائب الدنيا التي اغفلها المؤرخون ، واهمل وصفها الاخباريون ، فانها اميال في أميال سطحا واحدا كاللجين المسبوك ، او المرمر المحكوك ، يكاد ينفذه البصر لصفائه ، وكانما هو غدير جمد بئانه ، قال : وآن وقت صلاة الصبح والناس يشنون فيها فصلوا منها على بساط من الكافور او سطح من البلور، قال : ولما تمادى المشى في هذه السبخة الى وسط النهار ، وتوالى عليها تكرار الحافر وتردد الاثار، تخرق منها نحو مائة ذراع فيما يقرب من البر فكل ما تخلف من الحمولة والاثقال ابتلعت وساخت الجمال باحمالها فما اخرجت الا اشلاء بعد نحرها حيث ساخت فهلك بذلك جملة من الزاملة، ورزح الظهر وذهب اكثر الحمولة . واما

انا فشاهدت الرجل يدفع سافلة الريح في الارض ويعتمد عليه الى
عاليته ولو ازداد دفعا لازداد نزولا فاذا جذبته عادت الارض الى
حالتها الاولى، ووجدنا كثيرا من تلك المعالم قد سقطت وابعده الريح
عن مكانه وتحت كثير منها عظام هنالك من الناس والى جانب
عمود منها امرأة قد ضمت يدها على طفلة فماتتا معا ويذكرون انها
غاضبت زوجها بنفزاوة وحلفت ان لا تبيت يوما ذلك الا بتوزر، او
غاضبه بتوزر وحلفت ان لا تبيت الا بنفزاوة وخرجت من حينها
هي وابنتها فماتتا في طريقهما .

ومن العجب ان هذه السبخة لا يمكن ان يشرب بها ماء عذب فان
الماء اذا استصبح فيها عاد بهوائها ملحا اجاجا على طبعها ، وقد
أحسن من قال وانشد فيه لنفسه الفقيه الفاضل ابو ابراهيم بن
حسينة يصف هذه السبخة وما لقيناه في قطعها (واقر) :

قطنا التاكمرت سُرى وسرنا صيحة يومنا حتى الزوال
فلا تسأل لما قاسيت فيه من الاهوال والكرب الثقال
غناء ليس يشبهه غناء يضيق لديه متسع المقال
وليل لا تسير به نجومٌ كأن نبطت إلى بعض الجبال
وأرياح تصم الأذن منها تهب عن اليمين مع الشمال
نصد عن طريق القصد قصدي وتضرب حُروجهي بالرمال

ولا أنْطِيع فتح العين فيها ليمض الامر إلاً باحتيالٍ
وأجهد في دفاع النوم غني لخوفي من سقوط أو ضلالٍ
وما زلنا نكابد في سُرانا مهالك لا تُقابل بالمِحَالِ
إلى أن لاحت الغابات ظُهرا بظاهر توزر مثل الخيالِ
فهنأ بعضنا بعضا سرورا ونلنا راحة بعد الكلالِ
فلما وصلت الى توزر رأيت بلدا خارجه يجمع الحسن ويستوفيه ،
وداخله يصدق ما قال ابن زنون فيه ، وأشعار أبي عبد الله محمد
ابن زنون أشهر من ان تذكر .

وتوزر هي قاعدة البلاد الجريدية وليس في بلاد الجريد غابة أكبر
منها ولا أكثر مياهها ، وأصل مياهها من عيون تتبع من الرمل
وتجتمع خارج البلد في واد متسع وتتشعب منه جداول كثيرة ،
وتتفرع عن كل جدول منها مذانب يقسمونها بينهم على أملاك لهم
مقررة مقاسم من المياد معروفة ، ولهم على قسمها أمناء من ذوى
الصلاح فيهم يقسمونها على الساعات من النهار والليل بحساب لهم
في ذلك معروف ، وأمر مقرر مألوف ، وعلى ذلك الماء أرحاء
كثيرة منصوبة ، ومن العجب أن هذا الوادى يحتل ما يحتل من
غناء أو غيره فاذا انتهى الى المقسم افرق هنالك أجزاء بالسوية على
عدد المسارب فمضى كل قسم منها الى مسرب منها ، وهذا مما

شاهدته فيها عيانا. وكثير من أهلها انما يسكنون بغابتها ولا مناسبة
بين مباني الغابة ومباني داخل البلد فان مباني الغابة اضخم وأحسن .
وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحد ومتفرجهم بموضع
يعرفونه ببَابِ الْمُنْشَرِّ وهو من أحسن المتفرجات لان مجتمع الماء
هنالك ومنه يتفرع كما تقدم ، ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك
من الثياب الملونة والامتعة الموشية ما يعمه على كبره فيخيل للناظر
أنه روض تفتحت أزهاره ، واطردت أنهاره ، وليس بتوزر أحسن
من هذا الموضع وهو خارج عن غابتها ، والغابة ملاصقة لسور المدينة
فهى بذلك تمت حصانتها ، وقد وصفها بعض شعرائها فقال من
قصيدة طويلة رتبها على حسب ما اخترت منها : (كامل) :
زُرْتُ تَوْزْرًا إِنْ شِئْتَ رَوْضَةً (١) جَنَّةً

تجري بها من تحتك الأنهار
نهرٌ على رمل يسير كأنه ورق يَمَاعُ على النُّضَارِ يَمَارُ (٢)
أبًا وفاكهة حوت وحدائقا غلبًا تفرِّد فوقها الأطيَّارُ
جئاتها مثل الجنان فأرضها مسك ونشر تسيماها معطارُ
دوح يرف ومنظر يسبي النهى وبرود روض وشيها الأزهارُ
ومذانب مثل القواضب جُرِّدَتْ خلعت عليها لونها الأشجارُ

(١) فى بعض للنسخ « رؤية »

(٢) فى بعض النسخ « رقة تماع على النضار تمار »

وتناثرت مثل الدراهم فوقها أنوارها فتضاعفت أنوارُ
وإذا يهتَب نسيها ذاعت به من نشر أزهار لها أسرارُ
والنخل مثل عرائس مجلوة تُبدي بديع حليها الأطوارُ
وإذا هزرت بجذعهن تساقطت زطبا جنيًا ثرهن نُشارُ
قُطر من الأقطار أشرق حسنه فكانما الليل البهيم نهـارُ
كم فيه من معنى جميل رائق تصبو لرؤية حسنه الأبصارُ
كملت محاسنه وطاب حديثه فبذكره تتزيّن الأسمارُ
يا أيُّها الثاوي به من أهله أو غيرهم ممن حوته الدارُ
لا تصبون إلى سواه فإنّه للدين والدنيا هدى ومنارُ
هي (١) جنة قد اصبحت مخوفة بمكاره هي للقلوب سمارُ
يا جنة لولا شوائب صفوها تمّ النعيم بها وعزّ الجـارُ
أيامنا مصقولة اطرافها بك والليالي كلها أسحارُ

وأهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بافريقية قبل الفتح
الإسلامي وكذلك أكثر بلاد الجريد لانهم في حين دخول
المسلمين أسلموا على أموالهم ، وفيهم قوم من العرب الذين سكنوها
بعد الافتتاح ، وفيها أيضا من البربر الذين دخلوها في قديم الزمان

(١) في نسخة دمر ،

عند خروجهم من بلادهم فان بلاد البربر انما كانت أرض فلسطين وما جاورها من بلاد الشام وكان ملكهم جالوت المذكور في القرآن فلما قتله داود عليه السلام تفرقوا في البلاد وتوجه أكثرهم الى افريقية وبلاد المغرب وكانت افريقية للروم فأجلتهم العرب البرابر عنها الى جزائر البحر كصقلية وغيرها ، ثم تراجعت الروم الى بلادها على موادة وصلح مع البربر فاخترت البربر سكنى الجبال والرمال وأطراف البلاد وصارت الروم الى البلدان والعمائر حتى جاء الاسلام وافتتحت البلاد ففر جميع من فيها الا من أسلم أو أدى الجزية كأهل الجريد هؤلاء ، وقد اشتهر عنهم ما اشتهر من بيع فضلاتهم وهم يعيرون بذلك كما يعير أهل فابس ويعير هؤلاء ايضا بأكل لحوم الكلاب ، ولم أر منهم الا مقرا بأكلها مستطيا للحمها وقديما ما هجى من هجى بأكل لحوم الكلاب

وممن اشتهر بذلك من قبائل العرب بنو أسد ثم بنو فقفس منهم فقد قال الفرزدق (١). (طويل) :

إذا أسديّ جاع يوما ببلدة وكان سينا كلبه فهو آكأ ،
وقال مساور بن هند (٢) (واقر) :

إذا أسديّة ولدت غلاما فبشرها بلؤم في الغلام
يخرّسها نساء بني دِير . بأخبث ما يكون من الطعام

(١) راجع كتاب البخلاء للجاحظ (طبع ليدن) ص ٢٥٩
(٢) راجع كتاب البخلاء ص ٢٥٩ وكتاب الحيوان للجاحظ ج ١ - ص ١٢٨ - ١٢٩

ترى أظفار أعقَد مُلَقِيَّاتٍ برائثها على وَضَمِّ الثَّمامِ
يخرسها أي يجعلن لها الخرس - بضم الخاء المعجمة وسكون الراء -
هو طعام الولادة ، وقال مساور بن هند أيضا (١) (طويل) :
بني أسدان تُمَجِّلِ العامَ ففَعَسُ فَمَذا إِذَن دَهرُ الكلابِ وعامُها
وقال حسان بن ثابت يذكر هذيلًا ويعيرهم بأكل لحوم الكلاب
ولحوم الناس (٢) (بسيط) :
إِنَّ سِرَّكَ الغَدْرَ صَرفًا لا مَزاغَ لَه فائت الرَجِيعَ وِسلَ عَن دارِ لِحِيانِ
قومِ تَواصَّوا بِاِكلِ الجارِ يَنهم فَالكلبِ والشاةِ وَالإِنسانِ سِيانِ
وليس يوقف لوقت بناء توزر على تحقيق لقبهم العهد في ذلك
وبعض المؤرخين يقول ان بناءها كان باثر طوفان نوح عليه السلام
وكان افتتاحها صلحا في أول الاسلام على يدى حسان بن النعمان
سنة تسع وسبعين وذلك بعد غوده من برقة بالمدد الذي أمده به
عبد الملك على ما قدمنا ذكره عند ذكر الاجم، ووقع في تاريخ ينسب
الى الامام الحافظ أبى الطاهر السلفى أن افتتاح توزر كان على يد عقبه
ابن نافع القرشى وذلك غريب لان ولاية عقبه بن نافع على افريقية
سنة ست وأربعين فان صح هذا الذى يذكر أبو الطاهر فيكون افتتاحها
فى زمن معاوية بن أبى سفيان وعلى القول الاول يكون افتتاحها فى

(١) راجع كتاب البخلاء ص ٢٥٩
(٢) راجع ديوان حسان بن ثابت (طبع تونس) ص ١٠١ وكتاب البخلاء ص ٢٦٠ وكتاب
الحيوان ج ١ ص ١٢٩

زمن عبد الملك كما تقدم ، ويحتمل أن تكون فتحت أولا في زمن
عقبة ثم انتقضت كما انتقضت افريقية فافتحت ثانيا في زمن حسان،
وأما ما يدل على أنها افتتحت صلحا فبقاء كنائس النصارى بها خرابا
الى زماننا هذا لم يتصرف فيها وأن المسلمين بنوا بازاء كل كنيسة
منها مسجدا (١)

وقد كان علي بن اسحاق الميورقي نزل عليها هو وأخوه يحيى
فحاصراها مدة وقطعا غابتها ولولا المخامرة من أهلها لما تمكنا
منها ، ولما افتتحها سالما أهلها الذين باطنوهم على فتحها
واستصفا أموال الاخرين ثم ألزمهم بعد ذلك أموالا أخرى
يفقدون أنفسهم بها ، فكان الرجل منهم ينادى عليه فان وجد من
يفديه أطلق والا رمى بعد قتله في بئر هناك يسمونها بئر الشهداء
أضيفت الى هؤلاء الذين رموا بها، وكان هذا بعد فرارهما من بجاية
عند وصول جيش المنصور اليها سنة اثنين وثمانين وخمسمائة . ولما
بلغ المنصور ما فعلا في توزر أنفذ ابن عمه يعقوب بن أبي حفص
ابن عبد المؤمن اليهما فكانت للموارقة عليه الوقعة المعروفة « بوقعة
عمره » فتحرك المنصور بنفسه وأوقع بهم الوقعة المشهورة بظاهر
حمة مطماطة وقد تقدم ذكرها عند ذكر الحمة وتبعهم الى توزر
فتوغلوا في صحرائها فرجع عنهم وقدر أن مات علي بعد ذلك على
توزر جاءده سهم في ترقوته فمات منه

(١) هذا كلام ابن اثسباط بعينه في شرحه على التقيدة الشقراطسية

والاشهر في اسمها توزر بفتح التاء وبمض الناس يضبطها بالضم
ولا وجه لذلك فان المستند في اختيار الضم الى مذهب من رأى أن
الالفاظ الاعجية في أى وزن كانت تحكى على ما وقعت في
كلامهم ولا يغير منها الا ما غيرته العرب، وأما على مذهب من رأى
أنها ان لم توافق وزنا من أوزان العرب غيرت ونقلت الى أقرب
ذلك منها (١)، وأرض توزر في وقتنا هذا من العرب لبني مرداس
وقد تقدم أن رئاسة مرداس في بني جامع منهم وهم أشهر عرب
افريقية قدما ورئاسة وقد ذكرنا قبل هذا ملكهم لقابس وأشرنا الى
بعض أخبارهم

فضربنا الاخوية حين وصولنا الى توزر بخارج البلد من جهة
مصلاه وهو مصلى كبير يحدق به حائط مرتفع وأقام الجيش هنالك
ودخلنا نحن مع مخدومنا الى روضة بغابتها لرئيس البلد أبى العباس
ابن يملول من اجل روضة هنالك وأحسنه (٢) فأقمنا هنالك الى أن
قبض قطيمهم ، وتساوى في الاداء مستعهم ومطيمهم .

وزرت بقربة من هذا المصلى مقبرة الفقيه ابى محمد بن يعقوب رحمه
الله وهى بدار أعدت لهم هنالك لدفن من يموت من الغرباء ذوى
الايثار ومعه فيها جماعة سواه ، ورأيت قبر الفقيه أبى محمد فى

(١) كذا فى جميع النسخ التى بايدينا ولا يخفى ما فى النظم من التركيب مع اضطراب
المبارة وعدم ارتباط صحيح

(٢) كذا فى جميع النسخ

حجر بيت صغير (١) وكتب عند رأسه تاريخ وفاته وذلك السابع من شهر جمادى الاخرى عام اثنين وسبعمائة

وفى أثناء اقامتنا بتوزر وصلت الى قصيدة من الفقيه الاجل الاديب أبى بكر محمد بن أحمد بن شبرين الجذامى السبتي من مستقره غرناطة، وهذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقا، وأحسنه فى النظم والنثر طريقا، وقد كنت اجتمعت به بتونس ووصل الينا فى الخامس لذي القعدة من عام ثلاثة وسبعمائة، وكان فى نيته التوجه الى الحج فلم يقض له ذلك فأقام بتونس مدة ثم ارتحل عنها عائدا الى وطنه سبته، وكان رحيله فى التاسع عشر من شهر المحرم مفتوح عام أربعة وسبعمائة فاتفق بعد وصوله الى بلاده من أخذ البلد ما اتفق، وطرق أهله من التشيت بسبب ذلك ما طرق، فكان هو وأبوه ممن انتقل الى غرناطة فتخطط هنالك بكتابة الرئيس الوزير أبى عبد الله ابن الحكيم الرندى وبعث الى هذه القصيدة لتونس معرفا بذلك، فرجعت اليه من تونس من المخاطبة والمجاوبة ما ملا سفرا جمعته وسميته «نفحات النسرين»، فى مخاطبة ابن شبرين،، ونص قصيدته هذه (كامل):

ما ذا على صوب الحيا المتجسس لو جاد رسيا بالكثيب الأوعس
إيه على الحى الذين تحملوا والشوق يتبعهم ذماء (٢) الأأنفس

(١) وفى بعض النسخ « قد حجر فى بيت صغير » وفى بعضها « فى بيت صغير حجر »
(٢) فى جميع النسخ « ذماء » بالدال المهملة

من كلِّ أغلبٍ مخرِّزٍ خَصَلَّ العلى
لا يُوحش الله المنازل بالحِمْي
سقى وتكرمة لما اسلفت من
ولئن نسيت فلست أنسى جيرة
هيهات ما إن شاقني بعد النوى
لكن تذكرك سادة قد أنطقوا
يا نسمة سحبت فضول ذبولها
والورق قد صدحت على أفنانها
حطى رحال تحيتي في معهد
والحي من تيجان (٢) فاشرح عندهم
وإذا هم سألوك فاذكر أنني
وحللت ساحة ماجد متهلل
لابن الحكيم ما أثر ما زال بالسلف الكريم الأصل فيه تأتي
آنست نار الجود من ناديه في ليل الشجون فكنت أسعد مؤنس
أولا تأتي (٣) نور تلك النار من ناديه طال تخبطي في العنيدس

(١) وفي بعض النسخ « التصرم »

(٢) في بعض النسخ « تيجان »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « تالق » أو « تلالؤ »

يا ليت قومي يعلمون بأنني في دوحة العلياء طاب ممرسي
أأبا محمد العزيز وإنه لدعاء ود في علاك مؤنسي
لله درك من يبلغ لابس من حلة الآداب أسبغ ملبس
حاشاك أن تنسى على شحط المدى عهداً نقّي العرض غير مُدّس
دعني أسدّد من حديد ملامتي سهماً يفوت المرسلات من القسي
هل أنت ذو علم بما أصبحت من كأس الشجون لأجل بعدك أحسي
ما زلت مذ نزلت ديارك أسأل السرّكبان بين مهجر ومغلس
أوحشت من سحر البلاغة محضري ولقد عهدتك في القديم مؤنسي
أبديت لي هجراً بغير جناية والهجر منك بخاطري لم يهجن
وأنا الذي ما زلت أمحضك الهوى وأمّت بالحبّ الزكّي المغرس
أسقى حسود نينا فاستشمرت عليك من جرّاي خيفة (١) مدنس
لا تخفون ذمام إخلاصي فقد أظفرت بالذخر الخطير الأنفس
إن لم تحرّك لي فؤادك هذه نضرب على الودّ القديم ونياس
استغفر الرحمن لا أنساك ما لم أظنّ في شقّ الضريع وأزّمس
يا معلمين (٢) من البدائع أكوّسا عاطوا غريب الدار فضل الاكوّس

(١) في بعض النسخ « خيمة »
(٢) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا وفي الحلل السندسية « يا معلمين »

وتعطفوا برسائل من نحوكم تأتي بإحسان على العبد المُسي
وإذا سرت من نحوكم نجدية تهدي نسيم المسك عند تنفس
فلتبشوا للمستهام تحية تُدني مسراتي وتذهب أبوسي
لا زلتُم تلقون في أطواركم عزاً تدين لديه شوس الأرووس

واتصل بهذه القصيدة من الكتب : « سيدى دامت سعودك ،
وحرس لآحياء الاجادة وجودك ، ان فوقت سهام العتب ، فلضنتك
بالكتب ، وان أملت باللام ، فلابطاء بلاغ السلام ، فقد استجالت
فيما أظن عندك الاحوال ، وجفتنا أنباؤك ثلاثين شهرا في ثلاثة
أحوال ، حتى كأنك تعرفت بعدي ، ما أحالك عن عهدى ، وتلقيت
من أنبائي ، ما صرفك عن ولائى ، وقد أكثرت بالمخاطبات ، وأثقلت
بالمراسلات ، ظهور الواخداث ، فما روجعت بحرف ، بل عبت
مودتى على حرف ، واتخذت نسيا منسيا ، ونبتت فى الظاهر ولا
أقول فى الباطن ظهريا ، ومع هذا فلا أشك أن عند سيدى أعزده الله
علما بما جرت به أحكام الليالى ، وتشوفا الى تعرف ما تريد (١)
من خاصيتى فى حالى ، فقد خلبت الدهر فى هذه الحادثة أشطره ،
وخبرت الناس فى حالى العسرة والميسرة ، الى أن اقتادنى السعد
بزمام ، وأحلنى الامل النائى بمشوى امام يا له من امام ، حيث الامير

(١) وفى نسخة « ما تزيد فى خاصيتى من حالى »

المؤيد (١) العالى مرفوع مناره ، واضحة للسالكين آثاره ، والسيادة
الوزيرية ، الحكمة العلمية ، ملتقى الامال ، ومحط الرحال ، وناسخة
أحكام الادبار بالاقبال ، فهناك أضاءت لى البركات لى المدلهم ،
ونادت بى المكرمات ألا هلم الا هلم ، لا زال هذا الامير (٢) العزيز
مقصودا منصورا ، بالغا من آماله الشريفة ما يقر من المؤمنين أعينا
ويشرح منهم صدورا ، والسلام ،

وقد كتم الفقيه أبوبكر فى هذا الكتاب خبر أخذ بلده وطواه ،
وأوما فيه اليه اكتفاء بما بين فى سواه ، فقد كان كتب الى قبله
كتابا يصف فيه ذلك وكان صدره بهذه الايات (منسرح) :

يا أيتها الراكب الذي طلعا	لقيت مستوطناً ومنتجعاً
انزل وحدث بما تشاء فقد	وجدتني للحديث مستمعاً
لعل في مقتضى حديثك من	أبناء ما قد وددته لعماً
أستودع الله لا أقول هوى	قطع قلبي بصدده قطعاً
لكن صديق حمدت خلته	لذن شربنا كأس الصفاء معاً
من غير ما خانة (٣) له خلق	على المعالي مزاجها طبعاً
أنعم صباحاً على البعاد أباً	محمد لا برحت مصطنعاً

(١) وفى بعض النسخ « الامر المديد »

(٢) وفى بعض النسخ « الامر »

(٣) فى بعض النسخ « من غير نخانة »

واحفظ فؤادي لديك إني قد تركته في حماك منقطعاً
أما ودادي الذي علمت به فيانه في الضمير قد ربعا
لولا ولاء ظفرتُ منك به لكنتُ أشدو بتونس جرّعا

« وارحمتاً للغريب بالبلد النازح ماذا بنفسه صنعا »
فصدرت الجواب عن كتابه هذا بقولي ، وأشرت الى بسط
القضية :

حدث عن الحادث الذي وقعا تلف مصيخاً إليك مستمعا
وهالك (١) ما قد سمعت منه وإن تركت قلبي بذاك منصدعا
هل معهد الأنايس كيف كان فقد عهدته للكمال مجتمعا
وهل حمى العز فيه محترم أم سلب العز منه وانتزعا
وأين ناس هناك أعهد لهم على المعالي جميعهم طبعاً
من كل طلق اليمين مبتسم أروض دّرّ السباح فارتضعا
تلفيه كالنجم رفعة وسناً لا بل كبدر الدجى إذا طلعا
باكرهم حادثٌ ففرّقهم وأذهب الناس والبلاد معاً
وجرّ عدوانه فجرّعهم به من الهّم والأسى جرّعا
يألت شعري وفي المنى سعة إن أبقت الحادثات مستمعا

هل يرجع الدهر مامضى فلكنم
أم لا يرى عابدا فوا أسفي
هيئات تسم القضاء وارتفعت
فلمست مما طلبت عودته
عهدي بهم والشجون تغلقهم
منثرا في البلاد نظهم

قد عاد من ذاهب وكم رجعا
على زمان مضى ووا جزعا
مطامع النفس عند ما ارتفعا
أول من في الحال قد طمعا
لا جنب منهم يزوز مضطجعا

يا من رأى (١) السلك بعد ما انقطعنا
امر من الله لا امرء له
لم يبق كهلا منهم ولا يفعنا
وخدعة تسم امرها فضت
وكم سيد الآراء قد خدعنا
هناك سلامي على البعد ابا
بكر قلبي (٢) إليك قد نزعا
وثق بو د ادين فيك به
ملتزما منه كل ما شرعا
ان حال خل عن المودة او
اجاب داعي السلسو حين دعنا
فاعلم بانني والصدق من سمي
متعن رأى حفظ عهده ورنا
وانني ما قطعت ذكره بل
ما زلت للشكر فيك منقطعا
اقسمت بالركن واليقيم ومن
قد ظاف باليت نحوها وسمى

(١) في نسخة « زاء »

(٢) وفي بعض النسخ « بقلب »

ما طاب لي بعدك البقاء ولا وجدت لي في الحياة منتفعا
وكتبت أيضا من توزر للشيخ المكرم أبي محمد عبد الواحد بن
أبي يغمور الهنتاتي وهو بنفزاوة كتابا صدرته بهذه الايات :
(بسيط) :

يا نسمة صدرت عن روضة ظهرت في برد رقم وشته السحب متور
فكلما يمت في سيرها جهة مرّت بذيل على الأزهار مجرور
أنهبي اشتياقي وتسليمي لمجد أبي محمد بن أبي زيد بن يغمور
وأعليه بما يطوي الضير له من اعتقاد وتعظيم وتوقير
وأبني بين قلب للوداد له مفرغ وقم للشكر مقصور
وقرري ذاك تقريرا أثبتته ولست فيه بمحتاج لتقرير
لا زال في نعم موصولة وعدلا باق وحظ من الإسعاد موفور
وأكثر الفقيه الطيب الفاضل أبو ابراهيم بن حسينة في هذه
الايام من مخاطبتي بالنظم والنثر في أغراض شتى وأنحاء تأتي على
حسب ما اتفق وأنا أجيبه عن ذلك كله وأكثر ذلك ضاع مني
وأذكر منه الان قوله (واقر) :

أعبد الله فقت ذوي المعالي حياك الله أياما سعيدة

ونلت منال آباء كرام لهم في المجد آثار حميدة

أردت إليك إرسالاً بشعر
فإنك مستمد من بحور
فإن جاوبت عن نظم بنظم
فلا أبقى لأطاب منك نظماً
لأسمع من جوابك لي مديده
سواحلها غدت مني بعيده
بعثتُ بقطعة أيضاً جديده
ولا أبقىت تطلب لي قصيده

فأجبت عن ذلك (وافر) :

أحرز كل منقبة حميده
أغنت على النظام بحسن طبع
وتسألني الجواب وإن فكري
فمهتدي على التقصير عذرا
ومن لم نلف في الدنيا نديده
وأفكار مؤيدة سديده
ليقصر عن مجاريك المديده
وهون من مطالبك الشديده
وسعد دائم وعلا جديده
ودم في عزّة وبلوغ قصد

ثم ارتحلنا عن توزر يوم الجمعة السابع عشره شوال عائدين لقابس
بعد ان تم قبض مجابى جميع البلاد الجريدية (١) بالمباشرة فيما دخلنا
منها وبالتوجيه فيما لم ندخله، فكانت مدة الاقامة بتوزر خمسة عشر
يوما وكان الرجل عنها باثر حضور الجمعة بجامعها فقربنا ليلتنا
تلك لمرحلتنا من الغد سالكين في أول انسيخة المعروفة بتاكمرت
حسبما فعلنا فيها اولاً ، وبتنا على غير ماء ثم هيينا (٢) لسلو كها ثلث

(١) في بعض النسخ « قبض جميع مجابى البلاد الخ »

(٢) في بعض النسخ « شرعنا »

الليل الاخير فلم نزل نحف بأيدي المطايا ، ونعد ذلك ان شاء الله
تكفيرا لما ارتكبنا من الخطايا ، الى عصر الغد وكانت هذه الخطرة
أشد من الاولى نصبا ، وكأنما كانت دبوراً وتلك بالنسبة الى هذه
صبا ، ولما حللنا بمنزل بشرى من خطرنا الثانية اليه حاول جميع
الجيش أن يقيموا خباء لمخدومنا ولانفسهم فلم يستطيعوا لقوة الريح
فتفرق الناس ودخل أكثرهم الى البلدة ولم يضرب في ذلك اليوم
خباء لاحد من الناس ، ونزلنا نحن بجنة من جناتها أمكننا فيها ضرب
الاخية بسبب ما يسد الريح من الثمار التي تكفننا ، فبتنا تلك الليلة
هنالك وأصبحنا من الغد فاشتد عصف الريح حتى أيسنا الحياة
بابتعاد ، (١) واستعدنا الله من قتلة عاد ، وقصفت الريح في ذلك
اليوم من البساتين التي تكفننا نحو عشرين نخلة فانجفت في
الارض ولم يتأذ بها أحد من الناس

ووصل الينا بهذا المنزل الفقيه الاجل أبوبكر بن فتح المتقدم
الذكر من مستقره طرة بسبب وعد باحسان كنت وعادته اياه عن
مخدومنا فينا أنا بداخل هذه الجنة وذلك يوم الاثنين اذ دفع الى
بوابها براءة ففتحها فاذا فيها (متقارب) :

لِقَاؤُكَ فَحٌّ فَهَلْ لِابْنِهِ وَقَدْ حَلَّ بِابِكَ إِذْنٌ كَرِيمٌ
فَخُذْ مِنْهُ فَأَلَا بِمَقْلُوبِهِ تَفَاؤُلَ كُلِّ حَسُودٍ رَجِيمٍ (٢)

(١) في نسخة « باستبعاد »

(٢) يعنى « حنن »

فخرجت اليه بنفسى وأدخلته وذلك أول اجتماعى به ، فرأيت شيخا ظريف المنزع حلو المحاوره لطيف الاشارة مستغرب وجوده فى مثل تلك البقاع فتأنست بنذاكرته تلك العشية ، وطلب منى رؤيه مخدومنا فلم تمكن تلك الليلة بسبب مرض كان يشكو به فواعدته من الغد وأمرت البواب أن يعرفنى به اذا وصل وأصبحنا يوم الثلاثاء ، فلما كان عشية هذا اليوم دفع الى أحد المتصرفين براءة من الفقيه أبى بكر بن فتح فاذا فيها هذه الايات (وافر) :

وقفتُ بباب عَزَّ لا يسامى ملياً وقفة الرجل الذليلِ
لوعد كان منه قرَّ عيني جميل جاء عن سَعْيي جميلِ
وكان القصد تسليمي على من إليه قطعت ميلاً بعد ميلِ
على كبر وضعف أنت تدري بما عاينت منه ومن نحولِ
وما آليت عند الباب جهداً مُعِيناً للملاطف والسُّؤولِ
فأبدى الوازعون هناك نَجْهاً وقالوا ما لقصديك من سيلِ

فرختُ وُقِيتَ حالي نيت ادري

دبيري ما أيمنم أم قبيلي

وها أنا قد عزمت على انطلاقي إلى ضفِّف وليسوا بالقليلِ

تركُّتهم على قدم الترجي وكلُّ مَدَسالفة التليلِ (١)

(١) فى نسخة « وكل من سلفته سليل »

إلى فرَج قريب من إيابي كما يرد الطيب على العليلِ
فما ظنني إذا ما قيل أكدي على بحر الندى أمل المعيلِ
هناك شماتة الأعداء تأتي بإجهاز يضيق (١) بها مقولي
وداعاً يا عيادي (٢) فاحتفظني لعهد قد وثقت به مثلي
سلام سالمك يدُ الليالي وعيش العزّ في ظلّ ظليلِ
وبلغ دُمتَ تسليمي ولثمي هنالك موطنى الشرف الجليلِ

فأخبرت أنه وصل ولم يكن البواب الموصى بها حاضراً فلم يعرفه غيره من البوابين فدفعوه عن الوصول الى : وصادفت أبياته منى ضجراً وضيق نفس بسبب عارض عرض لي فقلت أجيبه وخرجت اليه عما في نفسي مستريحاً بذلك (وافر) :

أمحرز غاية الشرف الأثيل ومن قد جَلَّ عن سمي مهيلِ
أتتي منك أبيات حسان شمائلها أرقُّ من الشمولِ
يعزّ عليّ ما قد يَسُنّت من وقوفك وقفة الرجل الذليلِ
فأقسم بالهدايا مُشعّرات تجوب الأرض ميلاً بعد ميلِ
إذا اشكت السرى بلسان حال تقرّر بالوخيد أو الذميلِ

(١) وفي بعض النسخ « وضيق »

(٢) في جميع النسخ « عيادي »

تؤمّ بسيرها أسنى محمّل به نزل الكتاب على الرسول
لوانك بالذي استحققت تجزى لما جوزيت إلا بالجزيل
وها أنا أشكي لعلاك شكوى تبثك بعض ما بي من غليل
أرى الأيام تمنعني مرادي وتلقي بي لقصد مستحيل
وأطلب للعلا فيها وصولا فيصعب للعلا فيها وصولي
ويمضى الأمر غيري وهو دوني وأمري لا بس ثوب الحمول
وإن تك قد أنالتي قليلا فشلي ليس يقنع بالقليل
وما طلبي لها إلا لعلّي أسوء عداي أو أرضي خليلي
وليس ينال حظ باجتهاد ولا تجري على قدر العقول
فحسب المرء تسليما وصبر يُيمّم (١) منها أهدى سبيل
ولكن لي على الأقدار دين لست بقضائه لتي المطول
وإن هي بلغتني فكم لي من (٢) الأيام من خبر طويل
خرجت عن المراد إلى حديث نثت بشرحه نث العليل
أودع ودك الأصفى فإنني دعاني للنوي داعي الرحيل
وأطلب منك زاداً من دعاء تواصله ومن ذكر جميل

(١) في بعض النسخ « يؤم »

(٢) في بعض النسخ « مع »

وقد أضيفت نحوك باعتقاد صحيح من فتواد لي عليل

ثم سميت تلك الليلة في انفاذ ما كان وعد به من الاحسان اليه
فأنفذ له وكانت تلك الليلة التي اجتمعت به فيها أول اجتماع وآخر
افتراق منه .

ثم أصبحنا يوم الاربعاء فارتحلنا الى طرة وقد تقدم ذكرها ، ومنها
يوم الخميس الى موضع يعرف بتاسرا (١) وهو قصر خرب ، والى
جانبه واد سرب ، وبقيت طريقنا الاولى في هذه المرحلة يسرة منا (٢)
ومنه يوم الجمعة الى الحمة وهي المحطة الثانية اليها وكانت هذه
المرحلة والتي قبلها في غاية الطول فلاجل ذلك نقصت عدة مراحل
عما سبق في المسير مرحلة ، وفي هذا اليوم أظهر مخدومنا أمر
الحج الذي بنى السفر على كتفه حسبما بينا أول التقييد ، واستدعى
أعيان العساكر فعرفهم بذلك وظهر من الاجناد اذ ذاك من التأسف
والحزن لانصرافه عنهم وانطلاقه ما لا أفى (٣) بالعبارة عنه فلا تسمع
من الناس يومئذ الا بكاء ودعاء .

ثم توجهنا الى قابس وهذه خطرنا الثانية (٤) اليها فنزل الجيش
بغارجها ودخلنا نحن مع مخدومنا الى داخل البلد بالدار الكبرى

(١) يعرف مكانه اليوم (بالاصنام) على طريق الظاهر بين قبل والحامة

(٢) في نسخة « يسيرة منا »

(٣) في بعض النسخ « ما لا اجبى »

(٤) وفي بعض النسخ « الثالثة »

التي اعتنى بينائها الشيخ الفقيه أبو مروان بن مكي رحمه الله ، وهي في غاية الضخامة والاحتفال وغير قليل ما أنفق عليها من الاموال ، ورأيت في وسط الحائط الذي في قبتها الكبرى خرقا متسعا ذكر لي انه اثر ضربة منجنيق جعل ضاربه غرضه هذا المجلس (١) حيث كان الشيخ أبو مروان يجلس به فقصر الحجر بملاقاته لذلك الحائط وحرقت اياه (٢) عن البهو قليلا ، وكانت تلك الضربة أيام محاصرة مخدومنا لقابس كما تقدم ، ودار ابن مكي هذه مجاورة لجامع قابس الاعظم ببطحاء متسعة ، وتلك البطحاء هي سرقة قابس والبطحاء اسم علم لها وفيها يقول أبو عبد الله محمد بن العطار القرطبي عرف بالمرجى (سريع) :

لهفي على طيب ليال خَلَّتْ بجانب البطحاء من قابس
كَأَنَّ قَلْبِي عِنْدَ تَذْكَارِهَا جذوة نار في يدي قابس

فبتنا هنالك ليلة الاحد ثم أصبحنا فوصل الاجناد لوداعنا فكانوا يدخلون أفواجا أفواجا يودعون ثم يخرجون وهم يبكون ويدعون الى آخر النهار .

وشاهدنا بهذا الموقف حالا تحرق الضلوع ، وتذكي الولوع ، وتجري الدموع ، وقد كان النظر اقتضى توجيه الكاتب الفقيه

(١) في بعض النسخ « بها هذا المجلس » ولعل الصواب « بهو هذا المجلس »

(٢) كذا في النسخ التي بأيدينا

الاکرم ابن زکریاء بن یعقوب صحبة الجيش اقامة للحرمة ، وقيامًا
بتتيم ما يجب من الخدمة ، واصبح الجيش يوم الاثنين السابع
والعشرين لشهر شوال متوجها الى تونس ، والفقیه أبو زکریاء معه
واقمنا نحن مع مخدمونا في قابس يومنا ذلك والثلاثاء بعده ، ثم
خرجنا عنها وكان السبب الذي حثنا على تعجيل الارتحال عنها
ما كان بها من الوباء الذي ورد النهى النبوی عن القدوم على أرض
هو بها، وقد كان أفرط فيها في هذا الفصل وخرج عن معتاده وقتل
بشرا كثيرا من الغرباء القادمين عليها، وتأثيره غالبا انما هو في الغرباء
الذين ليسوا من سكانها ، وتخبرنا موضعا تقصده للاقامة الى أن
يصل الفقیه أبو زکریاء من الحضرة فتوجه الى طرابلس وتكون
الاقامة هنالك الى أن يصل الركب الذي يتوجه مخدمونا معه الى
المشرق ، فوقع الاختيار بعد ملاحاة كثيرة وتنازع شديد بين يعقوب
ابن عطية أمير المحاميد وسالم بن مرغم أمير الجوارى على الاقامة مع
يعقوب في منزل غمراسن فان أهله حلفاء له مع ما هنالك من الامن
الذي لا تخاف معه اغارة مغير ، ولا ضياع كبير من الاشياء ولا
صغير .

فارتحلنا عن قابس متوجهين اليه يوم الاربعاء فنزلنا بمنزل تلبو
على نحو ميلين من قابس، وهو منزل فيه مبان قليلة وعليه غابة زيتون
متسعة وكانت به قبل هذا غابة نخل فقطعت أيام محاصرة مخدمونا

لقابس كما تقدم ولم يبق منها الا نخيلات قليلة في مواضع متنافرة (١) منه، فأقمنا به يوماً ذلك وهو يوم الخميس بعده وهو مستهل ذى القعدة، وارتحلنا منه يوم الجمعة ثانياً الشهر المذكور فاجتزنا بموضع يقال له زريق بتقديم الزاي على الراء، وهو الموضع الذى أقام به الميورقي متلوماً على أهل قابس لما كاتبهم بالدخول فى طاعته حسبما بيناه فى ذكر قابس .

وبمقربة من زريق نخلات على عين ماء هنالك عذبة وزاوية يسكنها رجل من البربر وهو عوسجى اسمه سلام ويعرف بأبى غرارة، وهذا الرجل متم الى الدين وقد حكم على العرب بأنواع من الشعوذة فلا يقدر أحد على مخالفته، وهو يخفر فى قبائل دباب وله فى استخراج اموالهم (٢) منهم اليد القوية وان امتنع أحد منهم هول عليه وأوعد بمصائب يوقعها به فيخافون منه، وقد ظهرت له فى هذا الباب عجائب تنقل عنه، وأخبرنى الشيخ أبو جبارة عبد السلام ابن موسى قال: أغارت المحاميد على قافلة فأخذت منهم بهائم كثيرة فمضى أهل القافلة اليه، قال فاستدعانى ومضىنا الى المحاميد واسترجعنا منهم ما قدرنا عليه ولج (٣) بعضهم فى الامتناع من الرد فقال له : والله لتكونن لك القاضية او كلاماً يشبه هذا قال : فخاف

(١) فى بعض النسخ « متنافرة »

(٢) فى بعض النسخ « الاموال »

(٣) فى جميع النسخ « لج »

وراجع نفسه فرد ما أخذه وقال له : يا سيدى ابا غرارة لعلها تكون
بفرسى لا بى، فقال له : بفرسك لا بك ، قال ابو جبارة : فبعد ثلاثة
ايام ذهبت فرس الرجل وليس فعل مثل هذه القضية فى نفوس
الاعراب بقليل .

ونزلنا يومنا ذلك بقرية مارث وهى قرية حقيرة وعليها غابة نخل
يسيرة ، ومنها يوم السبت الى قرية أجاس وهى قرية ضخمة ذات
مبانى كثيرة ولها غابة متسعة وبها عين خراة عذبة الماء غير انها
مستوبأة واخبرنى اهلها انهم احتفروا فى هذا الوقت بئرا عذبة الماء
سالمة من الوباء فهم الان يشربون منها ويسقون من تلك العين
بهاائمهم وزروعهم ، ورأيت بها مسجدا يذكر اهلها ان له فضلا
مشهورا عندهم وان الدعاء مستجاب عنده وقد اظهر بعض زهادهم
به الاغتباط ، فلازم به الرباط ، وان كان هذا المرابط وجميع اهل
هذه البلدة على المذهب السيئ المنسوب للخوارج ، وهذا المذهب
هو الغالب على سائر البقاع التى بين قابس وطرابلس كما تقدم قبل
هذا

وبهذه القرية كانت اقامة جعفر بن حبيب حين وجهه باديس بن
المنصور من المهديّة لقتال يانس الصقلى لما اقبل من مصر مدعيا ولاية
طرابلس ، فاقام جعفر بن حبيب بقرية اجاس هذه متلوما عليه نحو
ثلاثة اشهر الى ان كانت الواقعة بينهما بظاهر زنزور، قرية من قرى

طرابلس سيأتي ذكرها بعد هذا وذلك كله في سنة تسعين وثلاثمائة، وبسط هذه الواقعة : ان باديس بن المنصور كان واليا على افريقية وكانت طرابلس مستثناة عليه لا يليها احد من قبله بل تتعين ولايتها من مصر فاحب والى طرابلس اذ ذلك ان يرتحل الى مصر فكتب الى الحاكم يطلب ذلك منه ليكون بين يديه في حضرته وان يوجه اليه من يتسلم البلد من يده فوجه اليه يانس المذكور وكان واليا على برقة فلما وصل الى طرابلس توجه واليها الى مصر وامكنه من البلد فلما علم بذلك باديس وجه الى يانس يستفهمه عن سبب وصوله ويستدعي منه سجلا ان كان بيده بالولاية فبعث اليه انما بعث نائبا عن امير المؤمنين ومثلي يكبر عن ان يولى بسجل فحينئذ وجه باديس جعفر بن حبيب المذكور لقتاله فاقام المدة المذكورة بقرية اجاس هذه متلوما عليه وبعث اليه في اثناء تلك المدة يخيره في واحدة من ثلاث اما بعث السجل ان كان بيده ، واما القدوم على باديس ليفاوضه فيما وصل اليه ، واما المناجزة بالحرب فعاد جوابه اليه يقول : اما الوصول فلا سبيل اليه ، واما سجل الولاية فانا اكبر من ذلك اذ كنت خليفة امير المؤمنين على ما هو اعظم من طرابلس ، واما الثالثة فانا اوافيك عن الحركة الى وأحيئك الى موضعك فاقتلك به ، فتحرك اليه جعفر ابن حبيب متوجها اليه فنزل غربى زنزور ونزل يانس بالجانب الشرقى منها والزيتون بينهما ثم التقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل اكثر جنده وأخذ هو اسيرا فطلب ممن اسره ان يحملوه الى جعفر فابوا

من ذلك واحتزوا راسه ثم حملوه الى جعفر ونجا فلان المنهزمين
فلجأوا الى مدينة طرابلس فابى اهل طرابلس من تمكين جعفر من
البلد ومن اللاجئين اليها الى ان وصل اليهم فلفل بن سعيد الزناتى
فمكنوه من البلد وهو اصل ملك الزناتيين لها

ويوم نزولنا باجاس هذه انفصل عنا سالم بن مرغم متوجها الى
أرضه سالكا طريق الساحل ، وارتحلنا نحن يوم الاحد مسحرين
فاخذنا ذات اليمين مصحرين الى موضع يعرف بالعقلة وهو واد
متسع بجبل يجرى في وقت الامطار ويجف في غيره وصادفناه في ذلك
الوقت ليس به ماء الا ماء في احساء صغيرة، وتلك الاحساء هي المسماة
بالعقلة، والعقلة عند العرب هي التى يجبس الماء فيها عن ان يسير، فبتنا
هنالك تلك الليلة على غير ماء وقاسينا في ميبتنا هذا شدة بسبب ما كان
فيه من البهمى التى منعت كل احد من ان ينام ، وذلك انها تبرز عند
يبسها شوكة تتخلل الثياب والفراء وتصل الى الاجسام فلا يمكن
لاحد معها سكون وربما قتلت البهائم التى تبيت فى مرهاها من
نباته (١) اذا دخلت بين اصوافها

ويبس (٢) البهمى هو الذى يسميه العرب بالصفار بفتح الصاد
وتخفيف الفاء ، وتلك الشوكة التى لها هي التى تسميها السفى
مقصورا ، وانشد ابو على للشماخ بن ضرار يصف حمارا (٣) (طويل) :

(١) كذا فى جميع النسخ التى بايدينا

(٢) فى بعض النسخ « نبت »

(٣) راجع لسان العرب ج ٣ - ص ١٨٣

رَعَى بَارِضَ الْوَسْمِيِّ حَتَّى كَانَمَا يَرَى بَسْفَى الْبَهْمَى أَخْلَةَ مُلْهَجٍ

البارض النبات في اول خروجه، والوسمي المطر الذي يسمن الارض بالنبات، والاخلة جمع خلال، والملهج الذي قد لهجت فصاله بالرضاع وكانوا يجعلون على انف الرضيع اذا وجب الفصال خلا لا ينعمه من الرضاع، فيقال ان هذا الحمار رعى بارض البهمي الى ان جف وظهر شوكة فلم يستطع رعيه اذ ذاك فعاد كأنما يرى به أخلة ملهج كراهة له ونفورا عنه، وعلى هذا البيت عول الاديب ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم في قوله من قصيدة له جيبة (كامل):

تَرَكْتُ مَطَايَا الْأَمَلِينَ لِمَا سَقَنْتَ يَمْنَاهُ مَا تَسْقِيهِ ضَرْبَ الزُّبْرِجِ (١)
فَتَجَمَّ أَنْفُسَهَا لُورْدَ جَمَامِهِ بَصْدُودَهَا عَنِ بَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ
وَتَصَدَّ عَنْ رَعِي الْجَمِيمِ كَانَمَا تَلْقَى مِنَ الْبَهْمَى أَخْلَةَ مُلْهَجٍ (٢)
ومعنى الشعرين واحد .

ثم ارتحلنا صباح يوم الثلاثاء السادس من ذي القعدة فلم نزل نسلك بين هضاب متسعة، وشعاب متبعة، الى أن وصلنا الى موضع اقامتنا منزل غمراسن فوجدنا منزلا قد غضب الله على أربابه، فابتلاهم من سكناه والاقامة بمغناد بأليم عذابه، وخرج الينا جميع أهله فتلقونا على بعد، ولما وصلنا اليه اخترنا موضعا لبناء الاخوية فلم

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « ما يسقيه صوب الزبرج »

(٢) في نسخة « ترى سفى البهمي اخلة ملهج »

نجده الا بعد صعوبة ومقاساة شديدة لصلابة الارض وعدم ثبوت
الاورتاد بها

وغمراسن اسم لناحية من الجبل المتصل الذى أصله جبل درن
بالمغرب وهو الجبل الاعظم الذى قل على وجه الارض ما يدانيه
سموا وامتدادا وكثرة خصب واتصال عمارة ، ومبدوؤه من البحر
المحيط فى أقصى السوس مارا مع المشرق مستقيما الى أن يصل الى
هذا الموضع فيسمى دمر ثم يمتد فتسمى مسافة منه جبل نفوسة
فاذا حاذى طرابلس رق وخفى وامتد كذلك رقيقا الى أن يصل
الى طرف أوثان من أرض برقة فينقطع هناك ، وهو من مبدئه الى
منتهاه مخصوص بسكنى البربر وبه كل طريفة من الثمار وغرائب
الاشجار والماء ينبع منه فى مواضع معروفة ، وهذا المسافة التى
تسمى منه غمراسن هى متصلة بالمسافة التى تسمى منه دمر من
جهة شرقيها وقد يقال فى غمراسن انها من دمر

ومسافة غمراسن تحتوى على قلاع كثيرة اشهرها قلعة نفيق
- بكسر النون وتشديد الفاء - وقلعة حمدون ، وكان منزلنا فى فضاء

متسع بين هاتين القلعتين وقلعة نفيق أحصنها واليها يلجأ جميع اهل
البلد اذا حل بهم عدو أو وصل اليهم جيش ، وهو جبل مرتفع فى
السماء قد سهلت فيه طرق ضيقة لا يسلكها السالك الا على غرر وقد
تدرب أهلها على سلوكها فهم يتنازون فيها تنازى العصم ، وكذلك

غنمهم وابلهم يسلك البعير منها مسالك لا يستطيع الادمى سلوكها
الا بالحيلة ، وتؤدي تلك الطرقات الى بيوت منحوتة فى الجبل بعضها
فوق بعض من وسط الجبل الى أغلاد يسمونها «الغيران» وأكثر جهاته
عامرة (١) الجهة الشرقية وتليها فى ذلك الجهة القبليّة وفى الجهة
الغربية أيضا مساكن قليلة الا أنها الآن غير مسكونة ، والنسور
كثيرا ما تأوى اليه وتجتمع فتصاف (٢) عليه ، وتحف بهذا الجبل
مزارع فيها نخل كثير لا يرى أحسن من رطبه ، وبها أبار (٣)
ليست بالكثيرة يستقون منها بالفراغيز ، وأكثر مزارعهم الذرة التى
يسمونها القصب وسبب قلة آبارهم ما يعانونه فى حفرها من شدة
الارض وصلابتها حتى ان الرجل ليملك فى حفر البئر العام
والعامين بحسب كبر البئر وصغرهما ، وقوة اعتمادهم فى رى الارض
انما هو على ما ينحدر من سيول تلك الجبال فى وقت الامطار فانها
تجتمع فى أبطح ذى حصباء متناسبة وتربة بيضاء كافورية تحرق
بمزارعهم احداق السور أو السوار وتخرقها مذانب متسربة اليها
منه ، وليس فى تلك البقاع ما يرتاح اليه الحاطر سوى هذا الابطح
وبوضع منه أحساء مياه عذبة ترد عليه نعمهم وعلى هذه الاحساء
نخل كثير يتغالون فى أثمانه اذا تبايعوه بينهم

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « عمارة »

(٢) فى نسخة « فتصاف »

(٣) كذا فى جميع النسخ

وأهل غمراسن قوم من البربر ورغميون ، وفيهم رحالة (١) مع العرب المحاميد والعداوة بينهما متأكدة (٢) وبين أهل قرية قريبة منهم يعرفون بالمقدمين ولا تزال الحرب بينهم قائمة على سباق ، ومن سيرة هؤلاء المقدمين أن لا يدفنوا موتاهم الا على هيئة الجالس في كهوف متسعة يحفرونها لهم ويتأكد عندهم الدفن على هذه الصفة فيمن توفي وترك ولدا فانهم يقولون : « عز الولد لا ينقطع ما دام أبوه جالسا ، هذه عبارة من سألته منهم عن ذلك ، وليس لأهل غمراسن ولا لأكثر ساكني هذا الجبل في الحقيقة من الاسلام الا الاسم فقط ولا تجد منهم من يعرف للصلاة اسما ، فضلا عن ان يقيموا لها رسما ، وكذلك جميع الشرائع ، وأقمنا ما أقمنا معهم فلم نسمع عندهم أذانا ، ولا طرق صوته لنا أذانا ، وان كنت قد رأيت في أعلى قلعتهن موضعا سمود مسجدا ، وليس يصلى فيه الا رجل غريب من أهل زوارة سكن عندهم

وهم يتحلون مذهب النكارة من الخوارج البربر ولا يغسلون موتاهم ولا يصلون عليهم ولا يورثون البنت شيئا من مال أبيها ، وعيشهم من الغارة على العرب تخرج غازية منهم فتكن بعض المكامن لمن يربها من العرب وخصوصا الجوارى والمخالفة بينهم وبين المحاميد لان أبا جبارة كاتب المحاميد ورغمي منهم ولا ينالون (٣) في

(١) وفي نسخة « راحلة »

(٢) في نسخة تاخير « متأكدة » عن قوله « بالمقدمين »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « لا ينالون »

الانغارة على الجوارى باصطلاح المحاميد معهم ولا باحترابهم (١) ولهم أيضا حقد على النفاتين وبينهم دماء ، وهم أغير خلق الله على الضيف وأكرمهم له فاذا حل الغريب لديهم واستند اليهم جعلوه من رؤسائهم وانزلوه فوق رؤوسهم وحكموه فى انفسهم ، ولداهم الامن الذى لم يسمع بمثله فى بقعة من بقاع الارض وحسبك أنا أقننا معهم فلم يضع لاحد مناشىء مع أنى كنت أرى الثياب والامتعة وأوانى الصفر وغير ذلك ملقى بين الاخوية لا يتعرض أحد منهم لشيء من ذلك ، ومن أحكامهم أن الرجل منهم اذا ظهرت عليه سرقة أو خيانة فانهم لا يجالسونه ولا يكلمونه الا فيما لا بد منه ولا يخرجونه من بلدهم اذا كان منهم فان كان من غيرهم (٢) قتلوه ، وأخبرنى جماعة منهم أن رجلا منهم ضاعت له دنانير ووجدها رجل آخر منهم فتركها فى المسجد الذى فى قلعتهم فبقيت فى ذلك المسجد لا تمد اليها يد الى أن اتفق فى بعض الاوقات أن دخل صاحب الدنانير المسجد فوجدها هنالك فأخذها

فأقننا بينهم ساكنين فى الاخوية نحو من شهر وبعده بنينا بيتنا فى أرض رجل منهم مطمر (٣) وهو فريض للعرب المحاميد ، والفريض عندهم كناية عن المفتى الذى يرجعون الى أحكامه وقد

(١) وفى نسخة « باحترابهم »

(٢) وفى نسخة « من غير بلدهم »

(٣) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها « مطمر » وفى نسخة واحدة « يسمى مطمرا »

تأملت في كثير مما يحكم به ، وهم هنالك يبنون بيتا فوجدته لا يرجع فيه الى شيء من حكم الشرع وانما سمي هذا مطمرا نسبة الى حكم السياسة والتسييد بينهم ، ولهذا الرجل قوة خطابية على طريقتهم وقدرة على اظهار أقيسة وضرب أمثلة يفعل بها في نفوسهم كثيرا ، وذلك البيت باق الى الان يسمونه بيت السلطان وليس في ذلك الموضع بناء غيره ، ولما كمل بناؤه انتقلنا اليه وتوالت بعد انتقالنا اليه رياح محرقة (١) كانت تهب من قبل الصحراء ودامت كذلك فحمدنا الله على ما ألهمنا اليه من بناء ذلك البيت الذي تقدم وعلمنا انا لم تكن لنا طاقة يسكنى الاخوية معها ووصل الى بعد حلولنا بهذا الموضع كتاب من الفقيه الاجل أبي زيد بن نزار جوابا عن كتاب كنت بعثته اليه وكان في آخره التسليم عليه بخط الفقيه أبي ابراهيم بن حسينة فوصل كتاب الفقيه أبي زيد يتضمن مخاطبتنا معا وكان على عنوانه (كامل) :

للسيدين أخ ونجل بارع إسحاق مع عبد الإله يسلمًا

لا زال كل منهما متحليا بالفضل والآداب دأبا مكرما

وفي داخل الكتاب (كامل) :

حَيِّ المَاقِل والرَعانَ لجمها رعيًا لدمرٍ إذ رعى الأجبابا

سكنوا الرعان وأسكنوه فما لهم ساروا الغداة بخلبه خلابا

(١) في بعض النسخ « محرقة »

من أجل من حل الحمى أهوى الحمى وأحب لي في لا به إلبابا
وجدي بهم وجد أفاق (١) قوى عزم اللحاق بهم نوى إيجابا
مولى كبر والنجوم صحابه نجل وخدن أوحشا الأصحابا
حلوا بأفاق العلاء كواكب اسعدها (٢) تستعد الالبابا
سعود منزلنا السمال (٣) كما بدا وظهورها من أن يرزى منجابا (٤)
وكذا الثواب نورها يسمى بها تأبى الجفاء وتألف الآدابا
تكفي من المولى جلالة قدره عن أن أجل بذكره الإسهابا
ولدى المفدى حكمة نويّة تبرى السقام وتذهب الأوصابا
وحوى البلاغة والبراعة أنا عبد الإله وقد شأى الأترابا
فالله يسعدنا بهم وبأمنهم وينيل كلاً منهم الآرابا
وعليهم مني السلام مقبلاً تريا يرب (٥) نواله الأترابا
وكتبت لابن عمى الفقيه الاكرم أبى زكرياء ابن الفقيه الاجل
أبى الحسن على التجانى (٦) كتابا مصدرا بهذه الايات (طويل)

(١) كذا فى نسخة وفى سائر النسخ بياض

(٢) كذا فى النسخ التى بايدنا

(٣) كذا فى بعض النسخ وفى نسخة « اشمل »

(٤) وفى نسخة « حجابا »

(٥) كذا فى جميع النسخ

(٦) وفى بعض النسخ « التجانى »

إذا الله حيى معشرا بتحيّة يقصر عنها المسك في الطيب والند
فحيى بني عمي الذين فخارهم فخاري ومجدي حين أسمولهم مجد
وخصّص منهم من تخصّص فيهم بأوصاف فضل ليس يحصرها العد
أبا زكرياء الرضى الأرفع الذي له مني الشوق المجدد والود
أحبّتنا هل يجمع الدهر بيننا فقد طال هذا النأي واتصل البعد
يذكركم أنس يوم مضى لنا وعهد ائتلاف جذا ذلك العهد
فيبدو قليلا من غرام أحبّتي وفي القلب للاشواق أضعاف ما يبدو
فقد بلغت مني النوى كلّ مبلغ فقي أدمعي ودقّ وفي أضلعي وقد
فهل تقرب اللقيا وينصرم النوى وينجز للآمال من قريبكم وعد
لئن جمعت أيدي التفرّق بيننا فقد تمت النعمى وقد كمل السعد

وعرضت لأخذومنا أعزّه الله فى أواخر شهر ذى القعدة هذا
شكاية شديدة وتواتر لدينا الخبر أيضا عن جذب برقة وفتنة أهلها
بما لا سبيل الى اجتيازها معه ، ووصل الينا بمقد بشهادة عدول من
أهل طرابلس وخطاب قاضيها أن ركبا فيه نيف على سبعمائة نسمة
جاء من برقة وأنه لم يخلص منه حاشا مائة أو نحوها وأن سبب
ذلك أنهم لم يجدوا هنالك ما يقتاتون به حاشا لحوم الحيات فعدا
عليهم سمها فأهلكهم ، وصح لدينا من هؤلاء الذين خلصوا منه أنهم

كانوا يبرون في كثير من أرضها بالاحياء والحيام فيها مضروبة
وجميع من في تلك الحيام موتى من رجال ونساء وأطفال الى غير
ذلك مما يحكونه من بيع من بقى في تلك الاحياء من الاحياء
للناس وأكلهم للحومهم ، فحاولنا بما اجتمع من هذه الاخبار المفضلة
ومن مرضه الشديد رده الى تونس لتكون اقامته بها الى أن يعافى
من مرضه ويصل ركب الارسال المشرقين فتوجه خيئذ معهم من
تونس ، ونظم في ذلك الفقيه أبو ابراهيم بن حسينة قصيدة مطولة
يحضه فيها على هذا الرأي ، وكان أول قصيدته (متدارك) :

عَرَجَ يَا صَاحِ عِليَ الطَّلَلِ واسْكَبِ أَجْفَانِكَ فِي الحِللِ
ولا تحضرني الان هذه القصيدة ودعت الضرورة الى موافقة
اصحابنا على هذا الرأي بعد أن ألحوا في طلب مشاركتهم بالنظم في
ذلك فقلت معارضا لقصيدة الفقيه أبي ابراهيم :

طلعت كالبدر المكتل	فتواري البدر من الخجل
وأمال اللحظ تمايلها	عن غصن البان المعتدل
حوراء يحار الصبُّ بها	ويخلي السلوة كل خلي
حكمت بهواها في فلم	يعدل في الإمرة حين ولي
فأبحت النفس لما احتكمت	وحيت السمع عن العذل
جمعت أشتات الحسن فقد	زادت في الحسن على المثل

كأبي يحيى تلقى منه
مولى زهت الأيام به
ينميه أبو العباس إلى
شرف بالارث تملكه
بأس كالنار إذا اضطرت
قد ألقى الله بحكمته
يمضي الآراء مسددة
مولاي قصيدة متدح
طلبت إيضاح فضائلكم
فإذا أحسنت فذاك لكم
وافت عليك معارضة
مع أن قصيدة أولنا
وارجع لحل حال بما
فأقم للدين تجدده
واخلع أثواب السقم بما
فشروط الحج قد ارتفعت
أشتات الفضل لدى رجل
وتحلت من بعد المظل
حسب في مرقى المجد علي
فتنقل أحسن متقل
وندى كالغيث المنهمل
بيديه مقاليد الدول
في قول أنفذ أو عمل
وافاك بشعر مرتجل
فحكمت منها بعض الجمال
وإذا قصرت فذلك لي
« عرج يا صاح على الطلل »
فاتت سيقاشاؤ الأول
يشكو لفراقك من علل
في عز باق متصل
تكسى للصحة من حلل
لزوال القيدرة والسبل

عهدي ببيدك فيه وقد
يرجون ثواءك عن كَثَب
كانوا من عهدك في ظلل
فأنلهم منك برادهم
واجمع شملًا بالأهل فقد
واسعد واصعد وتسام وزد
والله يوفق رأيك في
مدوا يد داع مبتهل
ودنو لقاءك عن عَجَل
فغدوا من بعدك في خلل
وانقع بالقرب صدى الغلل
ماتوا شوقًا قبل الأجل
وتبرق ونل أقصى الأمل
حل أزمعت ومرتحل

فأبى إلا سلو كما لمتهجه ، وقصد أن لا يرجع لتونس إلا بعد
تحصيل حجه ، وكان أعزده الله وجه لوالدي كتابا بخطه يعرفه فيه
بحالتي معه ويصنفي فيه بما يليق بذاته الشريفة ، ومرتبته الرفيعة
المنيفة ، فوجه اليه والدي جوابا عن ذلك كتابا نصه (بسيط) :

يانسمة الفجر والازهار قد رويت
والروض قد أمسك الامساك منه ثرى
ولا قرارة إلا قررت خبرا
لو أنه نشر طيب للتجارة قد
والنور تسري إلينا من محامده
مما ادار عليها الوايل الساقبي
نمت عليه به أنفاس أحباق
بأن دارين منا رأي أحداق
سقت لطائمه منه بأوساق
أنفاس نبد ولكن دون إحراق

بِاللَّهِ هَبِّي عَلَى نَسَادِ تَبَوَّأَهُ مَنْ لِلنَّبِيِّ فِي يَدَيْهِ سَخَبَ ارْزَاقِ
فَإِنْ ظَفَرَتْ بِقَرَبٍ مِنْهُ فَلْتَصِفِي بِاللُّسْنِ الْوُزُقِ فِي الْأُورَاقِ أَشْوَاقِي
وَتَسْأَلِي لِي وَعَدَا بِاللِقَاءِ عَسَى وَعَدَّ التَّلَاقِي يَجْلِي مَا أَنَا لَا قَسِي
وَقَبَّلِي يَا نَجُومَ الْأَفُقِ رَاحَتَهُ عَنِّي فَبَيْنَ الدَّرَارِي قَدَّرَهَا الرَاقِي
يَا رَاحِلِينَ وَقَلْبِي رَاحِلٌ مَعَهُم عَنِّي وَإِنْ كَانَ لِي جِسْمٌ هُنَا بَاقِي
لَوْلَا رَجَاءُ التَّدَانِي لَمْ أَعِشْ زَمَانًا فَرْدًا وَلَا وَصِفْتُ بِالصَّبْرِ أَخْلَاقِي
عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي بِالْبَعْدِ قَدْ حَكَمْتَ يُجَلِّي دَجَاهَا مِنَ اللَّقْيَا بِإِشْرَاقِ
لَهُ رَقْعَةٌ مَوْلَى قَدْ عَلَقْتَ بِمَا أَوْلَتْ مِنَ النِّعْمَةِ الْعَظْمَى بِأَعْلَاقِ
تَضَمَّنْتَ ذِكْرَ مَمْلُوكٍ وَوَالِدِهِ مِنْ مَالِكَ لِهَمَا بِالْفَضْلِ سَبَاقِ
فَلَأْمُنَ وَالْيَمْنَ وَالْإِقْبَالَ مَا بَقِيَتْ دُنْيَاهُمَا لِهَمَا مِنْ أَجْلِهَا بَاقِي

واتصل بهذا النظم من الشر : يا أيها الملا انه ألقى الى كتاب
كريم ، ويا شاكري الايادي اني لا أبرح عن شكر هذه اليد ولا
ريم ، ومن لي أن أقوم بواجب حقها ، وأستطيع السلوك في لاجب
طرقها ، وهي يد خطتها يد أعلى الله قدرها ، فما يقدر أحد أن يقدرها
قدرها ، تصول بالقلم والحسام ، وتصوب على الايام كصوب
الغمام ، بالنعم الجسام ، ولما وصلت العبد أحرف مولاد ، وأولاه
وأولى ولده من لا والد ولا ولد له من الشريف بذكرها فيها ما

أولاه ، لم يجد لها كفيا ، ولا عملا مرضيا ، الا تضرعا الى من تمد
اليه أيدي الرغبات ، وتستمد من فضله المنح الجزيلة من الهبات ،
فقلت اللهم يا أرحم الراحمين ، اجعلنى على السلام على تلك الغرة ،
واستلام تلك اليمين الكرة بعد الكرة ، من انزاحين ، ثم رفعت
البراءة المباركة على رأسى اكليلًا ، وأوسعتها شوقا لليد التى خطتها
لثما وتقيلا ، ولم أزل أتتعم بطلعتها بكرة واصيلا ، ثم وصلت
الدعاء بأن قلت اللهم ان يكن فى علمك الخير التام له ، فى بلوغ ما
أم له وأمله ، فهون عليه فيه كل صعب ، وروء من نير لطفك بكل
عذب ، وأسعد غيبته وسيره على أتم وجوه السلامة ، وأعم
الكرامة (١) ، وأنله خيرك وافرا جليلا ، والا فائز عزمه عما أمه
ورده الى وطنه ردا جميلا ، وأنسى له أجله ، حتى تستثنى (٢) ذلك
له ، فى الوقت الذى تؤمن فيه الفوائل ، وتساوى فى تهوين
صفوبته وتسهيل حزنوته الاواخر والاولائل ، والبكر والاصائل ،
فأنت يا ربنا تعلم ما للاسلام ، ولامة سيدنا محمد نبيك عليه أفضل
الصلاة والسلام ، فى نظره السديد ، المبارك السعيد ، من الخير
التام ، والصلاح العام ، وناهيك به من دعاء تنزه عن السمعة والرياء ،
ورفعت به الايدي الى رافع السماء ، وختم بالحمد لله رب العالمين ،
والصلاة على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين ،

(١) فى نسخة بزيادة « وعجل اوبته »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « يتسنى »

وفى أوائل شهر ذى الحجة تواردت علينا وفود العرب المحاميد فكان فيمن رايته منهم رجل أسود اللون اسمه ابراهيم بن مطرف ويكنى ابا زرارة ، ذكروا أنه كان كاهنا من العرب وادعوا صدقه فيما يتكهنه وحكوا عنه فى ذلك عجائب فسألته عن ذلك فأقر به وادعى أن له رثيا من الجن يأتيه فيخبره بما يكون فى أشعار يخاطبه بها فاستثبته عن شىء من ذلك فذكر لى شعرا ادعى انه أنشده اياه منذ أيام يحيل فيه على كائنة وصفها تكون فى رجب الاتى بعده وهو عام سبعة وسبعمائة ، وكنت كتبت ذلك الشعر فى هذا التقييد فلما تأخر الامر الى انقراض شهر رجب من العام المذكور ولم يكن فيه شىء مما أحال عليه ، وأشار اليه ، بادرت الى محو ذلك الهديان من الكلام ، وتذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا كهانة فى الاسلام

وحضرنا هنالك عيد الاضحى ونحن بحالة قد غاب عنها السرور بأسره ، فقطعناه ولا أعياد ابن عباد أيام أسره ، واستهل بعده شهر المحرم من عام سبعمائة وسبعة ففى أوائل هذا الشهر وصل إلينا الخبر بقتل ملك المغرب أبى يعقوب المرينى على يد أحد فتيانه ثم قتل ولده أبى سالم ثم قتل اخيه أبى يحيى واستقرار الملك لحفيده أبى ثابت عامر بن عبد الله ، وكان قتل أبى يعقوب على ما تحققت من الكتب الواصلة من هنالك فى التاسع لذى القعدة من عام ستة ، وقتل ابنه أبو سالم بعده بأيام يسيرة وكذلك أخوه أبو يحيى ،

وانتقل أبو ثابت الى مدينة فاس بعد أن سلم مدينة تلمسان الجديدة
لابى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن بن زيان المحصور بتلمسان
القديمة أكثر ولاية أبي يعقوب .

ووصلت الى بعد وصول الخبر بذلك أبيات من الوالد فى مخاطبة
مخدومنا استلوح فيها من موافقة اسم جد هذا المحصور لاسم
المنزل الذى نحن به معنى فقال (طويل) :

ألا أيها المولى المبارك سببه تنبّه لما خوّلتَه من محاسنِ
كفيت قديما أهل قابس فتنه غوثهم بسفي منك للنجح ضامنِ
ولمّا أقمت الآن فى يغمراسن إقامة مجتاز به غير قاطنِ (١)
وحسبى تلمسان التي أبصرت بها عجائب صنع الله عينُ المعّينِ
وكتب الى فى هذا الشهر شقيقى ابو العباس احمد بهذه القصيدة
الفريدة من نظمه (طويل) :

لأهل الحمى أصبو وإن جدّ لائم وإنّي على ورد به الدهر حائمُ
وما القلب خال من هوى ساكن اللوى وإن أقفرت منهم وأقوت معالمُ
علّي لهم جفن من الدمع مُترع وقلب على حكم الصبابة هائمُ
حمى الله قلبى كم يحنّ إلى الحمى ويطر به عهد اللقا المتقادمُ

(١) كذا فى جميع النسخ ولا بد ان يكون بعد هذا البيت بيت سقط

يَحْنُ اشْتِاقاً أَوْ يَحْنُ صِبَابَةً إِذَا لَاحَ ضَحَاكُكَ مِنَ الْبِرْقِ بِاسْمٍ
وَإِنْ غَرَّدَتْ وَرَقَاءَ فِي غَسَقِ الدَّجَى يَمِيلُ بِهَا غَضَنٌ مِنَ الْأَيْكِ نَاعِمٌ
تَذَكَّرَ عَهْدًا قَدْ تَقَضَّى نَعِيمَهُ كَانَ لِيَالِيهِ الْمَوَاضِي مَوَاسِمٌ
أَلَا فِي ضِمَانِ اللَّهِ قَلْبِي فَقَدْ غَدَا يَشْتَبُ عَلَيْهِ مِنْ لُظَى الشُّوقِ جَاحِمٌ
وَبِالنَّفْسِ أَفْدَى جِيرَةَ قَدْ تَحَمَّلُوا فَلَا الْقَلْبَ مَرْتَا حَ وَلَا الْجَفْنَ نَائِمٌ
نَاوَأَ فَنَأَى صَبْرَ الْمُتَيَّمِ إِثْرَهُمْ وَأَيَّ اصْطِبَارٍ بَعْدَ حَبِّ يَلَازِمُ (١)
سَرَّوَا يَقْطَعُونَ الْبِيدَ وَاللَّيْلَ عَاكِفٌ كَانَتْهُمْ فِيهِ نَجُومٌ عَوَائِمٌ
عَلَى كَلِّ فَتَلَاءِ الذَّرَاعِينَ جَسْرَةَ سَوَاءٌ لَدَيْهَا سَهْلُهَا وَالْمَخَارِمُ
تَبَارَى عَلَيْهَا الْقَفْرُ (٢) جَدًّا كَانَمَا قَوَائِمُهَا عِنْدَ النِّجَاءِ قَوَادِمٌ
جَدِيلِيَّةَ الْأَبَاءِ مَوْثُوقَةَ الْقَوَى سَلِيمَةً مَا نِيَطَتْ إِلَيْهِ الْقَوَائِمُ
وَيَا قَاتِلَ اللَّهِ الْمَطْيِ وَإِنَّمَا نَأَتْ بِأَجْبَائِي الْمَطْيِ الرُّوَاسِمُ
لَقَدْ خَلَفُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ذَا صِبَابَةَ يَرُوحُ وَيَغْدُو وَهُوَ بَانَ وَهَادِمٌ
إِذَا مَا جَرَى ذَكَرَ الْعَقِيقَ جَرَتْ لَهُ دَمُوعٌ حَكَتْ لَوْنَ الْعَقِيقِ سَوَاجِمُ
فِيَا جِيرَةَ الْوَادِي نَدَاءً مُتَيَّمٌ تَعَدَّى عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَالْدَّهْرُ حَاكِمٌ
أَعْنَدَكُمْ أَنِّي عَلَى الْعَهْدِ ثَابِتٌ إِذَا ضَيَّعَ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ مَصَارِمُ

(١) وقع تحريف شديد في هذا المصراع بجل النسخ

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « العفر »

وَأَنِّي عَلَى رَعِي الذَّمَامِ مَحْفَافٌ وَأَنِّي عَلَى حِفْظِ الْوُدَادِ مَدَاوِمٌ
وَيَا مُزْمِعَ التَّرْحَالِ تَحْمِلْ كُورَهُ عَلَى بُعْدِ مَا يَنْوِي قَلَاصِ سَوَاهِمِ
لَكَ اللَّهُ عَوْنٌ وَالنَّجَاحُ مُوَافِقٌ وَبَلَغْتَ فِي دُنْيَاكَ مَا أَنْتَ رَائِمٌ
تَحْمَلُ رِعَاكَ اللَّهُ عَنِّي تَحِيَّةً كَمَا انشَقَّ عَنِ زَهْرِ الرِّيَاضِ كَمَا تَمُ
تَضَوُّعٌ فِي وَسْطِ النَّدِيِّ فَكَأَنَّمَا تَنْشَقُّ مَسْكَاً مِنْ شَذَاهَا الْعِرَاتِمِ
وَإِنِ صُرْتَ مَجْتَازاً بِأَرْبَعِ دَمَرٌ وَلَا حَتَّ بِهِنَّ لِلْمَعِينِ مِنْكَ الْمَعَالِمِ
فَخُصِّصْ بِهِنَّ عَنِّي شَقِيئِي وَإِنِّي بِحُكْمِ النُّوِي وَالْبَعْدِ فِيهِ لِرَاغِمِ
وَصِفْ مَا أَلَا قِي بَعْدَهُ مِنْ تَشْوُقٍ وَوَجَدْتَ تَنْقُدُ مِنْهُ الْحِيَازِمِ
تَمَثَّلْهُ الْأَشْوَاقُ لِي فَكَأَنَّمَا وَإِنْ كَانَ نَاءٌ بَيْنَ عَيْنِي قَائِمِ
وَمَا ظَلِيَّاتِ ضَرْمِ الْقَيْظِ لُوحَهَا فَهِنَّ عَلَى وَرْدِ الشَّرَابِ حَوَائِمِ
إِذَا لَاحَ بَرْقٌ فِي عَنَانِ سَحَابَةٍ وَهِنَّ لَمَّا يَلْتَا حِ مِنْهُ شَوَائِمِ
رَأَتْ نُطْفَةَ زَرْقَاءٍ فِي قَلْبِ صَخْرَةٍ مَنَّمَةٌ قَدْ غَادَرَتْهَا الْحَمَائِمِ
يَفِيءُ عَلَيْهَا الظِّلُّ كُلَّ عَشِيَّةٍ وَتَسْتَرُّهَا أَغْصَابُ دُوحِ نَوَاعِمِ
بِأَعْظَمِ مِنْ شَوْقِي لِرُؤْيَتِهِ الَّتِي بِهَا أَمَلِي يَدْنُو وَسَعْدِي يَلَائِمِ
أَجَابْنَا بِالسُّخْطِ مَنِّي لَا الرِّضَا عَدْتَنِي نَجُودٌ (١) عَنْكُمْ وَتَهَائِمِ

(١) في بعض النسخ « حوتني نجوم »

لقد طال هذا البعد واشتطت النوى
إذا ما تذكرت الليالي التي مضت
أحنّ لمسرى البرق من نحو أرضكم
وكم هيّجت شوقي سواجع أيكّة
أطارحها رجع الخين صبايئة
فيا ليت شعري هل يعود بقربكم
ويا حبذا دهر قضى باجتماعنا
بجيث قطعنا الميش وهو مهناً
وكم قد أدرنا الكؤوس المنّ والمنى
فهل مبلغ ذلك السرور الذي مضى
إذا حملته عطر الجوّ عرفه
سقى الله صوب المزن أعلام دمر
ولا زال مطور الثرى مخصب الذرى
إذا السحب أذرى فوقه الدمع أصبحت
وما طلبى سقياه إلا رعايئة
وجار علينا الدهر والدهر ظالم
تخيّلت أنني في أدكارى حالِم
إذا ما سرى والليل أسودُ ساجم (١)
يجابها إلف لها ويناعم
وأعرب عن وجدي وهنّ أعاجم
زمان نعمنا فيه والشمل ناظم
كريم وأيّام تَوَلّت كرائم
ونلنا الأمانى والزمان مُسالم
علينا ومما غير السرور منادم
سلاماً تؤديه الرياح النواسم
كما خطرت يوماً عليك لطائم
وروى رباه المارض المتراكم
تردد فيه اللحن ورق جمائم
تضاحك للأزهار فيه مباسم
لمن حلّه والدهر مُنقط وحرّام

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « ساحم »

ومن اجل من حل الحمى يذكر الحمى
فينا نائيا غني ومثواه في الحشا
الى م نوى لا يستطيع احتمالها
الا زورة تهدي الشفاء على النوى
ومن لتي باللقيا ودون منالها
اروح واغدو والصبيا متسّم
وكم لي على بعد النوى من تحية
فيا ليتني طارت بكوري على النوى
لأحظني بحظ لي بروياك مقنع
احن اذا ما مر ذكرك خاطراً
عسى الله ان يدني اياك عاجلا
ومما يسلي النفس انك مودع
ومن يك بالولى العباد اعتقاله
همام توقاد الاسود مهاجرة
عماد بني الدنيا ومولاهبم الذي
والا فما تجدي الربوع الطواسم
ومن أعجب الأشياء ناء ملازم
وحتى م بعد حوله متفاحم
ويهدي لنا منها المسرة قادم
فيا في تحامى جوبهن المناسم
عسى خبر يأتي به منك ناسم
تحملها غني البروق البواسم
خواف (١) شديداً القوى وقوادم
واني اذا ما نلت ذاك لغمانم
بقلبي كما حنت نياق روائسم
فيحسم هذا البعد والبين حاسم
بحيث تحاماك الخطوب الهواجم
فقد نكبت عنه الدواهي الرواسم
وتحسد كفيه البحور الخضارم
يصادر (٢) عنهم من عدا ويصارم

(١) في بعض النسخ « فراح »

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « يصادم »

من آل ابي حفص الذي قد غدا به حمى الدين في امن وذل المراغم
حمى حوزة الاسلام قدما بعزمه فعزت له بالله تلك الغرائم
لقد شمتت تلك الربوع بماجد نتمه الى العلياً جدوداً كازم
يقاسه في ماله كل مجتد وليس له في مجده من يقاسم
كريم اذا ما السحب ضنت بقطرها حلیم اذا ما حف بالجلم راقم
يرى البخل عصياناً اذا سال سائل كان عطاياه فروض لوازم
يذكر يوم الجود والروع حياتما وعمر او من عمرو لديه وحاتم
حوى قصب العلياء والغاية التي يبرى كل خلق دونها وهو فاحم
فمن كابي يحيى ندى وشجاعة اذا أمه عاف (١) ودارت ملاحم
هو الجود حتى لو تخلف مجتد لسارت اليه من نداء (٢) المكارم
لقد غاب عن ترشيش اذ غاب انسها ولاقت من الاشواق ما لا تنادم
تغير منها كل حسن واصبحت يلوح لها وجه من الشوق قاتم
حياة ابي يحيى حياة بني الدنى وآراؤه من كل خطب عواصم
فلا زال في عز وسعد مجدّد تقابله الايام وهي خوادم
ودام على مر الليالي وكرها ينادي مجيباً للمنى وينادم

(١) فن جميع النسخ دامة عافت

(٢) فن نسخة « يديه »

واستهل بعد هلال صفر بالثلاثاء ففي أواسطه وصل إلينا الفقيه
الاجل ابو زكرياء بن يعقوب وذلك يوم الجمعة الثامن عشر منه
وأخبرني أن خروجه من تونس كان يوم السبت الخامس منه ، ولما
وصل عزمنا على التوجه الى طرابلس للاقامة بها الى ان يصل ركب
يتوجه معه مخدمونا الى المشرق على حسب ما كان بنى عليه أولا
فأقمنا بغير اسن بعد وصوله شهرا كاملا وارتحلنا منه ظهر يوم
الاحد الثامن عشر لشهر ربيع الاول فكانت مدة الاقامة بها أربعة
أشهر وثلاثة عشر يوما التي هي بحساب كمال الشهر ونقصه
مائة وواحد وثلاثون يوما ، وودعنا في هذا اليوم الفقيه أبو ابراهيم
ابن حسينة وانفصل متوجها الى تونس وأنشد مخدمونا عند
وداعه له (بسيط) :

سَخَا بِنَفْسِي عَلَى إِثَارِ صَحْبَتِكُمْ يَوْمُ الْوَدَاعِ وَمَالِي مِنْكُمْ خَلْفُ
الْأَقْوَادِ (١) كَطِيرٍ حَلَّ فِي شَرَكِ وَدَمْعَةٌ مِثْلُ مَنْهَلِ الْحَيَا تَكْفِ
أَكْفَهَا عَنْ مَجَارِيهَا فَبِعَثْهَا حَادٍ مِنَ الْوَجْدِ يُجْرِيهَا فَلَا تَقِفُ
خِلَالَهَا زَفْرَةٌ تَشْتَدُّ طَالِمَةً تَكَادُ مِنْ حَرِّهَا الْأَضْلَاعُ تَنْقِصُ
عِلْمُ الْيَقِينِ بَأَنِّي إِنْ صَحْبَتِكُمْ أَرْدَى وَشَيْكََا وَلَمْ يَمَهِّلْنِي التَّلْفُ
فَقَلْتُ مَا صَحْبَةٌ دَانَ تَصْرُمُهَا بَعْدِي (٢) بَفَرَقَةٍ وَقْتِ مَالِهِ طَرْفُ

(١) في نسخة « وحيدا »

(٢) كذا في جميع النسخ

وفي رجوعي رجاء للبقاء به ارجو حصول التلاقي حين تنصرف
فاختار عبدك بعداً بعده صلة على اتصال يعد الدهر يكتنف
فانظر بعين اعتبار ما اتيت به يُقِم لي العذر في عليائك النصف
واترك مقالة اقوام ذوي غرض يردهم قصدهم عن بعض ما عرفوا
وقربنا نحن مرحلتنا من الغد فبتنا على غير ماء نم أصبحنا يوم
الاثنين فنزلنا بئر تعرف بالعقلة وهي بئر مرة تتضمنها أرض قفرة ،
ووجدنا بعض المحاميد قد أوردوها ذلك اليوم ابلا كثيرة فزادها
الى المرارة تغيرا ، وأخبرني بعضهم أن حفر تلك البئر محدث وأن
البئر القديمة المعروفة هنالك ابعده يسيرا منها وانما انتقل الورد الى
هذه لفضل مائه على الماء الاخر ، وأرض هذه البئر من الارض المعروفة
عندهم بأرض فسى - بكسر الفاء وكسر السين المهملة مشددة -
ثم انتقلنا يوم الثلاثاء الى ماء يعرف بائقطار بضم القاف كذا ينطقون
به وهي أحساء لا يستطيع أحد لمائها شربا ، ولا يحب الليلة قربها
قربا (١) ، ومنه يوم الاربعاء الى ماء يعرف بأبي الحبر - بضم الحاء
والباء - لا يحمد مذاقه مختبر ، ولا يصبر لتجرع صبره مصطبر ، ومن
هذا الماء فارقنا أرض المحاميد وودعنا في هذا اليوم أميرهم يعقوب
ابن عطية وانقلب راجعا الى مخيمه وبتنا نحن تلك الليلة هنالك ثم

(١) كذا في بعض النسخ وفي نسخة « ولا يحب ليلة قربها قربا »

ارتحلنا من الغد فنزلنا بماء يعرف بتاذر ، وهو أول أرض الجوارى وهم بنو جارية بن وشاح بن عامر وقد تقدم رفع نسب وشاح الى سليم عند ذكرنا للمحاميد ، ورئاسة الجوارى الان فى المراغمة منهم وأميرهم فى حين تاريخه سالم بن مرغم بن صابر بن عسكر بن حميد بن جارية ووصل الينا بهذا المنزل بعد أن كان قد انصرف عنا من منزل أجاس قبل وصولنا لغراسن على ما تقدم ، فصحبنا فى هذا المنزل وما بعده من المنازل ولما اجتمع بنا رغب الى مخدومنا أن تكون اقامتنا عنده بمنزل زنزور (١) الى أن تصل المشارقة وأن لا يتجاوزها الى طرابلس وجعل هذا الغرض من أكبر مطالبه ، وأقصى مثاربه ، وانما فعل ذلك مضاهاة لابن عمه يعقوب بن عطية حيث أقمنا عنده بمنزل غراسن تلك المدة المتقدمة ، فلم يكن بد من اسعافه بما طلب فتوجهنا بانين على الإقامة معه حيث ذكر .

وكان انتقالنا عن تاذر يوم الخميس فملنا الى طريق الساحل متياسرين ، وسامتنا من البحر مدخل فى البر آخذا (٢) من المشرق الى المغرب بطول خمسة أميال أو نحوها ، ومرساها مرسى مستحسن عند أهل البحر ويعرف هذا الموضع فى القديم بقصر طالح ، وسيأتى له ذكر فيما بعد هذا وهنالك السبخة المفضل ملحها على جميع السباخ ومنها يتار أكثر بلاد النصرانية جئناها وبها اذ ذاك ماء يسير وكأنها

(١) فى بعض النسخ « جنزور »

(٢) بياض فى بعض النسخ وفى بعضها اختلاط كبير لا تستقيم معه العبارة

طرف من سبخة التاكمرت التي بتوزر ، وأهل ذلك الموضع
يذكرون انهم اذا رفعوا ما على وجهها من الملح ووصلوا الى تراب
الارض احتفروا فيه قليلا فوجدوا طبقة من الملح أخرى ثم يحتفرون
فيجدون طبقة أخرى وكذلك الى سبع طباق وهم يجهدون الى
الطبقة السابعة لان انصارى يتغالون في اشترائه منهم ، ويذكرون
أن له عندهم منافع ضيعة متعددة .

واجتزنا بعده أيضا على ورد يعرف بتفاضلات - بالتاء المثناة من
أعلاه والفاء والضاد المعجمة - وهي أحساء ماء بين أحقاف رمال
ووجدنا العرب قد أوزدتها في ذلك اليوم من النعم الدثر ، ما ضاق
به متسع ذلك القفر ، وتمادى السير بنا الى أن نزلنا بظاهر
زواردة الصغرى وتعرف أيضا بوطن بلد المرابطين وهي قرية ذات
نخل كثير باسق الارتفاع وماؤها في غاية العذوبة وقد استولى
الآن الحراب على هذه القرية فليس العامر منها الا بعض الغامر ،
وأهلها قوم من الخوازج غلاة في مذهبهم موصوفون بتصميم في
دينهم وأمانة فيما يودع عندهم مكفرين بمواقعة (١) الذنوب ورأيت
منهم اقواما قد نحلت من العبادة ابدانهم ، واصفرت انوانهم ، بانين
في ذلك على هذا الاصل الفاسد من تكفير العصاة على ما تقدم بيانه
عند ذكر جربة

وأظهر أهل وطن المرابطين شيخ يعرف بعبد الرحيم الزوارى

وجميعهم يعظمه ويقدمه رئاسة وسنا وصلاً بزعمهم اجتمعت به
فرايت شيخاً مجتهداً في العبادة حسن السمات الا انه باعتقاده الفاسد
قد ضيع اعماله ، وخسر حاله وماله ، وتوسمت في احد من وصل معه
الطلب فتكلمت معه فوجدته قد شارك في طرف من العلم وانجر
الكلام معه من التحدث في اصل المعتقد الى التحدث في مسألة المسح
على الحفين في الطهارة فشنع بها على مثبتها كثيراً وفاقاً لمذهب
الحوارج ، فذكرت له بعض الاحاديث الواردة في ذلك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فردها بالجملة وقال هذه اخبار آحاد لا يجب
العمل بشيء منها ، قال : وقد نص لنا سيدنا ابو يزيد محمد بن كيداد
على طرح ما كان من الاحاديث يناقض اصلاً من اصولنا فلعلت
النص ومن نصه ، وأبعدت عنى لفتات لم يصن لسانه عنها شخصه ،
وقد وافقت الحوارج على انكار المسح على الحفين اضدادهم الشيعة
مستنديين في انكاره الى ما رووه عن علي بن ابي طالب رضوان الله
عليه انه كان لا يرى المسح ، وذلك غير صحيح عنه كرم الله وجهه
فان حديث التوقيت في المسح وهو حديث صحيح يروي (١) وقد
تغالى الشيعة في هذا واتخذوه شعاراً حتى ان الواحد من غلاتهم ربما
تألى فقال : برئت من موالاته امير المؤمنين ومسحت على خفي
ان كان كذا والى هذا اشار الشاعر بقوله ، ونذكر حكاية هذا
الشعر على ما ذكرها ابو سليمان الخطابي في معالمه ، قال :

(١) كذا في جميع النسخ ولا بد ان يكون في العبارة نقص ولعل الناقص هو « عن »

كان الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه وعنهم واليا على المدينة من قبل ابي جعفر المنصور فكتب على بعض كتابه فحبه فكتب له من السجن (١) (بسيط) :

اشكو الى الله ما لقيتُ احبت قوما بهم شقيت
لا اشم الصالحين جهراً ولا تشيئت ما بقيت
امسح خفي ببطن كفي ولو على جيفة وطيتُ

قال فاطقه واكرمه .

واما الخوارج فوقفوا في انكار المسح مع نص الكتاب ولم يروا نسخة بالسنة ، ورويت (٢) عن مالك رحمه الله في ذلك رواية شاذة لا ينبغي ان تحمل على ظاهرها ، وقد تناولها عليه من صححها عنه . وبالجملة فالعلماء مجمعون على خلاف هذا القول وقد نصوا على تفسيق من قال به ، وقول هذا الزوارى ان هذا من اخبار الاحاد ليس كذلك فقد نص الاية على ان هذا الحكم ما ارتفع عن رتبة خبر الاحاد ووصل الى رتبة التواتر

وأمام هذه القرية بقربة منها قصر يسمى وزدر - بكسر الواو - وسكون الزاى وكسر الدال المهملة - قد محى رسمه ، وبقي اسمه ، وتخرّب أكثر البناء الذى يحف به ولم يبق من اهله الا أناس قليلون

(١) في بعض النسخ « من الحبس »

(٢) في بعض النسخ « روى »

سكنوه حبا للوطن، وهذا القصر هو المشهور ببيع من يجتاز به الحجاج وغيرهم للنصارى، ولم تزل الركوب تحترس اذا مرت به خوفا من أهله وخوفهم على سرقة الرجال، اكثر من خوفهم على سرقة الرحال، فاذا جازوا عليهم ولم يفقدوا أحدا ممن معهم هنا بعضهم بعضا بذلك، وكان هذا الفعل فيهم كثيرا شائعا فيما تقدم وأما الان فقد قل ذلك لقلّة العابرين به، وسألت أقواما منهم عما اشتهروا به من هذا الفعل فأقروا به ولكنهم ادعوا انقطاعه عنهم جملة، قالوا وهذا الحراب الذى فى موضعنا الان انما هو مساكن القوم الذين كانوا يفعلون ذلك أهلّكهم الله تعالى وأخرب بيوتهم.

فبتنا تلك الليلة بظاهر وطن ثم أصبحنا من الغد مرتحلين فاجتزنا فى أول المرحلة على زواردة الكبرى التى تسمى كوطين - بضم الكاف وكسر الطاء المهملة - وهى قرية أضخم من الاولى وأكبر غابة، وفى أهلها شجاعة موصوفة وعزة أنفوس وطاعتهم للعرب مشوبة بعصيان وكان نزولنا منتصف النهار بظاهر ولول، وبين وطن وولول عشرون ميلا وهما قريتان متشابهتان عدوية ماء وخراب بنيان وولول هى منتهى أرض زواردة، وسميت بذلك لان أقواما من البربر يعرفون بنى ولول نزلوا بها وكذلك تعرف فى القديم بأرض بنى ولول، وهى أكثر بقاع الارض ظباء ولاهلها دربة فى صيدها بأشراك ينصبونها لها تميزوا بذلك عن غيرهم.

ومن ولول يوم الاحد الى موضع يعرف بتليل وهو حصن فى راس تل مشرف على البحر وتحف بالقصر فى سند التل دور كثيرة معمورة وما تحت التل سوانى ومزارع وليس هناك شجرة واحدة وانما معتمدهم فى سكناهم بذلك القصر على ما يزدرونه بتلك السوانى ، وبها آبار معينة الا أن ماءها شريب وليس العذب منها الا ما بين التل والبحر وأهله برابى نكارة موصوفون بخبث وشر .

وارتحلنا عنه يوم الاثنين فاجتزنا فى أول المرحلة على زواغة وبينهما ستة أميال أو نحوها ، وزواغة هى أكبر قرية فى ذلك الموضع وأضخمها وبها نخل كثير ومنها يظهر للمتوسم بعض مباني طرابلس وبينهما نحو خمسين ميلا ، وأهلها لم يزالوا فى القديم مشكورين مكرمين للحجاج على الضد من جيرانهم أهل زوارة ولم يكن يسمع عن أحد منهم بيع مسلم ولا تعرض له بسوء ولكنهم فى هذا الزمان أظهروا تعديهم ، ومدوا الى المراكب البحرية والركائب البرية أيديهم ، كأنهم حسدوا أهل زوارة على تميزهم بتلك الفضيلة التى اشتهروا بها ، وبهذه المدينة آثار قديمة وأعمدة مرتفعة من الرخام قائمة الى الان لابناء يكتفها ووجدت سائرتين منها متجاورتين على شكل واحد وكل واحدة مؤلفة من أربع قطع فى غاية الضخامة والارتفاع وحسن الصنعة غير أن احدهما قد سقطت قطعة من أعلاها فأخبرنى أهل الموضع أن بعض كبراء

العرب كلفهم رمى تلك القطعة لانه سمع أن كل قطعة منها مملوءة ذهباً فرموها وكسروها فلم يجدوا بها شيئاً ، والى جانبها من جهة البحر آثار المدينة القديمة المعروفة بصبرة (١) وربما كتبت بسين مكسورة عوض الصاد ، وهي كانت فى القديم قاعدة ذلك الموضع كله ولم يكن هناك أحصن منها ، واستفتحها عمرو بن العاص رحمه الله تعالى أول دخوله لأفريقية بعد افتتاحه لطرابلس ، جرد اليها خيلاً وهم آمنون قبل أن يصل اليهم الخبر بفتح طرابلس فصبحتها (٢) خيله ، وقد فتحوا أبوابها لتسرح ماشيتهم وكان على الحيل عبد الله بن الزبير فدخلوها فلم ينبج من أهلها أحد الا ناس قلائل توجهوا فى مراكب لهم الى صقلية واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ورجعوا الى عمرو فأمرهم يهدمها واحراقها وبعد مجاوزتنا لزواغة اجتزنا أيضاً على قرية أخرى تعرف بصرمان وسياتى لها ذكر بعد هذا ، ثم اجتزنا على زاوية تعرف بزاوية أولاد سهيل فنزلنا هناك وهى رابطة حصينة يحف بها شجر كثير من التين والرمان والخوخ وغير ذلك ، ولها أرض متسعة تعرف بالسابرية ، وأولاد سهيل قوم من العمور ، والعمور فخذ من الوشاحيين يتسبون الى عمور بن وشاح أخى جارية بن وشاح أخى المعاميد ، ولهم أخ رابع اسمه جواب وهو أبو الجواوبة ، وقبيلة

(١) صبرانة

(٢) وفى بعض النسخ « مجبتها »

العمور والجواوية في زماننا هذا لم يبلغ من كثرتهم أن يقوم كل قبيل منهما بنفسه فهم تابعون لاحدى قبيلتى اخوتهم الجوارى أو المحاميد ، وقد كانت قبل هذا لهم بهذه الارض صولة ، ساعدتهم فيها من الايام دولة ، ثم أخذ الدهر ذكرهم ، وطوى أمرهم ، وهم الان تابعون للجوارى ، وسهيل صاحب هذه الزاوية رجل كان يعرف بأبى عيسى يذكر عنه صلاح واعتناء باضافة من كان يرد عليه وتوفى عام ثلاثة وسبعين وستمائة ، وخلفه فى اقامة (١) رسم هذه الزاوية أبناءه وهم ناس صلحاء سكنوا تلك الزاوية رحمة للمجتازين بهم فانهم يرفدونهم بما يحتاجون اليه من زاد وغيره ويرجعون اليهم ما استلبتهم العرب ، والدباييون يرعون لهم حق رباطهم وحق مشاركتهم لهم فى النسب .

ولما نزلنا بمقربة من هذه الزاوية وصل الينا أهلها راغبين فى الوصول الى موضعهم والتحرم بطعامهم فسرنا مع مخدمنا اليهم فأصعدونا اليهم فوجدناهم قد شحنوها بالعدد المنمة على نحو (٢) التحيس عليها ، ورأيت هنالك كتبا كثيرة محبسة وزرنا بداخلها قبر الشيخ أبى عيسى رحمه الله ، ثم أتوا بطعام محتفل فطعمنا وانتشرنا وبتنا تلك الليلة بمقربة منها ، ثم لما أصبحنا سرنا فاجتونا بزاوية أضخم منها حالا ، وأكثر رجالا ، وبها مبان كثيرة ولها أرض

(١) فى جميع النسخ « امانة »

(٢) فى بعض النسخ « على رسم »

متسعة وتعرف بزواية اولاد سنان اخوة الوشاحيين والنوائل ، وهم بنو سنان بن عامر بن جابر وعامر هو أبو وشاح ونائل كما تقدم عند ذكرنا للنوائل ، فبنو سنان يتداعون مع الوشاحيين في عامر أبيهم ، وهذه الزاوية راجعة الى حكم عبد الله بن دباب بن أبي العز بن صابر بن عسكر بن حميد بن جارية الشديد القسوة المشهور هو وبنود بربط البربر وتعذيبهم بالنار وغيرها لاستخراج أموالهم منهم ، وهناك مجمع (١) العرب وسوقهم ، وبها يباع مجتلبهم ومسوقهم

وكان نزولنا في هذا اليوم بموضع يعرف بلماية ، وهي قرية صغيرة وبها نخل يسير وقصور مرتفعة متفرقة ، وبمقربة منها قرية تعرف بقرقوزة - الاولى راء والثانية زاي - وبها آثار قديمة وكانت لها غابة نخل فأهملت وبطل ثمارها فبتنا تلك الليلة بلماية كما تقدم . ثم أصبحنا يوم الاربعاء الثامن والعشرين من هذا الشهر وهو شهر ربيع الاول فحللنا بمنزل زنزور ، فرأيت غابة متسعة الاقطار ملتفة الاشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون وأكثره من الفرس القديم على نحو زيتون الساحل ، وليس يعظم (٢) شجره في موضع من المواضع ما يعظم (٢) في هذه القرية ، وبها مع ذلك نخل كثير وزطبه متناهي الطيب ، وبها أيضا من شجر التفاح والرممان

(١) في بعض النسخ « مجتمع »

(٢) وفي بعض النسخ « يظم »

والعنب والتين كثير وهي كثيرة القصور وقد استولى الرمل على أكثرها ، وهم الآن يتوقعون استيلاءه على باقيها ، ويقال ان طولها الآن نحو من خمسة أميال وعرضها نصف ذلك ، وهي أشبه البقاع بجزيرة جربة هيأة غراسة ، واتصال عمارة ، ولا فرق في المنظر بينهما الا أن مساكن أهل جربة أخصاص من النخيل كما تقدم ومساكن هؤلاء دور مبنية ، وكانت فيما تقدم من أملاك أهل طرابلس فلما وقعت فتنة الميورقي بتلك الجهات وانقطع بسبب ذلك طرقت أهل البلد اليها وانتفاعهم بشيء من غلها (١) زهدوا فيها فباعوها من بعض البربر فهو أصل ملك المجريسين (٢) وبها جامع متسع للخطبة يذكر أن عمرو بن العاص رحمه الله ، أسسه واحتج من هذا الجامع موضع فدفت فيه أم سالم بن مرغم وكثير من ولده وضرب عليه باب .

ويجاور هذا الجامع قصر خرب متسع يعرفونه بالقصر القديم يقال انه أول قصر بنى بزوزور ، ولم يبق منه الا سور المحيط به وهم يعظمون أمره ويقولون ان فناء (٣) ما بقى منه يؤذن بخراب البلد وفناء أهلها ، والى جانب هذا الحائط يكون مجتمعهم لنصب سوقهم وهي سوق نافقة ضخمة يجتمع البربر بها من الاقطار

(١) في بعض النسخ « غلاتيا »

(٢) وفي نسخة « تملك الجوسيين »

(٣) في بعض النسخ « بقايا » وفي سائرهما « بقا »

المتنائية (١) فى كل جمعة فيسعون هنالك جميع ما يجلبونه وأهل
زنزور قوم من البربر هواريون ثم مجريسيون كما تقدم .
وهوارة يقال ان أصلهم من البربر وان أباهم هوار بن المثنى بن
المسور بن يخصب ، ويقال ابن أبى المثنى وكذا رأيت بخط أبى
اسحاق الاجدابى ، وسمى هوارة لكلمة قالها فى حكاية طويلة
اختصارها أنه كان ساكنا بالحجاز فضلت له ابل فتوجه فى طلبها
الى أن بلغ الى مصر ودخل الى بلاد المغرب طالبا لها فمر بجبال
طرابلس فقال لغلامه أين نحن من الارض ؟ فقال له الغلام بأرض
افريقية، فقال: لقد تهورتا، والتهور الحيق، فسمى هوار لذلك، وحالف
بافريقية قوما من زناتة فرأى عندهم العرجاء أم صنهاج ولط بنى
لط الاكبر وقد كان زوجها لط توفى عنها وكانت جميلة
فتزوجها هوار فكثر نسله منها واتسع فهم الهواريون ومجريس
فخذ منهم ، سموا باسم أمهم ، وكانت لايتهم وخيع (٢) زوج أخرى
تسمى تاسا ينسب اليها التاسيون فبنو مجريس وبنو تاسا بنو أب
واحد .

وكانت لمجريس قبل هذا قوة واشتداد بقرتهم هذه وامتناع
من العرب لم يكن أحد من العرب ولا غيرهم يدخل غابتها ولا
يتجاوز شجرة واحدة منها الا باذن منهم ، وكان بها اذ ذاك أجناد

(١) فى بعض النسخ « متباينة »

(٢) فى بعض النسخ « وخيمن » ولعل الصواب « ونيفن »

مرسومون فى ديوان العطاء كلهم من أهلها قد عدوا هنالك جندا لمن يلى طرابلس ، ورسم لهم عطاء يقبضونه من خراج طرابلس فكانوا يذيقون الاعراب شرا ، ويكفون منهم فسادا كثيرا وضرا ، ولم تنزل العرب حاقدة عليهم الى ان ضعف الامر وتمكن مرغم بن صابر من الدولة وطلب من الملك أخذ هذه القرية بظهير فأعطىها وذلك فى أول سنة ست وسبعين وستمائة ، فأخبرنى صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد السلام الاموى التاجورى ، قال : لما وصل مرغم بن صابر الى طرابلس أرائى الظهير وسألنى هل هو صحيح فقلت له : انه صحيح ، وهو بالعلامة الجارية قال : فحينئذ أيقن بتملكها ولم يكن يصدق بذلك ، ولا خطر له قط أن يجوزها سالك ، فأحرى أن يجوزها مالك ، ثم أخذ فى اضعافهم ، والسعى فى اتلافهم ، الى أن كاد يفنيهم ، وفى وقتنا هذا متفرقون الى جماعات كثيرة وأظهر فرقتهم فرقة تعرف بالقياد وأمرهم راجع الى رجل اسمه جابر بن مالك وهو قائد الرئاسة فيهم ، وتناظر هذه الفرقة فرقة أخرى تعرف ببني سلام وبني حسين تجمع الفرقتين ، ولا تزال الحرب قائمة بينهما وينضاف اليهما باقى الفرق كالحطايين وبني مزبلة والابراهيميين وبني رزق وبني مدين وغيرهم فى حال الحرب والسلام بالحلف والمعاقدة ، وجميعهم منقسمون بين المراغبة من الجوارى على رتبهم لكل واحد منهم جماعة يحييها ويحميها وربما تباعوهم فيشتري أحدهم ونساؤه وولده للجباية بما يتراضى مع صاحبه عليه ويجعل أداءه فى كل عام

على حسب شجره وسعة أرضه وليس أهلها ملا كما في الحقيقة لشيء منها وإنما هم أجراء للعرب ناصحون واسم الملكية لهم هو النصح في الخدمة .

وبظاهر زنزور كانت الواقعة بين جعفر بن حبيب قائد باديس ابن المنصور ويانس الصقلبي (١) الواصل من مصر وكانت منزلة جعفر بن حبيب بغربها ومنزلة يانس بشرقيها فالتقيا فكانت الهزيمة على يانس وقتل هو وأكثر جنوده وحملت رؤوسهم الى جعفر وذلك في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وقد قدمنا الخبر عن هذه الواقعة مستوفى قبل هذا .

ومن أهل زنزور صاحبنا الفقيه أبو يحيى بن أبي بكر بن برنيق الهواري المجريسي انتقل من زنزور الى طرابلس فاستوطنها ، وله مشاركة في علوم منها أصول الدين على طريقة القدماء قرأها على الفقيه أبي محمد بن أبي الدنيا ، ومنها الفقه وغير ذلك ، لقيته بزوزور ثم لازمني بعد بطرابلس وهو شيخ كبير السن حفظه (٢) متع الحديث ذو دين متين ويذكر أنه كان في صغره آية في الجمال وحسن الصورة وافتضح في محبته بعض الكبراء من أهل طرابلس فأدركه خبل في عقله فكان مولعا بتكرار اسمه لا يجيب من كلمه الا بذلك ، وأخبرني بعض أهل طرابلس أن هذا المفتضح المخبل العقل كتب

يوما فى جدار من جدران طرابلس : أيلام من يحب أبا بكر ؟ فقراه بعض الظرفاء فكتب تحته ان كان أبا بكر الصديق ، فأنت مؤمن على التحقيق ، وان كان أبا بكر بن برنيق ، فأنت فاسق زنديق .

وزرت بخارج الغابة من هذه القرية قبر الشيخ أبى محمد عبد الجليل الحكيمى (١) وهو على ساحل البحر بيت يجاور مسجده الذى كان انفرد فيه بنفسه ، وتخلي عن أبناء جنسه ، وهذا المسجد من المحارس القديمة البناء المفرطة الحصانة وانما أضيف اليه لسكانه به ، وبنائه الى جانبه ، وأصله من العرب الحكيميين وأهل هذه الجهة يعظمونه كثيرا ، وأخبرنى جماعة منهم أنه مات وقد نيف عمره على المائة والعشرين وكانت وفاته يوم الاحد الثالث لشهر ربيع الاول المبارك من عام خمسة وثمانين وستمائة ، رأيت هذا مكتوبا على قبره .

وعلى مسافة يسيرة من مسجده هذا من جهة غريبه على الساحل أيضا مسجد يعرف بسيقاظة - بكسر السين المهملة وبالقاف - ابتناه الفقيه الصالح أبو الحسن السيقاطى رحمه الله وبه كان يتعبد وهناك قبره زرته ودعوت عنده ، وكانت وفاته قديما سنة عشرين وأربعمائة وخرج جميع أهل طرابلس ومن حفر بها من النواحي والبلاد فصلوا عليه وكان له يوم مشهود ، وتوفيت لمخدومنا فى أثناء اقامتنا بزوزور ابنة صغيرة فدفنت بخارج مسجد سيقاظة هذا .

(١) راجع كتاب الاشارات لعبد السلام بن عثمان (طبع طرابلس الغرب) ص ١١٠ - ١١١

وعلى هذا الساحل بطوله مساجد كثيرة ، وهى مساكن
للصالحين قديما وحديثا شهيرة ، والناس يزورونها ويتبركون بها
وانها لمن أحسن المساكن لمن يريد الانفراد لعبادة ربه والساكن
بها يجمع بين الاحتراس ، ومجانبة الناس ، وأكثرها من مباني ابن
الاعلب مبتنى المنحارس من (١) الاسكندرية الى مجاز ستة وقد
تقدمت الاشارة الى ذلك قبل هذا .

وفى أوائل شهر جمادى وصل الى زنزور غلبون بن مرزوق
السالمى وهو أمير آل سالم بن رافع بن دياب ، وهم أمم لا يحصون فيما
بين طرابلس وبرقة ، فتحدث مخدومنا معه فى السفر صحبتة فلم
يوافق عليه خروجه أكثر جماعته من يده وقوة طمع آل سالم
وخيانتهم ولم يجعل الى التشريق فى ذلك العام سيلا بل قال انه
لا يتصور بحال ، وجعله من أعظم ممتنع وأكبر محال ، وكانت
أيضا الاشاعات قبل هذا تنادى (٢) الينا بوصول ركب الغرب
صحبة الارشال المشارقة فلم نكن نتوقع اياها من تهيؤ السفر فى
ذلك العام الى هذا الحين ، فلما سد غلبون باب الطريق ، ومنع
بالجملة من التشريق ، ولم نتحقق للمغاربة قدوما ، بل عاد موجود
تلك الاشاعات كلها معدوما ، وانما تأخروا بسبب سيرة السلطان
أبى يعقوب يوسف بن يعقوب المرينى الذى توجهوا بالهدية اليه ،

(١) فى جميع النسخ « بين »

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « تنادى »

اقتضى النظر الدخول الى طرابلس والتوطن على السكنى بها الى أن يكون الحج في عام ثمانية وسبعمائة ، فكان دخولنا اليها يوم السبت التاسع عشر لجمادى الاخرى وكانت مدة الاقامة بزوزور شهرين اثنين وعشرين يوما

وفي أثناء هذه الاقامة بزوزور وصل الى كتاب من ابن عمى الفقيه الكاتب البليغ أبى الفضل محمد بن على التجانى جوابا عن كتاب صدر منى اليه ، ونص كتابه نظما ونثرا : (مجزو الرمل) :

لمع البرق فشِمتُهُ وبدا سرّ كتمتُهُ
وسرى نحوي بسِرِّ وبمعنى (١) ما فهمتُهُ
مُعَلِّما (٢) خلعة ود من وداد قد علمتُهُ
كاشفا عني قِنَاعاً بدموعي قد رقتُهُ
همل الدمع لبرق بلظى نارى وستُهُ
وأطار القلب منى وبودى لوزمتُهُ
فهو للوجد مضيع وعلى الشوق ضمتُهُ
أفرد التركيب بالتحليل لما أن قسمتُهُ
فلدى الجسم والقلب لدى خِلِّ عدمتُهُ

(١) وفي نسخة « وبغيب »

(٢) بياض فى بعض النسخ

سار شرقا فمدحت الشـرق من غرب (١) ذمته .
ثم حياني برّوح وبريحات شمتة
بكتاب صحّ في الود د دليلا فأقمتة
كم سرحت الطرف مز تاحا إليه ولثته
رسمت (٢) أحرفه فيه خلوصا قد رسمته
يعلم الله اعتقادا واتّحادا ما حرمتة
وانتسابا وانتسابا لهوى مني آدمته
وبعين القرب في سنّ الهوى بالنفس سمتة
فإذا صحّ بشيء فهو ما يئنت رمته

وهل أعزكم الله للقلب ارتياح ، الا اذا كان لشمس القرب التياح ،
فحينئذ تتجلى ظلمه ، ويشهر بناره (٣) علمه ، فنور القرب لا يبقى
ظلاما ، وينادي نار القلب يا نار كوني بردا وسلاما ، وسيأتي عند
جسم نداه (٤) جوهره ، ولم يغب عن القلب مظهره ، وروح ائتلف
مع البعد متعارفها ، واتخذ بالذم في أهل النهى معارفها ، والاسباب
التي تدنى الشاسع ، وتنفي القاطع ، شوق من خافق الجناح او

(١) في بعض النسخ « من عزم »

(٢) في بعض النسخ « وسمت »

(٣) في بعض النسخ « بالاخبار » وفي بعضها بياض

(٤) في بعض النسخ « نراه »

كتب تتصل به أشعة شمسه ، أو سر لا ينشر دفينه من رسمه ،
وأقواها سيبا ، وأقربها نسبا ، تعارف الروحين في مبدأ أول ، وتوحد
الاثنينية بقلب غير قلب وحال غير حول ، وهذا هو النسب ، الذي
تحمد فيه النسب ، على كل حال ، ولعل حال مودتنا بحسب هذا
الاتصال يتصل ، فهذا هو الفصل المميز الذي لا يمتاز عن جنسه
ولا ينفصل ، وأطلب منكم أن تبلغوا أملي المعظم سلمه الله سلامي ،
وتؤدوا له ما يجب من توقيرى واعظامى ، ولو كنت عنده أعزه الله
سليم العقد ، سالما من النقد ، لأقدمت على مخاطبة جلاله ، وجريت
على عادتي في ترسيل الكلام وارساله ، وفي التأليف الذي رفعت
الى مجده المرفع محفوظه ومخفوضه (١) وأدبت الى مقامه المحمود
معروضه ومفروضه ، وهو المصنف الذي خصصته بسيادة العلماء ،
وسميته « الناسم » ، (٢) وأستحيى ان أذكر الأحياء ، دليل على العادة ،
في تلك العبادة ، زمن اسعاد السعادة ، ولا جرم أن الجزم للحظ
المنفس (٣) وأن الفراسة لا ترد بطش الدهر المفترس ، والامر لله وحده ،
وحتى الان ليس لي عيش الا في بركته ، ولا دعاء الا بكلاءة الله في
سكونه وحركته ، فهو مبدأ الحياة لي وتامها ، وكفه بوكفها طالما
رواني غمامها ، وقد اتصلت من نحو برقة بروق ، لا تنبض معها

(١) محفوظه ساقط في بعض النسخ

(٢) وفي بعض النسخ « الناسم »

(٣) كذا في جميع النسخ وما يقتضيه السياق « ولا جرم ان الجزم لا يرفع الحظ المنفس »

او عبارة بمعناه

عروق ، غير أنكم وان أجرتم في مرعى (١) خصيب ، ومسمى للخير مصيب ، قد أحضركم السفر في مكان مكين ، واستندتم الى ربوة ذات قرار ومعين ، فمن اليقين أنك لا تظماً فيها ولا تضحى ، وأنك تقطع كل يوم بسيف فطر وأضحى ، كل ذلك بمقاربة ذلك الجنب ، واعمال السير والسرى في مصاحبة ذلك الركاب ، والله تعالى يصحبكم الخير والخيرة ، ويصون لحفظ محاسن الجود تلکم الذخيرة ، ويديم اليمن المصاحب لامرکم مدبراً ومديراً ، ويقيم لكم في كل أرض تحلونها روضة وغديراً ،

أشار بقوله في هذه الرسالة وسميته «الناسم» ، وأستحى ان أذكر الاحياء ، الى مبحث كان بينى وبينه في لفظة الاحياء مما ذا بنيت افعل فيه وهي انما تبني من فعل بينى منه فعل التعجب ، وفعل التعجب انما بينى من الفعل الثلاثى واليه أشار أيضاً فيها ولو كنت سليم العقد ، نالما من النقد ، فأجيبته عن هذا الكتاب بقولى وكلا الشعرين الاصل والجواب لزومى : (مجزو الرمل)

نَمَّ عَمَّا قَدْ كَتَمْتُهُ مَا مِنَ الدَّمْعِ سَجْمْتُهُ

وَشَجَا الشُّوقَ فَوَّادَا لَمْ يَطْفِنِي حِينَ أُمْتُهُ

سُمْتُهُ الصَّبْرَ فَحَالَ السُّوْجِدِ عَمَّا مِنْهُ سُمْتُهُ

أَيُّهَا الْإِخْوَانُ وَالسَّنَلَسَوَانُ ذَنْبٌ مَا اجْتَرَمْتُهُ

(١) وفي بعض النسخ « مفسى »

قَسَمٌ فِيكُمْ بِشوقِ مذ تفرقنا لزمته
ما تذكّرتُ فؤادي بعدكم إلا رحيمته
لا ولا مـرّاً (١) ذكركم ليلاً فمته
ولقد جئد وجددي بارق للغرب شيمته
هاج لي ذكرى نعيم مع من أهوى نعمته
وأفاد القلب قريباً قلبه لنا فهمته (٢)
من كتاب أوجب الأُنس وقد كنتُ عدته
أحرزتُ كفي منه غنمها حين غنمته
جاء فألا باقتراب بعد بُعد قد سئته
معلماً لي بـوداد كنت من قبل علمته
فمددتُ القول في الشكرِ عليه وأدْمُنته
وتمثلتُ يميننا رسمته فلمته
يا إمامي وفقيدي علم ما فيه ائتمته
ومن الشكر (٣) فرض قد ختمته

(١) بياض في جميع النسخ ولعل الناقص « بفكري » أو كلمة ما بمعناها ووزنها

(٢) مقلوب « البرق » وهو « القرب »

(٣) بياض في جميع النسخ

فُزَّوْحَزُ (١) كَلَّ عِلَاءُ (٢) وَاخْدَمَارْمَتِ وِوَرْمَتِهِ
وَابِقِ مَخْصُوصًا بِفَضْلِ أَنْتِ مَنْجَاهِ وَسَمْتِهِ

« لما وصلنى كتاب سيدى الذى اعترف باحسانه ، واعترف من
بحر بيانه ، وصل الله سعوده ، وانجز من الامال موعوده ، قابله
بما يجب له من اجلال وتعظيم ، وظفرت يداه منه بكتاب كريم ،
وعند ما حلت طبعه ، وحلت ربه ، علمت أن من البيان سحرا ،
وأن من الدر ما يكون له بعض الصدور بحرا ، فثمته عوضا عن
اليمين التى رسمته ، ووسمته من المحاسن بما وسمته ، واتخذته
سيرا مناجى ، أرفعه طورا على رأسى تاجا ، وأتخذة تارة اماما فيما
أحاول من صياغة هذه الصناعة ومنهاجا ، ثم لما فهمت خطابه ،
وأردت أن أكتب جوابه ، استشعرت بقصور ، فارتبكت بين
جواب لا أرتضيه جوابا ، واغفال ليس فى حكم التأدب صوابا ،
فقلت الاول تعرض للاقتضاح ، وابانة لقصور ذى اتضاح ، والثانى
وبالله العصمة ، اخلال بحقوق ، ووقوع فى عقوق ، فرأيت أن
خطب الاول أقرب ، وأن المعترف بقصوره لا يشرب ، مع أن
اغضاء المخاطب عن المعترف معروف ، وطرف رضاه عن المساوى
مصروف ، فأجبت بما أحبت وكتبت ، وما أدري الأخطأت أم
أصبت ، غير أنى لم أفعل الا وأنا على ما ذكرت معول ، ولم أقدم

(١) بياض فى بعض النسخ. وفى بعضها « فز وجز »

(٢) بياض فى بعض النسخ ولعل الصواب « واحو »

الا وأنا على ما قدمت (١) وحق لمن شغلت النوى فكره ، واستلب فراق الاخلاء الاجلاء مثلك صيره ، أن يتجاوز عن هفواته ، ويقبل ما صدر منه على علاته ، ومعاذ الله ان تكون هذه شكوى من تبرم بحاله ، أو سئم من حله وترحاله ، فقد أصبحت بحمد الله بملازمة من رفهتني أياديه ، ورفعتني خدمة نأديه ، بين مراد مكثب ، ومراد مخصب ، غير أن الانسان يقوم بعذره ، ويقوم بزعمه سببا لقصور فكره ، وضعف نظمه ونثره ، واعرف سيدي أنى بلغت مخدومنا أعزه الله سلامه ، وأوضحته له اشارته في ذلك الفصل أمامه ، فذكر أن العقد كما كان سليم ، وأن النقد نبذ بالعراء وهو سقيم ، وهو مثن عليكم ، ومهد سلامه اليكم ، والله يحفظ على سيدي كماله ، ويبلغه آماله ، ويحرس احتواءه على الفضل واشتماله ،

وكتب الى ايضا في هذه المدة صاحبنا الفقيه المتصوف الفاضل أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالهوارى في جواب كتاب كنت كتبتة اليه قصيدة طويلة حقق فيها وتصرف بأحسن التصرف والذي يخصني من هذه القصيدة قوله في فصل منها : (كامل)

ومن السعادة وصل خلّ صالح عن كلّ فعل سيّء (٢) ينهاني
من لي بخلّ كان يؤنس وحشتي ويؤمّني بالبشر إذ يلقاني بي
صاحبته في الله أحسن صحبة فشكرت منه كلّ ما أولاني

(١) بياض في عامة النسخ التي بأيدينا ولعل الناقص « متكل »

(٢) في نسخة « عن فعل كل قبيلة »

ورأيت منه مودة (١) ومجبة وفضائل زادت على الحساب
لا غزو أن حاز الكمال فإنما وقف الكمال على بني تيجان
كم زهرة في روضة سمحت به فرأيت بستانا لدى بستان
فوداده عندي نضير دائما وثناؤه غرض بكل أوان
أقدم الآباء دون منازع وسلالة الحسباء والأعيان
وأجل حبر قد سما في عصرنا بالعلم والآداب والأتقان
قد جاءني منكم كتاب سرني بالشر والترحيب إذ حياني
إني لأحيا إذ سمعت بذكركم فيميتني شوقي إذا حياني
ولربما أدمى جفوني ذكركم فأخال قلبي فاض من أجفاني
فالله يجمع شملنا بلقاءكم ويزيدكم بالعمو والغفران
وعليكم مني سلام دائم متعطر ما اهتز غصن البان
وكانت تحت هذه القصيدة أسطر في مخاطبتي بخط صاحبنا
الفقيه أبي عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن أبي زاكي البلوي تتضمن
تجديد الورداد ، وتأكيده الاعتقاد ، فكتبت اليهما في الجواب ، وجمعت
بينهما في الخطاب : (كامل)

إن لم تفيض بدمائها أجفاني لفراق من أهوى فما أجفاني

أولم اواصل ذكر إخواني فقد أصبحت معدودا من الغنّوان
من مبلغ غني السلو بان لي في الحب قلباً غير ذي سلوان
عندي لأحكام الوداد شريعة أضحي القصي بحكمها كاللداني
لا أرتضي إلا الوفاء طريقة ما الندر من خلقي ولا من شأني
ولئن نسيت فلست أنسى صاحباً يصل التذكر لي ولا ينساني
خلي الذي عزّت به هوّارة غزي بصحبته على أخذاني
من قد صرفت إليه وجه مودتي وصرفت لحظي عن قل وفلان
ذا المنزع الأحلي الذي أجرى به في الناس حالته على ميزان
ذات قد اختصت بكل فضيلة فاخصها بالشكر كل لسان
يُسدي تفضله الى اخوانه ويمتد فيه الفضل للاخوان
كم خصني من نصحه يفوائد اهدى إلي حليها فهداني
ولكم ابان لي الحقائق فكره فأقام صورتها مقام عيان
ولقد أتاني من لدنه على النوى كتب أتاني الأُس حين أتاني
قد وقيت فيه البلاغة حقها ما بين الفاظ وبين معاني
جمع الصنعة والصناعة منازجا تيين إحسان بحسن بيان
ورأيت في أقصى الصحيفة اسطرا ألفن بين الحسن والإحسان

من ماجد أسدى السّي أيادياً مالي بواجب شكرهن يدان
جاءت تُقرّر من كريم وداده ما حلّ من قلبي أجل مكان
لما قرأت خطابها ففهمته ناديت والسراء ملء جناني
قد أتحنّني بالوداد نو أبي زاك فقخراً يا بني تيجان
ولما وصلت اليهما هذه القصيدة راجعني الهواري بقوله وهو
من حر نظمه : (طويل)

كتابكم أهدى من الوجد ما أهدى فلا تجسبوا أنّي نقضت لكم عهدا
سرى لي بسرّ منه عرف معرف أفاد بمسراه الصباية والوجدا
جاني بحبّ سيّد فيه ماجد به شرف الله السيادة والمجدا
نسيم الصبا بالله سرّ بتحنّية فضضت بها من شكره المسك والندا
وحتى بها عبد الإله على النوى وأدرج له أثناءها الشكر والحمدا
كأنّي به لما جرى الين بيننا ومدّ حجاب البغد ما يشنا مّدا
يقول جفا او مال او ملّ او سلا وحال عن الإخلاص أو نسي الودا
غرامى غرامى بالحبيب وان نأى وجبى له جبى دنالى او صندا
وانسى لمشتاق اليك وصابر اذا لم أجد ممّا اكابده بُدا
اذا خطرت ذكراك يوما بخاطري وجدت لجرّ الشوق في اثرها بتردا

ألا نفعة منكم تبرّد باطني فإنّ بقلبي من أليم النوى وقد
ألا موعد منكم يُعلّل مهجتي فأرتاح للّقا وأستجز الوعدا
لئن جاءني يوما بشير بقربكم وهبّت له نفسي وأهْوون بها نقدا
وإنّي لاستجدي وداذك إنّه أجلُّ نقيس والأفاضل تستجدي
وإنّي لاستهدي سلامك جالبا بمأتاه أنسي والأكارم تستهدي
وإنّي لأستدعي جوابك راغبا ليُفتح بابُ القرب من بعد ما سُدا
لقد ضيّع الأصحابُ عهدي ولانوى وأنت بظهر الغيب تحفظ لي الودا
شأشكركم شكر الرياض بسُحبها وأنظّم فيكم من حُلّى مجدكم عقدا
وأجهد في شكري لمجدكم عسى بفضلكم أن تقبلوا منّي الجهدا

وكتبت للفقير الأديب الفاضل أبي إبراهيم اسحاق بن إبراهيم
ابن حسينة كتابا صدرته بهذه الايات : (كامل)

يا نسمة الروض المذي حاكت له أيدي الغمام ملابس الأيراقِ
سيري (١) مبلغة على شحط النوى طيب السلام الى علا إسحاقِ
الفاضل الأسمى الرضا الأسنى الذي حاز العلا والفضل باستحقاقِ
وتحملي مني إليه تحيئة كالملك نتم شذاه في الآفاقِ

(١) وفي بعض النسخ « مبي » وفي بعضها « منى مغلطة »

يزداد منها من تنشق عرفها طيامتي ما زاد في استنشاق
وصفي له بعد التفرق قدر ما لاقيت من وجد ومن أشواق
الله يا إسحاق يعلم أنني للشكر في عليك ذو استغراق
وبعث هذا الطرس نحوك قاصدا تقرير ود مبسرم الميثاق
فأتي بين إليك صدق مودتي إن الخطاب على البعاد تلاقني
لا زلت في نعم تجل ورفعة ولك الإله من المكاره واقني

فأجاب عن ذلك بقوله : (وافر)

اعبد الله قد حزت المعالي وفقت كبار أعلام الرجال
مئت ناهة ومئت علما وأكثر من ترى من ذاك خالي
فأنت إمام أهل العلم طورا لك التقديم في هذا المجال
ولما أن أتاني منك كتب سررت بأن حالك خير حال
وأن عمادنا في حال نعمى وقاه الله من عين الكمال
وأبقاه لإسداء الأيدادي وتشيد المكارم والمعالي
وقلتم كيف حالكم وحالي وقد فارقتم بمد اتصال
فحالي كلها غم وكرب فوا أسفي لما قضت الليالي
فدمع العين لا يرقا وقلبي له وجد حكى وخز النبالي

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَمْرَ الصَّبْرِ هِينًا وَأَنَّ الْوَجْدَ عِنَّا ذُو اتِّصَالٍ
وَأَنَّ فِرَاقَكُمْ يَبْنِي فَيُنْسِي سِوَى ذِكْرِي إِذَا خَطَرَتْ يَالِ
فَكَانَ بَعْكَسَ مَا قَدَّرْتُ فِيهِ فَلَا تَبْخُلْ بِتَكَرِيرِ السُّؤَالِ
قَلْبِي لَا يَفَارِقُهُ التِّيَاعُ . كَمَا يَصَلِّي بَحْرَ النَّارِ صَالِي
فَلَوْلَا أَنِّي لَمْ يُعْنِي وَأَنَّ بِنَاءَ جَسْمِي ذُو اخْتِلَالِ
لَكَانَ الْجِسْمُ عِنْدَكُمْ كَقَلْبِي وَلَمْ أَخْفِلْ بِأَهْلِ أَوْ بِسَالِ
ثُمَّ غَيْرِ قَوَافِي الْآيَاتِ الَّتِي وَجَّهْتُ لَهُ وَصَرَفْتُ مَدْحَهَا إِلَى اسْمِي
وَبَعَثْتُهَا إِلَى مَعَ الْقَصِيدَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَقَالَ مَخْبِرًا عَنِ ذَلِكَ فِي جُمْلَةٍ
كُتِبَتْ : . وَأَمَّا قَصِيدَتُكَ الْقَافِيَةُ فَلَا شِرَاقَ مَعَانِيهَا ، وَاتَّقَانَ أُصُولَهَا
وَمَبَانِيهَا ، وَعَجَزَى عَمَّا يَضَاهِيهَا ، أَغْرَتَ عَلَى كُلِّ مَا فِيهَا ، وَلَمْ
أَغْرِ مِنْهَا غَيْرَ قَوَافِيهَا ، ثُمَّ رَدَدْتُهَا إِلَيْكُمْ الْقَهْقَرَى . بَعْدَ أَنْ جَرَى فِي
أَمْرَهَا مَا جَرَى ، وَهِيَ هَذِهِ : (كَامِلٌ)

يَانِسَةُ الرُّوضِ الَّذِي نَظَّمْتُ لَهُ زَهْرًا تَحَلَّلًا يُبْدُ الْأَمْوَاهِ
سِرِّي مَبْلُغَةً عَلَى شَحْطِ النَّوَى طَيِّبِ السَّلَامِ لِمَجْدِ عَبْدِ اللَّهِ
الْقَاضِلِ الْأَسْمَى الرِّضَا الْأَسْنَى الَّذِي حَازَ الْعُلَى وَالْفَضْلَ دُونَ مِضَاهِي
وَتَحَمَّلِي عَنِّي إِلَيْهِ تَحِيَّةً كَالْمَسْكَ أَوْ ذِكْرَاهُ فِي الْأَفْوَاهِ
وَصِفِّي الَّذِي قَاسَيْتُ بَعْدَ فِرَاقِهِ فَلَقَدْ دَهَنَنِي مِنْ نَوَاهِ دَوَاهِي

اللهُ عَبْدُ اللهِ يَعْلَمُ انَّنِي بُوْدَادٌ مِثْلَكَ فِي الْاُنَامِ اُبَاهِي
وَبَعَثْتُ هَذَا الطَّرْسَ نَحْوَكُ قَاصِدًا تَقْرِيرٌ وَدُفِيكَ لَيْسَ بُوَاهِي
لَا زَلْتُ فِي نِعَمٍ تَجَلُّ وَعِزَّةٍ وَعَلَوِّ مَقْدَارٍ وَرَفْعَةٍ جَلِّهِ
وَذَكَرْتُ بِهَذِهِ الْاَيَاتِ اَيَاتًا عَلَيَّ وَزَنَهَا خَاطِبٌ بِهَا وَالَّذِي اَبْقَاهُ
اللهُ تَعَالَى الْفَقِيهَ اَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ بْنِ اَحْمَدَ الْاَزْدِيَّ الْعَسِيْلِيَّ حِيْنَ
وَرُوْدِهِ عَلَيَّ تُوْنِسَ : (كامل)

يَا نَفْحَةَ الزَّهْرِ الْجَنِّيِّ اِذَا سَرَتْ غَبَّ اِنْسَكَابِ السُّحْبِ بِالْاَمْوَاهِ
زَيْدِي بِحَمَلِ شَذَا الْمَسُوْكَ تَعَطَّرَا ثُمَّ اِقْصِدِي الْاَزْدِيَّ عَبْدُ اللهِ
بِتَحِيَّةٍ تَصِفُ التَّشْوِيقَ عَنْ اَخٍ عَقَدُ الْوُدَادِ لَدِيهِ لَيْسَ بُوَاهِي
وَصِفِي لَهٗ وَصِفِي لَهٗ بِمَحَاسِنِ هِيَ حَلِيَّةُ الْاَسْمَاعِ وَالْاَفْوَاهِ
الْقَادِمِ الْمَتَقَدِّمِ الْحَبْرِ الَّذِي جَلَّتْ مَنَاقِبُهُ عَنِ الْاَشْبَاهِ
اَدَبٌ يَهْزُ السَّامِعِيْنَ وَمَنْطِقٌ عَذْبٌ وَظَرْفٌ حَازَ (١) كَلَّ تَنَاهِي
وَافِي فَكَلَّلَ لَفْظُهُ اَسْمَاعِنَا بِجَوَاهِرِ هِيَ فِي الْبَلَاغَةِ مَا هِيَ
اِعْلَمُ فَدَيْتَ اَبَا مُحَمَّدٍ اَنْبِي (٢) مِنْ نَهَاهُ عَنِ السَّلْوِ نُوَاهِي
اِنَّ التَّنَائِيَّ وَالتَّوَاصُلَ مِمْكَنٌ دَاءٌ يَعْزُّ دَوَاؤُهُ وَدَوَاهِي

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسَخِ وَلَعَلَّ الصَّوَابَ « جَاز »

(٢) كَذَا فِي بَعْضِ النُّسَخِ وَفِي بَعْضِهَا « اَيْنَ » وَفِي بَعْضِهَا « بِنَ » وَلَا يَقُوْمُ بِاِحْدَاهَا الْوِزْنَ
وَلَعَلَّ الصَّوَابَ « مَعْنُ »

هَبْ اِنْ قَرَبَكَ عَاقٍ عَنْهُ عَوَائِقُ اِنْ التَّرْسُلُ لِلدَّنْوِ مِضَاهِي
وَلَقَدْ بَعَثْتُ لَكَ النِّظَامَ لِأَنَّي اِدْرِيهِ عِنْدَكُمْ وَجِيهَ الْجَاهِ
فَلَعَلَّ فِكْرَكَ اِنْ يَعْلَمَنِي بِمَا يَهْدِيهِ مِنْ ذَاكَ الطَّرَازِ الْبَاهِي
فَأَجَابَ عَنْهَا الْفَقِيهَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ وَتَعَرَّضَ فِي الْجَوَابِ
لِذِكْرِي مَعَ ذِكْرِ الْوَالِدِ : (كامل)
يَا رَوْضَةَ الْأَدَبِ الَّتِي جَاءَتْ كَمَا جِيَّ الْحَيَازُوهَرُ الرِّيَاضِ الزَّاهِي
لِلَّهِ اسْطَارِ بَطْرُسٍ قَدْ حَكَتْ سَوْدَ الْفُرُوعِ عَلَى بِيَاضِ جِبَاهِ
وَغَرِيبِ مَعْنَاكَ الَّذِي ضَمَّنْتَهُ شَرِكَ الْحَلِيمِ وَفَتْنَةَ الْأَوَاهِ
لَمَّا فَضَضْتُ خَتَامَهُ اسْتَجَلَيْتِ مِنْ مِرَّآكَ حَسَنًا جَلَّ عَنْ أَشْبَاهِ
وَكَذَلِكَ حِينَ لَمَحْتُ خَطَاً (١) مِقْدَارَ كُلِّ مَبْرَزِ تِيَّاهِ
مَا أَرْتَبْتُ فِي اِنْ الْإِمَامِ مُحَمَّدًا (٢) بَطْوَعٍ لَيْسَ عَنْ اِكْرَاهِ
قُلْ لِلأَلَى سَبَقُوا وَلَيْسُوا مِثْلَهُ هِيَهَاتَ مَا الْفِرْزَانُ مِثْلُ الشَّاهِ
خَلَوْا الْفِصَاحَةَ لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهَا عَبْدُ الْإِلَهِ لَهَا وَعَبْدُ اللَّهِ
طَوْدًا وَقَارًا وَإِنْفِرَادٍ مَعَارِفٍ وَكَمَالٍ تَهْدِيْبٍ وَحُسْنِ تِبَاهِي
لِلَّهِ دَرْكُ يَا وَحِيدِ زَمَانِهِ مَاذَا تَعَاظَمَ بِالتَّفَاتِكِ جَاهِي

(١) بياض في جميع النسخ

(٢) بياض في جميع النسخ

فاتحتني ففتحت باب مودة بينائها مرقى النجوم اباهي
ولكم ظلت ولي اليك تشوق كتشوق الصادي لعذب مياه
واريد اقداما فاحجم هبة ولتي النهي من خوف عجزني ناهي
هل يستوي وشل وجر زاخر او هل يساوي الآس شوك عِضاه
فمسي التسامح فهو فيك سجية فالمرء اما خاطئي او ساهي
وقد كنت انا كتبت للفقير ابي محمد اول وروده علينا (كامل)
أأبا محمد الذي اخباره في الفضل ترويهما الثقات مسلسله
لله درك من وحيد بلاغة ساق الكلام منظما او رسلنه
لا زال في الأفواه ذكرك طيبا واذا احب الله عبدا عسلنه
وإليكما ابيات خل مخلص قد ضمن الطرس الوداد وارسلنه
واتى بها عن خاطر متوحش ، ومتى اجبت فقد اتحت الانس لنه
فاجاب بقوله وكلا الشعرين الاصل والجواب لزومي : (كامل)
احيمي الاسمي سمي والذني من دون ما رد وهبت النفس لنه
اهدبت لي من روض نظمك زهرة وسقيتها من ماء طبعك سلسله
ياحسناها من اسطر قد نشطت ذهني وقد كان التبلد كسلنه
جاءت بخط اشبهت نوناته اصداغ فرع في الخدود مسلسله
فيها رايت السخر لا ما حدثوا عن طرف خشف لم يفارق مأسله

وروت حديث الفضل عنك محققا فرقت مسنده إليك ومرسلته
ولما توجهنا الى طرابلس وأشرفنا عليها كاد يياضها مع شعاع
الشمس يعشى الابصار فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء :
وخرج جميع أهلها مظهرين للاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء ،
وتخلى والى البلد اذ ذاك عن موضع سكناه وهو قصبة البلد فنزلنا
بها ورأيت آثار الضخامة بادية على هذه القصبة غير أن الحراب قد
تمكن منها وقد باع الولاة أكثرها فما حولها من الدور التي
تكتنفها الان انما استخرجت منها ، ولها رحبتان متسعتان ، وفي
الخارج منها المسجد المعروف في القديم بمسجد العشرة (١) لان
عشرة من أشياخ البلد كانوا يجتمعون فيه للمشورة فيدبرون أمر
البلد وذلك قبل تملك الموحدين لها فلما تملكوها ارتفع ذلك الرسم ،
وزال عن المسجد ذلك الاسم ،

وكان فيما يقابل هذه القصبة موضع يعرف بالرياض مخصوص
بوالى البلد ، وأصله من مباني بنى مطروح رؤساء طرابلس في القديم
ويذكر عن حسنه كان وثماره وضخامة مبانيه وهو الان خرب غير
ان به آثارا دالة على ما يذكر عنه ، وقد اقطع هذا الموضع فى هذا
الوقت لبعض العرب فقيره عن حاله وابتنى فى موضعه دارا .
ودخلت حمام البلد وهو المجاور للقصبة فرأيت حماما صغيرا الساحة

(١) فى نسخة واحدة بزيادة « ويعرف الان بمسجد الموحدين وسمى مسجد العشرة »

الا انه قد بلغ من الحسن غايته ، وتجاوز من الظرف نهايته ، وكان هذا الحمام من منافع القصبه فيبيع من جملة ما يبيع منها ، وهو الان محبس على بعض المساجد ، وبالبلد حمامان آخران غيره الا انهما في الحسن دونه ، ورايت شوارعها فلم أر اكثر منها نظافة ولا احسن اتساعا واستقامة ، وذلك ان اكثرها تخترق المدينة طولا وعرضا من اولها الى آخرها على هيئة شطرنجية فالماشى يمشى بها مشى الريح خلالها ، ورايت بسورها من الاعتناء ، واحتفال البناء ، ما لم اره لمدينة سواها ، وسبب ذلك ان لاهلها حظا من مجباها ، يصرفونه فى رم سورها ، وما تحتاج اليه من مهم أمورها ، فهم لا يزالون أبدا يجددون البناء فيه ، ويتداركون تباشيره بتلاقيه ، ورأيتهم قد شرعوا فى حفر خندق متسع يرومون ان يصلوه بالبحر من كلا جانبي البلد ، وابتداء حفره من الركن الذى بين القبلة والمشرق وعارضهم فى حفره هنالك موضع يعرفونه « بالرملة » وهو حقف رمل متسع لاصق الى جانب السور ولا يزالون ابدا يتكلفون نقله من ذلك الموضع فاذا جهدوا جهدهم فى حمله ورميه فى البحر اعادته الريح كما كان لا تقدمه عن موضعه ولا تؤخره واختصاص ذلك الموضع لذلك الكثيب من الرمل من اعجب الاشياء ، وهو على الضد من موضع رايته بظاهر توزر خال من الرمل مع ان ما حوله من البقاع قد ارتفعت كتابها (١) لما تسفى الرياح من الرمال عليها ، واخبرنى ابو العباس

(١) وفى نسخة « كتابها »

احمد بن محمد بن يملول ان ذلك الموضع ايضا من عجائب بلدهم
وانهم لا يزالون يرصدونه فلم يروا قط رملا عليه وان الرياح ربما
اشتد هبوبها فيرون الرمال تتفرق عنه يمينا وشمالا

وكان افتتاح طرابلس في القديم على يد عمرو بن العاص رحمه
الله تعالى ورضى عنه بعد افتتاحه لمصر والاسكندرية وذلك سنة
اثنين وعشرين ، سار اليها في جيشه فنزل على شرفها من الجهة
الشرقية واقام عليها شهرا لا يقدر منهم على شيء وقد كانوا استعانوا
بقييل من البربر يعرفون بنفوسة دخلوا معهم في دين النصرانية
فخرج ذات يوم من عسكر عمرو رجل من بنى مدلج يتصيد في نفر
معه فامعن عن العسكر الى جهة غربي المدينة ومال الى شاطئ البحر
والبحر لاصق بالمدينة وليس بالمدينة اذ ذاك من جهة البحر سور بل
كانت سفنهم شارعة الى بيوتهم فنظر المدلجي واصحابه الى البحر
قد حسر من جهة المدينة عن مسلك يمكن النفوذ اليها منه ، فندبوا
معهم جماعة واقتحموا المدينة فلم يكن للروم مفرع الا سفنهم ، وابصر
عمرو اصحابه في جوف المدينة فاقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم
يفلت من الروم سوى من خف في سفينة ، واحتوى عمرو على المدينة
فهدم سورها ، وارتحل عنها ثم جدد بناء سورها من جهة البر على يد
عبد الرحمان بن حبيب المتغلب على افريقية في آخر دولة بنى امية
سنة اثنين وثلاثين ومائة ، وتاخر بناؤه من جهة البحر الى ولاية هرثمة
ابن أعين على افريقية من قبل الرشيد سنة ثمانين ومائة فهو الذي

ابتناه على يد ثقتة زكرياء بن قادم ، ثم زاد في اتقانه ورفع بنائه من جهة البر والبحر معا أبو الفتح زيان الصقلبي متولى طرابلس عام خمسة واربعين وثلاثمائة .

ويحيط بهذا السور الان فصيل آخر اقصر منه على العادة في ذلك يسمونه الستارة ولم يكن في القديم وانما امر بينائه الشيخ ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ايام وصوله الى طرابلس في شهر شعبان من سنة اربع عشرة وستمائة ، رايت هذا مكتوبا على باب من ابواب الستارة يغرف بباب عبد الله ، ولم يصلوا هذه الستارة حين بنوها بالبحر وانما انتهوا بها الى الباب الاخضر وبينه وبين البحر فسحة فأتت بالبناء ايام مقامنا بطرابلس .

وقد كان زيادة الله بن الاغلب لما تغلب الشيعى على اكثر بلاد افريقية هرب من رقادة فارا امامه فتوجه الى طرابلس فاقام بها اياما ثم انفصل عنها متوجها الى المشرق ووصل بعد ذلك الشيعى الى رقادة فولى عليها اخاه ابا العباس وتمام بن المبارك ثم انفصل الى سجلماسة واستخرج عبيد الله المهدي من سجنه ودعا له بالخلافة وذلك سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلما استقامت الامور للمهدي وقتل ابا عبد الله الشيعى وأبا العباس اخاه جهز جيشا الى طرابلس مع بعض قواده فحاصرها مدة ثم انصرف عنها خائبا ولم يفتحها ففاظ ذلك عبيد الله فوجه ولده ابا القاسم الملقب بعد بالقائم فكان خروجه لذلك في جمادى الاولى من سنة ثلاث وثلاثمائة فحاصرها وضيق

عليهم الى ان فنى طعامهم وافتتحها وقد كانوا اسعوه شرا ونالوا من عرضه كثيرا فسالمهم في انفسهم الا قليلا منهم واغرمهم ما أنفق على الجيش وذلك اربعمائة الف دينار ، وكان المتولى لتفريمتهم وتعذيبهم خليل بن اسحاق وهو من ابناء جندها وممن ولد بها وكانت له صولة وهيبة وحظ جليل من العلم وباع متسع في الادب وسيأتى خبر وفاته بعد هذا ، واستخلف عليهم ابو القاسم القائم واليا من قبله ثم انصرف عنهم

ولما انفصل العبيديون الى مصر وتركوا الصنهاجين بافريقية استولى بنو خزرون الزناتيون على طرابلس ، وكانت بينهم وبين الصنهاجين وقائع كثيرة اشار الرقيق في تاريخه الى بعضها ولم تزل بايدي الزناتيين الى سنة اربعين وخمسمائة ، وكانت في تلك السنة شدة عظيمة ومجاعة هلكت فيها الناس وفروا عن اوطانهم فجهز اليها « جُار » صاحب صقلية اسطولا حاصرها به وذلك بعد استيلائه على المهديّة وصفاقس واستقرار ولاته فيها ، ووقع بين اهل طرابلس خلاف ادى الى تغلب الاسطول المذكور عليها فاحسن قائده جرجي (١) بن ميخائيل الى اهلها لما اضمره من تملك غيرها من البلاد الساحلية ، وابقى فيها جنده من المسلمين والصقليين وغيرهم وولى على البلد شيخه ابا يحيى بن مطروح التميمي ، وجعل قاضيهم رجلا منهم يعرف بابي الحجاج يوسف ابن زيري وهو صاحب

(١) في بعض النسخ « جرجيس » وفي بعضها « جرجير »

التاليف المعروف « بالكافي فى الوثائق » فكانت احكام المسلمين كلها مصروفة الى واليهم وقاضيهم ولم يكن النصرانى يتعرض لشيء من احكامهم

وأقامت تحت تغلب النصارى اثنى عشر عاما أو نحوها الى أن أفتح الموحدون أكثر بلاد افريقية فخاف النصارى أن يكاتبهم أهل طرابلس فأحبوا أن ينشروا بينهم عداوة فأمرهم أن يصعدوا المنابر فيتكلموا فى جهة الموحدين بسوء فأعظم أهل طرابلس ذلك واجتمعوا الى قاضيهم أبى الحجاج فسفر بينهم وبين النصارى وأعلم النصرانى عنهم أنه لا سبيل الى نيل ذلك منهم وأن الامر انما كان العقْد بينهم أن لا يكلفوا المسلمين بشيء مما يخالف دينهم وذكر أهل الدين بسوء مما يخالف الدين فان رضوا منهم بهذا والا سلموا لهم البلد وخرجوا عنهم فأعفاهم النصرانى من ذلك ، وأحدث الله عند أهل طرابلس عزيمة على القيام عليهم والتخلص من أيديهم فأسروا النجوى بذلك بينهم واتعدوا لليلة معينة ونصبوا تلك الليلة فى الطرقات خشبا وأناشيط تمنع الخيل من الجرى فيها وثاروا عليهم فبادر النصارى الى خيولهم وركضوها فلم تجد مجالا فأخذوا قبضا باليد وعاد البلد الى تملك المسلمين وكان هذا فى سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وحكم على البلد شيخه أبو يحيى بن مطروح وكان رجلا شهما جازما وصانع العرب المجاورين له فاستقام حاله . ولما نزل الخليفة عبد المؤمن الى افريقية أفتح المهديّة ووصلت

اليه وفود البلاد وذلك فى سنة خمس وخمسين فكان من جملتهم
وفد طرابلس وشيخه ابن مطروح فبايعوا عبد المؤمن وقدمه عبد
المؤمن على أهل بلده فلم يزل محمود السيرة فيهم الى أن عجز فى
أيام أبى يعقوب بن عبد المؤمن وقيده الهرم فطلب التوجه الى الحج
فسرحه السيد أبو زيد ابن السيد أبى حفص وهو اذ ذاك صاحب
تونس فتوجه بجميع أهله فى البحر واستقر بالاسكندرية فمات بها
وبقيت ذريته هنالك الى الان ومنهم رؤساء وأدباء .

وفى فصل من مياومة الفاضل اليسانى قال : وفى شهر رجب - يعنى
من سنة ست وثمانين وخمسمائة - وصل الى الاسكندرية فى البحر
شيخ طرابلس أبو يحيى بن مطروح وهو شيخ كبير قد أضر وعجز
عن الحركة ، وذكر باقى خبره وأهل طرابلس يتحدثون أن النصارى
ملكوا بلدهم مرة أخرى وذلك ليس بصحيح وانما أخذها النصارى
من حين الفتح الاسلامى هذه الاخذة فحسب

وقد قدمنا فيما سلف من كتابنا هذا الخبر عن وصول قراقوش من
المشرق فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وأنه حصر طرابلس بمن
التف عليه من العربان حتى استولى عليها وكانت اذ ذاك خالية من
الاقوات والاجناد لانهم بعد بيعتهم لعبد المؤمن واستقرار بلدهم
فى ملك الموحدين لم يتوقعوا أثرا ولا مخالفا ، فملكها قراقوش
وبقيت تحت بيعته سنين يسيرة ثم انتقضت عليه هى وغيرها من

البلاد فأظهر الهجرة الى الموحدين مخادعا وأقام لديهم مدة ثم فر عنهم مبادرا الى قابس فاستولى عليها ثم الى طرابلس فملكها أيضا وأقام بها حتى وصل اليها يحيى الميورقي من بلاد الجريد قاصدا حصاره فخرج اليه قراقوش من طرابلس وترك نائبا عنه بها ثقتة (١) ياقوتا المعروف بالافتخار وكان اللقاء بينهما بالموضع المعروف بمحسن من جهات طرابلس وهو الذى يقول فيه عبد البر بن فرسان : (طويل)

ألا لا سقى الرحمن محسنَ قطرة ولا زال مغبرّ الجوانب محسنُ
وخيب قطيسا من الغيث كله ولا ابتلّ فيه للركائب فرسنُ

فانكسر قراقوش كسرة شنيعة وتوغل فى جبال طرابلس وتبعه الميورقي أياما ثم رجع الى طرابلس فحصر بها ياقوتا المذكور فلم يقصر فى دفاعه وضبط البلد ضبطا عظيما فكتب الميورقي الى أخيه عبد الله وهو اذ ذاك صاحب ميورقة يطلب منه الاعانة ببعض أسطوله فوجه اليه قطعتين ضيق بهما على طرابلس تضيقا شديدا الى أن استولى عليها فامتن على أهلها بالعمو وحصل نائب قراقوش فى يده فوجهه الى ميورقة فى القطع التى وصلت اليه منها ولما حصل بها قيده عبد الله بقيد ثقيل وتركه فى سجنها فلم يخرج منه الا بعد استيلاء الموحدين على ميورقة وقتلهم لعبد الله المذكور وذلك

فى سنة تسع وتسعين وخمسمائة فحينئذ خرج ياقوت (١) وتوجه الى مراکش فبقى بها الى أن مات ، وترك يحيى بن اسحاق ابن عمه تاشفين بن غازى نائبا عنه بطرابلس وخرج منها فأقام بها تاشفين المذكور مدة ثم ثار عليه أهلها وأخرجوه منها ودخلوا تحت طاعة الموحدين فتولت عليهم حفاظها الى الان .

ويقابل باب الستارة المتقدم الذكر المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة نسبة الى من نزل به فى أول الزمان ، وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم يبيعون بها أغنامهم ومواشيهم ، وهناك مسجد ينسب بناؤه الى عمرو بن العاص رحمة الله (٢) وفى هذا الموضع يقول أبو يحيى ابن مطروح الذى قدمنا الخبر عن توجهه الى الاسكندرية : (بسيط) لوقفه عند باب البحر ضاحية او باب هوارة او موقف الغنم اشهى الى النفس من كسر الخليج ومن دير الزجاج وشاطى بركة الخدم وبين الباب المعروف بالباب الاخضر منها وباب البحر مسجد مصائب (٣) لسور المدينة أشاد بذكره حلول الامام المهدي رحمه الله تعالى به حين جوازه على طرابلس ، والى جانبه ميضاة جعلت هنالك للمتوضين والمغتسلين ، والمواضع الحربة من المدينة والحالية

(١) فى بعض النسخ « خرج ياقوتا »

(٢) فى نسخة « رضى الله تعالى عنه »

(٣) وفى بعض النسخ « مصائب »

انما هي بين يدي الباب الاخضر ، وبخارج باب البحر منها منظر من
أنزده المناظر مشرف على الساحل حيث مرسى المدينة ، وهو مرسى
حسن متسع تقرب المراكب فيه من البر وتصطف هنالك اصطفا
الجياد في أواريتها

ومصلى البلد بجانبه بين جنوب وشرق منه وهو محدث الوضع
هنالك وانما كان المصلى القديم في الجهة الغربية هنالك بناه عبد الله
ابن أبي مسلم و خليل بن اسحاق سنة ثلاثمائة فنقل كما تقدم ،
وموضع المصلى القديم يعرف الان بالعيون سمي بذلك لان هنالك
عيون ماء عذبة وهو بشاطئ البحر وماؤها ينصرف اليه ، وبمقربة من
هذا المصلى الان بئر قد نبتت بها شجرة واحدة من شجر الجميز
المخصوص نباته بأرض المشرق وهو شجر عظام على شكل التين
وورقه أصفر من ورق التين وحمله كحمل التين الا أنه ليس
للواحدة منه علاقة وانما تنبت ملاصقة للعود وفي طعمه حلاوة
شديدة تصحبه غثاثة وأهل طرابلس يقولون ان بلدهم في حكم
بلاد المشرق لنبات هذه الشجرة الواحدة به ، وليس بخارج البلد في
وقتنا هذا شجرة سواها ما عدا نخلات يسيرة في الجهة الغربية وأما داخل
البلد فلا تكاد دار منه تخلو من نخلة أو كرمة على اصطلاحهم فانهم
يسمون شجرة التين الكرمة ، والكرمة في اللغة انما هي شجرة العنب ،
وقد جاء النهي عن تسميتها بذلك في الحديث الصحيح (١) وينبت

بخارج البلد صنف من أصناف النرجس دقيق الورق لم أر أقوى منه فوحا، ولا أعطر روحا، ويذكر في التاريخ أن غابة طرابلس كانت متصلة إلى الجبل بأنواع الفواكه على اختلافها، وتعدد أصنافها، فافسدتها العرب وأجلت أهلها عنها.

وبخارج البلد محارس قديمة ومساجد كثيرة مشهورة بالفضل مزورة للبركة، وأثنى البكري (١) على المسجد المعروف منها بمسجد الشعاب وذكر أنه أعمرها وأشهرها، يريد في ذلك الزمان، وأما الآن فهو خال لاعماره به، وقد رأينا أن نذكر بناء هذا المسجد الذي أشار إليه البكري وبعض ما تأدى إلينا من خبره ومثل ذلك في غيره من المساجد التي بخارج البلد تسمى لفوائد هذا التقييد بحول الله تعالى: فمنها مسجد الشعاب المذكور وهو منسوب لأبي محمد عبد الله الشعاب أحد الصلحاء الفضلاء من أهل طرابلس وكان نجارا ونسب المسجد المذكور إليه لأنه هو الذي أتم بناءه ولزم السكنى به، وكان بعض الثعالب قبله قد ابتداء بناءه ثم وقف عنه فحضرت الشعاب نية في إتمامه فرمى الآلة من يده وتوجه إلى قاضي طرابلس فقال له اني قد عزمت على بناء ذلك المسجد وأحب أن تستدعي فلانا الذي ابتداء بناءه فتستفهمه هل يتمادى على بنائه أو يرفع يده عنه فأتته وأسكن به فاستحضره (٢) القاضي وسأله عن

(١) راجع البكري ص ٧

(٢) في نسخة « فاستدعا »

ذلك فأقر بعجزه فتولى الشعاب بناءه وسكن به ، ويذكر أن الحضرة عليه السلام كان يزور الشعاب هذا ويحادثه وأنهما رئيسا مجتمعين في المسجد المذكور، وسمع الشعاب يوما بكاء امرأة عند باب مسجده فسألها عن سبب بكائها فأخبرته أن لها ولدا أسره عدو الدين وسالته الدعاء بخلاصه فدعا له وأمنت المرأة على دعائه ثم انصرفت المرأة الى بيتها فأصبح ولدها في السكك يسأل عن دار امه فسئل فأخبر بفراره في البحر وسلامته ووصوله عن عهد قريب فتوجهت المرأة الى الشيخ تشكره وتعرفه بوصول ولدها وأن ذلك انما كان ببركة دعائه فهناها بسلامته وقال لها انما نجاه الله بدعائك لما علم اضطرارك وكانت وفاته رحمه الله سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

ومنها مسجد خطاب وهو بخارج المدينة من جهة شريقها على البحر وينسب للشيخ خطاب البرقى الرجل الصالح ويكنى أبا نزار وكان ذا كرامات وخصوصا في باب المرائى ظهرت له في ذلك عجائب ، وكان يخاطب في النوم بجميع ما يكون في اليقظة قبل كونه ، وحكى عنه أبو عبد الله الحيارى قال : قال لى خرجت مرة الى الحج منفردا فينما أنا في البرية اذ مر بى رجل فتوسمت فيه الخير ووقع فى قلبى أنه الحضرة فبادرته بالسلام واقسمت عليه بالله تعالى أنت الحضرة فقال : لقد بقيت فيكم من الخير بقية لم يزدنى على هذا وغاب عنى ، وأخبرنى الحيارى عنه أيضا قال : قال لى بينما أنا سائر فى البرية واذا بسبع قد عارضنى فقلت له : يا أبا الحارث ان كنت قد

أمرت فينا بشيء فدونك والا فالطريق ، قال فقرب مني ووقف هنية
ثم انصرف ، وحكى أنه قال : بينما أنا في البرية إذ رأيت شخصا
فاستغربت وجوده هناك وقصدته فوجدته مفرج بن بياضة فقلت له :
أبا عبد السلام ههنا ! فقال : نعم يا أبا نزار ، فاستغربت معرفته بي مع
أنه مكفوف البصر ، وكان مفرج هذا رجلا صالحا من أهل جزيرة
تونس المعروفة بجزيرة باشو ، وكان يخرج وحده من بلده الى مكة
فيحج ثم يعود قال فبتنا جميعا وتأنست به وسأته كيف يتهيأ له
الحج مفردا فقال : يا أبا نزار اني اذا خرجت من موضعي أسمع قائلا
يقول لي : يمينك شمالك أمامك خلفك حتى أصل الى مكة أو كما
قال .

ومنها المسجد المعروف بالجدود ويعرف أيضا بمسجد الجدة لان
احدى جدات بنى الاغلب ولاة افريقية بتة وهكذا كان يعرف فى
القديم ، ثم يعرف بعد بمسجد البارزى لسكنى أبى الحسن البارزى به
وهو بخارج طرابلس من جهة جوفها مشرف على المقابر ، واشتهر
هذا المسجد بسكنى أبى عثمان سعيد بن خلفون الحسانى المعروف
بالمستجاب وأصله من قرية حسان من قرى طرابلس كان زاهدا
فاضلا منقطعا الى الله سبحانه وظهرت بركته غاية فعرف بالمستجاب
واتفقت له فى المسجد المذكور قضية مشهورة : كان ذات يوم جالسا
فيه على عادته فسمع تحته دويا عظيما اهتز المسجد له فخرج بعض من

كان معه لاختبار ذلك فوجد شخصا يقطع الحجارة من كهف تحت المسجد فنهاه عن ذلك فلم ينته فرجع الى الشيخ فأخبره فنزل الشيخ اليه وقال له ، اتق الله فانك تزلزل المسجد بهذا الذي تصنع فقال : ارجع أيها الشيخ الى مسجدك فان الوالى أمرنى بهذا فقال له : لو أمرك الوالى بهدم المسجد كنت تهدمه؟ قال نعم والله لو أمرنى بذلك لفعلت ، فرجع الشيخ الى مسجده وهو يقول اللهم احصد عمره فعند استقرار الشيخ فى المسجد سقط جزء من ذلك الكهف على الرجل فقتله .

وقال الشيخ أبو عبد الله الحشاب القاضى رحمه الله تعالى : خرجت مع أبى الحسين بن المنذر من طرابلس لزيارة الفقيه أبى محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى وسماع العلم عنه ، فبينما نحن عنده يوما اذ تحدث أبو الحسن فقال أراد الشيخ أبو عثمان الحسانى مرة الحج فاتفق مع جماعة من إخوانه اهل الدين والفضل وكنتم معهم فخرجنا على الوحدة وقطعنا صدرا من الطريق واقمنا ثلاثا لم نطعم فأتى الشيخ أبو عثمان الى ربوة فمسح وجهها بيده وجعل يأخذ من ترابها ويجعله فى اناء كان معه ثم تراه بشيء من ماء وقرأ عليه وسمى وقال لنا : سموا الله واكلوا ، قال : فجعلنا نأكل ونطعم طعم السويق ، قال : فأطرق الشيخ أبو محمد بن أبى زيد ساعة ثم رفع رأسه وقال : هذا داخل فى الامكان لا سيما وقد ذكرتكم انكم أقمتم ثلاثة أيام لم

تطعموا وقرأ قوله سبحانه : أمن يجيب المضطر إذا دعاه
ولما رجع المؤدب محرز بن خلف رحمه الله تعالى من الحج قيل له :
من رأيت في طريقك من الصلحاء ؟ قال رأيت بطرابلس رجلا وامرأة
أما الرجل فأبو عثمان الحساني وأما المرأة فسمدونة وكانت سمدونة
هذه عجوزا (١) صالحة تسكن مسجد الشعاب المتقدم الذكر وكان
أبو نزار خطاب الرجل الصالح المتقدم الذكر يزورها ويعتقد
بركاتها ، وهذا كما يحكى (٢) أن سحنون بن سعيد لما رجع من
الحج قيل له من رأيت من الصالحين فقال : لقد لقيت رجلا ما الفضيل
ابن عياض بأفضل منهم .

ومنها المسجد المعروف بمسجد المجاز وكان معروفا بسكنى أبي
الحسن على بن أحمد بن الحبيب (٣) أقام ساكنا به فيما يقال
أربعين سنة ، وكان فقيها صالحا عالما زاهدا وله في الفقه والفرائض
والشروط تواليف مفيدة ، وأقام أربعين سنة لم يضحك ونحوها من
خمسين سنة لم يحلف بالله يمينا ، وقال له ابن أخيه عند ما أملى وصيته :
أنسيت الكفارة فقال : لولا أنى فى الموت ما أخبرتك ما حلفت بالله
منذ كذا وكذا يمينا محقا ولا مبطلا وما علمت أن على يمينا أكفرها .
وهذا آخر ما حضرنا ذكره من المساجد التى وقعت الاشارة اليها
وبداخل البلد مدارس كثيرة وأحسنها المدرسة المنتصرية (٤) التى

(١) وفى اكثر النسخ « عجوزة »
(٢) فى نسخة « ذكر ان سحنون »
(٣) فى بعض النسخ « الخطيب »
(٤) فى بعض النسخ « المستنصرية »

كان بناؤها على يد الفقيه أبي محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا (١) رحمه الله تعالى وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين الى سنة ثمان وخمسين ، وهذه المدرسة من احسن المدارس وضعا وأظرفها صنعا . ونقلت من خط أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد في بعض تقييده قال : حلت في بعض سفراتي بطرابلس فبكرت يوما الى المدرسة التي أنشأتها بها الهمة العلية الامامية المنتصرية فدخلت اليها ، وقعدت مسرحا طرفي في روضة حبق حبست حاستي البصر والشم عليها ، ثم قلت : (بسيط)

يا جِذا نِسمه هبّت لِناشِقِها غبّ الكرى سَحراً من روضة الحبقِ
حبّتها عند ما هبّت وقد نعثت يلبّة من نداها روح منتشقِ
قرنفل الهند قد وافى التجارُ به مجافظين على نشر له عبقِ
فعد ما فضّه الداويّ ذكّرني بطيبه طيب عيش مَرّلي أنقِ
بتونس أنس الرحمن ساحتها وسُقيت ابدا بالعارض الغدقِ
ولا اموت إلى ان التقى قمرأ للحسن مطلعته من ذلك الأفقِ

وبين هذه المدرسة وباب البحر مبنى من المبانى القديمة العجيبة وهو شكل قبة من الرخام المنحوت المتناسب الاعالى والتحوت (٢) التي لا تستطيع المائة نقل القطعة الواحدة منها ، قامت مربعة فلما

(١) ترجمته في عنوان الدراية ص ٦٤ وفي تاريخ الزركشى ص ٣٤ - ٤١

(٢) في بعض النسخ « التحوت »

وصلت الى السقف ثمنت على احكام بديع ، واتقان عجيب صنيع ،
وهي مصورة بأنواع التصاوير العجيبة نقشا في الحجر ، وقد بنى الان
عليها مسجد يصلى فيه ، وأخبرت أن ذلك كان لان بعض الكبراء
حاول هدمها وأخذ رخامها ، وعلى بعض قطعها من الجهة الشمالية
أسطر مكتوبة بخط رومى ، أخبرنى أبو البركات ابن الفقيه أبى
محمد ابن أبى الدنيا عن والده الفقيه أبى محمد أنه لم يزل معتنيا
بالبحث عن يحسن ترجمتها وأنه وجد نصرانيا يعرف ذلك الخط
فذكر له أن نصه : أمر ببناء هذه الكنيسة فلان بن فلان من حلال
ماله الذى اكتسبه من غلة زيتونه وفى يوم اتمامه لبنائها او يوم
شروعه فى بنائها وصل اليه الخبر من الشام أن نبيا من العرب ظهر
بالحجاز اسمه محمد بن عبد الله .

وبين القصة وهذه المدرسة المتقدمة جامع طرابلس الاعظم الذى
بناه بنو عبيد ، وهو جامع متسع على أعمدة مرتفعة وسقفه حديث
التجديد ، وبه منار متسع مرتفع قائم من الارض على أعمدة
مستديرا (١) فلما تم نصفه كذلك سدس وكان بناؤه فى العام المكمل
للمائة الثالثة على يد خليل بن اسحاق ، وقتل خليل بن اسحاق هذا أبو
يزيد مخلد بن كيداد لما تملك القيروان سنة اثنين وثلاثين وثلاثمائة ،
وأصله من طرابلس كما تقدم وقد ذكرنا طرفا من أخباره قبل هذا ،
ولما قتله أمر بصلبه فبادر اليه بعض القرويين فجرد ثياب نفسه وشرع

(١) فى بعض النسخ « على اعمدة مرتفعة قائمة من الارض مستديرة »

فى ذلك فنظر أصحاب أبى يزيد الى آثار السياط (١) قد عمت ظهر القروى ، فسألوا عن ذلك فذكر لهم بعض من حضر أن كل عامل يتولى يفعل ذلك به لدنائه وشده ، فاعتوروه برماحهم وصلبوه الى جانب خليل بن اسحاق .

وأخبرنى صاحبنا الفقيه (٢) أبو العباس أحمد بن عبد السلام الاموى قال : نقلت من خط القاضى أبى موسى بن معمر أن شكرا المعروف بالصقلبى ابنتى الماجل الذى بجامع طرابلس من الجهة الجوفية (٣) والقبه التى عليه فى سنة تسع وستين ومائتين ، وأن خليل ابن اسحاق ابنتى المنار الذى به كما ذكرنا ومساجد البلد لا تحصى كثيرة وهى تكاد تناهز الدور عدة .

والقائم برسم العلم فى هذه البلدة فى وقتنا هذا شيخنا الامام الحافظ أبو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبد السلام بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد ، وهو رجل ليس من عمرو ولا زيد ، ناهيك من رجل قد نال من المعارف ما انتهى ، وحاز فيما حاز من العلوم الاصولية والفرعية الغاية والمنتهى ، حضرت درسه بمسجد مجاور لداره فرأيت رجلا متضلعا من العلم ذا كرا بالمذهب ذكرنا (٤) لا يجاريه فيه أحد ولا تكاد مسألة من مسائله تشد عنه ، حسن العبارة

(١) فى بعض النسخ « اثر الضرب »

(٢) بزيادة « الحافظ » فى بعض النسخ

(٣) فى نسخة « من جهة جوفية »

(٤) لا يوجد « ذكرنا » فى بعض النسخ

مشاركاً في علوم جمة وله اعتناء بحفظ كلام القرويين في المذهب من تعليل أو تفسير أو تفريق أو تخريج واعتماده في الأصول الدينية والفقهية على كلام الامام أبي المعالي ، وكلام الشيخ أبي حامد الغزالي ، وهو سبائي النسبة من ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وأخبرني أن مولده بطرابلس عام تسع وثلاثين وستمائة ، وأكثر استفادته على ما أخبرني على الفقيه القاضي أبي موسى عمران ابن موسى بن معمر الطرابلسي رحمه الله تعالى ، وليس له رحلة عن بلده الا الى الحج ، حج في عام ثلاثة وسبعمائة .

ولما حضرت درسه وتحققت مكانته المكيته في العلم أحبت القراءة عليه مدة اقامتنا (١) هنالك ، وطلب مخدومنا أن يكون ذلك بمحضر منه فلم يكن بد من استدعاء الشيخ لموضع سكنانا فعقدنا مجلساً لذلك بالقصبة وفي مجلس الامر (٢) منها ، وطلب الحضور بذلك المجلس جماعة من أعيان الطلبة بالبلد فأذن لهم ، ورأينا أن يكون المتروء حديث خير الانام ، الذي هو الاصل لجميع الاحكام ، فابتدأت القراءة بلفظي لصحيح مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى في غرة شهر شعبان من العام المذكور قراءة تفقه فيه ، وتدقيق للبحث في الفريضة الكريمة ومعانيه ، وقد كنت ابتدأت تقييد ما أنتجته فيه بيننا المناظرة ، وأفادته المحاضرة ، مما جاء كالاكمال ،

(١) في بعض النسخ « مقامي »

(٢) في بعض النسخ « الامير »

لكتاب « الاكمال (١) » ، ثم بعد ذلك في الشهر نفسه ابتدأت قراءة دولة أخرى من كتاب المسند الصحيح للامام الحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري رحمه الله ، وامتد في قراءتهما مدى ، قرىء فيهما ما هو نور وهدى ، الى أن دعا بنا داعي الين فاعجلت النقلة عن تمام الكتابين .

وكتب لي شيخنا أبو فارس بخطه اجازة سمي فيها من شيوخه الفقيه القاضي أبا موسى عمران بن موسى بن معمر المتقدم الذكر أنه (٢) ولي القضاء ببلدهم نيفا وثلاثين سنة، ووصله الامر بالطلوع الى تونس في عام ثمانية وخمسين فتوجه اليها وولى قضاءها ما ينيف على عشرين عاما ، ثم توفي بها رحمه الله سنة ستين قال : وكان رحمه الله ذا أخلاق جميلة ، وسيرة حميدة ومعارف جليلة ، واخبر أنه قرأ عليه كتاب « التفریع ، لابن الجلاب ومن أول كتاب « التهذيب ، الى كتاب الحيار منه ، قال وسافر الى تونس فاستمرت قراءتي للكتاب المذكور مع سائر طلبة الفقيه أبي موسى علي الفقيه أبي محمد عبد الوهاب ابن محمد الهنزوتي ، وكان الهنزوتي حين كان القاضي أبو موسى حاضرا معيدا لدرسه بعد قيامه ، وقرأ علي الهنزوتي أيضا جملة من كتاب « المحصول ، لابن العربي وجملة من كتاب « المستصفي ، للغزالي ، وتوفي الهنزوتي هذا عام ثلاثة وستين .

(١) يعني الاكمال على صحيح مسلم للقاضي عياض

(٢) كذا في جميع الاصول ولا يبعد سقوط « وذكر » او كلمة بمعناها بين « الذكر » و « انه »

ومن شيوخه أيضا الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات ابن أبي الدنيا قال قرأت عليه كتاب «الارشاد»، لابن المعالي وبعض كتاب «البرهان»، له وجملته من كتاب المستصفي، ومنهم الفقيه أبو الجيش محمد بن ابراهيم الاندلسي البسطي، اجتاز على طرابلس قافلا من الحج فقرأ عليه بعض تواليفه في العربية وسمع عليه شيئا من نظمه وروى عنه «المذهبة»، لابن المناصف حدثه بها عن مؤلفها.

ومنهم الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبد الكريم الفماری، اجتاز على طرابلس من المغرب قاصدا الى المشرق فطالت اقامته بطرابلس فقرأ عليه كتابه الذي ألفه في الفرائض وجل كتاب «الكافي»، لابن المنير في الفرائض أيضا وجل كتاب «الخطار»، في علم الحساب وكان ذلك في عام أربعة وخمسين.

ومنهم الفقيه القاضي أبو العباس أحمد بن عيسى الفماری وصل الى طرابلس قاضيا بعد ان فصل القاضي أبي موسى بن معمر منها، فقرأ عليه جملة من المعالم الفقهية لابن الخطيب، وسمع ما كان يتناظر فيه بين يديه من التهذيب، ومنهم الفقيه أبو العباس الاعجمي ورد من المشرق على مدينة طرابلس في سنة اثنين وستين قاصدا الى المغرب، فقرأ عليه بعض المعالم الدينية لابن الخطيب، ومنهم الفقيه القاضي أبو محمد عبد الله بن ابراهيم بن أبي مسلم القابسي وصل الى طرابلس قاضيا وله رحلة الى العراق ودخل فيها بغداد، قرأ عليه بلفظه أكثر من

نصف البخارى ، وهنا انتهى من سمي شيخنا أبو فارس من شيوخه ،
وبالجملة فقد كان زهد الشيخ كبيرا ، وذكره في المغرب والشرق
شهيرا .

وجميع الخواص من هذه البلدة مقهورون تحت أحكام العوام منهم
لبعد بلدهم عن الحضرة (١) وانقطاعهم عن الاوامر الا أن في خواصهم
وعوامهم اكراما لمن يحل ببلدهم من الغرباء ووفاء بحقوقهم ومراعاة
شديدة لامورهم .

وقد أنشدنى صاحبنا الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد السلام
التاجورى ، قال أنشدنى الشيخ الفقيه البليغ أبو الحسن على بن ابراهيم
التجاني أيام حلولة بطرابلس على غير اختياره فأقام بها مدة ثم توجه
منها الى الحج وذلك سنة أربع وثمانين ، وأنشدت بعد ذلك بتونس
الفقيه أبا الحسن البيتين فأنشدنيهما لنفسه : (متقارب)

لاهل طرابلس عادة من البرتُنسى الغريب الحميما
حلت بها مكرها ثم إذ اقامت بها ابدلوا الهاء ميما

واعتماد كل واحد منهم في طعامه ، وما يدخره من قوت عامه ،
انما هو على ما يجلب اليها في البحر ، ومن عاداتهم أن لا يتركوا أحدا
يخرج شيئا مما حصل ببلدهم من الطعام الى خارجه ويماقبون على
اخراجهم ، وليس البلد بلد اختراث وهو بالجملة بحرى لا برى الا ان

(١) في بعض النسخ من « الحاضرة »

أرضهم معدومة المثال في إصابة الزرع اذا أصابت ونيس يدري (١)
مثلها في ذلك ، وأشهرها بذلك الفحص الذي يسمونه سوفجين وهو
- بالسين المهملة المضمومة والفاء والجيم المشددة - قال البكري : وربما
انبتت الحبة في هذا الموضع في بعض السنين مائة سنبله ، قال : وهم
يقولون فحص سوفجين ، يصيب سنة بعد سنين (٢) وذكر البكري
متصلا بهذا أن بمدينة طرابلس بئرا تعرف ببئر الكنود من شرب
منها فقد عقله وأنهم يعيرون الشارب منها ومن أتى منهم بما يلام
عليه قيل له : لا عتب عليك فقد شربت من بئر أبي الكنود انتهى
كلام البكري (٣) وهذه البئر قد رأيتها بداخل المدينة وعليها
يوردون بهائمهم ، وكثير من أهل البلد يشرب من مائها ولا يتخرج
من ذلك مع علمه بما يسند عنها

وزرت بخارج المدينة بين شرق وشمال قبر الشيخ الصالح أبي
محمد عبد الوهاب القيسي رحمه الله ، وهذا الرجل يُعظمه أهل
طرابلس كثيرا حكى لي جماعة منهم : أنه رأى النبي صلى الله عليه
وسلم في منامه نحو من أربعمئة (٤) وأنه كان يساور النبي صلى
الله عليه وسلم في أكثر أموره فلا يفعل ما يفعل الا بإشارته ، قالوا
ولم يسمع منه هذا في حياته ولكنه وجد بعد موته مكتوبا عنده
بتواريخه يذكر كل ليلة وما رأى منها ، ثم أوقفني بعد ذلك بعض

(١) في بعض النسخ « يرى »

(٢) راجع البكري ص ٩

(٣) راجع البكري ص ٨

(٤) راجع كتاب الاشارات لعبد السلام بن عثمان الفيتوري ص ١٤ - ١٥

أهل البلد على جزء فيه هذه المنامات وذكر أنه نقلها من خطه ، فرأيت فيها غرائب من سؤاله للنبي ، صلى الله عليه وسلم عما يفعله في جميع ما يعرض له من أمورهِ وإشارة النبي ، صلى الله عليه وسلم بذلك بما يراد ودوام ذلك واستمراره في كل جزئية من جزئيات حاله قال : وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : اني آخيت بينك وبين أخيك أبي يعقوب يعنى الحشاب وابى علي يعنى يونس بن السماط ، قال فرأيتهُ ليلة فقلت له : يا رسول الله ما رأيت فيما خطر لي ولاخى أبي يعقوب قال وما ذاك قلت نكتب ببعض ما يجرى بيني وبينك يعنى في النوم لاخينا أبي علي يونس ، قال فقال لي نعم أبوعلي رجل صالح وذلك زيادة في حقه فانه يزداد معرفة فاكتب له ثم قال لي : ولكن لا تمازح غير أخيك أبي يعقوب هكذا رأيت هذه اللفظة في النسخة التي نقلت منها ولا ادري هل هي بالحاء أو بالجيم ، قال فرأيتهُ بعد ذلك ليلة أخرى فقلت له يا رسول الله قلت لي لا تمازح أحدا غير أخيك أبي يعقوب ولم أفهم مقصودك بذلك فقال لي صلى الله عليه وسلم ألم أذن لك أن تحدث بهذه المرائي أبا علي كما تقدم فكيف أقول لك أطلعه عليها ثم أقول لا تمازحه انما مقصودي أنك لا تطلع على هذا المعنى ، قال الشيخ اي المرائي غير أخيك أبي يعقوب وأبي علي خاصة ، قال فقلت له : ان الاخ أبا يعقوب يخطر له السفر فما ترى في ذلك ؟ فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم : ألم أقل لك - يعنى في منام قبل

هذا - ان الاقامة أرفق بحاله قال فقلت له يا رسول الله وهو مخير في
الذي عنده من السبب كما تعلم هل يخرج عنه او يقيه فقال لي
النبي صلى الله عليه وسلم : بل يقيه على الامانة فيعطى منه كل ذى
حق حقه ، الى امثال هذا من المنامات وهى نحو من اربعمائة منامة ،
كلها على هذا النحو وفيها تبسمه له مهما رآه بانواع الدعاء وقوله له
مرحبا بالحبيب ومرحبا بالرجل المفلح واعلم يا بنى انى أحبك واحب
أخاك ابا يعقوب وأنى لا فرح بك وأمثال هذا ، قال وشكوت اليه ليلة
حالى ومخالفة فعلى لقولى فقال لي صلى الله عليه وسلم : يا موفق من خلق
سعيدا او سبقت له السعادة اتراه يشقى كرر ذلك مرتين او ثلاثة ،
ثم قال لي : وانى لا رجوا انك واخاك ابا يعقوب ممن سبقت لهم
السعادة

وأبو يعقوب الحشاب هذا ممن استوطن في آخر عمره طرابلس ،
واصله من الاندلس وقد كان في اول امره على ما بلغنى ثار في
جبل الفتح وادعى الملكة هناك ، ثم نقلته تصاريف الايام الى
طرابلس فاقام بها متعبدا مترهدا ، وأتاه استدعاء من حضرة تونس
فتوجه اليها في البحر فاجتاز على جزيرة جربة فتوفى بها رحمه الله
تعالى ، وامر بتعمية قبره فلا يوقف له بها الان على قبر ، ويظهر لي ان
ذلك والله اعلم لانه اطلع على النصارى نستملك تلك الجزيرة بعد ،
فكره اشهار قبره بين قوم كفار ، أو لانه مال على احد القولين عندنا
في تكفير اهلها بما شرحناه من مذهبهم الفاسد

ولأبي محمد عبد الوهاب رحمه الله تعالى الآن ولد يدعى أبا الحسن ، وهو رجل فاضل زاهد حضرت درسه في الوعظ وقد قال والده إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في بعض مناماته إن الله جاعلك وجاعل أولادك من خواص أوليائه ، وفي منامة أخرى أنه رأى كأنه أوتى السعادة ، قال فجعلت أديرها على ولدي أبا الحسن ومحمد ، فأبو الحسن هذا ، وأما محمد فتوفي رحمه الله بمكة عند تمام حجة حجها طاف فيها طواف الأفاضة فسقط في بعض أشواطه ميتا ، أخبرني بهذا شيخنا أبو فارس ابن عبيد ، وكان حجها في عام واحد وزرت هنالك أيضا قبر الفقيه الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الأجدابي اللواتي الطرابلسي وهو قبر معظم يكثر الناس زيارته والدعاء عنده ، وكان الفقيه أبو إسحاق هذا من أعلم أهل زمانه بجميع العلوم كلاما وفقها ونحوا ولغة وعروضا ونظما ونثرا وله تآليف جلية وأسئلة مفيدة في الفقه وغيره ومن جملة تآليفه كتابه المتداول المسمى بكفاية المتحفظ ، وكتابه في العروض ناهيك به حسنا وترتيا وتهذيبا وهو نسختان كبرى وصغرى ، وكتابه في الرد على أبي حفص بن مكي في تثقيف اللسان ، وكتابه في شرح ما آخره ياء مشددة من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء استوفى فيه جميع أحكام هذه الياء على اختلاف أحوالها من تصغير وتكسير وغير ذلك ، ولما استوفى فيه ذلك استيفاء جميلا

تعرض لشرح المقاطع الواقعة في سورة مريم لأشتمالها على كثير من تلك الأحكام ، فجاء هذا التأليف في غاية الافادة والتحقيق وكتابه المختصر في علم الانساب وله تأليف مختصر في الانواء على مذهب العرب

ورسالته المعروفة برسالة الحول تعرب عن أدب كثير وحفظ غزير ، وكان الفقيه أبو اسحاق أحول ، وسبب تأليفه لها انه حضر يوماً بطرابلس عند القاضي بها أبي محمد عبد الله بن محمد بن ابراهيم ابن هانش الطرابلسي ، فحكّم ابو محمد بحكم أخطأ فيه فرد عليه الفقيه أبو اسحاق فقال له : اسكت يا أحول فما استدعيت ولا استفتيت ! فألف تلك الرسالة ، وكانت ولاية ابن هانش طرابلس سنة اربع واربعين وأربعمائة بعد ان فر عنها قاضيها محمد بن فاضل البكري الافريقي هارباً خوفاً من أهلها وعزل عنها سنة سبع وسبعين فكانت ولايته اثنين وثلاثين سنة

وأكثر هذه التأليف ملكتها بخطه ، وكان رحمه الله من أحسن الناس خطاً ، وأخبرت ان الامير أبا زكرياء رحمه الله كان شديد البحث على خطه وانه سمع ان كتاب الفصيح بيع بخطه بطرابلس فبرد بريدا اليها في البحث عنه فبحث عنه ووجه به اليه ، وكذلك أخبرت ايضاً انه سمع أن بطرابلس كتاب أمثلة الغريب لابي الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائي المعروف بكراع (١) بخط

الفقيه أبي اسحاق في ملك بعض بني النقاد وهم من أعيان طرابلس فوجه اليه فيها ، فوجه النقاد بها اليه وقد وقفت على كتب (١) النقاد بوصول الكتاب المذكور والشكر له على بعثه ، وملكته بخطه أيضا تأليفه الذي اختصر فيه كتاب أنساب قریش تأليف أبي عبد الله الزبير بن ابى بكر بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام رحمه الله ، وحسبك بهذا التأليف الجليل علما وفائدة وهو كما كان الشيخ أبو الحسن على بن مغيث رحمه الله يقول : هو كتاب عجب لا كتاب نسب ، ورأيت الفقيه أبا اسحاق قد أدخل من حفظه في نفس هذا المختصر زوائد تشتمل على فوائد نبيه عليها ، وكفى بهذا الرجل المعظم القدر فخرا لهذا القطر ولم تكن له رحلة عن بلد طرابلس الى غيرها ، وقد سئل أنى لك هذا العلم ولم ترتحل فقال : اكتسبته من بابى هوارة وزناته وهما بابان من ابواب البلد نسبا الى من نزل بهما فى اول الزمان ، يشير أنه انما استفاد ما استفاد من العلم بلقاء من يفد على طرابلس فيدخل من هذين البابين من المشرقين والمغربيين ، وكان له اعتناء بقاء الوفود والقيام بضيافتهم

وأخبرنى بعض الطلبة ان خط الفقيه أبى اسحاق باق الى الان فى بعض جدر داره من طرابلس وهى فى وسط البلد بمقربة من الجامع الاعظم ، وعلى مسافة يسيرة منها من جهة غربيها دار الشيخ الفقيه

(١) كذا فى جميع النسخ ولعل العواب . على ما كتب للنقاد .

أبي الحسن علي بن محمد بن المنذر (١) الطرابلسي الفرضي المشتهر فضله وعلمه ورثاسته ، وهي مزاحمة لمسجد يعرفونه بمسجد ابن فرج أضيف الى الفقيه أبي مسلم مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي لاقرائه به ، وتوفي أبو مسلم هذا سنة اثنين واربعين واربعمئة ، وكان مولد الفقيه أبي الحسن بطرابلس قديما سنة ثمان واربعين وثلاثمئة ، وله تآليف في الحساب والازمنة وغير ذلك سوى كتابه المشهور المسمى بالكافي في الفرائض ، وقد لقي الشيخ أبا محمد بن أبي زيد وقرأ عليه وارتحل الى مكة سنة تسع وثمانين فلقى بها أحمد بن زريق البغدادي ، وروى عن أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الجوهري ، ثم عاد الى طرابلس فلم يزل بها الى سنة ثلاثين واربعمئة ، فخرج منها لمحنة جرت عليه فتوجه الى موضع يعرف بغانيمة بالغين المعجمة والنون قرية من قرى مسلاتة ، فسكن بها الى ان توفي هناك سنة اثنين وثلاثين ، وقبره الان على الطريق بها ، وقد اجتزت على غانيمة ورأيت قبره بها وسيأتي ذكر ذلك بعد هذا ان شاء الله تعالى ، وهو اول من اظهر السنة بطرابلس لما كانت في افريقية الواقعة المعروفة بوقعة المشاركة سنة سبع واربعمئة قتل فيها الشيعة واتباعهم ، وعلى يد الفقيه (٢) ابي الحسن كان قتل من قتل بطرابلس منهم ، واول

(١) كذا في بعض النسخ وهو موافق لاختيار النسخة الجزائرية من كتاب العبر لابن خلدون

ج ٢ - ص ٦٠ - س ٢ وفي بعض النسخ الاخرى « المنصر » وفي النسخة البولاقية من

كتاب العبر ج ٧ - ص ٤٢ « المنصر »

(٢) وفي نسخة « الشيخ »

من قطع من الاذان ، حتى على خير العمل ، واذن في ذلك اليوم اذان
اهل السنة بنفسه ، وقد قتل بنو عبيد بشرا كثيرا اسقطوا هذه اللفظة
من اذانهم (١) تمعدا او نسيانا ، واول من اقام للناس بطرابلس صلاة
القيام ، وقد كان رسم هذه الصلاة امحى من افريقية فقال الشيخ
ابو الحسن القاسى رحمه الله تعالى : لما دخل بنو عبيد القيروان ارادوا
ان يمنعوا الناس من هذه الصلاة ، قال : وليس (٢) شىء اشد على بنى
عبيد من هذه الصلاة ، فقيل لهم انكم توغرون بهذا الفعل قلوب
العامة فانهم يقولون منعونا من الصلاة ، فامروا الائمة ان يختموا كل
ليلة ختمة كاملة وان لا ينقصوا شيئا منها ، فصلى الناس اول ليلة
بوفرهم فلما كانت الليلة الثانية نقصوا ولم يزالوا ينقصون لثقل
ما كلفوا به حتى خلت المساجد منهم كما ارادوا ، واسقط الناس القيام
بهذه الصلاة فكان الشيخ ابو الحسن بن المنر اول من احيا بطرابلس
رسمها وقدم ابا مسلم مؤمن بن فرج فصلاها بالجامع الاعظم ولم
تكن قبل ذلك صليت به لانه من بناء بنى عبيد كما تقدم ، واول من
اطلق للناس صلاة الضحى جهارا ولم يكن احد فى مدة بنى عبيد
يصليها الا مستخفيا بها فان ظهروا عليه قتلوه ، ومر بعض عمالهم
برجل على شاطئ البحر يصلى وقت الضحى فساله عن صلاته فذكر
انه كان جنبا فلما مر بالبحر نزل واغتسل وقضى صلاة الصبح فلم
يقبل ذلك منه وامر به فالتقى فى البحر الى ان مات

(١) فى نسخة « من الاذان »

(٢) فى نسخة « ولم يكن »

وكان سبب محنة الفقيه ابي الحسن ان سعيد بن خزررون لما قتله زغبة (١) سنة تسع وعشرين واربعمائة فتح ابرو الحسن بن المنصور مدينة طرابلس لخزررون بن خليفة فدخلها واقام بها اشهرا ، ثم لما كان شهر ربيع الاول من سنة ثلاثين وصل المنتصر بن خزررون وكانت معه عساكر زناتة ففر خزررون بن خليفة من طرابلس مختفيا وترك له البلد ، فدخله المنتصر واوقع بابي الحسن مكروها عظيما ونفاه من البلد واستباح جميع املاكه وعذب كثيرا من اقاربه بسببه .

ورأيت مقابر طرابلس كلها فوجدتها قد امتلات من بني آدم وغلبت عظامهم على تراب الارض فلا ترى منها ملء كف من تراب الا وعليها جمجمة او عظم ولا سيما الجهة الشمالية منها ، وكثيرا ما يدفنون هناك الغرباء الذين ليسوا من اهل البلد ، وهناك مدفن جثة ابي عبد الرجمان يعقوب بن ابي يعقوب يوسف بن محمد الهرغى الثائر بطرابلس ، وكان هذا الرجل قد ظهر في اول دولة الامير ابي زكرياء يحيى ظهورا عظيما واشتهر بالاقدام والاعتحام في الامور العظام ، وكانت بينه وبين الجوهرى صداقة متكاذبة ، فلما قتل الجوهرى بتونس سنة تسع وثلاثين استوحش ابن ابي يعقوب ، وعلم الامير ابو زكرياء باستيحاشه فوجه اليه اخاه ابا عبد الله بن ابي يعقوب يوسف ليؤنسه ويصل به فلما وصل اليه لم يزد له وصوله الا فرارا وكان قد اقتنى لنفسه اموالا عظيمة ، فحدثته نفسه بالامارة هناك والاسباب بالملك

(١) وفي بعض النسخ « زغب »

فاجمع على ذلك واستعد لآظهاره فتفاوض عقلاء طرابلس فيما بينهم في ذلك وتذاكروا ما يتخوفون من عاقبته وراوا ان يادروا بالقبض عليه فاحاطوا به في الليلة التي عزم على اظهار ذلك في صيحتها فقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى جماعة ممن تبعهما فاحتبسوهم الى ان طالعوا بامرهم فورد عليهم الامر بقتلهم فقتلوا وصلبت جثثهم بباب هوارة من ابواب طرابلس وحملت رؤوسهم الى تونس فنصبت على سور القصبة منها ، وذلك في شهر شوال من السنة المذكورة وهي سنة تسع وثلاثين ثم نزلت جثة ابي عبد الرحمان بعد دفنت حيث ذكرنا

وكان ممن قتل مع يعقوب في هذه الكائنة ونصب رأسه مع رأسه ، ابو عبد الله محمد بن القاضي ابي عمران بن عيسى بن عمران وابوه هو قاضي القضاة براكيش الذي يقول فيه الشاعر : (مجثث)

يخَطُّ في الرِّقِّ خطا كأنه خط شيطان

يفكُّ عنه المئسَى موسى بن عيسى بن عمران

وكان ابنه هذا قد وصل الى حضرة تونس فضاقت حاله بها مع ضيق كان في خلقه فتوجه الى طرابلس فاتصل بابن ابي يعقوب وشاع عنه انه انشأ خطبة اعدّها لتقرأ يوم بيعته ، كان منها في وصفه : القائم بالمدينة البيضاء ذات الرمال ، الفاصل بهدايته بين الحرام والحلال ، فتعرفنا معا شووم هذه الخطبة ، واستمرنا بعد المنامات على ما

كانا عليه في الحياة من الملازمة والصحبة ، وأخبرني الفقيه ابو عبد الله محمد بن يحيى العدل بحضرة تونس رحمه الله قال : كان ممن حبس بطرابلس معهم ابي فدخلت عليه في السجن و كنت اذ ذاك صغيرا فقال لي يعقوب ما سورتك يا بني ؟ فقلت له الحديد ، فجعل يكرر هذه اللفظة تطيرا منها ، فكان من صدق هذه الطيرة من قتله (١) ما تقدم ، قال ولم يسلم من اصحاب ابي عبد الرحمان الذين ثقفوا معه غير ابي لتشفع اهل طرابلس فيه عند الامير ابي زكرياء ، وانشد ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن ابراهيم الاصولي في بعض تآليفه لنفسه من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويصف هذه الكائنة ويذكر تسمية يعقوب نفسه بالامام الفاطمي ، ويعقوب هذا ينتسب لهذا النسب العلي : (طويل)

لقد عجلت للفاطمي فطامه وما سوغته درها البيض والسمر
رجارفة فاعتاض منها بمنصب نماه به للجذع منصبك الحر
يرى شرفات السور قد قمن حوله (٢)

يصخن لأمر منه أكذبه الأمر
ضحى فلهجر الشمس لئج إهابه وللريح لا للروح في جسمه كمر
وكم رام تشيد القصور فحلها (٣) وأعظم ما يرجوه لو أسعف القبر

(١) لا يوجد « من قتله » في بعض النسخ

(٢) في نسخة « نحوه »

(٣) في نسخة « يحلها »

أتى رهبة لتأدعوت إجابة فجرده من ثوب نعمتك الكفر
وجاءك منه بعضه متصلاً وخلف بعض حيث لاجاده قطر
يناجي اخاه لا بقول بيته وهيهات عز السر فحواه والجهر
تبراً منه وانتحاك لسانه فلو رام نطقاً لم يرمه لك الشكر
فدونك يا يعقوب عقي منافق إلى النار عقابها اذا ضمك الحشر

وانشدني بطرابلس صاحبنا الفقيه ابو العباس احمد بن عبد السلام
الاموي التاجوري في قضية ابي عبد الرحمان لما نصب رأسه ورؤوس
من قتل معه بسور القصبة من تونس للفقيه المحدث الحافظ ابي
عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن الابار، ثم انشدني بعد ذلك
هذه الايات بتونس الشيخ الفقيه ابو الحسن عني بن ابراهيم التجاني
قال انشدنيها قائلاً : (كامل)

وعصابة قطفت رؤوسهم الظبي قطف البان ازاهر البستان
غدروا وما شعروا بان وراءهم للحق انصاراً على البهتان
فانظر الى هاماتهم مسودة كالليل غير بوارق الأسنان
تبدو من السور المنيف بصفحة يضاء كالشامات والحيلان

والاشهر في هذه المدينة طرابلس بفتح الطاء وضم الباء واللام،

قال البكري في المسالك : وترجمة هذه اللفظة باللغة الاغريقية ثلاث مدن (١) تم كلامه (٢) وبعض الناس يكتبها حيثما وقعت في خطه بالالف وعلى هذا قول احمد بن يحيى من قديم شعرائها في قصيدة له :
(مقارب)

لقد طال شوقي الى فتية حسان الوجوه باطرابلس
وقد عيل صبري فما مسعدي على الشوق الا دموع بجس

واحمد بن يحيى هذا من ولد اخى على بن زياد الفقيه التونسي رحمه الله واصل على بن زياد من طرابلس ايضا مات سنة ثلاث وثمانين ومائة (٣) وذكر لي بعض النبهاء من طلبتها انه وقف لبعضهم على ان المختار في طرابلس الشام ان تكتب دون الف تفرقة بينهما ، واما الكاتب المتأخر ابو الحسن على بن ابي بكر بن بلال فانه سكن لام طرابلس استنادا الى ما تقرر في اللغة العربية من جواز تغيير الاسماء الاعجمية للضرورة فقال في بعض وترياتة يخبر عن نفسه :
(طويل)

سرى فرسا في سيره ولو انه خلني من الاوزار سار ولم يرس
سمى سمي طمّاح لأبعد غاية فكانت له دار المقام طرابلس
سينضي ركاب العزم عنها مجردا لافضل من دانت له الجن والانس

(١) راجع البكري ص ٦ - ٧
(٢) في بعض النسخ « ثم تلامت »
(٣) طبقات ابي العرب ص ٢٥٢ وفي بعض النسخ سنة ثلاثين ومائة وهو تحريف من النسخ

وكان رحمه الله أخذ في التوجه الى المشرق ليحج ووصل الى طرابلس فصرفه الدهر في بعض خدمها فنظم مدة اقامته بها هذه الوتريات يصف اشتياقه ، ويطلب التخلص مما عاقه ، الى ان تهيأ له السفر فانفصل وحج وذلك سنة احدى وثمانين ، ثم رجع فمات بطريقه وهو قافل رحمة الله تعالى عليه

وبطرابلس كانت وفاة أبي حفص عبد الله بن محمد بن عامر ابن أبي عامر وهو والد الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن عبد الله ابن أبي عامر صاحب الفتوحات المدونة والاستيلاء المشهور ، وكان أبو حفص هذا فقيها صالحا معلوما بالحير والزهد والقعود عن السلطان ، سمع الحديث وكتبه عن محمد بن عمر بن لبابة واحمد بن خالد ومحمد بن فطيس وغيرهم ورحل الى المشرق فأدى الفريضة ثم عاد قافلا فادر كته منيته بطرابلس فدفن بها انتهى من كلام أبي حيان ، وفيه عن ابن عفيف وذكر ابن الأبار في « التكملة » (١) ما تقدم وأخبر ان وفاته كانت آخر خلافة الناصر وكان انقراض خلافة الناصر في شهر رجب من سنة (٢)

ومن فضلاء طرابلس المشهورين بالعلم والمشاركة في الادب المتقدمين عن عصرنا هذا قليلا : أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران ابن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي ،

(١) راجع التكملة ص ٤٣٧ - ٤٣٨

(٢) بياض في جميع النسخ وكان انقراض خلافة الناصر في رجب من سنة ٣٥٠

مولده بطرابلس في منتصف شعبان من سنة ست وستين
وارتحل الى المشرق فقضى فريضة الحج وادرك الريفى
والصفاوى فقرأ عليهما ووصل الى تونس فى مدة الامير أبى
زكرياء فاقام بها زمانا ثم عاد الى بلده ، واستدعى بعد ذلك الى تونس
فولى بها الحطط الرفيعة من قضاء الجماعة وقضاء الانكحة والخطابة
بالجامع الاعظم وغير ذلك من الحطط وله تصانيف منها : العقيدة
الدينية وشرحها ، وجلاء الالتباس فى الرد على نفاة القياس ، وكتاب
مذكر الفؤاد فى الحض على الجهاد، وله شعر قليل منه قوله : (كامل)

طُرُقُ السَّلامَةِ وَالْفِلاحِ قِناةٌ وَلِزُومِ بَيْتِ بِالتَّوْحِشِ مَوْئِسِ
يَكْفِيهِ اُنْسا ان يَكُونِ اُنَيْسَهُ اَيُّ الْقِرانِ وَنورَهُ فى الْحِنْدِسِ
وَإِذا رَأَتْ عِناهُ اِنْسانا اَتى فليَنفِرَنَّ نَفورَ ظِبي الْمَكْنَسِ
وَلَقَلْما يَنْفَكَ صاحِبِ مِقْوَلا مِنْ زَلَّةِ اَوْعْشِرَةِ فى الْمَجْلِسِ
تَحْصَى وَتُكْتَبُ وَالْجَهولُ مُغْفَلٌ حَتى يَراها فى مَقامِ الْمَفْلَسِ

وأظهر له الخليفة المستنصر رحمه الله فى بعض الاوقات تغيرا
فكتب اليه يستعطفه : (طويل)

أَمْولايَ ما زَلْتُمْ تَنْيلونَ عِبدَكم ضروبا من النعماء جلت عن المثل
ولم يبق إلا المَفْوَ وهو أَجَلٌ ما يُنالُ فأَكمِلْ لي به مَنعَةَ الْفَضْلِ

فما العيش في الدنيا بغير رضاكم بصف ولا طعم الحياة بمخلتولي
وقد كدر الاعراض صفوميشتي فأنكرت أحوالي وانكرني اهلي
ولي أمل يقضي بفران زلتني وبالغفوع عن جرمي وبالصفح عن فعلي
بقيت تزيد الملك عزاً وبهجة

وتحيي رسوم الفضل والدين والمندل
ولا يخطيشي منك عفوء ورحمة فإنهما ما أخطئنا أحداً قبلي
وصلى إلاء العرش بدءاً وعودة على المصطفى من خلقه خاتم (١) الرسل
وله القصيدة الطويلة التي اولها : (واقر)

بحمد الله نبتدىء الامورا ونغتم آخرا فيه الجورا
وكانت وفاته بتونس يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع
الاول عام أربعة وثمانين وستمائة .
ومنهم الفقيه أبو علي الحسن بن موسى بن معمر الهواري
الطرابلسي احد ارباب الرتب ، الجامعين بين رئاسة الفقه ورئاسة
الادب ، ولد بطرابلس سنة تسع وستمائة وقرأ بها يسيراً ثم توجه
مع أخيه الفقيه القاضي أبي موسى الى المهديّة للقراءة بها على الفقيه
أبي زكرياء البرقي فلزمه مدة ، ثم عاد أبو موسى الى طرابلس وأقام
أبو علي ولزم البرقي وتفقه عليه واختص به اختصاصاً كثيراً فلما

(١) في نسخة « خيرة »

وقعت فتنة أبي حمراء بالمهدية ووصل كتاب الشيخ أبي علي بن أبي موسى بن أبي حفص الى (١) المهدية اذ ذاك بالتحذير من أبي زكرياء البرقي ومن أبي حمراء، وتوجه الامر له بقتل أبي حمراء وازعاج البرقي الى الحضرة كان ذلك فقتل أبو حمراء وحمل البرقي على حمار ومعه خواص أصحابه فيذكر من رآه على تلك الحالة وهو يمثل عند (٢) اشرافه على الحضرة : هكذا في البري فعل بي فكيف لو زلت بي القدم ، فكان ابن معمر احد من وصل صحبته وأدركت الامير أبا زكرياء شفقة على البرقي فاعاده الى وطنه وأقام ابن معمر بالحضرة وكان فقيها مفوها خطيبا لسنا غير انه كان في لسانه فضول ، كثر امتحانه به والتعرض له بسببه .

وترقى في دولة الخليفة المستنصر رحمه الله فولى خطة القضاء في كثير من بلاد افريقية منها باجة وبجاية وغيرها ، وولى خطة العلامة الكبرى وخطة الارفاع والنظر في خزانة الكتب ، ونقير الخليفة عليه فنفاه الى المهدية ، فكان خروجه من الحضرة يوم السبت الثامن عشر لذي القعدة الحرام سنة سبع وستين ، ثم وقع الرضى عنه بعد عام كامل وتوجه الامر بتسريحه في ذي الحجة من سنة ثمان وستين فوصل الى تونس في شهر ربيع الاول من سنة تسع وستين ، ولما مات الخليفة وولى ولده الواثق استدعى في يوم السبت التاسع عشر

(١) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « والى »

(٢) وفي بعض النسخ « على »

لذى الحجة من سنة خمس وسبعين فأمره بالنظر فى خزانة الكتب
وسئل عنها حين كانت لنظره اولا فذكر انها كانت ثلاثين الف
سفر وأنه آخر عنها ثم أعيد اليها فوجدها عشرين الف سفر وأنه
الآن اختبرها فوجدها تقصر (١) عن ستة آلاف سفر، فسئل عن
موجب ذلك، فقال: المطر وأيدى البشر، وأستمر على النظر فيها الى ان
تغير عليه رئيس الدولة أبو الحسن بن أبى مروان فى بعض القضايا
فامر بتثيقه فثقف بدار الاشراف مدة ثم أخرج، وكانت وفاته
بتونس فى اليوم الثانى لجمادى الاولى من سنة اثنين وثمانين
وستمائة، وله شعر كثير أخبرنى ابن أخيه الفقيه أبو يعقوب يوسف
ابن القاضى أبى موسى عمران قال: كنا جلوسا عنده فأنشد بعض من
حضر بيتين لآبى الوليد سليمان بن خلف الباجى: (وافر)

مضى زمن المكارم والكرام سقاه الله من صوب الغمام
وكان البرّ فعلا دون قول فصار البرُّ نطقا بالكلام

قال فأنشدنا لنفسه متمما عليهما (وافر)

وزال النطق حتى ليس تلقى فتى يسغو بمرجوع السلام
وزاد الامر حتى ليس إلا سخى بالاذى او باللام

وكان أبو عبد الله محمد بن يحيى الفضيلي ممن ثقف بتدار
الاشراف معه حين ثقفه ابن أبى مروان على ما تقدم فحصل بينهما

(١) فى نسخة « تنقص »

اتصال وود واتفق ان سرح ابن معمر قبل سراح الفضيلي فهناه
الفضيلي بذلك فأنشد مرتجلا : (طويل)

لئن سزني فك الإسار من الحبس لقد ساءني فقدي لما فيه من أنسي
ولو أنني خيَّرتُ فيما أريده لآثرتُ تقديمي سراحك عن نفسي

وفي مدة لزومه داره للجفوة التي كانت عرضت له قبل نفيه الى
المهدية قدم من السفر صديق له ممن تلزمه زيارته فلم يمكنه ذلك
فكتب اليه : (طويل)

كتبت ولولا الحكم كنت إليكم من الشوق في متن الرياح أطيرو
وَإِنَّ يَسِيرًا أَنْ أَسِيرَ مَسْلِمًا عَلَيْكُمْ عَلَى وَجْهِي وَذَاكَ يَسِيرٌ
وما في صميم القلب من خالص الوفا فسيان فيه غيبة وحضور

وأنشدني له بعض الطلبة من أهل بلد طرابلس قصيدة وقعت
هنا مرتبة على حسب ما اخترناه منها : (بسيط)

لولا احوزار جفون أودعت سقما

ما أمطرت سحب أجفاني الدموع دما

ولا وقفت أصيلانا بربكم (١) ولا سقيت رباه من دمي ديسما

ولا نثرت عقيق الدمع في طلال منه أذيع الذي قد كان مكتنما

شمل السلو شتيت بعد بعدكم وطالما كان قبل اليوم ملتئما
الين يقطع منه كل متصل والشوق يثر منه كل ما انتظما
والوجد شاد بجسمي ما يهديه آه على ما بنى فيه وما هدمما
يا من يلوم على ما جل من أسفي هذا اليسير من الامر الذي كتما
ما خطط النوم في جفني رسم كرى إلا محاسن ما قد خط أو رسما
أنيكم أني من يوم ينكم ما زلت للسهد والتذكار ملتزما
ارتاح إن هب ريح من جنابكم أو لاح برق بذاك الأفق وابتسما
أما ومن قدر الاشياء مقتدرا وحبكم وكفى بالحب لي قسما
ما رام قلبي اصطباراً بعد بعدكم ولا تأخر بي من وجده قدما
وانشدني أيضا وقد ابل الخليفة من مرضه : (بسيط)

الله أنعم بعد اليأس بالفرج يا ازمة الدهر عند الشدة انفرجي
شكر الخلائق لا يكفي لأيسر ما كفى وسكن من هرج ومن رهج
أبقى الانام بإبقاء الإمام فكتم بصنونه صان من مال ومن مهج
إذا رعى الله للإسلام راعيهم لم نأس من فقد ذي قدر ولا هج
وذكر ابن البار في بعض توأليفه قال : انشدني القاضي أبو علي
ابن معمر له ولاحد أصحابه في أبي المجد الصوفي المهدي يداعبانه
لولوعه بتزوج العجائز : (طويل)

ابا المجدكم تغرى بحب العجائز وذلك في شرع النهى غير جائز
كلفت بأطلال محالدهر رسمها فاصبحت تبغي الفوز بين المفاوز
وأشدنى شيخنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حيان
الايوسى ، قال أنشدنى أبو على بن معمر لنفسه : (بسيط)

آهأ نردد لو تشفى لنا كريباً وبالتعلات نحيا لو قضت اربا
وبالاماني ينال القلب بغية وقد تحقق من متادها كذبا
يرتاح إن لاح برق من جهامتها وما تراءى له إلا وقد ذهباً
يسر إن مد يوماً جبل منيته وما تطاول إلا جذا وانقضبا
إن عز ما يتغيه (١) فهو في هرج ويختشي الققد إن ما يتغى قربا
وارحمناه لقلبي كم أجشمه امرأ يذيب من الأصلاد ما صلبا
وكم يعانى ملات بايسرها يهون الأمر (٢) من دنياه ما صعبا
وكم يلجلج في افكاره لرجأ سوداً توجج في احشائه لهبا
وكم تهب سموم من تنفسه لو استمرت لنا هبت نسيم صبا
استغفر الله لا اشكو الزمان ولا أبدي إذا طرقت أجدائه رهبا
ولا أئن لحظ منه اغوزني ولا أسر إذا ماء المنى انسكبا

(١) وفي نسخة « ما يرتجيه »

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « المرء »

أَنْتَى يُسَرُّ لَيْبٌ إِنْ رَأَى حُلْمًا وَكَيْفَ يَطْرَبُ مَنْ خَمَرَ الْفَنَاءَ شَرِبًا
وَأَخُوهُ الْفَقِيهَ الْقَاضِيَّ أَبُو مُوسَى كَانَ عَالِمًا صَالِحًا فَاضِلًا وَقَدْ قَدِمْنَا
مِنْ أَخْبَارِهِ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُنَا أَبُو فَارِسٍ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ غَيْدٍ عِنْدَ
تَسْمِيَةِ شِيُوخِهِ .

فَأَقَمْنَا بِطَرَابُلُسَ سَاكِنِينَ فِي قَصَبَتِهَا كَمَا تَقَدَّمُ عَامًا كَامِلًا وَنُصِفَ
عَامٌ وَأَيَّامًا إِلَى أَنْ تَهَيَّأَتْ لِمُخْدُومِنَا أَعَزَّهُ اللَّهُ وَجْهَتَهُ ، وَكَمَلْتُ عَلَى
أَتَمِّ الْمَرَادِ بَغْيَتَهُ ، حَسِبْنَا نَبِينَهُ بَعْدَ هَذَا أَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَحِينَئِذٍ وَقَعَ
الرَّحِيلُ عَنْهَا . وَبَلَفَنِي بِأَثَرِ الْحُلُولِ بِهَا أَنْ الْفَقِيهَ الْبَلِيغَ الْكَاتِبَ أَبَا
الْفَضْلِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ التَّجَانِيَّ ضَوْعَفَ لَهُ
بِالْحَضْرَةِ مَرْتَبَهُ وَأَعْلَيْتُ عَنْ إِخْوَانِهِ الْكِتَابَ رَتَبْتُهُ فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ بِذَلِكَ :
(كامل)

أَهْدِي أَبَا الْفَضْلِ السَّلَامَ مَرْدَدًا لِعَلَّاكَ عَنْ قَلْبِ الْيَكِ مَشُوقٍ
وَأَقَرُّرَ الْوَدَّ الَّذِي أَنَا سَالِكٌ فِيهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ خَيْرِ طَرِيقٍ
وَسَمِعْتُ إِخْبَارًا أَدَارَ بِذِكْرِهَا مُنْهِيَّ الْحَدِيثِ الَّتِي كَانَتْ رَحِيقٍ
أُنْبِئْتُ أَنَّكَ قَدْ خُصِّصْتَ بِرَتَبَةٍ أَسْمَتُ مَقَامَكَ فَوْقَ كُلِّ رَفِيقٍ
فَسُرِّرْتُ أَنْ نَالَ السِّيَادَةَ وَالْعِلْمَ مِنْ فَخْرِهِ فَخَرِي لَدَى (١) التَّحْقِيقِ
مَا الْعَزُّ عِنْدِي أَنْ اعْزُّ وَأَنَا عَزِّي الْمَكْمَلُ أَنْ يَعَزُّ فَرِيقِي (٢)

(١) وفي بعض النسخ « على »

(٢) وفي بعض النسخ « فنيقي »

ان اكرموك فقد اتى اكرامهم في موضع بالكرمات حقيق
طوقت للانعام ما تشدو به والشندوشيمة كل ذي تطويق
والله يرزقك الزيادة حاكما لك بالاعلا والسعد والتوفيق

فوصل جوابه عن ذلك بما نصه : (كامل)

أهدي سلام الود خير رفيق من عدّ اوحّد أسرتي وفريقي
ومقام عبد الله نجل محمّد في قومه سام على العيوق
نذب تحلي من جلالة سندس واقام للعلاء أنفق سوق
وازدان بالفضل الذي هو مرضع (١) لبني الافاضل ليس بالمندوق
زانت فتاة السن منه فتوة قد ضمّخت اخلاقه بخلوق
ومعارف تدرى اهن عوارف فيها حقيق مجده بحقوق
اما موثيق اليهود فانها ابدأ لديه مميّزة بوثوق
ومشارع الود التي اروى بها ما امطرتها خلّبات بروق
هي ما علمت مواليد ومراضع وزكاء فرع من زكاء عروق
ودليل تأكيد الوداد رسائل تقضي بمهد في الرداد وثيق
تدنو على شحط الربوع كأنها شمس تعم يهجة وشروق

او كالحيا الهتان يزوي ممجلا
ولرب قافية اتت قافية
فلئن تمكن من طريقته امرؤ
انت الذي تجلو المعاني خلوة
ولكل معنى زانه اللفظ الذي
وافت تهني لي باسعد رتبة
ومقدم بالله شرط قضية
واجل ما اثرته حظ اتى
هي نظرة من نحو خير خليفة
ما كنت لولا ان عين رضاهم
سودت ان طوقت نعماء التي
وكفاية الآثار قد قابلتها
هو مشرب انا منه صاحب نشوة
لا اشتكي الا نواك فأنني
سحقاً لدهر لو قضى بتألف
فيعود بعد المحل جد انيق
تقولها الشعراء نهج طريق
فلها مكان ليس بالمطروق
يصبو الحجب لجمالها المرموق
يكسو كغصن في الرياض وريق
رفعت بحر سوابغ التوفيق
قرنت بها الآمال بالتصديق
عفوا بدون الظن والتعليق
غاضت (١) أبا زيد بخير عتيق
نظرت بايسر ما جرى بحقيق
قد قام فيها شاهداً تطويقي
بفصيح قول في الثناء طليق
ومواصل لصبوحه بغبوق
من اجل حادثها اغص بريق
لغدا مكان الألف غير سحيق

اقصى فلولا ما دعوه ابا الورى لعقته ويقل فيه عقوبي
أعليه نذر لا يزال يفني به ان يعقب التجميع بالتفريق
لم انس سيل الدمع يوم فراقنا وغريقنا مستمسك (١) بغريق
ما ان ذكرت السين الأبان من نفسي ومن نفسي دخان حريق
فالله اسأل ان ينظم شملنا عقداً ويجمع نازحاً بمشوق
وما ذاك على الله بعزيز ، وقرب الاماكن (٢) فيه متعلق بخير
موجب مجيز ، فعمما قريب نتلقى بالفعل هذا الامكان ، ويعود الجمع
منتظما كما كان (٣) بفضل الله وهذا الزمان (٤) الذى اوقع ريبا ،
واشتعل الرأس منه شيئا ، سرعان ما تقهقر القواطع عنه مقصرة ،
وتحو ليله آية النهار مبصرة ، وتلقى جلاها من سقط الفرقة
مضغة ، ويرجع راجع الشباب صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ،
واذا كان يعيده حامل كلام ، ويرده واصل سلام (٥) ، فما ظنك به
حين تقبل الركائب ، ويلتقى المقيم والايب ، وترى القافل الذى
شد ما أثقل رحله ، يلقي الزاد فما زاد حتى نعله ، فتراح الركائب
من جذب البرى ، ويراح الى جنة القرب ونار القرى ، وحينئذ
تتصل الافراح ، وأنشد من صد عن نيرانها فانا أبو قيس لافراح (٦)

(١) فى بعض النسخ « متمسك »

(٢) وفى بعض النسخ « الامكان »

(٣) وفى بعض النسخ « هذا الشمل مشتلا » وفى بعضها « هذا الشمل منتظما »

(٤) وفى بعض النسخ « هذا الوثب » وفى بعضها « هذا الرتب »

(٥) وفى بعض النسخ « كلامى » و « سلامى »

(٦) والمشهور فى قول سعد بن مالك هذا « من فر »

والله المرجو في أن يعيد (١) ذلك الزمان ، وعليه سبحانه في تحقيق
الرجاء الضمان (٢) ، بحوله وطوله ثم تنوب الى واجب الشكر ،
وشكر الواجب الذكر ، وغرس ثمرة (٣) الاحسان ، اذا تعهد بعهد
الانسان ، كانت ثمرتها وهي الثناء ذائعة ، ولم تكن ثمرة تلك
الفروس ضائعة ، وكل ما يلحق الفرس من نضرة ونعمة ، تلبسه
ملايس نعمة ، فلغارسه ينسب ، ومن جملة مكارمه يجسب ، وذلك
الجلال للشيخ أمن الله جهته ، ويمن الله وجهته ، لا يشك أنى
غرس نعمته ، واحد المعتزين بخدمته ، وعنايته قديما هي التي
أصارتني من خدمة هذا المقام الكريم الذي طوقت نعمه فمدحت ،
وسقيت ديمه فشكرت ومرحت (٤) بثاية منه سقت دوحى غمامها ،
فبشكره - أعزه الله - يفرد من لسانى حمامها ، وعن ثغور منحه تفتت
مباسمها ، كما أنه عن منشور (٥) مدحه لا تفتت نواسمها ،
فصادح (٦) ثنائى لا يثنى عن تغريد وتلحين ، وثمر بر طيبات
مما دحه لا تزال تؤتى أكلها كل حين ، فقرروا عند سيادته - حفظها
الله - ما يجب تقريره ، وكرروا من معاد ذلك ما تحسن اعادته
وتكريره ، والله سبحانه يبلغكم أملككم ، ويختم بالصالحات عملكم ،
ويسهل سبيلكم ، ويجعل اليمن المصاحب دليلكم ،

(١) وفي نسخة « يعود »

(٢) وفي نسخة « التكلان »

(٣) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب « شجرة »

(٤) وفي بعض النسخ « فرحت » وفي بعضها « صدحت »

(٥) وفي بعض النسخ « منشور »

(٦) وفي جل النسخ « فصادح »

ووصلت بعد ذلك أبيات من بعض من وصل الى الحضرة من
الادباء وكان من مقصده رؤيتي فلم يجدني بها : (كامل)

خذها تحية نازح الأوطان لكنه بوداده لك داني
من شيق لأبي محمد الرضى عبد الإلاه الماجد التجاني
مثن على تلك الحلال ولم يزل من اجل بُعدك دائم الاشجان
لما وصلت لتونس الفيتها من بعدكم ربا بلا سوكان
قد اظلمت في مقلي لبعادكم فكانها جفن بلا انسان
فلو استطعت لسرت عنها نحوكم اسعى لرؤيتكم على اجفاني
وكتبت في اول شهر المحرم مفتتح عام ثمانية وسبعمئة للفقير البليغ
ابى الفضل محمد بن أبى الحسن على بن ابراهيم التجاني بهذه
القصيدة وما ردفها من النثر مقروا لادامة الود ، ومتبرما بامتداد امد
البعد : (مخلع البسيط)

جكم في الحشا مقيم فما يروم الذي يلوم
اما درى العاذلون جهلا ان عذاب الهوى نعيم
هل عند من عنده قوادى ان غرامي به عميم
بيت من لوعتي خليا ومنه بي المقعد المقيم
اجابنا هل ينال حظا من وصلكم من بكم يهيم

هَبُوا لاجفاننا منامنا
لازمها بعدكم سهاد
وعليوا بالرضى فؤادا
يظنه عذلي سليماء
ان حكم الدهر بافتراق
فكل شيء الى كتاب
هاك أبا الفضل من سلامي
واخذتم بما بي من اشتياق
واذ طلبت بعلم حالي
فانني في اتصال نعمي
منعم في جناب منولي
لله منه غمام جود
كم كف بؤس الورى بكف
يشر (١) أمواله ولكن
ايه نداء حواه قلب

فمهد لها بالكرى قديم
تعرف مقداره النجوم
به لهجرانكم كلوم
وهو لفرط الاسى سليم
موقعه في الحشا اليم
قدره القادر الحكيم
مسكاً رسولي به النسيم
اليك مقداره عظيم
وانت عندي بها عليم
بشكرها الدهر لا اقوم
بقربه تبعد الهموم
عنم الورى صوبه العميم
تعجز عن جوده الغيوم
شمل المعالي بها نظيم
مازجه ودك الصميم

هل تترتجي للزمان عدلا فانه في النوى ظلوم
قد علم الله من ودادي ما أنا راع له مُدِيم
وانّ عندي لحفظِ عهدي طريقة نهجها قويم
وانّ تحل بيتنا فياف يقصر عن جوبها الرسيم
فانّ ذكراك كل حين في القم والقلب لا تريم
لقد تدانت لنا قلوب وانّ تناءت لنا جسوم
فنسأل الله جمع شمل فهو لطيف بنا رحيم

« هذه أعزكم الله أبيات صدرت عن قلب (١) منقسم ، وفكر بتولد التبلد متسم ، قد أعاره الهوى أتباعا ، وأعادته النوى شعاعا ، فكلما رمت جمعه ، وطلبت أن أرأب صدعه ، طرقه من هوائج الفكر ، ولواعج الذكر ، ما يفرق منه ما لأمت ، ويشئت ما نظمت ، ولربما جذبه الحنين الى الوطن ، وجد به التشوق الى الاهل والسكن ، فيطلب الصبر وهو جد متمنع ، ويروم التصنع ولات حين تصنع ، وكيف يحجب الوجد وهو ذو استبانة ، أم كيف يطلب الصبر وقد أبانه البين أي ابانة ، وقد كان في حول ثواء ثويته (٢) تقضى لبانة ، فكيف بثواء احوال ، ولقاء احوال ، بمثلها يسأم السائم ، ويعدم صبره القلب الهائم ، ولكن مشاهدة هذا المولى الذي أنا في كرمه

(١) في نسخة « من ذهن »

(٢) في بعض النسخ « في حول ثويته » وفي بعضها « في حول ثواء »

أمسى وأصبح ، وبنعمه أغبق وأصبح ، تنسى الأهل والوطن ،
وتسلى عن كل ما شط وشطن ، فلا ندم على ما عدم من رآه ، ولا
تغرب من يمه ولو خلف الأهل وراه ، وإن فضل الله تعالى لكفيل
بأن يجعل مدة الفرقة قليلة ، وأن يعلل بالقرب منا انفسا عليلة ،
فيعيدها وقد بلغت التراقي ، ويفيدها من اللقاء الطيب الراقى ،
(طويل)

وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن ان لا تلاقيا
(طويل)

وإني لأرجو الله حتى كأنما أرى بجميل الظن ما الله صانع
وإياه أسأل أن يزيد جدكم جدة (١) ، وأن يديم مدتكم فى السعادة
متدة ،

فأجاب بقوله : والتزم فى الجواب تشديد حرف الروى ، وكان
أولاد مخدمنا قد وصلوا إليه فى ذلك الوقت من الحضرة - فأشار
فى جوابه هذا إليه : (مجزو الرمل)

من لشفوف معنى ذكر العهد فحننا
راعاه الدهر بين بعدما كان اطمأنا
ابصر الربيع قواء فكى شوقا وأنا

وتمشي مشي ولهـان به يقرع سناً
وشجـاه هاتف فو ق الرُبـى غنى فغنى (١)
إلفه دان فلو فا رق إلفا ما تغنى
اطرب الروح وأبـر دت شجونى حين ثنى
فهي من فرط ارتياح دون راح تتثنى
وتذكـرت زمانا بالتداني مرّ غنا
وحدثاً ما أحـيلا ه وسراً منه صنا
وبصدري مـيت سرّ مدرجا فيه أجنا
لست فيه بضنين عند ما (٢) يعمل ظنا
أيها الاجاب ما بنتم ولكن نحن بنا
أطلعوا (٣) من قـربكم صبـحاً قليلاً البعد جنا
وانظرونا نقبش من نوركم (٤) ما تمنى
ما عليكم لو نظرتـم نظرة الإشفاق منا
وسمحتـم لقريح القلب بالسـلوان ضنا

(١) فى بعض النسخ « عنى »

(٢) فى بعض النسخ « من »

(٣) فى بعض النسخ « اصبحوا »

(٤) فى بعض النسخ « من قـربكم »

لم يزل في كل معنى . يجلب الود معنى
راكباً في كل فن . منه ذبلاً وفناً
لا يحاشي من فنون الو . د والإخلاص فناً
هل أمان من زمان . فرض البعد وسناً
سن أغياراً وغارا . ت النوى والين شناً
ورمانا بسهام . بعد ما كان مجناً
خاننا العهد وما للعهد والميثاق خناً
وجرى جزى سبوق . للنوى لا يتأني
نال منا بافتراق . بعد ما كان أمناً
وعناء ترك الأبدان وهيا حين عنا
عقل العقل بسري . ح مناصات فجناً
عند ما شئت رحال . ضعف الصبر فلناً
كيف بالصبر وأني . جميل الصبر أني
ولعل الدهر ينسخ ما كان استسناً
ويعيد الشمل منظو . ما كما كنتم وكناً
وإذا ما الله سني . عقد أمر يتسني

« سبحانه لا اله سواه ، وبارادته يوقع الدهر ما نواد ، فمن يعتب الدهر أو يسيبه ، ففي النار حصيدة لسانه تكبه ، فهو عبد بتصريف مالكة يتصرف ، ونكرة باضافته الى أعرف المعارف يتعرف ، فلا ذنب ينسب اليه ، ولا احد يعتب عليه ، سواء أنأى أو قرب ، وآهل أو عزب (١) ، وسهل أو صعب ، وضم الشتيت أو شعب ، له ان يتحكم حكم الوصي ، ويستقصى حكمه في القريب والقصى ، وذو الحجبى يستمسك بحلمه وعلمه ، ويسلم نفسه لحربه وسلمه ، ويرى ان لا حجة له في اعتراضه ، على افتراضه ، ولا سبيل لاحتكامه ، في أحكامه ، ولا قدرة على صرفه ، عن صرفه ، ولا حيلة في خديعته ، عن شريعته ، لا جرم أنه يجرم ويتوب ، ويحرم ويشيب ، وينجح اذ يجمع ، ويبخل ثم يسمح ، أحواله غير مقصورة على انفراد صورة ، ولا مبنية ، على اتحادية ، لا يدوم على حالة ، من ايجاب أو احالة ، ولا يبقى على نسق ، في اصباح أو غسق ، بل يتلون تلون الجرباء ، ويتكون تكون الجرباء ، بينا تطلع نجومها ، يأفل نجومها ، فنجومها أبدا تطلع وتغيب ، ونيراتها لا يدوم لها الطلوع ولا المغيب ، وكذا الدهر مهما أعد للنوى طريقا ، وجرع بضاعة الفرقة فريقا ، ابان الى الدنو أسرع راجع ، وأشبهت عاقبته عاقبة دواء نافع ، وقد مدت النوى منكم باعها ، حتى كادت الايام تتناسى طباعها ، وعند هذا التناهي يقصر متناولها ، ويقرب من الامانى الصادقة بكم متناولها ،

مع نجح الطلب، وحسن المنقلب، ان شاء الله تعالى والله سبحانه لطيف
بخلقه، حاكم على الدهر وخلقه، يقضى وفي قضائه لطف، ويؤكد
ارادته وفي تأكيدها عطف، ألا تراه كيف يسر لمولانا المعظم، ما
سره من الشمل المنظم، وذلك بانفراج المتضايقين شوق وخذل،
واجتماع المتضائفين والد اعزه الله وولد، بعد ما كانت الشمس
شعاعا فعاد الشمل بذلك نظيما، وأصبح غيظ الدهر الذي لا يكاد
يكظم كظيما، وعمما قريب ينظم به شمل الاوامر والامور، وتلحق
بركته وهو مقيم ببلده سائر المعمور، وقد طال عهدي بتقيل راحته،
واستئمان قلبي مع تبعه من راحته، فهي راحة عهدها كالعادة
جودا، وكنت بها ممطورا مجودا، أيام كنت من خاطر الخطير
ببال، ورزقت منه حظي قبول واقبال، والزمان يقبل ويعرض،
ويصح ويمرض، وأنا أنتظر هذا الوجود أن يجود، وأرتقب تلك
السعود ان تعود، فلي بضاعة ولا، تشر بوفورها مريحى، وتعمر
بموالاة تجرها مساي ومصبحى، والله أسأل ألا يمد بفرقتكم مدة
اليين، وأن يعود بعودكم قلبي ان جسدى فما جعل الله لرجل من
قلين، انه المنعم والقادر، وعند أمرد يقف الوارد والصادر،
وكتب الى فى شهر ربيع الثانى بعض من وافق اسمه اسمى من
اصحابنا الطلبة بتونس فى اثناء مخاطبة خاطبنى بها: (طويل)

لعمرك لو ان الرياح تحمّلت جسوماً لسارت بي لنحوك ريح
وكم لك عندي بن صريح مودة لعلمي أنّ الود منك صريح
أراك على بعد قريباً لناظري على أن طرفي بالدموع جريح
وإني لأرجو الله في جمع شملنا فإنني على باب الرجاء طريح
عنيك سلام الله ما هبت الصبا وما ناح قمرى فحنّ قريح
فكتبت اليه الجواب عن ذلك : (طويل)

رأى بارقاً تحت الظلام يلوح فاح اشتاقاً والكئيب ينوح
تألق من أرض الأحبة موهنا فحنّ فؤاد بالبعاد قريح
وطبالبه أهل الملام بسلوة فلم يك منه للسلو جنوح
رعى الله إخواناً إذا ما ذكرتهم تسابق دمع العين وهو سفوح
لئن نزحوا عن ناظري فما لهم مدى الدهر عن قلبي المشوق نزوح
وبلغ عبد الله عنّي تحية مرددة تغدو له وتروح
سيّمي الذي أصفه بمودة له خالص من وزدها وصريح
شربنا معنا كأس الصفاء فما لنا سواها غبوق دائم وصبوح
أعليل آمالي بقرب مزاره ومن دون ما أرجو مهامه فيح
لقد أتمب البين المشتّ قلوبنا فهل بعده من اوبة فتريح

وفي شهر جمادى الاخرى كتب الى من أصحابنا الاخلاء
الفضلاء الفقهاء الاذباء بتونس من دعاه كرم عهده ، الى أن يجدد
بتجديد المخاطبة ثابت وده ، وأرادوا أن يودعوا نظمهم كله صحيفة
واحدة فرغبوا الى الوالد حفظه الله تعالى أن يصدرها بشيء من
نظمه فكتب الى الوالد في صدرها : (طويل)

سلام من الرب الرحيم ورحمة مجددة تتسرى على عابد الله
وانى لمعمور الفؤاد بذكره اذا ما الها عن ذكر احبائه اللاهي
فيا ربنا اجمع شمل احبائه به فلا منية تدني الاماني الاهي
ثم اثبت كل منهم اسمه ونظمه وقد رتبت هاهنا ذكرهم على
حسب ما رتبوا شعرهم

فكان الذي خاطبني بعد الوالد ابقاه الله صاحبنا الفقيه الكاتب
ابو عبد الله محمد بن يعيش ، كتب الى بقوله : (وافر)

شباك الربيع إذ ظمن الحبيب فأنت وإن نشأت به غريب
اذا بعد الأجابة عن محل
وكيف يطيب عيش بعد خيل
بقرب ثبني محمد النفدي
عليه تحية ما انهل غيث
على روض فمال به قضيب

فأجبتة عن ذلك بقولي : (وافر)

عسى الزمن الذي ولى يَؤوبُ فقد سئمتُ من الشوق القلوب
إذا ما قلت قد قرب اجتماع قضى بتفرق خطب ينوبُ
واعظم من ترى أسفاً وحرنا حبيب قد نأى عنه حبيبُ
أبا عبد الإله نـداء خلَّ هواك له من الدنيا نصيبُ
رعاك الله من راع لمهدي وإن طال التباعد والمغيبُ
اتنني منك آيات حسان بها للفضل قد جمعت ضروبُ
أفادتني من اسمك حين وافت وطيب حديثها عيشا يطيبُ
وأهدت لي الوداد على التائي فقريت بعد كرتها الكروبُ
فتق مني بإخلاص وودِّ جديد ليس تبليه الخطوبُ
وإن تك مدة البعد استطالت فيرجى بعدها الفرج القريبُ

وكتب الى بعده الفقيه الاجل الافضل أبو عبد الله محمد بن عبد
الله المعروف بالهوارى واظنه وقف على مطلع قصيدة الفقيه البليغ
أبي الفضل القافية التي تقدمت قبل هذا فأشار اليه ، وعول فى
مطلع قصيدته هذه عليه ، وجعلها جوابا عما كنت خاطبته به قبل
هذا : (كامل)

أهدى سلام الودِّ خيرُ حبيبٍ من عُدَّ أول فاضلٍ وحبيبٍ

أهداه عبد الله نجل محمد فخر الزمان امام كل اديب
فأعادلي انسا مضي وافادني بمصنف من نظمه وغريب
وكفاية ابدت فصيح بيانه برسالة طبعت على التهذيب
هي درة الغواص جلت قيمة وقيمة عزت لدى التقلب
خلت فجلت كل هم كان بي ودنت فأقست زفرتي ولهبي
سدرت عن الفكر الصقيل عن الحجى عن صدر حبر بالعلوم رحيب
ما كتبه الا الكتاب اقبلت ترتج بالترهيب والترغيب
بأيتها الخل الرضا الاوفى الذي ما نأيه عن خله بقريب
من ريس فاضل متيقظ متحفظ محبوب
شرفت مقداري ببعث قصيدة هزت لها الادباء عطف طروب
مكأنها روح أتى ذا كربة (١) ومدامة دارت على شريب
بخرتها كلفاً بها فلتتها ولقيتها بالبشر والترحيب
لما اجتهدت اصبت في مدحي لكم بلسان صدق جل عن تكذيب
فتنا بترك والقريض كلاهما اجران جاء لا جهاد مضيب
في بحث ما تهدونه من كتبكم مسلاة قلب ظل في تعذيب

لا تحسبوا اني سلوت ودادكم في حالة الابعاد والتقريب
اخذت على قلبي حقوقك موثقاً رغي له يبقى بقاء عسيب
فاحضر وغب عني فودك ثابت ارعاه فيك بمحضر ومغيب
وإذا ذكرتك خالياً فكانت كما جمعت لي الأفكار كل حيب

فأجبت عن هذه القصيدة بقولي : (كامل)

ان أقض من اسف فقير عجيب فرط اشتياق وابتعاد حيب
ما قلت قد بلي التفرق فانقضى الأ وجدده جديد خطوب
ولقد شجا نفسي واضرم لوعتي واثار اشجاني وهاج كروبي
برق بدا والليل ارخي سجنه والبدر شمّر ذيله لغروب
اجرى حديث القرب صادق فآله ففهمته من لفظه المقلوب (١)
يا بارقاً اعدى (٢) الفؤاد بخفقه وطوى الضلوع على لظى واهيب
الله والعهد القديم ونسبته يرعى نسيب مثلها لنسيب
فلقد تشابهنا انسكاب مدامع ولزوم سهد واجتاب (٣) سهوب
ان انت جزت على ربوع اجبتي فاشرح لهم شوقى وفرط وجبى

(١) اي القرب مطلوب البرق

(٢) فى بعض النسخ « اعدى » وفى بعضها « اغدى »

(٣) كذا فى جميع النسخ ولعل الصواب « اجتباب »

واخصص اباعبدالاله محمدا بحجة كثنائه في الطيب
ابلغه ان القلب بعد بعاده لم يخل من حزن ولا تعذيب
ذا السيرة المثل الذي قد جل عن مثل يرى فيها له وضرب
كم من يد اسدى التي على النوى لم يسله عن ذاك طول مفيد
متضمننا نظما ونثرا ازريبا حسنا بكل مخيل وخطيب
قد اودعت جمل المحاسن منه في لفظ وفي معنى وفي اسلوب
واراد منى ان اجيب واته لمدى يقصر عنه كل اديب
فاجبته ولو استطعت توقفا فيما اراد لكنت غير مجيب
لكن لوازم حقه وفروضه حكمت علي بذاك حكم وجوب
فبعثته والخوف يقصر خطوه يرنوا بلحظ للحياه مريب

وكتب بعده أبو عبد الله محمد بن أبي بكر البنوي المعروف
بأبي سلام : (طويل)

سلام محب قد اتى طيبي طرسه وزارك عبد الله في ثوب نفسه (١)
فخذه عن الزاكي المحب لكم فقد عدته العوادي عن اداه بنفسه
وبلغ الى المولى العماد تحية معطرة تحكى طهارة فؤده

(١) في بعض النسخ « لبسه » وهو حسن لازالة الايطاء

فاجبته عن ذلك : (طويل)

اتى فأتى القلب (١) المشوق بأنسه
كما (٢) زار حبُّ عاشقا بعد بعده
كتاب أتى من لم يزل متشوقا
فقبله تقيل ذي كلف به
رعى الله من راعى ذمامي على النوى
أبا عابد الله الاجل الرضا الذي
لقد حاز أشات الفضائل واكتسى
إذا ضيع العهد القديم مضيق
فلا بن ابي زاك عهد زكوة
ادام له الله السيادة والملا

نظام رأيت الدر في طي طرسه
وعاد رجاء أملا بعد بأسه
لاتيانه والدهر يقضي بحسه
ونقله من راحته لرأسه
ومن يومه في الود لي مثل أمسه
سما قدره عن قدر أبناء جنسه
ملا بس حمدا زانهن بلبسه
وبنواع ودادا من أخيه ببخسه
ترفعن عن شك السدو ولبسه
وبلغه أقصى أماني نفسه

وكتب صاحبنا الاديب الفقيه البليغ المجيد أبو العباس أحمد
ابن عبد الله الرصافي بهذين البيتين : (طويل)

سلام زكوي يحسد المسك عرفه ودارين تهوى ان تمر بداره
يسير ويسري كى يوافي رضا ابي محمد الأسنى بحسن بداره

(١) فى نسخة « اتانى فحيانى »

(٢) فى نسخة « فكم »

فكتبت الجواب عنهما : (طويل)

دعى الله من اجلو الأسى بادكاره
خليل رعى عهدي وإن اقصد النوى
اتى نظمه صبأ به شيقا له
فاذهب عنه حزنه وأناله
ومن كابي العباس فضلا ووصفه
فأسأل ربي أن يمن بقربه
ومن قرب آمالي بقرب مزاره
دياري بماضي حكمها عن دياره
يعاني الأسى في ايله ونهـاره
من البر والتأنيس فوق اختياره
يزيد على الاخبار عند اختياره
وينظم منا الشمل بعد اتـثاره

وكتب صاحبنا الفقيه الاديب أبو القاسم بن محمد بن الملجوم
هذه الايات : (بسيط)

اذكى السلام وازكاه واسراه
يمر مر نيمات الصباح على
من ذي وداد وذي شوق وذي كلف
يشي وينك ود ألم اخنه ابا
نفسى فداك نعن شط المزار لقد
ولم اطق ذكر ما القاه من حرق
يعطر العنبر الشحري (١) مسراه
ذاك المحيا اعز الله محياه
يحبك (٢) الدهر يا من لنت انساه
محمد فازعه انسي لارءاه
ادنتك من كبد المشتاق ذكرا
ومن أسى فيك بعد البعد القاه

(١) وفى بعض نسخ « الندى »

(٢) فى جميع النسخ « يحييت » ولا يستقيم عليه الوزن

لكن اعلل آمالي فأنشدُها لكم من امور صعب فرج الله
فلا تزال تحياتي مرددة عليك ما رددت ذكرك افواه

فأجبه بقولي : (بسيط)

حي الفؤاد على بعد فاجيـاه خيل ابت غير حفظ العهد علياه
اهدي إلي سلاماً من لدينه فقد اهدي إلي الأمانني حين أهداه
وقد كساني ثياب الانس ضافية طرس كسته ثياب الوشي يُمناه
دنا فادني سرورا كان قبل نأى وصادف الحزن ذا قرب فأقصاه

قد استوى الناس في استحسان جملته لما استوى لفظه حسنا ومعناه
يا غائباً حاضراً في حال غيبته فكلماشئت ان القاه القاه

امّ الوداد الذي قررت صحته فإني مثل ما تزعاه ازعاه
ما حلت عن حب من اجبت منقلبا ولا نسيت هوى من كنت اهواه

فتق بود صحيح من أخ ثقة باق على حفظ عهد ليس ينساه
ودم ابا القاسم الاسنى حليف علا واسعد وفيز واحو اقصى ما تمناه

وكتب الى الفقيه المتصوف الاديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن
عمر ابن رأس الحجلة : (طويل)

احبة قلبي ذبت في حبكم وجداً ولم استطع للدمع صرفاً ولا رداً

وين مكاننا من الرَّمْل والرَّبِي متالف يُعْني ما يقاد وما يُخْدي
فهل تتأني (١) من جنابكم الصبا فانشق من ارواحها المسك والندأ
فمهدي برؤياكم (٢) وطيب نسيمها يعيش بها في الترب من سكن اللحدأ
سلام على ذاك الجلال فإني رايت سلام الله افضل ما يهتدي
فأجبتة عن ذلك : (طويل)

سلام يحاكي المسك في الطيب والندأ على ماجد قد فاق اهل العلا مجدأ
جاني بطرس منه مشتمل على معان معال لست احصرها عدأ
فقرر ودأ لم يزل متقررأ واهدي من الإخلاص والبر ما اهدي
إذا الناس عدوا كان احلامهم حلي (٣) وافضلهم ذاتا واكرمهم عهدأ
ادام له الله السيادة والعلو واصحبه التوفيق واليمن والسعدأ
ووقف صاحبنا الفقيه الافضل أبو عبد الله محمد الجزري على ما
كتب به الى هؤلاء الاخلاء فكتب الى في أسفل كتبهم : (خفيف)
أيها الماجد الرضا ان نظمي لست ارضى بان يحل لديكا
فعمى الفضل في القبول وفي الصفح اذا الصفح منك صار اليكا
وعليك السلام بدءأ وعودأ ضعف ما سلم الجميع عليك

(١) في جميع النسخ « تأتي » ولا يستقيم عليه الوزن

(٢) في بعض النسخ « برؤياكم »

(٣) وفي بعض النسخ « اعلامه علا »

فكتبت اليه : (خفيف)

ايها الخلل ان نظمتك وافى مبدياً ما من الوداد لديكا
فتمثل جواب خلٍ مُحِبٍ فيك شك نواك مشن عليها
وعلى مجدك الصميم سلام طيب العرف قدر شوقي اليكا
وكتب الى في شهر شعبان صاحبنا الفقيه الكاتب الاديب أبو
عبد الله محمد بن يعيش بهذه الايات مراجعا عما كنت كاتبته به
قبل هذا : (كامل)

في القلب من الم الفراق كلوم فعذابه من اجل ذاك اليم
وللوعة الاشواق بين جوانحي ناراً لها بدماعي تضريم
جربت كل عظمة حكمت بها ايامنا ولصرفها تحكيم
فوجدته دون الذي حكمت به في المعلوات وفي المكارم خيم
أأبا محمد الذي (١) من بعد عبد الله فهو عظيم
اعلم فديتك انني مذغبت عن عيني لم يطرقهما التهويم
وافى جوابك لي فقت مبادرا للقاءه ولمثل ذاك اقـوم
حاز الفضائل والمكارم طرسه فعليه من حلل البهاء رسوم
اهدى لقلبي كمال ما احبته فكأنما هو بالضمير عليم

يني وبين اكابر لك ذمّة
ومودة الآباء يحفظ عهدها
فالله يجمع شملنا بكم على
ومن اليعشي السلام عليكم
رعيي ورعيهم لها معلوم
من كان ذا كرم وانت كريم
خير ويبقى عزكم ويديم
ما مال غصن حين هب نسيم

فراجعته بقولي : (كامل)

الم الفراق على النفوس عظيم
سلي بما أحيت من انبائه
لله إخوان نعمت بقربهم
غاظ الزمان دنونا فاعاده
لكنها الاقدار تجري بالذي
قسماً بما اضرتة من ودهم
ولقد وجدت وقد فقدتهم أسى
ومنعت جفني بعدهم سنة الكرى
ويظن من لم يدر ما بي من أسى
واشد من أسى بفرقتة ابو
من ذا بعبء الصبر فيه يقوم
فلدي قلب بالشجون عليم
زمننا وايام الوصال نعيم
بعدا فشتت شملنا المنظوم
شاء الاله وحسبنا التسليم
اتي لقلبي بعدهم لرحيم
صبري بحكم وجوده معدوم
أني يكون لهائم تهويم
قلبي سليما منه وهو سليم
عبد الاله فقربيه مغنوم

فهو الذي نازعته كأس الهوى صرفا فلا لغو ولا تأثيم
ذو الفضل والعلية والشيم التي وجه الزمان بحسنا موسوم
ذات قد اتسبت بزأكي طبعها للفضل فهو أخ لها وحميم
أخذ الوفاء سجيّة فضيره ابدأ على حفظ الوداد مقيم
ودليل صدق وداده كتب له يصل الوداد ووصولها ويديم
والربّ نظم جاءني من نحوه جمع الفضائل طرسه المختوم
وافى فقرّد (١) ذمّة مرعيّة ورُسوم ودّ عهدهنّ قديم
فإنّ الله يحفظ مجده وكماله وينيله ما يتغي ويروم
وعلى علاه تحيّة لا ينقضي منها ورود نحوه وقدم
تسري معطرة إليه كما سري سحرأعلى زهر الرياض نسيم

وكتب الى في شهر رمضان بعده أيضا بعض أصحابنا الافاضل
بقوله : (طويل)

تحية مشتاق تمرّ به الصبا إلى ذلك المعنى الذي به من اهوى
فبلغ عني من أحبّ تحيّي

وتشكو بطول (٢) البعد لو تنفع الشكوى

(١) في بعض النسخ « يقرر »
(٢) في بعض النسخ « تشكو طول »

وتُعَرِّبُ عنها (١) في الفصون حمائم فتعطف الاغصان من تحتها زهنوا
أخصُّ بها عبد الإله على النوى سراج بني تيجان حقاً بلا دعوى
وكلهم نور لأهل زمانهم

وأخبار أهل الفضل عنهم غدت تُروى
أرى أمد البعد استطال وعمره توالى وأزجوا أنه مبشر عايظونى
وما حال مقصوص الجناح وشوقه يطير به لو كان ينهض أو يقوى
عليك سلامٌ من محب هفت به نوازع شوق تيمت قلبه شجوا
وفى شهر ذى القعدة وصل التعريف بوصول المشاركة الذين كنا
نتظرهم الى حضرة تونس ثم خروجهم منها صجبة حصة عينت
لتشييعهم الى طرابلس ، فبنى مخدومنا على التوجه صحبتهم ، وكان
وصولهم الى طرابلس فى أوائل شهر ذى الحجة ، وفى يوم الجمعة
السادس والعشرين منه كان خروجنا من طرابلس فبتنا بظاهر
المدينة وودعت فى هذا اليوم شيخنا أبا فارس عبد العزيز بن عييد
وأشدته : (بسيط)

سقى ربوعك يا مغنى طرابلس حياً يحييك منه كل منبجس
فكم يد لك فى تأنيس مغترب شطت به الدار عن أنس وعن أنس
اقمتُ فيك على حكم النوى زمنا كأنني فيه للسراء فى عرس

(١) فى بعض النسخ « عنى »

أثوب من اهلك الغر الكرام إلى قوم أوافي لديهم كل ملتبس
ما بين جد وتأنيس بمثلهم ما نأى عن الخاطر استيخاشه ونسي
لو لم يكن لك عندي في الزمان يد اثني عليك بها ما امتد في نفسي
إلا ملاقة من حزت الفخار به عبد العزيز الامام العالم النديس
محيي العلوم ومحظيها ومبرزها من حللي الفاظه في احسن اللبس
ومحريز الشيم الغر التي كرمت ففاه بالمدح فيها كل ذي خرس
يجلو اذا اشكلت في العلم مسألة ذهنا يجلي سناه كل ملتبس
نعمت من قربه لما اتصلت به بوقت انس من الأيتام مختلس
والله يحفظه غوثا لمستبق لكشف نازلة نورا لمقتبس
وأصبحنا من الغد مرتحلين فنزلنا يومنا ذلك بتاجورة وهي قرية
كبيرة عامرة وبها قصر متسع يشتمل على دور كثيرة، وفي وسط
هذا القصر حصن اقدم بناء منه يقال ان حميد بن جارية أبا الجوارى
ابتناه وشارك فيه في العمل بنفسه ليحضر أهل الموضع على اتمامه،
وهو الذي عمر هذه القرية ونقل أهلها اليها من أرض هنالك
تعرف بارض عبد رب (١) وكان ابتداء عمارتها في عام خمسين
وخمسة، وهم يدعون أنهم من العرب ويتسبون الى تميم
ويذكرون أنهم سكنوا الارض المعروفة بارض عبد رب من حين

(١) في بعض النسخ « بارض رب »

الفتح الاسلامي ثم نقلهم منها حميد بن جارية الى هذه القرية
وبتاجورة السفرجل الذي لا يوجد في بقاع الارض مثله وليس
يقرب منه الا السفرجل الموجود بنفزاوة وقد تقدم التعريف بذلك ،
والى تاجورة هذه ينسب صاحبنا الفقيه الحافظ أبو العباس أحمد
ابن عبد السلام الاموي التاجوري لزم سكنى طرابلس وهو أحد
العدول المصدرين بها عارف بالتوثيق وعقد الشروط حافظ للاداب
والتواريخ حسن الخط جدا ، ورد على تونس قبل هذا واجتمعت به
فيها ثم اتصلت ملازمتي له بطرابلس مدة اقامتي بها ، مولده في
العشر الاواخر من رجب سنة خمس وثلاثين وتوفي رحمه الله
بطرابلس في هذا العهد الاقرب وذلك في يوم الاربعاء السابع
والعشرين من شوال من عام ثمان وسبعمائة .

وينسب أيضا الى تاجورة هذه الشريف أبو عبد الله محمد بن
عبد الله الحسيني التاجوري وله بطرابلس وجهاتها شهرة عظيمة ،
وكنت أسمع أخباره من صاحبنا الفقيه أبي العباس وأتوهم أنه من
اهل تاجورة ، ثم وقفت بعد ذلك على ذكره في كتاب « كنوز
المطالب » لابن الحسين علي بن موسى بن سعيد (١) فنقلت هذا الفصل
من كلامه فيه ، قال : « اجتمعت به في حصن الخليل عليه السلام ، وكان
قد أطال السكنى به حتى عرف في المشرق بالخليلي ، وانما يعرف في
المغرب بالتاجوري ، قال : وتاجورة بليدة في شرقي طرابلس كان قد

(١) هو أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن سعيد الغرناطي المتوفى سنة ٦٨٥

أطال المكث بها ، وهنالك جبال كان أهلها يتشيعون فيه بزكواتهم
وهداياهم اليه يفعل فيها ما شاء فسمى به ، وخاف ففر الى المشرق ، قال
وأنا رأيتُه بحصن الحليل وفي مصر وفي دمشق يقرب الطرف بين
الحيل والحوار ، ومائدته منصوبة للصادر والوارد ، وكان الناس
يتعجبون من حديثه في ذلك فبعضهم يقول انه يصنع الكيمياء
وبعضهم يقول انه يصله من جبال تاجورة ما جرت به عادتهم وانهم
ينتظرون أن يقيم بها دعوته ، قال : وأخبرني أن أباد خرج به من الكوفة
وهو ابن سبع فدخل به الى المغرب ورأى في سراكش ثم انتقل الى
تاجورة فسكنها ثم الى المشرق ، وكانت وفاته بدمشق في سنة
اثنين وخمسين وخمسمائة وأنشد مما انشده لنفسه قوله : (مخلع
البيسط)

جربت في الارض كل حَيِّ فلم اجد في الورى كريما
اظن ما في الطروس زورا عساه ان يسخي (١) اللئيم

وقوله ايضا : (طويل)

السنا بنى بنت النبي وعمه وفي الذروة العلياء من آل غالب
ليوث ولكن لا تصاد بحيلة سيوف ولكن لا تسدين لضارب
وانقلنا عن تاجورة يوم الاحد فنزلنا بموضع يعرف بفاق وهو

قصر خرب خال لا عمارة به ، ومنه يوم الاثنين الى وادي الرمل وهو واد متسع عذب الماء لا ينقطع ماؤه في شتاء ولا في صيف ومبدؤه من الجبل قاطعا الى البحر لا بد لكل مشرق يجعل الجبل يمينه أو مغرب يجعله يسرته (١) من قطعه ، وأصل مائه من عيون تتبع في أثنائه تبتدىء من مسافة قريبة من الجبل فتجري قليلا ثم تنقطع ثم تبتدىء بعدها عيون أخرى فينتهى ماؤها الى البحر ولا يعم الماء جميع الوادي الا في وقت الامطار عند نزول السيول من الجبل وفي عاليه عند سفح الجبل قصر يعرف بصييار - بكسر الصاد المهملة تليها ياء معتلة ثم باء مفردة - وهو معمور وكان نزولنا من هذا الوادي في أسفله بمقربة من البحر وعلى مسافة يسيرة من هذا المنزل الذي نزلنا به ، بينه وبين البئر المعروفة بيئر طشانة - بضم الطاء المهملة وتشديد الشين المعجمة - قبر يعرف هذا الموضع به فصار القبر اسما علما له وهو لرجل من العرب ثم من دباب ثم من بنى عيسى منهم ، واسمه شهوان بن عيسى بن عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب ، وكان هذا الرجل ذا رئاسة في قومه وصيت بعيد واشتهر بالكرم فلم يذكر معه في وقته غيره وفيه يقول شاعر العرب : (طويل)

حَمَى الارض شهوان بن عيسى بن عامر

وعرض الفتى إن ضيَع المجد تالفُ

(١) وفي بعض النسخ « ميمنة » و « يسرة »

والاعراب الان اذا نزلوا هناك ولم يكن لهم زاد قاموا على قبره
فنادوا : يا شهوان اقر اضيافك ، فيذكرون أنهم لم يبيتوا قط دون
عشاء اما بصيد يتاح لهم أو بضالة يلقونها أو بغير ذلك وهذا أمر
حدثني به جماعة منهم وهو مشابه لما يذكره المؤرخون عن حاتم
الطائي أنهم كانوا ينزلون بقبره فيقريهم وفي ذلك يقول الشاعر
يمدح عدى بن حاتم : (طويل) (١)

ابوك ابو سَفَانَةَ الخَيْرُ لم ينزل لَدُنْ شَبِّ حَتَّى شَابَ فِي الحَيْرِ رَاغِبَا
قَرَى قَبْرَهُ الاضْيَافَ إِذْ نَزَلُوا بِهِ وَلَمْ يَقْرِ قَبْرَ قَبْلَهُ الدَّهْرَ رَاكِبَا

وحكى أبو عبيدة قال : نزل أبو الحيرى فى نفر من قومه بقبر حاتم
فجعل يناديه : يا أبا عدى اقر اضيافك ، فقال له قومه فكيف تنادى رمة
بالية فقال ان طيئا تزعم أنه لا ينزل به أحد قط الا قرأه فناموا فانتبه
أبو الحيرى مدعورا ينادى وا راحلتاه ، فاستفهمه أصحابه عن أمره
فقال : خرج حاتم بالسيف وأنا أنظر حتى نحر راحلتى فنظروا الى
راحتته فاذا هى تشحط فى دمها (٢) فقالوا له : قد والله قرأك ، وأخذوا
ياكلون من لحمها ما شأؤوا ثم ارتحلوا صباحا فنظروا الى راكب
يقود بعيرا وهو يسأل عن أبى الحيرى فتعرض له أبو الحيرى فقال
له : « أنا عدى بن حاتم وان حاتما أتانى الليلة فذكر أنك استقرتته وهو

(١) راجع ديوان حاتم (طبع لبيبك) ص ١١

(٢) فى بعض النسخ « فى دمانها »

يشدك (١) (متقارب)

ابا الخيبري وانت امرؤ لنؤوم العشيرة ظلامها
اتيت بصحبيك تبغى القرى لدى حفرة صدحت هامها
أتبغى لي الذم عند المبيت وحوالي طي وانعامها
وانا لنشبع اضيافنا ونأتى المطي ونعامها

وقد أمرني أن أحملك على بعير مكان راحلتك فدونكه ،

وانتلقنا من وادي الرمل يوم الثلاثاء فنزلنا بالعين المعروفة بعين (١)

تأمدنت - بالتاء الصحيحة المثناة وبكسر الميم وكسر الدال المهملة

وسكون النون - وهي عين متسعة عذبة الماء يتضمنها (٣) واد متسع

يشتمل على غابات مشتبكة من الابا والقصب والى جانبها أحساء ماء

تشابهها في العذوبة، فأقمنا عليها يومنا ذلك ومن الغد، واستهل علينا

شهر المحرم مفتتح عام تسع وسبعمائة ونحن مقيمون بها

ثم ارتحلنا عنها صباح يوم الخميس الثاني لشهر المحرم فسلطنا بين

غيطان وأودية قد عم قاعتها الشجر المعروف بالعرش وهو شجر ناعم

النبات شديد الخضرة يضرب الى سواد ما، وهو ينبت صعدا وله

أوراق عظيمة ونور مشرق حسن المنظر كنواز الدفلى وثمره أخضر

كالأترج تملأ الواحدة يد حاملها وهي مملوءة بشيء يشبه القطن

(١) راجع ديوان جاتم ص ١١ وص ٩٣ - ٩٤

(٢) في بعض النسخ بغير « عين »

(٣) في بعض النسخ « ينتظها »

تسميه العرب الحرفع - بضم الحاء المعجمة وسكون الراء وضم الفاء -
ربما حشيت منه المرافق والوسائد ، وأخبرني من أثق به أنه رأى ثيابا
صنعت منه

وأشد أبو حنيفة قول الشاعر وشبهه به لغام ناقته : (بسيط)

يضحي على خطمها من فرطها زبدٌ كأن بالرسّ منه خرفعا نديفاً (١)

ولذي الرمة في مثله (٢) (طويل)

تطير اللغام الهيبان كأنه جنى عشر تنفيه اشداقها الهندلُ

الهيان الخفيف المتناثر ، وعود العشر خوار ضعيف أجوف مستو ،

ولذلك تشبه به العرب سوق النساء واذرعهن قال طرفة (٣) (طويل)

كان البرين والدمالج علقت على عشر او خرووع لم يخض

البرين الخلاخل ، واحدها برة

وقال ذو الرمة في مثله (٤) (طويل)

كان البرى والعاج عيجت متونه على عشر نهى (٥) به السيل ابطح

والعشر لا يأكله حيوان ، وفي ذلك وفي خضرتة ونعمة نباته

قال عوف (٦) (كامل)

هلا فوارس رخرحان هجوتهم عشرا تناوح في سراحة وادي

(١) اورد صاحب اللسان هذا البيت في الجزء ٩ من ٤٢٢ برواية اخرى

(٢) راجع ديوان ذي الرمة (طبع كنبريج) من ٤٥٨

(٣) راجع معلقة طرفة (بيت ٦٠)

(٤) راجع ديوان ذي الرمة من ٨١

(٥) وفي بعض النسخ « نهس »

(٦) راجع كتاب الاغانى ج ١٠ من ٢٢ واللسان ج ٣ من ٢٧٢ (برواية اخرى)

لا تاكل الابل الغراثُ نباته وعماده لا يجتنى (١) لعماد
تناوح أى تتقابل ، وسرارة الوادى وسطه وهو شجر كثير التيوغ
وليس شئ من النبات على اختلافه أكثر لبنا منه ويجنى منه المغاير
واحدتها مغفور وهو صمغ حلو كريه الرائحة يقال له سكر العشر ،
وفى الحديث : أكلت مغاير ، وهو من هذا ولا تكون المغاير الا فيه
وفى العرفط والرمث والثام ، والثام أكثرها مغاير ، وليس فى
كلام العرب مفعول بضم الميم الا مغفور هذا ، ومغرود بالغير المعجمة
لضرب من الكمأة ، ومنحور لغة فى المنحر ، ومنابت العشر القيعان
وبطون الاودية وقد يثبت بالزمل قال ابن البيطار فى أدويته : ولم أر
شيئا منه فى بلاد الاندلس وأول ما وقفت عليه بظاهر طرابلس
الغرب بالجهة الشرقية منها يشير الى هذا الموضع ، ثم قال بعد ذلك :
رأيت بديار مصر بظاهر القاهرة ، انتهى كلامه

وكانت العرب تستجلب المطر اذا احتبس عليهم بشجر العشر هذا ،
وذلك ضرب من السحر ، يعمدون الى شجر العشر وشجر السلع بفتح
السين واللام فيأخذون منها أغصانا يجعلونها فى أذنان البقر
ويشعلون النار فيها ثم يضعونها الى الجبل فيزعمون انهم يمتطرون
من وقتهم ، وقد اشار الى ذلك أمية بن أبى الصلت فى قوله :
(خفيف) (٢)

(١) فى نسخة د ينتهى ،
(٢) راجع ديوان أمية بن أبى الصلت ص ٤٥ وكتاب شعراء النصرانية للاب لويس شيخو -
ج ١ - ص ٢٣٦ - ٢٣٥

سَنَةَ أَزْمَمَةٌ تَخْيَلُ بِالنَّاسِ تَرَى الْعِضَاءَ مِنْهُمْ صَرِيرًا
لَا عَلَى كَوْكَبِ يَنْوَى وَلَا رِيحِ جَنُوبٍ وَلَا تَرَى طُخْرُورًا
وَيَسُوقُونَ بِأَقْرَبِ السَّهْلِ لِلطَّوْدِ دِ مَهَازِيلَ أَوْشَكَتْ أَنْ تَبُورًا
عَاقِدِينَ النِّيرَانَ فِي ثُكُنِ الْإِذِ نَابَ مِنْهَا لَكِي تَهَيِّجَ الْبُحُورًا
سَلَمًا مَّا وَمِثْلَهُ عَشْرًا مَّا عَائِلًا مَّا وَعَالَتِ الْبِقُورًا
تَخِيلُ بِالنَّاسِ أَي تَطْمَعُهُمْ فِي الْمَطَرِ ، وَالطُّخْرُورُ الْقِطْعَةُ مِنْ
السَّحَابِ بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَبِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْبِقُورُ جَمَاعَةُ الْبَقْرِ

وقال الشاعر يعيب عليهم فعلهم هذا : (بسيط)

لَا دَرٌّ دَرٌّ رُجَالٌ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَجْلِبُونَ نَزُولَ الْغَيْثِ بِالْمُشْرِ
أَجَاعَلٌ أَنْتَ بِقُورًا مَسْلُومًا وَسِيلَةَ لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ
ونزلنا يومنا ذلك بالعين المعروفة بعين فارة ، وهذه العين أعذب
من الأولى وهي بواد حسن المنظر شارح للنفس ، وقبلها (١) عين
أخرى جارية إلا أنها أضعف جريا منها يجري ماؤها فينتهي إلى هذه
العين وتجتمع منه بركة ماء متسعة قد ظللتها غابة مشتبكة من شجر
العرعر والضرو والخروع وغير ذلك ، ثم يجري الماء من تلك البركة

(١) وفي بعض النسخ « وقبلها »

جريا قويا ينتهي الى البحر ولا يجرى الماء فى أعلى هذا الوادى الا فى وقت الامطار ، وهناك القصر المعروف بقصر فارة سمي باسم قوم من البربر سكنوه يعرفون ببني فارة وبهم سميت العين ، وهو الان خال لا عمارة به ، ويقابله من أعلى الوادى القصور المعروفة بقصور الورانيز - بالراء والنون والزاي - وهم قوم من هراغة نزلوا بتلك القصور قديما فأجلتهم العرب وأخلتها منهم فانتقلوا منها الى أرضهم المعروفة بهم التي بين تاجورة وطرابلس والقصر المعروف ببني خيار ، وهو أيضا خال خرب أجلت العرب أهله فانتقلوا الى المحرس بين قابس وصفاقس وقد تقدم ذكر ذلك عند ذكرنا للمحرس

وعرض لى فى هذه الايام عارض مرض رجوت أن يهون أمره فاشتد ، ورمت أن يقصر أمده فامتد ، وبلغ منى فى هذه المنزلة أشد مبلغ ، فأقام مخدومنا والشارقة وجميع الركب بسببى هنالك خمسة ايام رجاء أن أجد ابلا لا ، أو أطيق معهم ارتحالا ، فلم تسعف الاقدار بذلك ، فغزم على مخدومنا فى الرجوع من هنالك ، فلم أطب بذلك نفسا وأظهرت تجلدا وقوة تكلمت بها الارتحال معهم ، فنزلنا بالعين المعروفة بعين ودرس - بكسر الواو وسكون الدال المهملة وكسر الراء - وهكذا تنطق العرب بها والبربر يلحقون هذه اللفظة تاء ساكنة (١) على ما نحو المعروف من كلامهم ، وأمام هذه

(١) فى بعض النسخ بزيادة « فيقولون تودرس »

العين على اميال يسيرة منها القرية المعروفة بغائمة - بالغين المعجمة والنون - وهي الان خالية لا عمارة بها وبها قبر الشيخ الفقيه ابي الحسن على بن محمد بن النمر وقد تقدم ذكره وسبب سكناه في آخر عمره بهذه القرية الى ان مات بها ، والناس الى الان يزورون قبره ويتوسلون الى الله سبحانه عنده ، ويذكر اهل تلك الجهات ان كل رفقة استصحبت شيئا من تراب ذلك القبر فانها لا يتعدى عليها فهم لا يزالون ينقلون ترابه فيجدده من يقصد الاجر من اهل تلك الجهات او من المجتازين عليه

فاقمنا بهذه العين يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بعده والعللة التي عرضت لي كما تقدم في ابتداء حديثها ومنتهاى شدتها وعجزت بالجملة عن الركوب فلم يكن بد من الرجوع واعتذر لي مخدومنا بان الموضوع لو احتتمل الاقامة اكثر مما اقام به لاقام الى ان اجد الزاحة ، فودعته في هذا اليوم وهو يوم عاشوراء وانقلبت راجعا ، وكانت الحصصه الواصلة من الحضرة صحبة المشاركة بانية على الوصول الى مسرارة فرجعت من هذا الموضوع بسببي ، ونزلنا في هذا اليوم بالبئر المعروفة ببئر ينوت - بضم الياء المعتلة وبالنون والتاء الصحيحة المثناة - وهي بئر معينة عذبة بسفح جبل عال ومنها يتدىء المشرق في قطع الشعراء المعروفة بشعراء قماطة وكانت طريقنا في هذه المرحلة متعالية عن طريقنا الاولى الى جهة الجنوب

وانتقلنا من البئر المذكورة يوم السبت الى الحصن المعروف
بحصن سلمة وهو من ارض مسلاتة فرايت ملجأ ، يذكر سلمى وأجأ ،
وهو على أعلى جبل وقد دارت به دور كثيرة ، وتحف بهذا الجبل
مفارس زيتون وكرم ومزارع وهى كلها فى ثنايا واودية بين
جبال وعرة ، وتحت هذه القرية فى قاعة مستوية قرية صغيرة تعرف
بتاغرمت - بكسر الغين المعجمة وكسر الراء - وبها مباني ضخمة بالنسبة
الى تلك القرى ، وشرب جميعهم من أحياب مملوكة لهم تملأها
السيول المنحدرة من تلك الجبال فى أوقات الامطار ، وما وراء هذه
الجبال من قبليها يسمى بالظاهر ، وما بين يديها من جهة البحر يسمى
بالباطن

فأقمنا بظاهر هذا الحصن ستة أيام آخرها يوم الخميس السادس
عشر الى أن وجدت خفة من المرض ، وارتحنا غدوة يوم الجمعة
السابع عشر مغربين آخذين ذات اليمين مما يلي باطن الجبل فقطعنا
هنالك فى اول المرحلة القاعة المعروفة بقاعة شنيكس - بكسر الشين
المعجمة وكسر النون وسكون الكاف وبالسين المهملة آخرها - وبها
أشجار زيتون متفرقة من بقايا الفرس القديم الذى كان هنالك قبل
الاسلام وهى مثمرة الى الان ، وامتد السير بنا الى وادى الرمل
فكانت هذه المرحلة مشتملة على اربع مراحل مما تقدم لنا فى المسير .
ومنه يوم السبت الثامن عشر الى طرابلس واشتملت هذه المرحلة

أيضا على ثلاث مراحل مما تقدم ، فأقمت بطرابلس خمسة ايام
آخرها يوم الاربعاء الثانى والعشرين منه ، ثم خرجنا عنها فنزلنا يوم
الخميس بزوزور فأقمنا بها يومنا ذلك ويوم الجمعة بعده ، ومنها يوم
السبت الى صرمان وقد ذكرت قبل هذا وعلى هذه القرية غابة
زيتون ممتدة وبها قصر كبير يأوى اليه أهلها وقد حف به حفير
متسع وابتثيت فى أسفل الحفير دور كثيرة لا تسكن الا فى وقت
الامن فاذا خافوا دخلوا الى الحصن

ومنها يوم الاحد الى حصن تليل وقد تقدمت الاشارة اليه ، ومنه
يوم الاثنين الى قرية ولول وقد ذكرت ، ومنها يوم الثلاثاء الى وطن
وقد وصفناها قبل فأقمنا بها ثم ارتحلنا مقربين لمرحلة الغد بعد أن احتملنا
ما يكفينا من الماء فبتنا بالمرسى المعروفة برأس المخبز وقد وصفناه
قبل هذا

وارتحلنا منه يوم الاربعاء فانتهينا الى البئر المعروفة ببئر الزكرة
فبتنا عليها ، ثم ارتحلنا عنها يوم الخميس غرة صفر فنزلنا على المورد
المعروف بخنافس وارتحلنا منه فانتهينا الى المورد الاخر المسمى
بنبش الذئب فلم نجد فيه ماء ولم نحتاج اليه لاننا كنا احتملنا معنا
من الماء ما كفانا عنه ، ووجدنا على هذا المورد ركبا صغيرا قد وصل
اليه قبل وصولنا بأيام يسيرة فلم يجدوا به ماء فهلكوا هنالك جميعا ،
فبتنا حيث ذكر ثم ارتحلنا من الغد فوصلنا الى أجاس وقد تقدم

ذكر هذه القرية ، ومنها يوم السبت الى واد يعرف بوادى الزركين
- بفتح الزاى وسكون الراء وكسر الكاف - وهنالك سوانى (١) لبعض
المرابطين تسقى من آبار هنالك عذبة ، ومنه يوم الاحد الى قابس
فتزلنا برياضها المنسوب (٢) الى عروسيها وأقيمت بها يوم الاربعاء
السابع لصفر .

وفى يوم الخميس الثامن منه كان ارتحالى عنها ، وتاخرت الحصة
عنى من هذه المنزلة منفصلة الى البلاد الجريدية وكان النزول فى
هذا اليوم بالمباركة وقد ذكرت قبل هذا ، ومنها يوم الجمعة الى
المحرس وقد ذكر أيضا ، ومنه يوم السبت الى صفاقس وقد استوفينا
الكلام عليها ، ومنها يوم الاحد الى قرية تعرف بحجاي وهى قرية
صغيرة على نحو هذه القرى الساحلية .

ثم منها يوم الاثنين الثانى عشر لصفر الى المهدية فرأيت
مدينة جليلا قدرها ، شهيرا فى قواعد الاسلام ذكرها ،
وهى بناء عبيد الله المهدي أول خلفاء العبيديين واليه تنسب ،
وكان ابتداء بنائه لها لحمس خلت من ذى قعدة سنة ثلاث
وثلاثمائة ، ولما اكمل بناءها أمن بزعمه على الفاطميات قال
أبو اسحاق ابراهيم بن القاسم الرقيق فى كتابه : « خرج عبيد الله
المهدي بنفسه فى سنة ثلاثمائة الى مدينة تونس فاجتاز على قرطاجنة

(١) كذا فى جميع النسخ

(٢) كذا فى جميع النسخ

وغيرها ومر على جميع السواحل يرتاد موضعاً على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة تحصنه وتحصن بنيه من بعده ، وقد كان عنده علم حدثاني بقيام قائم على ذريته فأقام يلتمس ذلك مدة فلم يجد موضعاً أحسن ولا أحصن من موضع المهديّة فبناها هنالك وجعلها دار مملكته» قال «وكان أول ما ابنتى منها سورها الغربى الذى فيه أبوابها وعند ما وضع أول حجر منه وهو حاضر أمر ناشبا كان بين يديه أن يوتر قوسه ويقف على ذلك الحجر ويرمى سهمه ففعل الرامى ذلك فانتهى السهم الى المصلى ووقع قائماً على نصله فقال النهدي الى ذلك الموضع ينتهى صاحب الحمار يعنى أبا يزيد فقدر أن وصل أبو يزيد الى ذلك الموضع ولم يتجاوزده ،

قال معلم الفتيان (١) فى تاريخه : وأمر المهدي بقياس مسافة هذه الرمية فكانت مائتى ذراع وثلاثة وثلاثين ذراعاً فقال المهدي : هذا منتهى ما تقيم المهديّة فى أيدينا من السنين ، قال : ولما تم بناء السور هنا أولياًؤه بذلك فقال لهم : « ان جميع ما ترون انما عمل لساعة واحدة يعنى ساعة وضول أبى يزيد الى المهديّة ، قال : وكان يقف على فرسه فيأمر الصناع بما يصنعون ، قال : وأمر بعمل باب الحديد للمدينة فجعل صفائح مصمتة ثم أثبتت فيها المسامير فبقيت تتقلقل فقال للصناع : ما عندكم فى هذا؟ فقالوا : لا ندرى ، فأمرهم بتسميرها كذلك ثم أمر بإيقاد النار تحت الباب كله حتى التهب واتصلت المسامير

(١) لعله محرز بن خلف المعلم المتوفى سنة ٤١٣

بالصفائح فعادت كلها قطعة واحدة ، فكان ذلك مما عد من معارف المهدي . ، وهذا تعصب ممن نقله وأدنى معرفة الصانع ان يعرفوا هذا القدر ان كان صحيحا

ولما تم الباب على هذه الصفة أثب اختبار وزنه فكلهم أخبره أن لا سبيل الى ذلك لا فراط ثقله فأمرهم أن يضعوا احدى مصراعيه (١) على ظهر سفينة ففعلوا ذلك ونظر الى منتهى غوص السفينة فى الماء ثم أنزل وشحنت السفينة بالرمل والحجارة الى أن وصل منها ما وصل اولا واستخرج الرمل منها فوزن على كرات فكان وزن كل مصراع مائة قنطار ، وفى كثير من نسخ المؤرخين الف قنطار وكذا حكى أبو عبيد فى « المسالك » ، ولما علموا قدره وحاولوا تركيبه صعب عليهم فتحه وغلقه فلم تكن المائة من الرجال تستطيع ذلك فأمر المهدي أن يكون مداره على الزجاج فهان أمره وعاد الرجل الواحد يتولى منه ما كانت المائة تعجز عنه ، فعجب من هذا كله من (٢) فطنة المهدي ونفوذ فكرته

وأمر المهدي بحفر مرسى المدينة وكان حجرا صلبا فنقر نقرا وجعله حصنا يراكبه الحربية ، وأقام على قم هذا المرسى سلسلة من حديد يرفع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت تحصينا للمرسى من دخول مراكم الروم (٣) وابتنى دار الصناعة

(١) كذا فى بعض النسخ وفى بعضها « احدى مصاريحه »

(٢) فى بعض النسخ « ومن »

(٣) فى بعض النسخ من « طروق مراكب الروم »

وهى من عجائب الدنيا ، ثم شرع فى حفر الاهراء بداخل المدينة
وبنى الجباب والمصانع واخترن الاهراء بالطعام وملا الجباب بالماء
ثم أمر بحفظها ولم تفتح الا فى أيام ابى يزيد ولولا ذلك لما أطاقوا
الحصار ، وكان اتساع المهديّة فى أول بنائها من الجوف الى القبلة
قدر غلوة سهم فاستصغرها المهدي عند ذلك فردم من البحر
مقدارها وأدخله فى المدينة فأتسعت ، والجامع الاعظم الان والدار

المعروفة فى القديم بدار المحاسبات من جملة ما ردم من البحر
واخذ عيد الله فى بناء قصوره بها فبنى قصره الكبير المعروف به
الذى كانت به طيقان الذهب ، وبنى ابنه ابو القاسم بازائه قصره
المعروف به ايضا وبينهما فسحة ، وبشرقى قصر عيد الله حيث كان
هى دار الصناعة الان

ولما كمل سور المدينة وقصورها أراد عيد الله الانتقال اليها
فثقل ذلك على أوليائه وجنده وصعب عليهم استبداله بالموضع الذى
استوطنوه ، فقال لهم : ان صعب ذلك عليكم فنحن ننتقل وشارككم
هاهنا ونجرى عليكم الارزاق والصلوات وعمّا قليل ستنتقلون الينا
مسارعين ، قال المؤرخون فلم يكن بعد ذلك الا زمان يسير حتى
أرسل الله السماء بمطار غزيرة أخربت مساكن رقادة وأهدمت
دورها وأهلكت خلقا عظيما من أهلها فخرج الناس فى الاخبية
والفازات ، وكتبوا الى المهدي يسألونه الانتقال الى المهديّة فأجابهم
الى ذلك فانتقلوا اليها وتمت عمارتها

وقالت الشعراء في تهنئة المهدي بها فأكثروا ، ومما استحسن في ذلك قول ابن بديل الكاتب : (كامل)

بُنِيَتْ لَدَى اقْصَى المَغَارِبِ دَارٌ قَطَطَتْ بِهَا الاحْرَارُ وَالابْرَارُ
لَا ذَبَّ يَبْرُدُ المَاءُ لَمَّا انْ دَرَّتْ اَنْ القُلُوبَ عَلَى الحَسِينِ حِرَارُ
وَأَنْزَلَ المَهْدَى جَنْدَهُ وَخَاصَتَهُ فِيهَا وَابْتَنَى لِعَامَةِ النَاسِ المَدِينَةَ
الْآخَرَى المَسْمَاةَ بِزَوَيْلَةَ وَهِيَ اَحَدَى المَدِينَتَيْنِ وَبَيْنَهُمَا قَدْرُ غَلْوَةِ سَهْمٍ
وَجَعَلَ الاسْوَاقَ وَالفَنَادِقَ فِيهَا وَادَارَ بِهَا خَنَادِقَ مَتْسَعَةً تَجْتَمِعُ بِهَا مِيَاهُ
الْامْطَارِ ، فَكَانَتْ كَالرَبِضِ لِمَدِينَةِ المَهْدِيَّةِ ، وَقَدْ كَانَ المَعزِ بْنِ بَادِيسٍ
جَعَلَ عَلَيْهَا سُورًا عِنْدَ دُخُولِ العَرَبِ اِلَى اَرْضِهِ سَنَةَ اَرْبَعٍ وَاَرْبَعِينَ
وَاَرْبَعِمِائَةَ ، وَقَدْ خَرِبَتْ هَذِهِ المَدِينَةَ الْاَنَ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا اَثْرٌ ، وَكَانَ
بِخَارِجِهَا الحِمَى المَعْرُوفَ بِحِمَى زَوَيْلَةَ وَكَانَ كُلُّ جَنَاتٍ وَبَسَاتِينٍ
بِسَائِرِ الثَّمَارِ وَاَنْوَاعِ الفَوَاكِهِ فَاْفْسَدَتْهُ العَرَبُ كَمَا تَقْدُمُ

وَأَقَامَ المَهْدَى سَاكِنًا بِمَدِينَةِ المَهْدِيَّةِ مَدَّةَ حَيَاتِهِ ثُمَّ مَاتَ بِهَا سَنَةَ
اِثْنِينَ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِمِائَةَ ، فَوَلَّى ابْنَهُ اَبُو القَاسِمِ القَائِمُ فِي آخِرِ دَوْلَتِهِ
ثَارَ عَلَيْهِ اَبُو يَزِيدَ مَخْلَدُ بْنُ كَيْدَادِ النَكَارَى وَقَدْ قَدِمْنَا فِي هَذَا
التَّقْيِيدِ صَدْرًا مِنْ حُرُوبِهِ مَعَهُ ، فَمَا زَالَ يَفْتَتِحُ المَدَنَ وَيُخْرِبُ البِلَادَ
اِلَى اَنْ افْتَتَحَ القَيْرَوَانَ وَهَزَمَ جَيْشَ القَائِمِ الْاَعْظَمَ ، وَاَقْبَلَ يَرِيدَ حِصَارِ
المَهْدِيَّةِ وَكَتَبَ اِلَى اَهْلِ البِلَادِ الْبَدَاخِلِيِّينَ تَحْتَ طَاعَتِهِ يَسْتَنْفِرُهُمْ
لِحِصَارِ المَهْدِيَّةِ وَذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَثَلَاثِمِائَةَ ، فَعَلِمَ القَائِمُ بِذَلِكَ

فأمر بحفر خندق حول أرباض المهديّة وزويلة ، ووصل أبو يزيد في جيوشه فأحاط بالمهديّة وكان جيشه بموضع يعرف بخربة جميل على أميال قريبة منها ، فكانت خيله تصل الى أرباضها فتقتل وتنهب فلجأ جميع الناس الى المهديّة واخلوا أرباضها

وأبصر القائم ذيت يوم غرة من أبي يزيد لتفرق أكثر جيشه للنهب فأخرج طائفة من جنده الكتاميين وغيرهم فقصدوا أبا يزيد وسبق الخبر بذلك الى أبي يزيد فوافق وصول ابنه فضل اليه بجمع عظيم من ضريسة فأمرهم بلقائهم وأن يكف عن قتالهم ما كفوا عنه فان أبوا الا قتاله وجه اليه من يعلمه بذلك فالتقوا بالموضع المعروف بسوق الاحد وهو فيما بين المهديّة ومعسكر أبي يزيد وسطاً ، فأبى الكتاميون الا قتال فضل فوجه الى ابيه يعلمه بذلك فركب أبو يزيد من حينه بجميع من معه فوافقهم وهم يقتتلون وقد هزم ابنه فضل وقتل جماعة من أصحابه فلما رآه الكتاميون انهزموا من غير قتال ولجأوا الى المهديّة فدخلوا اليها

ووصل أبو يزيد في اثرهم الى أن اشرف على المهديّة فأحب نقل فازاته الى موضعه ذلك ، فأشار عليه أصحابه بالرجوع الى معسكره وان تكون اقامته به الى أن يستقضى الامور فرجع اليه وأقام هناك أياماً ثم انتقل منه وزحف الى المهديّة فوصل الى خندقها واقتحم الماء بمن معه فوصل الماء الى صدور خيلهم ، وجيوش القائم في ذلك كله

متقهرة عنه ووصل ابو يزيد بنفسه في تلك الحظرة الى مصلى
المهدية فلم يبق بينه وبين المهدي الا رمية سهم حسبما
انذر به المهدي عند بناء سورها ، فلما رأى الناس
ذلك لم يشكوا في تغلبه على المهدي ، فاجتمعوا الى القائم
وعظموا له الامر وسألوه الخروج الى ابي يزيد فقال لهم : انه قد بلغ
الى أقصى غايته ولن يتجاوزد ولينجزن الله وعده ، ثم قال لبعض من
بين يديه : اصعد الى السور فاذا رأيت ابا يزيد انتقل عن مكانه من
المصلى فاشر لنا باشارة نعرف ذلك بها ففعل الرجل ما أمر به ، ولما
أشار لهم قال لهم القائم : أبشروا فلن يعود أبو يزيد الى مكانه ذلك
أبدا ، وانتقل أبو يزيد الى الموضع المعروف بترنوط وهو على خمسة
أميال من المهدي فمسك هنالك ، واتصل حصاره لها فقتل بين
الفريقين في ذلك على توالي الايام أمم لا تحصى أكثرها من جيوش
القائم

وذكر البكري أن في كتاب الحدائق : « اذا ربط الخارجي خيله
بترنوط ، لم يبق لاهل السواد محلول ولا مربوط ، أهل السواد أهل
الساحل قال وفيها أيضا : « ويل لاهل السواد ، من محلة ابن
كيداد ، ويقال من مخلد بن كيداد (١)

ولما طال على جند أبي يزيد المقام وسئموا التغرب على بلادهم
وتحققوا حصانة المهدي وامتناعها عنهم انفصلوا عن أبي يزيد

(١) راجع المسالك والملك للبكري « طبع الجزائر ، ص ٣١

بأجمعهم فلم يبق معه الا طوائف من هوارة وزناتة ، فحينئذ أقطع عن المهديّة وذلك في صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، ومات القائم في آخر هذه السنة وأبو يزيد محاصر لسوسة وقد قدمنا ذكر ذلك قبل هذا

فولى بعده ابنه ايماعيل الملقب بالمنصور ، فبادر بانفاذ جيش برى وجيش بحرى الى أبى يزيد بعد أن أحب النهوض بنفسه فمنعه أولياؤه منه ، فتوجهت جيوشه الى سوسة وكان ما أخذه التحصيل من جند أبى يزيد المحاصرين لها حسبما قدمنا قبل هذا مائة الف خص يسكن في الحص الواحد الثلاثة والاربعة فصاعدا ، وكان جيش القائم البرى أربعمائة فارس لا تزيد على ذلك فهجموا على عسكر أبى يزيد في يوم كثير الغيم وأطلقوا النار في مجتمع حطب كان هنالك فتطير شرارها الى أخصاص أبى يزيد فأظلم الجو وتخاذل البربر وانهمزوا واسلموا أبا يزيد ، فقتل من أتباعه أمم كثيرة وتوجه أبو يزيد منهزما الى القيروان فلم يقبلوه وقتلوا جماعة من أصحابه فهرب عنهم

وخرج المنصور من المهديّة في طلبه بشجاعة قوية قال المؤخون ، فلم يزل يهزمه ويقتفى أثره الى أن أخذه جريحا في جبل كيانه (١) وذلك في شهر المحرم من سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، فسليخ جلده وجعل فيه ما ملأه حتى عاد صورة هائلة فطيف به من جبال صنعهاجة

(١) في بعض النسخ « كيانه » وفي بعضها « كتامة »

بالمغرب الاوسط الى المهديّة (١) ثم صلب بها الى أن مزقته الرياح بعد ان مزق شبل العالم في البلاد ، وكان يبيع دم أهل القبلة ويستحل الفروج ويفعل في الاسلام أشد ما يفعل في دار الحرب ولما تم للمنصور أمره ولم يبق له من ينازعه أحب الانتقال من المهديّة الى مدينة صبرة وهي ملاصقة للقيروان، وقد كان بنى سورها وجعل فيها قصرا لنفسه فكان انتقاله اليها أول سنة سبع وذلك أصل تسمية صبرة بالانصورية ، ولم تنزل صبرة دار ملكهم الى أن انتقلوا الى مصر فتغلب المعز ابنه عليها سنة اثنين وستين وثلاثمائة ، فصير ولاية افريقية الى زيري بن مناد الصنهاجي ، فسكنها هو وبنوه الى أن خالف المعز بن باديس علي بنى عبيد وصرح على المنابر بلعنهم وذلك سنة اربع وأربعين وأربعمائة ، فجهز اليه وزيرهم المعروف باليازوري الاعراب الذين غلبوا على أمره وأخذوا أكثر بلاد من يده ، وقد تقدم بسط ذلك كله والاشارة الى بعض حروبهم معه في أثناء هذا التقييد

فلما رأى المعز اختلال الاحوال وتغلب الاعراب على البلاد علم أن صبرة لا تحصنه منهم ، فبنى على الانتقال الى المهديّة فولى ابنه تميما عليها وذلك سنة خمس وأربعين وجعل ينقل اليها أهله وذخائره شيئا فشيئا ، وقد كان رجاله وخاصته حذروا من تولية ابنه تميم وخوفوه أن يستبد بنفسه ويمتنع بالمهديّة على أبيه فلم يسمع منهم ،

(١) ونرى بعض النسخ « الى وسط المهديّة » .

ووصل تميم الى المهديّة فوجد بها عبيدا لايه قد كان أعدهم هنالك
لضبطها قد قويت شوكتهم و أكثر ملأهم فوقعت بينهم وبين عبيده
فتنة ومنازعة ، فينمطهم في ذلك اذ دخل عليه شاعر محمد بن حبيب
القلانسي فأنشده قصيدة منها : (بسيط)

السيف يسبق قبل الحادث العَدَلَا لا تُغْمِدِ السيفَ حَتَّى تَقْتُلَ السَّفِيْلَا
نَقِيْلُ عُدَاتِكَ مِنْ دُنْيَا لِآخِرَةِ فَكَلِمُهُمْ ظَنُّ هَذَا الْمَلِكِ مُنْتَقِلَا
فحركة لآبادة أولئك العبيد فأطلق عليهم أيدي العامة فقتلوا
أكثرهم وفر من بقى منهم الى المعز بصيرة فأتبعهم تميم طائفة من
الاعراب لحقوهم قبل وصولهم الى صبرة فقتلوهم أجمعين ، وبلغ
المعز ذلك فقوى في نفسه ما كان يذكر له عن تميم من الاستبداد
والاستئثار بما حصل لديه من الذخائر ولكنه لم يجد بدا من مداراته
والاغضاء له عن فعلته هذه .

فلما كانت سنة تسع وأربعين توجه المعز الى المهديّة في خفارة
رجلين من العرب قد كان صاهرهما بيته يعرف أحدهما بالفضل
ابن أبي علي وهو مرداسي ، ويعرف الآخر بفارس بن أبي الغيث
توجهها اليه فاستخرجاه من صبرة سرا ، وأحس باقى الاعراب بخروجه
فلحقوه في أثناء الطريق فواقفهم فارس بن أبي الغيث في جماعة من
قومه وجعل يؤنبهم على الاستخفاف بخفارته ، فقالوا له انك قد
أعظمت التحامل علينا في خفارة مثل المعز وتركتنا له عظيم والفائدة

فى أخذه كبيرة فلا تمنعنا منه ، فلم يزل يوافقهم ويراجعهم الى أن
خلص المعز وصاحبه الفضل بن أبى على ودخل المهديّة ، ويقال انه
قد كان أخرج بعض قطعه البحرية وسيرها فى البحر محاذية له
خوفا مما عساه أن يعرض له فى طريقه ، فلما لحقه الاعراب كما
قدمنا ناداه أرباب القطع بالبدار اليهم ليغتصم بالبحر من أولئك
الاعراب فلج فى السير وبنى من الدخول اليهم أنفة منه وجلدا الى
أن خلس وحصل بالمهديّة . ودخلها وهو خائف من ولد تميم ان
يقبض عليه ، فخرج تميم للقائه وترجل وقبل الارض بين يديه ومشى
أمامه ولم يزل فى خدمته وبرد الى أن مات المعز سنة أربع وخمسين ،
فحينئذ استبد تميم بالملك وغلبه الاعراب على أمره فلم يكن له الا
ما ضمت (١) أنسوار بلده خلا أنه كان فى بعض الاحايين يحالف
فريقا من الاعراب فيجد انسيل بذلك الى الخروج لقتال من يقصده
وحصار من يشور عليه ببلد من بلادده ، وقد قدمنا أن حمو بن مليل
البرغواطى ثار عليه بصفاقس واستبد بها وأراد الوصول الى المهديّة
لمحاصرته فخرج تميم للقائه فالتقيا بظاهر المهديّة فهزمه تميم وعاد
حمو الى صفاقس خائبا فأتبعه تميم ابنه يحيى فحاصره بصفاقس
واستوفينا ذلك عند ذكره لصفاقس

ولما كانت سنة ست وسبعين واربعمائة وصل لحصاره ابراهيم
بن محمد الثائر بقابس ومعه جمع عظيم من الاعراب أميرهم مالك

ابن علوان (١) الصخرى، فنزلوا على المهديّة فارسل تميم الى احنلافه من الاعراب أموالا فهجموا على عسكر ابراهيم وخرج تميم بمن معه من جنده فهجم عليه من الجهة الاخرى فانهزم ابراهيم هزيمة فاحشة ورجع ابراهيم الى قابس وفر ابن علوان الى القيروان فتوجه اليه تميم ومن معه من الاعراب فحصره بها الى ان خرج منها تحت الليل هاربا ثم عاد تميم الى المهديّة

فلما كانت سنة ثمانين واربعمائة وقع ما وقع من نزول اهل بيش وجنوة من النصارى على المهديّة فاستولوا عليها وعلى زويلة وسبوا أهلها وقتلوا من شاؤوا منهم واحرقوه بالنار، وكانت عدة القطع التي نزلوا بها عليها ثلاثمائة قطعة تجتمع على ثلاثين الف مقاتل، قال أبو الصلت: « وكسفت الشمس في هذا العام ببرج الاسد طالع تخطيط المهديّة كسوفاً كلياً فجرى بها هذا الواقع باثر ذلك، قال: « وكان من أعظم الاسباب فيه مع قضاء الله الذى لا يرد ومشيئته التي لا تدفع غيبة عسكر السلطان عن المهديّة ومفاجأة الروم دون استعداد لهم وأخذ أهبة للقائهم وخلو كافة الناس من الاسلحة والعدد وقصر الاسوار وتهدمها وتكذيب تميم مع ذلك بما يرد عليه من اخبار النصارى وسوء رأى فلان متولى تدبير البلد (١) اذ ذاك في المنع من الخروج اليهم ولقائهم في الماء فتركوا الى أن نزلوا في البر فكان من تغلبهم على المهديتين وعيشتهم فيهما ما هو مشهور

(١) فى بعض النسخ « ملك بن علوى » وفى بعضها « ملك بن علوا »

(٢) وفى بعض النسخ « متولى البلد ومدبرها »

معلوم ، قال : « ولجأ تميم الى قصره المعروف بقصر المهدي ، وهو قصر
حصين فأقام به الى أن وقع الصلح بينه وبينهم على مائة الف دينار تدفع
لهم ويقلعون بما حصل في أيديهم من المسلمين فدفعت لهم وأقلعوا
باموال المسلمين ونسائهم وابنائهم » قال : « وقد استوفى وصف ذلك
كله أبو الحسن علي بن محمد بن الحداد في قصيدة طويلة اولها :
(منسرح)

أنى يلتم الخيال و يقف
وبين اجفاننا نوى قدف
ويقول فيها :

غزا حمانا العدو في عدد
عشرون الفا ونصفها ائتلفوا
جاؤوا على غيرة إلى نفر
وهم من العيش في بلهنية
فايقظوا من سبات غفلتهم
في سفن كالجمال يس لها
هبت رخاء رياحها فجرت
فإن وئت في الهبوب حر كها
هم الدبا كثرة او النعف
من كل اوب لبسما ائتلفوا
قد جهلوا في الحروب ما عرفوا
وليس للدهر أعين حرف
لهم عيون اجفانها رهف (١)
إلا من السمر والطبي ثعف
كما اشتهوا وهي عندنا عصف
مجادف كالصلال تلتقف

(١) في بعض النسخ « وض »

وأقام تميم بعد ذلك بالمهدية الى أن مات بها سنة احدى وخمسمائة ، فولى ابنه يحيى فكان مما حدث فى أيامه من الاسباب المؤدية الى تغلب النصارى على المهديّة التغلب الثانى الذى أدى الى انقراض دولة صنهاجة منها أن نصرانيا اسمه جرجير ابن فلان الانطاكى كان قد هاجر من المشرق الى تميم ، وكان قد عرف لسان العرب وبرع فى الحساب وتهذب بالشام بانطاكية وغيرها ، فحكّمه تميم فى دخله وخرجه وجعل مصارف الاموال لنظره فصارت أموال المسلمين كلها فى يده وأيدى أقاربه ، وكان الاتساع فيه من الاموال ، فلما مات تميم خاف هذا النصرانى من يحيى فخطب لجار صاحب صقلية واعلمه أنه يجب الانتقال اليه فوجه لجار اليه قطعة أظهرت أنها وصلت فى رسالة فخرج هذا النصرانى وأقاربه فى يوم جمعة عند اجتماع الناس للصلاة وتزيوا بزي البحرين فطلعوا اليها وتم لهم أمرهم ، فلم يفتن الناس لهم الا وقد أقلموا ولما وصلوا الى صقلية حكّمهم عبد الرحمان النصرانى صاحب اشغالها فى الجبايات فنصحوا وأظهروا ، واحتاج لجار أن يوجه رسولا الى مصر فأشار عليه عبد الرحمان بجرجير هذا فأرسله فنصح وأقبل بذخائر ملوكية أحظته عند لجار

ثم مات يحيى بن تميم بالمهدية سنة تسع وخمسمائة ، وولى بعده ابنه على بن يحيى فوَقعت الوحشة بينه وبين لجار بسبب السفينة التى أنشأها رافع بن مكى بن كامل بقابس حيث منع منها على ،

فاستنصر رافع بلجار فوقعت المقاتلة بين أسطول علي وأسطوله
بسببها وقد تقدم ذكر ذلك مستوفى عند ذكرنا لقابس ، ووصل
بأثر ذلك رسول جبار الى علي يقتضى أموالا كانت تثقت له
بالمهدية، وكان علي عند تلك الوحشة قد أمسك وكلاء فسرّحهم له
علي ووجههم اليه بأمواله فلما وصلت اليه وجه رسولا ثانيا بمكاتبة
فيها اغلاظ وتهديد وتقصير على العادة وإساءة في الأدب ، فأغضب
ذلك عليا وصرف رسوله دون جواب ، وبلغ عليا ان النصراني
يتهدده ويوعده فأمر باستجداد الاساطيل والاستعداد لقتاله فأنشأ
اسطولا قويّ انفس الناس به ومدحته الشعراء بسببه فقال محمد
ابن بشير من قصيدة له : (طويل)

واعددت للاعداء كل مضمصم يسير إليهم قاصدا وهو أهوج
كمثل الرواسي منعة غير انها على ثبج الدماء تسري وتدلج (١)
كأن القنا والنير في جنباتها سيال بأكناف الهضاب وعوسج
يُميد مضيء الجبّو قتم حالكا دخان لظى من نارها يتوهج
اذا نضضت من السن لهيئة بمارج نار يستقل ويعرج
رايت صلالا أخرجت من جهنم تحرق ا كباد العداة وتنضج
ولم تزل الفتنة متأكدة بينهما الى أن مات علي وولى بعده ابنه
الحسن فكاتب أمير المؤمنين بالمغرب علي بن يوسف بن تاشفين

واتفق باثر ذلك أن وصل أسطول علي بن يوسف مع قائده علي بن ميمون الى بلاد لجار فاستفتح منها حصونا وسبى منها سبايا كثيرة ، فلم يشك النصراني أن الباعث لعل بن يوسف على ذلك انما هو الحسن فاستجاش من قبله وحشد أجناده ومقاتليه وبالغ في كتم أمره بمنع السفر الى سواحل المسلمين ، ولم يخف على الحسن مقصده وخشى أن يطرق بلاد دونه تذهب له فأمرهم باتخاذ الاسلحة وتشيد الاسوار واستقدام القبائل من العرب وغيرهم للجهاد ، ووصلت الحشود اليه من كل جهة ونزلت الاعراب بظاهر المهديّة فلما كان يوم السبت لحس بقين من جمادى الاولى سنة سبع عشرة وخمسمائة وصل أسطول لجار الى المهديّة فأرسي بالجزيرة المعروفة بجزيرة الاحاسي وهي على عشرة أميال من المهديّة ، ونزل قائداه عبد الرحمان وجرجير الى الجزيرة وضربت لهما ولتقدمى الفرنج مضارب هنالك وكان وصولهم آخر النهار فخرج منهم الى البر تلك الليلة خلق كثير وانبسطوا حتى بعدوا عن البحر أميالاً ثم عادوا الى الجزيرة ، ووصل القائدان في اليوم الثاني في البحر في بعض قطعهم الى المهديّة فأطافا بها وانتهيا الى ساحل زويلة فهالهما ما رأيا بالاسوار والسواحل من الناس وانصرفا عائدين الى الجزيرة ، فوجدا طائفة من العرب والاجناد قد دخلوا اليها وكشفوا

من كان بها من الروم عن مواضعهم وقتلوا منهم قوما وانتهبوا
بعض أسلحتهم

فلما كان في اليوم الثالث تمكن النصارى من النصر المعروف
بقصر الديماس وحصل به زهاء مائة منهم باعانة بعض الاعراب لهم
على ذلك لما مناهم به عبد الرحمان وصاحبه ، وقد كان لجار أمرهما
بذلك من النزول بجزيرة الاحاسى والنجيل في أخذ قصر الديماس
بباطنة العرب ثم انزحف من هنالك في البر بالرجال والخيال الى
المهدية

فلما كان اليوم الرابع اجتمع المسلمون وخرجوا من المدينة وكبروا
تكبيرة راعت من في الجزيرة فظنوا أنهم داخلون اليهم فانهزموا الى
مراكبهم وقتلوا بأيديهم كثيرا من خيلهم ، ودخل المسلمون الجزيرة
وليس به أحد منهم فوجدوا فيها خيلا وآلات وسلحة أعجلهم
الهرب عن حملها ، وأخطوا بقصر الديماس يقاتلونه والاسطول في
البحر يعاين ذلك ولا يستطيع اغاثة من في القصر كثرة ما اجتمع
في البر من عساكر المسلمين ، فلما علموا أنهم غير قادرين على استنقاذ
من في القصر أقبلوا عائدين الى صقلية ، وأقام المسلمون يقاتلون من
حصل بقصر الديماس منهم الى أن اشتد عليهم الحصار وفنى ماؤهم
وطعامهم فخرجوا منه ليلة الاربعاء الرابع عشر من جمادى الاخر
فتخطفتهم سيوف الاعراب فقتلوا عن آخرهم

وهتئى الحسن بهذا الفتح ولم يدر ما تحت طيه من المحنة التى
خصت وعمت المسلمين بسببه ، وكتبت عنه فى ذلك كتب الى سائر
الجهات منها كتاب يقول فى بعض فصوله : « وان صاحب عقلية ليج
فى طغيان غيه ، واستمر على عدوانه وبغيه ، وحمله سوء تقديره ،
وفساد تديره ، على اهتضام جانب الاسلام ، وظن أن ذلك سهل
الملتصق قريبا المرام ، فاستجاش وحشد ، واستنفر واستمد ، ولما
استتمت له فى ظنه أمورده ، وكمل تديره ، الذى كان فيه تدميرده ،
سير أسطوله نحو المهديّة - حماها الله - فى نحو من ثلاثمائة مركب
حمل على ظهرها ثلاثون الف راكب وزهاء الف فارس ، وكان
اقلاعه فى طالع مقارن للنحوس ، قاض عليه بتلف الاموال وهلاك
النفوس ، فمن أول ما أسناه الله فيه من صنعه الجميل ، وأظهره من
عنايته التى لا يؤدى حقها بغير الشكر الجزيل ، أن أرسل عليهم
ريحا صيرت جميعهم الى التبار ، وأصلتهم ببرد الماء حر النار ،
ونابت فى اهلاكهم مناب زرق الاسنة وبيض الشفار ، وكان لجار
قد رام اخفاء كيدده ومكرده ، بمنع السفر الى سواحل المسلمين وحظرده ،
فسقط الى الساحل مركب من جملة أسطوله يعرفنا من ركابه
صورة أمرده ، وما يسر الله سبحانه من تشتيت شمله ونثره ، ولم نكن
قبل ذلك مهملين لما يقتضيه هذا الحادث من التأهب والاستعداد ،
واستضافة الاجناد الى الاجناد ، فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب

المطيفة بنا فأقبلوا أفواجا أفواجا ، وجاءوا مجيء السيل يعتلج اعتلاجا
ويتدفق أمواجا ، وكلهم على نيات في الجهاد خالصة ، وعزمات
غير مترددة في مواقف الموت ولا ناكسة ، ووصل الاسطول
المخذول بمن أسلمه السوق الى حد الحسام ، وتخطاه الفرق فنجوا من
الحمام الى الحمام ، ونزلوا على عشرة أميال من المهديّة بجزيرة هنالك
ذات أحساء بينها وبين البحر مجاز متداني المعبرين ، فريب ما بين
الشطين ، هين مرامه ، سهل على الفارس والراجل خوضه واقتحامه ،
فتسرع اليهم من جندنا ، ومن انضاف اليهم من العرب المنجدة لنا ،
طائفة أوسعت أعداء الله طعنا وضربا ، وملات قلوبهم خوفا ورعبا ،
فلما عاينوا ما نزل بهم ، أنزلوا عن ظهور مراكبهم ، ما كان أبقاد
الفرق من أفراسهم ، وكانت نحو خمسمائة فرس وظننوا أنهم ان
امتطوا متونها مستسلمين (١) ، وصدموها بها جيوش المسلمين ،
أمكنهم بها انتهاز فرصة فأكذب الله ظنونهم وخيب آمالهم ، وجعل
الدائرة عليهم لا لهم ، وخامرهم من الرعب الذي نصر الله به
المسلمين ، وخذل به المشركين ، ما ولوا منه أدبارهم يرون الهزيمة
والهرب غلبا ، وتركوا كثيرا من خيلهم واسلحتهم نهبا مقتسما ،
وفيئا مغتسما ، واتفق في مدة مقام هذا الاسطول بالجزيرة أن رجلا
من طغاة العرب ومردتهم دعاه فساد دينه ، وضعف يقينه ، أن
اغتال لهم قصرا على المجاز المذكور شديد الامتناع فحصل به منهم

(١) كذا في الاموال ولعل الصواب « متسلمين »

زهاء مائة عالج ، وتسربت العرب اليهم من كل فج ، فجردنا من خيلنا من تولى أمره ، وبأشر حصره ، اذ كانت العرب لا تباشر مثل هذا وانما تعرف الحصن (١) لا الحصون ، وانما يعظم غناؤها في السهول لا الحزون ، ثم أقلع جميع الاسطول حين علم عجزه عن استنقاذ أصحابه ولبثوا بعده والقتل يحققهم ، والنار تحرقهم ، الى ان استوصلوا عن آخرهم ، وكبهم الحنف على جباههم ومناخرهم ، وجري أمر هذا العدو المخذول من أوله الى آخره وفاتحته الى خاتمه على ما قاله سبحانه : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، فالحمد لله الذي أيد الاسلام ونصره ، وأعلاه وأظهره ، وأباد الشرك ودمره ، وأذله ودحره ،

ولما أقلع الاسطول الى صقلية خائبا خاسرا غاظ لجار ذلك ، ثم اتفق باثره أن وصل أسطول المثلث من المغرب وقائده محمد بن ميمون المذكور قبل فعات في بلاد لجار وقتل وحمل نساءها سبيا الى بلاده ، وكان لجار كلما وصل أسطول من المغرب الى بلاده نسبة الى الحسن فعزم العزم المصمم على غزو المهديّة وانشأ في ظاهر الامر بينه وبين الحسن صلحا وفي نفسه ما فيها لثم خديعته ويتمكن من مراده ، وكان بين الحسن وبين عمه يحيى بن المعز بن باديس ابن المنصور بن الناصر بن علناس ابن حماد صاحب بجاية ما أوجب

(١) في بعض النسخ « الحصر » وفي بعضها « الحصا »

أن بعث يحيى فى هذه المدة لمحاصرته بالمهدية أسطولا فى البحر
وجيشا فى البر ، قائده مطرف بن على بن حمدون الفقيه ، فحصر
المهدية برا وبحرا ونزل مطرف بن على بجيشه بظاهر زويلة فاستمد
الحسن لجار فأمده بأسطوله ، فعلم مطرف بذلك فارتحل عن المهدية
مسرعا وكانت للجار جواسيس بالمهدية فكتبوا اليه يعلمونه أن
بمرساها مراكب قد استوفت وسقتها ، فأمر جرجير قائد الاسطول
المتوجه للنصرة بالهجوم عليها وأخذها ففعل ذلك غدرا وحملها الى
صقلية ، ثم هجم بعد ذلك على مرسى المهدية فأخذ منه مراكبا كان
الحسن قد احتفل فيه وشحنه بذخائر ملوكية ليوجه بها الى الحافظ
العبيدى صاحب مصر وكان ذلك المراكب يسمى « بنصف الدنيا »
ولم يزل يوالى (١) الغزو عليها بأساطيله والمقدم عليها جرجير
المذكور وهو العارف بالمهدية حاضرة وبادية ويضعفه بذلك الى ان
دخلت سنة ثلاث واربعين وخسمائة فلم يشعر الحسن صباح
الاثنين الثانى من شهر صفر الا وقد طلع عليه جرجير المذكور فى
ثلاثمائة مراكب للفرنج فأرسل على بعد من المهدية وكانت الريح
قد منعت من الدخول الى المرسى ، فأرسل الى الحسن يخادعه ويذكر
أنه وصل لطلب عسكر يستعين به على أهل قابس ليوليها ابن رشيد ،
وقد تقدم ذكر ابن رشيد هذا فيما سلف من التقييد وبيننا سبب
خروجه من قابس فعلم الحسن أن هذه مخادعة له الى ان انتهى له

(١) فى بعض النسخ « يرسل »

الرياح فيدخل بها وأنه لم يصل إلا بعد علمه بخلاء المهديّة من
العسكر

وقد كان الغلاء المتوالي على افريقية أضعف أكثر جند الحسن
وأهلك خيلهم ومع ذلك فكانت بقية العسكر في محاربة ابن
خراسان صاحب تونس عضدا لمحرز بن زياد الفادعي صاحب المعلقة،
فغزم الحسن على تسليم المهديّة للنصارى ، وأمر في الحين بالرحيل
عنها وخرج من القصر بما خف معه ومن أمكنه من أهله وولده
وحشمه وتبعه الناس فارين بما قدروا عليه من أهل وولد وجرى
عليهم في هذه الضغطة ما لم يكونوا يقدرونه ، وذكر ابن شداد
من كلام الحسن عند خروجه : « سلامة المسلمين من القتل والاسر ،
خير الى من الملك والقصر ،

وبقى الاسطول على ظاهر البحر لا يمكنه الدخول الى البلد
بسبب الرياح الى الساعة السابعة من حين وصوله ثم لانت له الرياح
فدخل ووجد المهديّة خالية فتملكها من دون مدافع ، ووجد جرجير
قصر الحسن على حاله لم يحمل الحسن منه الا ما خف له ، فرأى فيه
من الذخائر الملوكية ما هاله وحكم على ذلك كله ، وأمر أن ينادى
في المهديتين بالامان فارتفع النهب منهما ، وأخرج النصارى من
المهديتين فأنزلهم فيما بينهما في مضاربهم وأخيتهم ، فكان من بقى
بالمهديّة أحسن حالا ممن فر منها فان الفارين لقوا من المشقة وعدم
الماء ما أهلك أكثرهم الى أن تداركهم جرجير فبعث لهم خيلا

يعلمونهم بالامان فرجعوا الى بلدهم وفرق عليهم مالا وطعاما
أقرضهم اياه فصلحت أحوالهم واغبط الناس بالمهدية لما رأوا من
عدل النصارى فعمرت أحسن عمارة

وأما الحسن بن علي فانه وصل (١) الى عسكره الذي قدمنا أنه
كان في نصرة محرز بن زياد فلقية محرز بالبر وأكرمه وأنزله عنده
فأقام هنالك أشهرا وهو كاره في الإقامة ، لما يرى في عيني محرز
من السئامة ، فأحب الانتقال الى مصر وواليتها اذ ذاك الحافظ عبد
المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن
المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وباسمه كان الحسن يخطب
في بلاده ، فابتاع من تونس مركبا أعده لسفره فعلم جرجير بذلك
فاعد له عشرين قطعة ترقب اقلاعة فتبعه وعلم بذلك الحسن فعدل
عن السفر الى مصر ، ونظر في التوجه الى الخليفة عبد المؤمن بن علي
بالمغرب ، وأنفذ كبار ولده يحيى وتيميا وعليا الى ابن عمه يحيى بن
العزيز صاحب بجاية وكتب له يتأذنه في الوصول الى حضرته
وأن يكون توجهه الى عبد المؤمن بعد اجتماعه به فتلقى بنيه ميمون
ابن حمدون وزير يحيى أحسن تلقى وكتب على لسان يحيى الى الحسن
بالتوجه على ما جرى عليه والتحريض على الوصول والعدل على
ما خطر بباله من قصد غيره

(١) في بعض النسخ « سار » وفي بعضها « صار »

فأعلم الحسن محرز بن زياد بما كتب اليه ابن عمه فأشار عليه بالتنكيب عنه وأن يتوجه حيث ما أحب فهو خير له منه ، فلم يطمعه الحسن وتوجه الى بجاية فلما قرب منها نذب يحيى وزيره الى لقاء الحسن فامتنع عن ذلك وبعد لآى ما (١) أمر أخاه قائد بن العزيز بالخروج الى لقائه مع مشيخة البلد وأن يعدلوا به عن بجاية الى الجزائر فيكون مقامه بها ، ففعل أخوه ذلك وأنزله هو وأولاده بمدينة الجزائر فى أمكنة لا تليق بهم وأجرى عليهم جرايات لا تكفيهم وأمر ميمون بمراعاة احوال الحسن ومنعه من السفر والكتب الى الخليفة عبد المؤمن لما توقعه من استعانة عبد المؤمن به فى أخذ بجاية فبولغ فى التشديد عليه فى ذلك ، وأقام ساكنا بها الى أن نزل عبد المؤمن الى المغرب الاوسط وقد تغلب على جميع بلاد المغرب الاقصى وجميع جزيرة الاندلس وذلك عام سبع وأربعين وخمسمائة فتغلب على مليانة والجزائر ، فاجتمع الحسن به هناك وقد سار اليه وهو بمدينة متيجة فأقبل عبد المؤمن عليه وقربه اليه واستصحبه معه وجعل الحسن يغريه بأخذ بجاية حسدا لابن عمه ورغبة لخروج الملك من يده ليتساووا (٢) فى ذلك فنزل عبد المؤمن الى بجاية والحسن معه فاستولى عليها وعلى جميع أعمالها وذلك بعد هزيمة لساكر

(١) فى بعض النسخ « وبعد » عوض « يعد لآى ما »

(٢) كذا فى جميع الاصول والاصواب « ليتساويا »

صنهاجة بجبل زيرى وأعان يحيى أيضا على نفسه بانهما كه فى لذاته واهماله تدبير دولته وتفويض الامر لغيره

فلما استولى عبد المؤمن على بجاية فر يحيى بن العزيز منها فى البحر وكان مرامه التوجه الى برقة والنفوذ من ذلك الى بغداد لعلمه أن الخليفة العبيدى بمصر ينقض (١) عليه الخلع الاول ، فلما وصل الى بونة جعل الحارث يتأفف منه ويؤنبه على اهمال الملك فخرج عنه يحيى الى قسنطينة وبها اذ ذاك أخوه الحسن بن العزيز فأكرمه الحسن وتخلى له عن الامر فأقام بقسنطينة أياما يعمل رأيه الى أن أناب الى الطاعة ودخل فى ايالة الموحدين ووصل الى الخليفة فأكرمه وأنزله مع ابن عمه الحسن بن على

ثم كانت لعبد المؤمن على العرب (٢) الواقعة المعروفة بوقعة سطيف ، هزم فيها طوائفهم وطلع الى الحضرة بجميع من حكم عليه ومن جملتهم الحسن ويحيى فأسكنا بمرآكش فى رفاهية ورزق جار ، فلما كانت سنة ثمان وأربعين وصل الخليفة الى سلا واستصحب يحيى معه فأسكنه بها فى بعض قصور بنى عشرة وأقام بسلا الى ان مات هنالك ودفن فى مقابرها الجوفية مما يلي البحر

وأما الحسن فانه أقام بمرآكش الى أن عاد عبد المؤمن اليها فلم يزل يغريه بالحركة الى افريقية ويحضه على استنقاذ المهديّة من أيدي

(١) فى بعض النسخ « ينقض » ولعل الصواب « ينقم »

(٢) فى بعض النسخ « المفسوب »

النصارى الى أن تحرك اليها سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، فافتتح تونس وأذهب دولة بنى خرسان منها وقد كان عند وصوله الى باجة عرض عسكريه فكانت الحيل أزيد من مائة الف فارس وأما الرجال فلا يحصون كثرة ، فأقام بها ووجه الى اهل تونس بالتأمين والعتق فلم يزدادوا الا عصيانا ، وقد كانوا قاتلوا ولده عبد الله قبل ذلك ومزقوا جيشه وفعلوا فيه الافاعيل لما وصل الى محاصرتهم سنة اثنين وخمسين وانفصل عنهم أسوأ انفصال ، فارتحل عبد المؤمن من باجة ونزل على طبرية وأعاد اليهم الترغيب والترهيب فلم يقبلوا فارتحل الى تونس وكان نزوله عليها يوم السبت العاشر من جمادى الاولى من السنة المذكورة واتصلت الاخوية من الحنايا الى حلق الوادى وعابن أهل تونس أمرا عظيما وأيقنوا بالهلاك وأقام العسكر ثلاثة أيام لا يقاتلون فنزل الى عبد المؤمن أشياخ لطلب السلم من أهل تونس منهم بنو عبد السيد : عمر ومعاوية وعبد السيد ومنهم ابنا منصور بن اسماعيل وابن عمه عتيق ، ومنهم الخارجي محمد وحمزة ابن حمزة وعبد العزيز القمودى (١) وغيرهم وكانوا اثني عشر رجلا فوصلوا الى عبد المؤمن فطلبوا العفو منه فأستغفوا (٢) به بعد مكابدة شديدة وامتناع عظيم من عبد المؤمن

ولما عفا عن أهل تونس اشترط مسألتهم فى أنفسهم ومشاطرتهم فى رباعهم وأموالهم كلها للمخزن ما عدا ملبوس رقابهم وغير أهل

(١) فى بعض النسخ « العمورى »

(٢) فى بعض النسخ « فاستغفوا »

تونس من قراها وسائر بلادها يشاطرون في أموالهم ، وكذلك صاحب تونس علي بن احمد بن خراسان الا أنه اشترط عليه الخروج من تونس والانتقال الى بجاية فوقع الشرط على ذلك وتسلم عبد المؤمن منه تونس وخرج ابن خراسان منها من يومه فمات في الطريق

وأقام عبد المؤمن بعد الفتح ثلاثة أيام ثم ارتحل الى المهديّة وخلف بتونس أبا محمد عبد السلام الكومي ومعه أشياخ من الموحدين لاستخلاص الاموال من أهل تونس فوقع البحث عن أموالهم ودخلت دورهم فحمل جميع ما فيها وبيع ما أمكن بيعه من رباعهم وأملاكهم وخرج الامناء الى سائر بلاد افريقية لمشاطرة الرعية في جميع ما بأيديهم حتى لم يبق من افريقية بقعة الا عنها ذلك

ومن تاريخ ابن شداد : « أن عبد المؤمن لما سار الى تونس بالجموع العظيمة كانوا يرون بالمزارع في الطرق الضيقة فلا يؤذون شيئا منها وكانت رسوان (١) هذا العسكر تمتد أميالا وكلهم يصلون الصلوات الخمس وراء امام واحد بتكبيرة واحدة ولا يتخلف أحد منهم كائنا من كان عن الصلاة وكانت مقدمة هذا العسكر اثني عشر ألفا قد كلفوا بحفر الابار في الطريق واستخراج المياه فكانوا يمتدون قبله بيومين فلا ياتي الا وقد هيئت له الفلات وملئت الاحواض بالمياه ولولا هذا التدبير لم يقدر على قطع هذه المسافة

(١) كذا في جميع النسخ

البعيدة بهذه الجيوش العظيمة ، وكان كلما مر بأرض فيها عرب
بادروا اليه فاستصحب أعيانهم معه وقد كانت وقعة سطيف أذلتهم
وكان أسطوله في البحر سبعين مركبا قوادها محمد بن عبد العزيز
ابن ميمون من البيت المشهور في قيادة البحر وابن الحراط وأبو
الحسن الشاطبي وغير هؤلاء ممن هو مثلهم في المعرفة والشهرة ، قال :
« وعرض عبد المؤمن الاسلام على من بتونس من اليهود والنصارى
فمن أسلم سلم ومن امتنع قتل . »

ومن غير كلام ابن شداد: أن عبد الله بن عبد المؤمن لما فعل به أهل
تونس ما فعلوا حين نزل عليهم قبل هذا حلف أن يدخلها بالسيف
ويقتل جميع من تقع عينه عليه من أهلها، فأمر الناس في هذه الحطرة أن
يدخلوا دورهم ولا يخرج احد منهم حتى يسمع النداء ليدخل عبد
الله الى البلد فدخلها وسيفه في يده فلم يلق الا شيخا قتله وانصرف
وقد برت يمينه

قال ابن شداد : « ثم توجه عبد المؤمن الى المهديّة فكان وصوله
اليها ضحوة يوم الاربعاء الثاني عشر لرجب وبها حينئذ ولاة ملوك
الافرنج وأبطالهم وقد أخذوا زويلة فنزلها عبد المؤمن بمن حملته (١)
من خواصه ومن أهل الاسواق فعادت مدينة معمورة من يومها ،
واقبل الناس يقاتلون المهديّة مع الامام فلا يؤثر ذلك فيها لحصانتها
وضيق مأخذ القتال منها لان البحر دائر بأكثرها ، وكان الفرنج

(١) في بعض النسخ « يحمله »

يخرجون منها فينهبون أطراف العسكر فأمر عبد المؤمن ببناء سور بين عسكره والمدينة ينعمهم من الخروج وركب عبد المؤمن في قطعة من قطعه ومعه الحسن بن علي الذي أخرج منها وطاف بها من البحر ، فهاله أمرها وعلم أنها لا تفتح بقتال وليس لها الا مطاولة الحصار وتوقع الاقدار ، فتمادى حصاره لها ستة أشهر ، وقال عبد المؤمن للحسن : ما الذي أخرج هذا المعقل من يدك ؟ فقال له : أخرجه انقضاء الامد ، وعدم الثقة بأحد ، فصدقه عبد المؤمن واستحسن كلامه وكان الحسن فصيحاً معروفاً بذلك

ووصل من طائفة صقلية أسطول فيه مائة وخمسون مركباً غير الطرائد ، فحضر مقدمو (١) أسطول عبد المؤمن بين يديه فقالوا (٣) له : ان هذا الاسطول قد أقبل ولا يصل الا متفرقا بحكم النوء فلتاذن لنا في الخروج اليه فسكت عبد المؤمن فاغتموا سكوته وبادروا الى القطع فلوؤوها بما احتاجوا اليه من العدد وخرجوا واصطفت عساكر المسلمين على الساحل ، قال الحاكي : كنت حاضرا وعبد المؤمن يبكي ويسجد في الارض ويقول : « اللهم لا تضع دعائم الاسلام ! ولما قرب أسطول الفرنج من داز الصناعة خرجت اليه من المهديّة قطعة لتلقيه فبادر ابن ميمون الي أخذها ، وكان بعض أسطول الفرنج أيضا قد حط قلفه للدخول فأعجله أسطول المسلمين عن

(١) في بعض النسخ « مقدم »

(٢) في بعض النسخ « وقال »

الدخول واستولى على ثمانى قطع منه فاجتمع بقية الاسطول وولوا
منهزمين فسجد عبد المؤمن شكرا لله تعالى وفرق فى غزاة الاسطول
اثنى عشر الف دينار مؤمنية ، وأيس أهل المهديّة من النصره فنزل
فى أواخر ذى الحجة عشرة من فرسانهم فوقفوا بين يدي عبد المؤمن
وسألوه الامان لمن بها فى الانفس والاموال وأن يسمح لهم
بالخروج منها وكان قوتهم قد فنى فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام،
فقالوا ما جئنا لهذا وانما جئنا نطلب فضلك وترددوا اليه أياما وقالوا
ما عسى المهديّة وما فيها من الافرنج بالنسبة الى ملكك العظيم
وأمرك الكبير وان أنعمت علينا كنا ارقاءك فى بلادنا ، فرأى منهم
كمالا فى الاجسام وتؤدة فى الكلام فأعطاهم ما أرادوا وجهزهم
فى سفن الى بلادهم وكان الفصل ثانيا فلما قربوا الى صقلية هال
البحر عليهم فهلك أكثرهم

وتسلم عبد المؤمن المهديّة وعاد اليها الاسلام فى يوم عاشوراء من
سنة خمس وخمسين ، ورغب الحسن الى الخليفة ليلى ذلك ، وولى على
المهديّة أبا عبد الله محمد بن فرج الكومى ، وأسكن الحسن زويلة
فأقام بها عشر سنين الى أن توفى عبد المؤمن وولى ابنه أبو يعقوب ،
فوصل أمره بطلوع الحسن الى المغرب فطلع بأهله وولده وحاشيته
وذلك فى سنة ست وستين ، فلما وصل الى الموضع المعروف بتامسنا توفى

هنالك بقعة تعرف بـ ثأبار زلوا (١) وقبره هنالك وكانت وفاته في شهر رجب من العام المذكور

ثم توفي أبو يعقوب وولى ابنه المنصور أبو يوسف ، فثار عليه بالمهدية محمد بن عبد الكريم الرجراجي (٢) وقبض على واليها اذ ذاك الشيخ أبو علي يونس ابن الشيخ أبي حفص وذلك سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وكان محمد بن عبد الكريم هذا ممن نشأ بها وكان أبوه من جندها الساكنين بها المترتين (٣) فيها وهو مضاف الى قبيلة كومية ، وكانت لمحمد هذا شجاعة وبسالة ظهرت له في مواطن كثيرة مع الاعراب وغيرهم ، وكان قد جمع لنفسه خيلا ورجالا من الرعايا يضرب بهم على الاعراب المنسدة فيكف ضررهم واعتداءهم ، وعلم اقدمه وغناؤه فقدمه الوالى على ذلك واطلق يده فيمن عند منهم عن الامر ، فكان يقبض عليهم فيقتل منهم من يقتل ويحبس من يحبس ولا يطلق من حبسه الا بعد دفعه الاموال الكثيرة واعطائه العهود والمواثيق على الكف عن العناد والفساد ، فكانت العرب تهابه ولا تنتجع أرضا من أرضه الا باذنه فبعد صيته بذلك وسأ ذكره وحصل الامن به في تلك الجهات فكان يدعى له في المساجد وفي عقب الصلوات

(١) في بعض النسخ « ابان رلوا » راجع كتاب العبر لابن خلدون (طبع الجزائر) ج ١ ص ٢١٠

(وطبع بولاق) ج ٦ ص ١٦٢

(٢) في بعض النسخ بزيادة « واستبد بنفسه »

(٣) في بعض النسخ « المرتقين »

واتفق أن قدم الشيخ أبو سعيد ابن الشيخ أبي حفص علي أفريقية من قبل المنصور فولى علي المهديّة أخاد أبا علي يونس بن أبي حفص فلما وصل إليها واطلع علي حال ابن عبد الكريم بها طالبه بإسهامه فيما يغنمه من أموال الأعراب المفسدين فامتنع ابن عبد الكريم من ذلك وطلب من الشيخ أبي علي أن يجريه علي ما أجراء عليه الولاية من قبله فقبض الشيخ ابو علي عليه وأهانته وامتحنه فبعث ابن عبد الكريم الي أخيه الشيخ أبي سعيد يستشفع به فأعرض الشيخ أبو سعيد عنه ، واتفق باثر ذلك أن عظم افساد العرب بالساحل وكثر التشكى منهم ، فألح الناس علي الشيخ أبي علي في اطلاق ابن عبد الكريم وكادت تقوم بسبب ذلك فتنة فاضطر الي اضلاقه ورد اليه جنده الذين كانوا متميزين بصحبته ، وأمره بالخروج لكف أولئك العربان عن الفساد فاغتم ابن عبد الكريم ذلك وخرج عن المهديّة مبادرا وضرب أخيته بظاهرها وأقام هنالك يومين الي أن اجتمع لديه أصحابه فشكا اليهم ما فعله الشيخ أبو علي به وعرفهم أنه عازم علي القدر به ان وقعت منهم موافقة له ، فأجابوه الي ذلك وصوبوا له رأيه فنهض بهم في ثلث الليل الاخير الي المهديّة فلما فتح بابها دخل اليها بمن أحب من جنده وأمر باغلاق الباب ثم بادر الي قصر الشيخ أبي علي وكان ابن عبد الكريم متلثما فانكره البواب وأغلق باب القصر فحصر عن وجهه فعرفه ففتح له الباب وفر هاربا فدخل ابن عبد الكريم وجماعته الي القصر ، وسمع الشيخ أبو علي

أصواتهم فخرج الى رحبة القصر عاريا من السلاح وقبض ابن عبد
الكريم عليه واحب قتله فتشفع فيه بعض أصحابه فاستحياه وثقفه
في موضع من القصر وذلك في شهر شعبان من سنة خمس وتسعين
المذكورة ، فلم يزل هنالك الى أن وصل قداؤه من قبل أخيه الشيخ
ابى سعيد بن أبى حفص على يدى محمد بن عبد السلام الكومى
وذلك خمسمائة دينار ذهباً ، فأطلقه ابن عبد الكريم بعد امتناع وابعاء
وانما أطلقه بشفاعة ابن عبد السلام المذكور وكان صهرا لابن
عبد الكريم

ووصل الشيخ أبو على ل أخيه الشيخ أبى سعيد بتونس فزجره
وهجره ولم يزل غاضبا عليه مدة من زمان ، واستبد ابن عبد الكريم
بحصن المهديّة وتسمى من الاسماء السلطانية « بالمتوكل على الله ،
وكانت الكتب تنفذ عنه بذلك وقوى أمره ، ووصل الى تونس
السيد أبو زيد ابن السيد أبى حفص بن عبد المؤمن واليا ، فعزم ابن
عبد الكريم على محاصرته فحشد جموعه ووصل الى تونس وذلك
في سنة ست وتسعين ، وكان الشيخ أبو سعيد اذ ذاك بها معزولا فدار
ابن عبد الكريم بعسكره الى جهة قرطاجنة فضرب أخيته وخيامه
عند مدخل البحر الى البحيرة وهو المكان المعروف بحلق الوادى ،
فأمر السيد أبو زيد عند ذلك بتسيير القطع فى البحر وخروج
العسكر فى البر ، وكان ابن عبد الكريم قد أكنم للجيش كميناً فى
بعض المواضع فلما وصل عسكر تونس ووقع القتال بينه وبين ابن

عبد الكريم خرج ذلك الكمين فولى العسكر منهزما وقتلت منه مقتلة عظيمة ولم ينج منه الا القليل وترامى منه جماعة فى البحر فقتلوا هنالك وانبسطت جموع ابن عبد الكريم فى تلك الجهات فأخذوا من المرسى المعروفة (١) بمرسى البرج أموالا كانت للناس هنالك وأمتعة ، وانتهبوا من تلك القرى ما قدروا عليه

وبعث السيد أبو زيد والشيخ أبو سعيد الى ابن عبد الكريم أشياخا من الموحدين يعيرون عليه فعله ويذكرونه انتماؤه الى الموحدين ويسألونه الرجوع عنهم فأجاب الى ذلك ورجع الى المهديّة فأقام بها أشهرا ، ثم حدثته نفسه بحصار يحيى بن اسحاق الميورقى وهو اذ ذاك بقابس وقد حدثت بينهما وحشة ، فخلف على المهديّة ابنه عبد الله وتوجه الى قابس فلما أشرف عليها هاله أمرها وعلم أن لا طاقة له بها فارتحل عنها الى قفصة وحكم عليها ، وعند استقراره بها وصل اليه الخبر أن الميورقى خرج من قابس فى أتباعه فخرج ابن عبد الكريم بجيوشه من قفصة ونزل بقصور لالة ووصل اليه الميورقى فالتقيا هنالك فكانت الهزيمة على ابن عبد الكريم وولى هاربا لا يلوى على شىء الى أن حصل بالمهديّة ، وتسرب اليه من سلم من جنده فحصلوا بها واحتوى يحيى على أخيته وجميع أمواله وأتبعه الى المهديّة فنزل عليها محاصرا له وذلك فى أول سنة سبع وتسعين

وكان من دهاء الميورقي أن بعث الى السيد أبي زيد بتونس يسأله
السلم ويطلب منه في أثناء كتابه الاغانة بقطع في البحر يتمكن بها
من ابن عبد الكريم وكان السيد أبو زيد حقد على ابن عبد الكريم ،
فأجابه الى ذلك وبعث اليه قطعتين فلما رأهما ابن عبد الكريم سقط
في يده فأجمع على توجيه ابنه عبد الله الى الميورقي ليصلحه على
تسليم المهديّة اليه ويشترط المسألة في أهله ونفسه وماله فأجابه الى
ذلك ، وزجع عبد الله فأخرج أباه من المهديّة وتوجه الى يحيى للسلام
عليه فلما وقعت عينه عليهما أمر بهما فصرفا الى خيمتين ثقفا بهما
متفرقين وحصل يحيى بحصن المهديّة واستولى على ما كان لابن
عبد الكريم بها من الذخائر السنية ، ثم أدخله هو وولده الى المهديّة
فثقفهما في بعض سجونها فلما كان بعد أيام يسيرة أخرج الاب من
السجن ميتا لا أثر به فسلم الى أهله فدفنوه بقصر قراضة وبقي ابنه
عبد الله يتوقع الموت كل ساعة الى أن أخرجه يحيى وأظهر نفيه الى
جزيرة ميورقة ليكون هنالك تحت نظر أخيه فعمر له قطعة توجه
فيها فلما حاذى أرباب السفينة به القل بمقربة من قسنطينة ألقوه
بقيده في البحر فانقضى أمر ابن عبد الكريم وولده

وحصلت المهديّة للميورقي ولم يبق له بافريقية منازع وحصلت تحت
بيعه طرابلس ، وقابس ، وصفاقس ، وبلاذ الجريد كلها ، والقيروان ،
وتبسة ، ووصلت بيعة بونة فبنى على محاصرة تونس ، وكان نزوله

على تونس يوم السبت من الشهر المذكور فنزل بالجبل الاحمر من
جهة جوفها وأقام هنالك أياما ثم انتقل منه فنزل بين بابي السويقة
وقرطاجنة ونزل أخوه الغازي بن اسحاق على الموضع المعروف
بحلق الوادي حيث يصب البحر في البحيرة فردمه ردما حتى صار
أرضا يسنا وقطع تصرف القوارب الداخلة اليه والخارجة عنه ، وترك
عليه من يحرسه ، وتوجه فنزل بقبل المدينة بمقربة من باب الجزيرة
وردم الخندق الذي هنالك ردما ونصب امام الباب مجانيق وآلات
من آلات الحرب وأقام محاصرا لها كذلك أكثر من أربعة أشهر
فلما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر من سنة
ستمائة استولى على البلد وقبض على السيد أبي زيد وولديه وجماعة
من أشياخ الموحدين فثقفوا بدار بنيت لهم بداخل القصبية وجعل
عليهم من يحرسهم ، وأمن أهل تونس في أنفسهم ورباعهم ، وأغرمهم
مائة الف دينار ، ذكر أنها هي التي لزمته في النفقة عليها ، قسطها أهل
تونس على أنفسهم بحسب أحوالهم وسعة أموالهم ، وجعل قابضا
عليها أبا بكر بن عبد العزيز بن السكاك من أهلها ، ولحقهم في
استخلاصها من العناء والشدة على يد ابن عصفور ثقة الميورقي
وكاتبه ما أدى الى قتل جماعة منهم أنفسهم ورأوا ذلك أرواح لهم ،
ومن جملتهم عبد الرفيق المقدم على قبض مال المخزن وغيره من
الناس ، ولما علم الميورقي بهذا أمر برفع الطلب عن أهل تونس

فيما بقي قبلهم من مال المغرم وذلك خمسة عشر ألف دينار ، وعامل
الناس بالاحسان ، وناذى فيهم بالامان ، وقد وقفت له على ظهير
بصرف بعض أملاك بنى التجانى عليهم مما تطرق ايه النزول حين
دخوله وقبل ذلك وتاريخه الثامن لذي قعدة من سنة ستمائة
وفى أثناء ذلك بلغه عن أهل جبل نفوسة توقف عن أداء مفرمهم ،
فخرج بنفسه اليهم واستصحب معه السيد أبا زيد وولديه يرحلون
برحيله وينزلون بنزوله الى أن استوفى من أهل نفوسة مفرمهم
وعاد الى تونس واستقر بقصبتها ، واتصل بالناصر ما دهم افريقية
منه ومن ابن عبد الكريم قبله ، فانتفض (١) لذلك وأخذ فى الحركة
اليها وكانت الاخبار ترد على الميورقى بحركته فيدفعها الى ان
وصل رجاله فأخبروه بوصول الناصر الى بجاية ، فوجه حينئذ ذخائره
وأمواله الى المهديّة لتكون تحت خياطة ابن عمه على بن الغازى ،
وخرج من تونس فوصل الى القيروان وأقام بها أياما ثم انتقل منها
الى قفصة فاجتمع بالعربان هنالك وأخذ موثيقهم وورهانهم على
الخدمة معه

وبلغه فى خلال ذلك أيضا عن أهل طرة من بلاد نفزاوة ما أوجب
أن ارتحل اليها فأطلق أيدي الجند عليها فقتلوا كثيرا من أهلها
وانتهبوا أموالهم وأطلقوا النار فى بعض دورهم ، وقد أشرنا الى
ذلك قبل هذا ثم انتقل الى حمة (٢) مطماطة ووصله الخبر أن الناصر

(١) فى بعض النسخ « فانتفض » وفى بعضها « فانتفض »

(٢) فى بعض النسخ « حامة »

نكب عن طريق تونس وأخذ على طريق قفصة في اتباعه ، فانتقل الى جبل دمر متحصنا به ، ووصل الناصر الى قفصة فأقام بها أياما ، ثم توجه الى قابس مستفهما عن أخبار يحيى فعرف بانتقاله الى جبل دمر فولى على قابس بعض ولاته وتوجه الى المهديّة فرز (١) عليها بجموعه ونصب عليها آلات الحرب ، وقدم في أثناء ذلك الشيخ المقدس أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص لقتال الميورقي ، فتوجه الشيخ أبو محمد بجيش ضخم اليه فأحب يحيى الفرار من الجبل الى الصحراء فشجعه أصحابه وحرصوه على الثبوت له فالتقيا ، فكانت للشيخ أبي محمد عليه الوقعة المعروفة بوقعة تاجرا وقد تقدم ذكرها قبل هذا ، وقد استأصل فيها كثيرا من أجناد يحيى وأجلت الحرب عن قتل أخيه جبارة وكاتبه علي بن اللطيف وعامل يقال له الفتح بن محمد ، وفر يحيى في شردمة قليلة ، وكان قد قدم عياله وأهله على نحو خمسة فراسخ من المعركة فلما فر أخذهم بين يديه ولولا ذلك لسبوا ، واستنقذ الشيخ أبو محمد من يده السيد أبا زيد حيا بعد أن ضربه الموكل به بسيفه ضربات قصد به قتله فاعجل (٢) عن الاجهاز عليه واستنقذ أيضا جماعة من الموحدين سواه كانوا في يده وأخذ رايته السوداء ، وأحاط الموحدون بجميع ما في العسكر من الاموال والابل فانتهبوها ، ورجع الشيخ أبو محمد بجميع ذلك الى

(١) في بعض النسخ . فنزل .

(٢) في بعض النسخ . اعجز .

الناصر وهو محاصر للمهدية فأركب الامين الموكل بثقاف الشيخ ابي زيد على جمل سام شهرة له ويده الراية السوداء فطيف به على المهديّة وكانت الهزيمة في الثاني عشر لشهر ربيع الاول سنة اثنين وستمائة ورفع حمادى الملقى المشهور بالابداع فى قطع الكاغط (١) هذين البيتين مقطوعين فى الكاغط (١) (واقر)

رأى يحيى إمام الحق ياتى قفراً أمام من وافى إليه
فشبهت الشقي ياء يفري (٢) ولام الأمر قد دخلت عليه

وكمل التبريز بالفنائم على ملاحظة من المحصورين بالمهدية وهم مع ذلك مكذبون بهزيمة يحيى مفحشين فى السب وألح الناصر فى قتالهم وجمع المجانيق على جهة واحدة فى السور (٣) حتى كثر القتل والجراحات فيهم وتحققوا انهزام يحيى فسقط فى أيديهم وطلبوا الامان فأسعفوا به ونزل على بن الغازى وأتباعه وشيعته على أن يخلي سبيلهم ويسلموا البلد ويكونوا فى أمان الموحدين الى أن يصلوا الى يحيى حيث كان، وكان ذلك فى السابع والعشرين من جمادى الاولى فكان بين هزيمة تاجرا وفتح المهديّة أربعة وسبعون يوماً

(١) فى بعض النسخ « الكاغظ » وفى بعضها « الكاغيط » وفى بعضها « الكاغذ »

(٢) فى بعض النسخ « يفري » وفى بعضها « يفري »

(٣) فى بعض النسخ « الصور »

وخرج على بن الغازي عن المهدية بجملته وحاشيته فضرب أخيته بقصر قراضة فبات هناك تلك الليلة ثم دعت نفسه إلى الدخول (١) تحت طاعة الموحدين فبعث إلى الناصر يعرفه بذلك ويقول الآن أطعت بعد أن صرت في حكم نفسي ، فاستحسن الناصر ذلك منه واستدعاه وأحسن إليه وأنزله عنده ، ووافق ذلك وصول مملوك الناصر ناصح صاحب ديوان سبته بالهدايا العظيمة التي جمعها في المدة الطويلة وكان فيها ثوبان قد نسجا بأنواع الجواهر وجعلت فيها أعلام من اليواقيت والاحجار النفيسة ، فأمر الناصر بحمل جميع الهدية إلى علي بن الغازي فبات ناصح عن اثر ذلك كمدا وترك ابنين كالبدرين (٢) قال فيهما أبو الحسن بن حجرى (٣) الاشيلي :

(رمل)

ناصر قد كان عبداً ناصحاً في جميع (٤) الأمر حتى في البنين
لم يلد إلا هلالاً نيراً فاتناً حيث بدا للنظرين
وأقام على بن الغازي مع الناصر إلى أن توجه إلى تونس فتوجه
صحبه ثم طلع معه إلى مراکش وتحرك الموحدون إلى الغزو لجزيرة
الاندلس فتحرك معهم فاستشهد بها مع من استشهد من الموحدين
رحمهم الله تعالى

(١) في بعض النسخ « بالدخول »

(٢) في بعض النسخ « كالبدر »

(٣) في بعض النسخ « جدر »

(٤) في بعض النسخ بياض وفي بعضها « في امر ... » وفي بعضها « في جميع الامور »

وعفا الناصر عن جميع من كان بالمهدية من المقاتلين وغيرهم
واشتغل برم سورها ، وترتيب أمورها ، ثم ترك الشيخ أبا عبد الله
محمد بن يغمور الهنتاتي واليا عليها من قبله و كان انتقاله عنها في
الموفى عشرين لجمادى الاخرى سنة اثنين

ونفذت كتب الفتح الى المغرب والانديلس من منزل أبي نصر
في الثاني والعشرين من الشهر المذكور ، واستقر بتونس في غرة
رجب فأقام بها بقية العام المذكور وأكثر عام ثلاثة وستمائة بعده
ولما كان شهر رمضان منه أشاع الحركة الى المغرب وتحدث مع
أشياخه ومدبري دولته فيمن يترك بافريقية فأجمعوا على الشيخ أبي
محمد ابن الشيخ أبي حفص ولم يختلف في ذلك اثنان (١)
وكانهم (٢) أرادوا بعده عن الخلافة ليجدوا السبيل الى أغراضهم
فأمر الناصر بعض خدامه في الحديث معه في ذلك استحياء من
مواجهته (٣) به فامتنع ولم تسمح نفسه بمفارقة وطنه ، ففاوضه الناصر
في ذلك بنفسه فاعتذر له بعد الشقة عن خلفه بمراكش من أهل
وولد وبما يستلزم ذلك من مفارقة الخليفة والبعد عنه ، ونظر الناصر
فلم يجد عوضا عنه ولم يرد اكرامه على المقام فحكى نبيل مملوك
الشيخ أبي محمد رحمه الله قال : بينما انا جالس على خباء الشيخ ليلة
اذ بضوء قد خرج من مضارب الخليفة فاذا بشرذمة من الخدم والفتيان

(١) في بعض النسخ « الا اثنان »

(٢) في بعض النسخ « لانهم »

(٣) في بعض النسخ « وجأته »

قد قصدوا نحو خباء الشيخ، قال: فعرفته بذلك، قال: اذا وصلوا فافتح لهم، فلما وصلوا فتحت لهم فدخل ولد الخليفة الناصر ومعه ولد الشيخ أبي محمد من ابنة المنصور وهو المعروف بالسيد أبي الحسن، وكان الناصر خاله قد ربا مع ولده يوسف المستنصر ولي عهد واختصه كولد فوجهة مع ولده ليقرر أنه بمنزلة الولد ومعهما سالم الفتى مربى الناصر وفتيان آخرون سواد فقام الشيخ أبو محمد لولد الناصر وأجلسه معه وقال له: ما حاجتك أيها الطالب ولو كان عندي غير نعمتكم لقابلك (١) به فقال له الفتان كرامته قضاء حاجته فقال نعم حاجته مقضية فقال له الولد: ان مولانا وسيدنا يخصك بالسلام ويقول لك هذه البلاد هي من أول هذا الامر العزيز مع هؤلاء، الثوار في أمر عظيم، وتحت ليل بهيم، وقد وصل اليها سيدنا عبد المؤمن وسيدنا أبو يعقوب وسيدنا المنصور وما منهم الا من انفق عليها أموالا، وأفنى في الحركة اليها رجالا، والمشقة شديدة، والمشقة بعيدة، وما عاد واحد منهم الى حضرت الا وعاد الويل، وأظلم ذلك الليل، وهذه الدعوة كما يجب علينا القيام بها والذب عنها كذلك يجب عليك، وقد طلبنا في جميع اخوانك السادة وأعيان أهل الجماعة من يتوب عنا في هذه البلاد فلم نجد عنك معدلا (٢) فانحصر الامر الينا واليك، فاما ان تطلع الى حضرة مراکش فتقوم

(١) في بعض النسخ: «لقابلتكم».

(٢) في بعض النسخ: «ومعدلا».

هنالك مقامنا وتقيم نحن بهذه البلاد ، أو نطلع نحن الى حضرتنا ، فقال الشيخ : يا بني أما القسم الاول فهو مما لا يمكن وأما القسم الثاني فأجبت اليه على شروط ، فسر الولد بذلك وقبل يده وقبل الشيخ أبو محمد رأسه وانفصلوا وكأنما كان عندهم تلك الليلة فتح جديد بالسرور الذي عندهم ، والطمانينة مما كان أهمهم

ثم خلا الناصر به مستفهما عن شروطه فاشترط أن لا يتولى افريقية الا بقدر ما تصلح أحوالها وينقطع طمع الميورقي عنها ويتخير الناصر في رجاله من يوجهه عوضا عنه وجعل النهاية في ذلك ثلاث سنين ، وأنه يعرض عليه الجيش فيبقى معه من يقع اختياره عليه ، وأنه ان فعل فعلا كائنا ما كان لا يسأل عنه ولا يعاتب فيه ، وأن من بقى بعد انفصال الناصر واليا على بلد من بلاد افريقية فهو فيه بخير النظرين ان شاء ابقاه وان شاء عزله ، وغير هذه الشروط والناصر مقبل عليه قابل لشروطه ، وبعد تقرر ذلك خرج الناصر متوجها الى المغرب وذلك في السابع من شوال ، وصحبه الشيخ أبو محمد ثلاثة ايام رحل معه فيها الى باجة

وكان أهل تونس عند خروج الناصر قد وقفوا ورفعوا أصواتهم بين يديه مشفقين من الميورقي وخائفين أن يصل اليهم بعد انفصال الخليفة عنهم ، فاستدعى الناصر وجوههم وقربهم منه وكلهم بنفسه فقال انا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم وآثرناكم به على شدة حاجتنا اليه وهو فلان ، فتباشر الناس بولاية الشيخ أبي محمد اذ كان

لا يكاد يسمع له كلام ما دام راكبا الى أن ينزل وكان يلقب بالصامت ، ورجع الشيخ أبو محمد من باجة الى تبونس واليا على جميع بلاد افريقية ، وكان أول جلوسه للناس في القصبة يوم السبت العاشر من شوال من السنة المذكورة وهي سنة ثلاث وستمائة ، وبقي ابن يغمور حافظا بالمهدية الى أن عزل عنها بعد ذلك وتوالت عليها حفاظ من الموحدين

وولى الامير أبو زكرياء رحمه الله عليها (١) ابن عمه أبا علي عمر ابن عيسى ابن الشيخ أبي حفص وذلك في شهر رجب من سنة ثمان وثلاثين ، فبقي واليا عليها الى أن توفي بها في الثاني عشر لفر من سنة ست وأربعين ، وكان أبو علي هذا واليا على بسطة فلما دعا أبو العلاء لنفسه وكتب الى ولاية البلاد بالدخول تحت طاعته امتنع أبو علي من ذلك وقال : أنا لا أباع حتى أرى ما يكون من الامام براكش وكتب لابى العلاء في جواب كتابه قوله سبحانه : قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة ، فلما ثبت عنده موت عبد الواحد المخلوع بايع أبا العلاء وتوجه اليه الى اشيلية فدخل عليه وقبل يده وكان أبو زيد بن يوجاق (٢) حاضرا فجعل يثنى عليه وكان في جملة ما أثنى عليه أن قال : وهو حافظ للقرآن ففهمها أبو العلاء (٣) وقال : واخاله لسورة

(١) وقمت هنا زيادة « باخوة » في بعض النسخ

(٢) في بعض « يوجان »

(٣) في بعض النسخ « العادل » وفي بعضها « العامل »

المفصل احفظ منه لغيرها ، ولم يضره ذلك عنده بل ولاء جيان التي
بسطة من أعمالها

ولما عزم أبو العلاء على تسليم جيان للنصارى وكتب بذلك الى
أبي علي تورع أبو علي أن يفعل ذلك وجمع أهل البلد فقال لهم
شأنكم وبلدكم فاني لا أخرجكم من يدكم لاحد من أعداء الملة ولا
من أعدائكم ، فأخبروه أن ارادتهم مبايعة ابن هود فبايعه معهم ثم
ارتحل اليه بنفسه فأعظم قدومه ولم يزل عنده تحت بر واکرام الى
أن ركب البحر الى افريقية ، فولاه الامير أبو زكرياء علي بجاية ثم
نقله منها الى بونة ثم الى المهديّة كما تقدم ، وهو شاعر مجيد وقفت
علي ديوان شعره في مجلدين (١) ومنه قوله - وبعثه الى قبر النبي صلى
الله عليه وسلم من اشيلية - : (منسرح)

إليك ألقى بمذرم محتشم مرتحل القلب ساكن القسدم
أصبح من قصده على أمل ومن لظى شوقه على ألم
يتبع ركب الهدى إليك أسنى ما شاء من جيرة ومن ندم
يرح (٢) شوق به إليك فيما ينفك ما لم يزرك في خسرم
ألوى به عن بلوغ نيته حاكم زمان عليه محتكم
فرمة تلتوي على عقب وهمة ترتمي إلى أمم

(١) في بعض النسخ ، في مجلد .

(٢) في بعض النسخ ، يروح .

يا خير من تنقل المطي له عذري في اللبث غير متهم
عبدك لو يستطيع جاب اليك القفر في غيب من الظلم
يمسح ما بين حمص منه إلى يشرب برًا بوجهه وفم
ولي ذنوب قد عقتني ثقلًا لولا أذني ثقلهن لم أقيم
يرجوك يا شافع البرية ان تشفع فيه لبارئ السم
عسى قبول لديك يلحقني بقبرك المستنير والحرم
وصاحبك اللذين خصهما بنعمة القرب منك ذو النعم
فقد توسلت بالذي لك عند الله من عرفة ومن عظيم
صلى عليك الإله ما اتصفت اوصافه بالجلال والكرم
قال ابن الأبار في الحلة السراء : وكتب الى مع تمر أهداه : (طويل)
اتتك خليقات بحسن الخلائق بها غنية عن كل ما في الحدائق
سليات جبار حكت وسط دوحه خوافق بالمران بين القيايق
وله في صواب أهدى اليه وألغز في وصفه من أبيات : (مقارب)
بمث ما يشتهى يابن عم فدمت ودامت لديك النعم
بابيض كالمحض لكنه به شدة تستثير القرم
لسطوته سؤرة بالأنوف وليس - لعرك - مما يشم

شفاء ولكن نِعْمًا (١) الشفا لمن ظلم يشكو بداء البشم
وقد يجتزي الجفلى باليسير منه واكن لأمر يذم
ووقع له فى قصيدة مدح بها ابن عمه الامير ابا زكرياء : (سريع)

وانّ من أقبح شيء يرى عقيلة يملكها وغد
او حلة تلبسها عادة وجيبها فى صدرها لبند

فكان الامير ابو زكرياء وشعراؤه يتضحكون بهذا ، وينسب كثير
من الناس له هذين البيتين : (سريع)

بكفيك يا معتقل السميري ما نالنا من طرفك الأخور
ان كنت من جندك فى قلة فانت من لحظك فى عسكر

وانما هما لاجيه عبد الرحمن بن عيسى وقد ذكرناه وأخاه فى
كتاب الدر النظيم بأتم من هذا
وفضلاء المهديّة وشعراؤها كثيرون لو أخذنا فى استقصائهم
لطال الكتاب بهم

وفى انموذج ابن رشيق منهم من له البدائع كعبد الله بن ابراهيم
ابن مثنى ، وعلى بن عبد الكريم بن أبى غالب ، ومحمد بن حبيب ،
ولابن رشيق كتاب «الروضة الموشية» فى شعراء المهديّة، ذكر فيها من
يطول تعداده ، ولعثمان بن أبى القاسم بن عبد الرحمن بن

(١) فى جميع النسخ « نعم »

حشرون (١) المهدوى كتاب « المختار فيما انتقاه لاهل عصره من
الاشعار ، وفى كتاب « خريدة القصر ، لعماد الدين أيضا جماعة من
اهل المهديّة وتتبعهم يخرجنا عن مقصود كتابنا هذا ، ولا بأس
بذكر من أمكن منهم ممن أدر كناه بعصرنا أو أدر كه شيوخنا .
وكفى بالمهديّة فخرا بعالميا وصالحيا أبو القاسم بن على بن عبد
العزيز بن البراء التنوخى ، وأبو عبد الله محمد بن على بن ابراهيم بن
الحجاز اللواتى

أما أبو القاسم منهما فكان مولده بها فى حدود الثمانين
وخمسمائة ، وكان رحمه الله أحد العلماء الاعلام الحفاظ المكارين فى
أنواع العلوم ، وكان فى أول أمره زاهدا فى الدنيا وأبنائها ، معرضا
عن ملوكها وأمرائها ، ثم جرت محن له آلت به الى مراجعة ما كان
معرضا عنه ، فحين أقبل عليها أقبلت عليه وانتهت اليه بالحضرة رئاسة
العلم ورئاسة القرب من السلطان ، وكانت وفاته بها فى يوم الخميس
العاشر من شوال سنة سبع وسبعين ، وقد كان ارتحل الى المشرق سنة
اثنين وعشرين فسمع بالحرمين الشريفين وبالقاهرة ومصر
والاسكندرية من جماعة يطول تعدادهم ، وقد ذكرهم فى جزء
خاص بهم ، ولم أقف له على شعر الا على قوله - وقد ضربت اجزاء
الدنانير العشارية والحماسية فى عام ثلاثة وسبعين : (طويل)

(١) فى بعض النسخ « عشرون » وفى بعضها « بشرون »

بدا الذهب الابريز من كف ماجد سما بالمعالي والكبير كبير
امام ترى الاملاك يصفر قدرها اذا ذكرته والصغير صغير
وتحتقر الدنيا باجمعها لدى ندى راحته والحقير حقير
لقد جل قدراً ملكه واعتلاؤه فليس يضاهاى والخطير خطير
واما أبو عبد الله فكان من اجل أهل زمانه ديناً وعلماً وفضلاً ، ولد
بالمهدية سنة ستمائة وتفقه بها على أبي زكرياء البرقى (١) وارتحل
الى المشرق فأخذ به عن جماعة يطول تعدادهم وحج وتوجه الى
بغداد فقرأ بها « الحاصل » ، على مؤلفه تاج الدين أبي عبد الله محمد بن
الحسين الارموى (٢) وآب الى جمة ، بعلوم جمة (٣) فدرس وأفتى ثم
نقل الى الحضرة ، فتقلد قضاء الجماعة بها سنة ستين ثم صرف عنه فى
شهر رمضان من سنة اثنين وستين ثم رد عليه فى السابع عشر لذي
قعدة فى سنة سبع وستين ، وكانت وفاته رحمه الله ببلده فى السابع
والعشرين لجمادى الاخرى من سنة ثلاثة وثمانين ، وولده أبو
القاسم صاحبنا سرى (٤) النفس على الهمة حسن الاخلاق وهو الان
بالحضرة مخطط بخطة العلامة الصفرى وله شعر ضعيف أنشدنى
لنفسه يتغزل : (طويل)

(١) فى بعض النسخ « البونى »
(٢) هو الحامل من الحصول فى الاصول للقاضى تاج الدين محمد الارموى المتوفى سنة ٦٥٦
راجع كتف الظنون (طبع ليدن) ج ٥ ص ٤٢٤
(٣) فى بعض « يعلم جم »
(٤) فى بعض النسخ « طيب »

تبدت فقال القوم قد طلع البدر مهابة (١) بقتل العاشقين لها خبرُ
سرت فأسرت في فؤاد مجبها سرائر وجد يستبين بها السرُ
وأحبه إذ حيت ومننت بأسنها لنفس كئيب كاد يتلفه الهجرُ
لها الله من فتانة الحسن طرفها تقاصر عنه النبل والبيض والسمرُ
إذا ما بدت طاشت عقول ذوي النهى فتفتحم البلوى ويستعذب المرُ
فكم سلبت لنا وكم ولهت ظنا وكم فعلت بالعقل ما تفعل الخمرُ
وكم نقضت عهداً وكم عقدت جفا وكم وعدت لكن شيتها الغدرُ
ومهاشكوت الحب قالت هو الهوى فأوله قرب وآخره قبرُ

ومن شعراء المهديّة وعلمائها الذين حدثنا أسياننا عنهم: أبو عبد الله
محمد بن إبراهيم بن عثمان الزناتى المعروف بالحنفى، ولد بها وهو من
أعيانها وارتحل الى المشرق فدرس بدمشق مدة ثم انتقل الى الموصل
فانتحل مذهب أبى حنيفة واشتغل به حتى صار اماماً فيه واشتهر
بأنسبة اليه فلا يعرف فى افريقية الا بذلك، ولم يكن فى هذه
العصور كلها ببلاد افريقية حنفى غيره، ولما عاد من المشرق لزم
سكنى المنستير المتعبدة المشهور بالتمضل تحت جراية من الأمير
أبى زكرياء رحمه الله، وكان اذا وفد على الحضرة اجتمع بالامير أبى

(١) بعض النسخ « فتاة »

زكرياء وجلسه . جدت عنه أسيافنا الفقيه أبو يحيى بن عبد الكريم
العوفى ، وأبو عبد الله محمد بن ابى القاسم القيسى الازدى ، وأنشدنا
أبو عبد الله محمد القيسى المذكور قال : أنشدنى الحنفى لنفسه يذم
بلده ويصف أهلها بالبخل الايات المشهورة : (طويل)

إذا حلّ بالمهدية الضيف نازلاً يروم القرى زفت إليه الكواميل
إذا حسروا عنها المناويل أنشدت وما السيف إلا غمده والحمائل

وبين هذين البيتين بيت أضربت عن ذكره (١)

وكان بالمهدية قاض ذبح قردا لاذائته فقال فيه ابن أبى الحواجب
المهدوى وهو أحد شعرائها نفاه الإمبر أبو زكرياء رحمه الله منها الى
المشرق : (منسرح)

غرائب الدهر قد كثرن ولا اغرب من حكم ذابح القردة
أحل ذبح القرود محتسباً وحرّم الفضل بسما اعتمده

فقال الحنفى :

عاب عليه صنيعه نفره وما درى الجاهلون ما قصده
يذبح من كان شبه صورته لكي ترى في الوجود منفرده

(١) يوجد فى طرد بعض النسخ ما نصه « والبيت الذى اضرب عن ذكره هو قوله
صحاف حكى عن ام موسى فؤادها يغالط فيها حسه ويماطل
وانما اضرب عن ذكره ما فيه من التشبيه بالهدية ام موسى عليه السلام وخلط الجذ بالهزل

وكانت وفاة الحنفى فى الثالث عشر لصفى من سنة خمس
وخسين وستمائة

ومن شعرائها ورؤسائها المنسوبين الى بعض منازلها الكاتب
الاديب أبو العباس أحمد بن ابراهيم القيسى اللليانى وهو منسوب
الى قرية من قرى المهديّة تعرف بليانة - بضم اللام الاولى وكسر
الثانية - هكذا تعرف وكان أبوه مشغلا بأعمال المهديّة ونشأ أبو
العباس نشأة طلب وأدب فتفقه بالمهديّة على البرقى وتآدب ثم نهض
الى الحضرة ، فولى بها الاعمال الجليلة وساعدته الدنيا فبلغ من الرئاسة
فيها الغاية القصوى وكان يحدث نفسه بأمر كبير يدل عليها
قوله : (مجث)

فى أمّ رأسى حديث لسامع ليس يذكّر
فإن تطاول عمري وساعد الجّد يظهر
أرى جموعا صحاحا ومذهبي أن تكسر

وشاع فى كلام العامة : ويل للامة ، من سبع جمة
فلما كان فى شهر المحرم من سنة تسع وخسين دخل أبو العباس
أحمد بن ابراهيم الغسانى على الخليفة المستنصر وكان ذلك اليوم يوم
مطر فقال السلطان مستدعيا للاجازة « اليوم يوم المطر ، أجز يا أحمد
فقال « واليوم رفع الضرر ، فتنبه السلطان لما سمع وقال : ايه ،
فما بعد هذا ، فقال : (رجز)

والعام عام تسعة كمثل عام الجوهري

وكان القبض على الجوهري وقتله في عام تسعة وثلاثين فكانت
هذه الاجازة سبباً في القبض على الللياني ، وطولب بدفع الاموال
وكان يدفعها شيئاً فشيئاً فلما استخلص ما عنده عذب الى أن مات
وذلك كله في شهر المحرم من العام المذكور، ومن شعر الللياني قوله:
(كامل)

أين الذي يقضي به الوجد	هذا العذيب وهنئه نجد
أعلام ربيع جيبه تبدو	ما هكذا حال المحب اذا
وبذكر ماضي عهدهم فاشد	سرح دموع العين مبتدراً
ان عاق عن مقصودك البعد	والشتم على شغف مواظتهم
والدمع أسلم دره العيقد	لم أنس يوم وداعهم سحراً
فتعانقت وتواجد الرند	هز الصبا اغصان بانهم
في ظلها قد خيم المجد	هذا العذيب بدت له عذب
أعلامها بل ينجح القصد	لا يخفق المسعى اذا خفت
ان انجذت كلفاً بها نجد	فغسى اللقاء يكون مقترنا
كف الزمان ويسعد الجد	ولعل ما نرجو تجود به

وقوله (خفيف)

خَلِيَانِي يَا صَاحِبِي وَنَجْدَا هَجْتُمَا بِالْمَلَامِ شَوْقَا وَوَجْدَا
فَلِنَجِدْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَدَّ مَسْتَجِدَّ مَا دَامَ رَبِعًا لِسُعْدَى
لَا تَقُولُوا مَرَامِ سَعْدَى بَعِيدَ رَبِّ سَعْدِ اتَى فَقَرَّبُ بَعْدَا (١)
أَهْلَ وَدِّي مَا حَلَّتْ عَنْ حِفْظِ عَهْدِي وَهَوَاكُمْ مَا غَيَّرَ النَّبَأُ عَهْدَا
كَيْفَ انْسَى عَهْدًا كَرِيمًا وَأَنْسَا بَدَلًا لِي مِنْ خَالِصِ الْوَدِّ شَهْدَا
أَرْشَفَانِي مَا شَفَّنِي وَشَفَّانِي مِنْ بَرُودِ أَحْبِبِّ بِذَلِكَ وَرِدَا
خَيْرَ عَيْشٍ مَصْقُولُ تَلِكِ اللَّيَالِي جَذَاهُ مِنْ طَيِّبِ عَيْشِ مَفْدَى
إِذَا يِعَاطِنِي الْمَدَامَةُ بَدْرُ يُنْجِلُ الْبَدْرَ نورهُ إِنْ تَبَدَّى
إِنِّي دِينِي وَمَذْهَبِي لِلتَّصَابِي لَا أَرَى غَيْرَهُ مَدَى الدَّهْرِ رُشْدَا
فَاغْتَنِمُ رَابِحًا مَسْرَّةً يَوْمَ وَلْتَبَادِرْ سِيرَ الزَّمَانِ مُجْدَا

وقوله : (مديد)

شَادِنَ فِي الْقَلْبِ مَرْتَعَهُ حَظَّهُ فِي الْحَسَنِ ابْدَعَهُ
لِإِمْنِي فِيهِ أَخُو سَفَهُ بَمَلَامٍ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
رُدَّ قَلْبِي لِي لَتَعِيدَلَهُ فَهَوِيَ فِي كَفِّهِ أَجْمَعُهُ

(١) في نسخة « رب سيد لنا بقرب »

هل تـرى دهرى يجوده
بعد ما قد كان يمنعه
وشقيق النفس يتحفى
بحديث جلّ موقعه
لفظه در يساقطه
ونطاق السمع يجمعه

وكتب اليه أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفسائى المقدم الذكر
عن نفسه وعن حضر مجلسه من اخوانه : (سريع)

ياسابق الناس الى غاية
في ذيلها يعثر صوب الغمام
إخوانك الكتاب يرجون ان
يلقى بكم شملهم ذا انتظام
فاطلع على الشرب فيهم انجم
مرتقات منك بدر التمام
وسرهم منك بسير المنى
وزرهم عند اختلاط الظلام

فبعث اللليانى اليهم دنا وشما وكتب مع ذلك من نظمه :

دام لاخوانى بلوغ المنى
في خفض عيش وحميد انتظام
وقرب الدهر لهم كل ما
راموه من انس بغير انصرام
في لذة معسولة المجتنى
وغبطة موصولة بالدوام
ما اشوق الصب الى انسكم
واشفف اللب بذاك المقام
لكنه عاق الفتى عذره
فالشيخ منه عوض والسلام

فراجع الفسائى بقوله :

قد اقبل الشيخ بعذر الفتى فتى المعالي والرئيس الهمام
وأمرتتنا من سماء الندى يد له يضاء تجلو الظلام
لا زال يهدي لأودائه اسنى الايادي واجل النظام
ومن شعراء المهديّة وفضلاتها الفقيه القاضي أبو عمرو عثمان بن
عتيق بن عثمان القيسي المعروف بابن عربية أحد العلماء الاعلام ،
كان حافظا للحديث مقدما في علوم الادب مجتهدا من فحول الشعراء
وله تصانيف مفيدة منها كتاب « جوامع الكلم النبوية » ، على طريقة
الشهاب وكتاب « الزهرة » ، في مسند العشرة ، وكتاب « آثار الصحابة
في أشعار الصحابة » ، وكتاب « سنن القوم » ، في آداب الليلة واليوم ،
و « المستوفى » ، في رفع أحاديث المستصفي ، وديوان نظمه المسمى
« بقصائد المدح » ، ومصائد المنح ، وغير ذلك من التوايف ، وكان
الامير أبو زكرياء رحمه الله استدعا مع جماعة من خواصه وشعرائه
لترهة في رياضته المسمى (١) بأبي فهر فنظموا في وصفه قصائد
ورفعوها الى الامير أبي زكرياء فأجابهم بأبيات تتضمن تفضيل
شعر أبي عمرو هذا على شعر جميع من حضرها وفيهم ابن البار
وغنيره

وأبيات الامير أبي زكرياء رحمه الله تعالى هي : (طويل)

(١) كذا في جميع النسخ

الا ان مضمار القريض لمتدّ به شعراء السبق اربعة لُسد
فأما المجلي فهو شاعر جمّة اتى اوّلا والناس كلهم بعد
وأما النصلي فهو حبر قضاة بأدابه تزهو بالإمارة والمجد
وأما المسلي فالعادي امّه اتى ثالثا لكن يلين (١) ويشتد
وبعدهم الكومسي اقبل تاليا وكم جاء سباقا مسومه النهدي
هم علماء الناس ما منهم غني وهم شعراء الملك ما منهم بد

حبر قضاة هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر
القضاعي ابن الابار ، والمعادي الفقيه الخطيب أبو القاسم بن معاوية
اليحصي ، كنيته اسمه ، ويكنى أيضا أبا الفضل ، والكومسي أبو زكرياء
يحيى بن محمد بن الفليظ.

وأصل اتصال أبي عمرو بالامير أبي زكرياء أن بعض الصلحاء
من أهل القيروان ممن كان معارفا بالصدق والامانة في ذلك
الاولان رفع الى الامير أبي زكرياء أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم وأمره أن يبلغ اليه أن يستوصي خيرا بمخمس « القصيدة
الشقراطية ، فبحث الامير أبو زكرياء عن خيسها من أدباء ذلك
الوقت فلم يجد غير أبي عمرو ، وسأل عن الرؤيا فشهد فيه
بالصلاح والخير ، فاستدعى أبا عمرو وأكرمه وأمر له بمر كروب وصلة

(١) في بعض النسخ « يليق »

سنة وقال له لا تشكر أحدا ، ولا تجعل لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك يدا ، وهذه القضية تشبه قضية صفوان بن ادريس في الرؤيا التي رثيت له

مولد أبي عمرو ببلده المهديّة في سنة ستمائة ورأيت ذلك بخطه ، توفي بتبرسق وهو متولى القضاء بها في الثامن والعشرين لمحرّم من سنة تسع وخمسين ودفن بجبل الرحمة هنالك ، وشعره مدون مشهور ، وهو القائل يذكر المهديّة ويتشوق اليها والى من خلف بها من أهله وذلك بعد انتقاله منها الى حضرة تونس : (طويل)

أقول لركب قافل عن معرس بجمّة تردي بالحمول مشاجته
لك الله أمتعنا عن البلد الذي اكبره اسلافنا وابلجته
وعن وطن لولا العلى وطلابها لعز على مثواي اني خارجته
وعن رسم ايوانه تداعت عراضه ودكت حناياه وحزرت معارجته
وما صنع القصر العبيدي والجمي وسور المصلى والكثيب وعالجته
وشاطئه انسى تنوع حسنه وخضرمه انى تدفع مائجته
سلام على المهديتين ففهيما اب بنت عنه قاصر الخطو هادجته

وله في ذلك من قصيدة يمدح بها الامير ابا زكرياء ويطلب توليته

قضاء بلده : (بسيط)

ذَكَرْتُ جَمَّةً وَالذَّكْرَى تَهِيجُ أَسَى وَابْنَ جَمَّةٍ مَنِيٍّ وَالْمُنْتَسِرِ
وَمَا مَنَانِي لِيَالِيهِمُ الَّتِي سَلَفَتْ وَلَا هَوَايَ مَجَانِيهَا الْمَعَاظِيرُ
لَكِنْ بِهَا رَحِمٌ مَحْفُوفَةٌ يَسْتُ مِنْ أَنْ تَقْرَّبَنِي مِنْهَا الْمَقَادِيرُ
فَإِنْ رَأَى مَنْ أَدَامَ اللَّهُ نَسَمَتَهُ عَلَيْهِ لِي خَطَةٌ فِيهَا فَمَا جُورُ

وَأَنْشَدَ عَبْدُ الرَّحْمَانَ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَصُولِيَّ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى
« تَبَكَّيْتُ (١) » النَّاقِدُ ، قَالَ أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ : (ظَوِيلٌ)

نَسِيمُ الصَّبَا حَدِيثٌ عَنِ الْبَابِ وَالْحَمَى

وَعَنْ سَاكِنِي حَزْرَى مِنَ الْخُرْدِ الدَّمِي
وَعَنْ مَعْدِ أَقْوَى مِنَ الْعُفْرِ وَالْمَهَا وَعَنْ رَكْبِ جِيرَانَ الْقَضَايْنِ يَمَا
أَيْمُّ ذَاتِ الْبَابِ أَمْ بَطْنِ رَامَةَ أَمْ الْجَزْعِ أَمْ بِالْأَجْرَعِ الْفَرْدِ خَيْمًا
الْأَفْرَعَى اللَّهُ الْحَمَى وَنَسِيمَهُ وَإِنْ جَلَّ مَا الْقَاهِ مِنْ سَاكِنِ الْحَمَى
وَتَيْمَمِكُمْ يَا أَهْلَ نَجْدٍ فَإِنِّي أَرَاكُمْ تَلُومُونَ الْمَشُوقَ التَّيْمَا
أَمَا وَلَمَى لُغْسُ الدَّمِي لَوْ لِحْظَتُمْ طَلَابِ الْحَمَى ظَلَّتْ لَوْ أَحْظَكُمْ (٢) دَمَا
وَذِيًّا كَمْ الثُّغْرَ الَّذِي يَسْتَبِي النُّهَى تَبَسُّمَهُ مَا كُنْتُمْ لِي لُؤْمًا
هَجَعْتُمْ وَمَنْ لِي بِالْهَجْوَعِ فَرَبَّمَا أَلَمَّ بِهِ مِنْكُمْ خِيَالَ مُسْلِمًا

(١) فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ « تَبَكَّيْتُ »
(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ « ظَلَّتْ جَوَانِبُهُ » وَفِي بَعْضِهَا « لَوْ أَحْظَكُمْ »

ايطرقُ جفنا بات مني ساهرا ويترك اجفانا لكم يتن نوما
اغر شيب ما أعيدب ثغره واحلي أليفاظاً واندى وارخما
هو الظبي لكن لا اسميه باغماً إذا رشا ناغاه بل متكلما
تبدي لنا والبدر ليلة تيمه فلم ادر من بدر الدجنة منهما
هل البلج الاضوا الذي استكمل السننى

ام الغنج الاحوى الذي راق مبسما
ولما استطار البرق قلت لصاحبي اقلبي هها ام ثغره قد تبسما
اعار وميض البرق حسن ابتسامه وماذا عليه لو اعار له اللمى
او البرد العذب الذي لن تذيبه (١) حرارة انفاس امرى قبل الفما
تعلم منه خلب البرق خلفه فمن ايما برق تراه تعلمما
تجنى فجنا خضما لجماله عسى عطفة نحظى بها ولعلمما
فهز الصبي والتدل معطفه كما تهز الصبا الغصن الرطيب المنعما
فابنا وخلفنا طيور قلوبنا على ثغر العذب المقبل حوما
وكان لابي عمرو ولد يسمى عتيقا ويكنى ابا يحيى برع فى
الطلب وتقدم فى حفظ مسائل الفقه وتوجه الى المشرق فتخطط
هنالك وله شعر حسن منه قوله : (بسيط)

(١) فى بعض النسخ « تدينه »

يا واحد الحسن أنت السمع والبصر عطفاك إن فتكت عينك لي و زر
أبعد ما كان لي كده سحراً صيرته بالتجني ما له سحر
قد رقت لي في الهوى كل الانام سوى من حاز رقتي ومالي عنه مصطبر
فإن شكوت له يفتر مبتسماً عن عشرة قد حواها ثغره العطر
طلع أقاح صباح جوهراً برد در حباب لجين بارق زهر

ولما قضى فريضة الحج وأقام مجاوراً بمكة كتب الى أهله بتونس :
(طويل)

حجبت وزرت المصطفى خاتم الرسل نبي الهدى ذا المجد والجود والفضل
ومررت خدي في مواطىء نعليه وقابلت ذاك العز منسي بالذل
ومتعت الحاظي برؤية سيد وبوات نفسي من معادن مكة
أقام بها قوم يناجون ربهم وقد نبذوا كل العلائق والشغل
فدعوتهم مقبولة وصلاتهم بألف كما قد جاء عن سيد الرسل
وما زلت فيها داعياً متضرعاً لنفسي والإخوان والضخبات والأهل

ومنهم : الفقيه الأديب الصالح أبو يعقوب يوسف بن علي بن عبد
الملك بن السباط البكري المهدوي ، وأخوه هو الشيخ الصالح أبو

على يونس الكبير القدر العلي الهمة العالی الدرجة في الصلاح والفضل ، وكان أبو يعقوب هذا قد قصر شعره على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يوجد له في غير ذلك شعر الا التافه النزر مما قاله في صباه ، ويذكر أن أخاه الشيخ أبا علي رحمه الله تعالى أخبره أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسأله عن حال أخيه وكسائه حلة ، وهو على الطبقة جدا وشعره مدون مشهور

وقد أخبرني بجميعه الشيخ الفقيه أبو القاسم بن أبي محمد (عبد الوهاب) بن قائد بن علي الكلاعي (١) بقراءتي عليه قال : سمعته يقرأ على ناظمه رحمه الله تعالى وكانت وفاته رحمه الله تعالى بالمهدية في العشر الاواسط من شهر شعبان سنة تسعين وستمائة ، ومولده بها سنة ثلاث عشرة وعنوان شعره قوله من قصائد ربما اختصرنا من كل واحدة منها أبياتا منها قوله : (طويل)

سريتم وطرفي من كرى العزم ما هبّا

وطرف انتهاضي في مدى الحزم ما خبّا

وثرتم طلاب العزم من دون ناصر قصاراه ذيل الذل يسجبه سخبّا

وأخليتُم هالاتكم من بثورها فما عوّضت إلا الغياهب والسخبّا

وعاني هواكم لا معين له سوى صدى صوته في الربيع ما ردد الندبّا

(١) في جميع النسخ ورد هذا الاسم هكذا : الشيخ الفقيه بن محمد بن علي بن قائد الكلاعي وقد صححناه كما اوردته المؤلف نفسه في شرحه للشفاء.

وما كان ندب يستلذ وإنما يلد سماع الندب من فارق الندبًا
ولي مهجة تفنى لتذكاركم أنسى وجفن يراعي في مرا كزها الشهبًا
ليالي تسري لي صباكم علية فيا لعليل منه أتمس الطيبًا
رحلتهم وغادرتهم غريبًا غروبه تصب مصون الدمع مذبتهم صبا
وخلفتم داء التواني محالفسي وأنى لبادي السقم أن يضحب الركبا
وهيجتهم هيج (١) الغرام فانتجت لكم من فحول الصدق في قصدكم نجبا
فسارت وحاديها احتدام زفيرها فما ميزت وعرا ولا فدفا رخبًا
وسيقت وما قاست كلالا ولا وجى وقد سقمتم مع كل راحلة قلبًا
وما أدجت ثني إلى العشب ليتها ولكن في وادي العقيق لها عشبًا (٢)
فهم جيرة أخلق براجي جوارهم ولو باد في البيداء ان يحمد القبا
منيف على السبع الطباق علاؤهم وان اسكنوا فيما يراه الورى التربا
دعوكم ولم يرضوا سماعي دعاءهم ولو أسمعوني كنت أول من لبى
ومن كان حفظ العهد سيماه (٣) أقبلوا عليه وإلا أسبلوا دونه الحجبا
ومن كلفت عين العناية رغيه حته المقام الدحض (٤) والمرتقى الصعبا

(١) رفى بعض النسخ « هوج »
(٢) رفى بعض النسخ « شعبا »
(٣) رفى بعض النسخ « شيمته »
(٤) رفى جميع النسخ « الرخص »

ومن عاقه نيل المقادير لم تطق
على أنني لا أنزل اليأس ساحتي
وقد جاء ان المرء مع من أحبّه
فحسبي رجائي ان يمنوا بعطفهم
ولم لا ونيران القرى في ذراهم
ولا غرو ان يلقي الطفيلي ماجد
وان هم جفوني سوف أهدي إليهم
ومن صدّ عنه الحب فليفش مدحه
وما القصد والمعني بالرمز والكنى
ومن شاهدت عينا من ملك ربه
فسبحان من اعطى النبي محمدا
فيا غوث من غال احمام حماته (١)
أحاشيك يا كلّ اثني ان تذودني
ورد كريم غض عن ورد واغل
لئن قصرت خطوي إليكم خطيئي
بأرض المنى أقدام إقدامه ضربا
وقلبي على بعدي يهيم بهم حبا
عن الصادق المصدوق فيما به أنبا
وان يعقبوا للبعد من وصلهم قريبا
تنادي إلى ناديهم العجم والعربا
بوجه به يلقي المعارف والصحبا
سلامي لعلني بالرضى منهم أحبّي
فإن امتداح الحب يستزل الحبا
سوى من على كلّ النبيين قد أربى
وآياته ما يعجز الكتب والكتبا
من الفضل ما لم يمطه قبل من نبا
وياخير من آوى اليتامى ومن ربّي
عن الحوض يوم العرض أوأمع الشربا
حيا إذا وافاه يتبع السربا
وذبتني الأوزار عن بابكم ذبا

فَمِنْ شِيَةِ الْعَبْدِ الْفَرَارِ لِرَبِّهِ وَمِنْ شِيَمِ السَّادَاتِ أَنْ يَغْفِرُوا الذُّنْبَا
ومنها قوله من قصيدة : (كامل)

رَغْبِي الْحَقُوقُ كَمَا عَلِمْتَ حَقِيقُ وَالصَّبْرُ عَنْ وَادِي الْعَقِيقِ عَقُوقُ
وَلِأَهْلِ ذِيكَ الْحَمَى بَقْلُوبَنَا شَفَفٌ يَسُوقُ نَفُوسَنَا وَيَشُوقُ
وَلذَكَرَهُمْ بَرْدٌ عَلَى طَيِّ الْحَشَى تُشْفَى بِهِ مَرْضَاهِمُ وَتُفِيقُ
وَإِذَا ثَنَى عَطْفَ النَّزِيفِ (١) صَبُوحُهُ فَلَنَا صَبُوحٌ بِأَسْمِهِ وَغُبُوقُ
قَوْمٍ لَهُمْ طَابَ النَّسِيمُ بِطَيْبَةِ حَتَّى انْثَنَى كَالْمَسْكَ وَهُوَ فُتِيقُ
وَغَدَا ثَرَاهَا لِلشِّفَاءِ مَرَاشِفَا وَبَقَاعُهَا كَلَّ الْبَقَاعِ تَفُوقُ
وَمَزَارِعُ أَشْهَى إِلَى عُشَاقِهَا مِنْ شَاطِئِءٍ يَأْوِي إِلَيْهِ غَرِيقُ
شَرَفًا بِأَشْرَفِ مُرْسَلٍ وَاعْزَمَنَّ شَرَفَتْ بِهِ فُئَةٍ وَعِزٌّ فَرِيقُ
هُوَ صَفْوَةُ اللَّهِ الشَّفِيعِ وَمَنْ لَهُ خُلُقٌ بِكُلِّ الْمَكْرَمَاتِ خَلِيقُ
سِنْدُ الْمَصَادَةِ إِذَا الصَّحَائِفُ أَفْصَحَتْ وَنَبِيًّا أَبٌ وَأَخٌ وَفَرٌّ رَفِيقُ
هُوَ أَحْسَدٌ وَمُحَمَّدٌ وَالْمِصْطَفَى وَالْمَجْتَبَى وَالصَّادِقُ الْمِصْدُوقُ

ومن أبيات هذه القصيدة :

كَمْ ذَا أَوْمَلُ أَنْ أَزُورَ ضَرِيحَهُ وَالْحِظُّ يَكْبُو وَالْقِضَاءُ يَمُوقُ

(١) وفي بعض النسخ : النزيب ،

ويد المشيب تناوت حلال الصبا
لكنه ذخري لموقف فاقتي
صلى عليه الله ثم عليهم
وأرت تبشير الصباح تبسما
فاخلولت وفشا بها التمزيق
ومضاجعاه الصهر والفاروق
مازانا جيد حمامة تطويق
وانقاد غصن للنسيم وريق

وقوله : (طويل)

لعل نسيات الضحى والاصائل
وتهدي إذا مررت سحيراً بربعه
علي لذي الاعلى لذلك (١) اصبحت
وكل الأمانى في غدو رواسم
إذا يسم الحادي بها حضرة العلا
والقت الى كف السرى مقود الكرى
وان مال ذو وجد الى شعبة هوى
وما سوقها بل شوقها يستحشها
ومن عجب هوج تهيج لها الصبا
وتهوى بروقا بالعقيق تألقت
تؤدي إلى معنى الحيب رسائل
سلامي الى بدر بطيبة آفل
منازله تعلقو مجر المنازل
إلى رسمه أو في رواح رواحل
أرتك انسياب الفلك تحت المعامل
كما بالطوى طابت لطي المراحل
تجدها لذاك الشعب أول مائل
حيث اخي الإملاق يندعى لنائل
صباية عذري لطيف الشائل
كما جردت يرض بأيدي الصياقل

حيناً لمن في كفه سبغ الحصى
وانسى خطابُ النصب (١) سخبان وائلِ
وكم آية دلت على صدقه فما
ألب لها البانكار في لب عاقلِ
وكم قاصد اقصى مدى معجزاته
تلقاه بحر لا يُحد (٢) بساحلِ
رسول اتى والنبي وارت غيومه
نجوم الهدى والرشد عن كل غافلِ
ووافى ودين الكفر قامت دُعائه
بإبطال تحقيق وتحقيق باطلِ
فلما بدت آياته وهباته
بدا النقض فيما ابرموا في المحافلِ
وضاق الفضايق اللحد عليهم
فلا بال إلا وهو رهن البلايلِ
تلقى كتاباً شرع ذي العرش شرعه
وحد المناص فيه حد المناجلِ (٣)
تولّى امين الوحي جبريل حمله
فأكرم بحمول اليه وجاملِ
حوى وعد وهاب وانفاذ قاهر
وتنزيه قدوس واحكام عادلِ
ووعظاً باهوال المعاد مخوفاً
وعلماً بأنباء القرون الأوائلِ
ودينا الى دار المقامة مديناً
وبشرى بشكر السعي من كل عاقلِ
وزجراً بما يلقاه من زاغ من لظى
اذا قيّد قوم نحوها بالسلاسلِ
وفي كل ما يتلو الرسول دلالة
على صدقه من واضحات الدلائلِ

(١) وفي بعض النسخ « الصب »

(٢) وفي بعض النسخ « يحاط »

(٣) وفي بعض النسخ « المحاصل » ولعل الصواب « الخاصل »

هو المصطفى من قبل تكوين آدم على الخلق من آبائهم والحلائل
حبيب وحبّات القلوب كيناسه اذا بسوىء المحبوب خير المنازل
له غابة من صحبه هو ليشها لديهم مرير الموت عذب المناهل
صدور اذا حلوا يناد وفي الوغى صدورهم تلقى صدور العوامل
اشداء والهيجاء حام وطيسها ذور رحمة بالبائسات الارامل
فكم من عديم صار فيهم كمترف وكم من غريب صار فيهم كاهل
كذا فليكن حسن الثناء لسادة متى أمّلوا لم يخلقوا ظنّ آمل
على من به سادوا الورى وعليهم سلام أكثر (١) الروض بين الخائل
فحنى متى اشتاقهم وتفرّني امانى وامهال بتسويق باطل
وما المرء الا ظاعن مترحل معارء لاوقات تمر قلائل
واسفار صبح الشيب عن ليل لمتي دليل على ظل من العمر زائل
ولما تقضت في التواني شيتي واصبحت من جرائمها في جائل
ولم يبق لي الا التفاني بادمع على طول تفريطي هوام هوامل
وكل يرى ان المديح وسيلة لكل كريم من اجل الوسائل
مدحت الشفيع المصطفى غير قائم بمشار ما يخصى له من فضائل

وما المدح فيمن يحسن المدح باسمه
ولكنه جُهد المقلِّ لقاصر
الم يك (١) قول الله في رفع ذكره
وقوله : (كامل)

اعيد الحديث فليس بالملول
واملاً مسامعنا بطيب حديثه
وادأب عليه مصلياً ومسلماً
واخصص بترديد السلام ضريحه
واذا رايت العيس تُحدي (٢) نحوه
واشفع بمن حملت على اكوارها
واصحبهم بالقصدان ونت (٣) الخطى
فعسى ينالك من زكاة زكائهم
ومن اقتدى بالصدق في انجائه
ومن اشرب الى لقاء حبيبه
واماطسوف ومثج ريقه (٤)

واوصافه الا كتحصيل حاصل
عن الفرض في تعظيمه والنوافل
وهل بعد قول الله قول لفائل
عن خير مبعوث وخير رسول
فهو الشفاء لحر كل غليل
فكذا اتى في محكم التنزيل
في كل شارقة وكل اصيل
فاخر مواظمتهم للتقبيل
من حامل لغرامه محمول
وزايت باع الطول غير طويل
ما قرر القرآن لابن سيل
قادته عزمته بغير دليل
جذب المقادة من يد التعليل
بلها العزيمة من فم التاميل

(١) وفي بعض النسخ « نرو »

(٢) وفي بعض النسخ « تخذي »

(٣) وفي بعض النسخ « وصب »

(٤) وفي بعض النسخ « ريقه »

حتى يرى اليداى وثبةً خائف
كلُّ الجمال متى ارى لك زائراً
فرحاً بمنفك المقدس تزبه
مترنحاً طرباً ترنح منتش
فهنالك اظفر بالاماني والمنى
وتهزني من طيب طية نفة
واذا اسات تأدبا بحماكم
من ذا يرى حرم الحيب فيهتي
قمر له هضبات مكة مطلع
جاءت نعوت كماله منصوصة
وبه تشفع آدم للإلاه
واتى ببعثه المسيح مبشراً
وبليلة الإسراء اكمل فضله
واليه نلجأ في المعاد لأننا
ما زال في الاصلاب ينقل نوره
من نعمة للجود روض نبتها
والميل من قصر دوين الميل
متبوئنا بذراك خير مقيل
فرح المحب مبشراً بقبول
هزت معاطفه شمال شمول
وعلى الوجود أصول حين وصولي
فيطيب لي مرحي وجر ذيولي
عفوا فياني غبت عن معقولي
لتميز المعلوم والمجهول
والروضة الفيحاء افق افول
في الذكر والتوراة والانجيل
أما احس بحالة التجويل
يوصي به للجيل بعد الجيل
ناهيك من فضل ومن تكميل
ناوي لظل للنجاة ظليل
حتى تبلج في اعز قبيل
وفروع مجد فارع واصول

صيد تحل من الاكابر هامها وتحل منها مفرق الياكليل
فانجاب غيم الغي عند ظهوره كالشمس في جو تلوح صقيل
واذل من بالكفر حاول عزة واعز بالايماز كل ذليل
الف الجميل فما يقابل سائلا إلا بوجه كالسراج جميل
لا يعتم السارون ان نزلوا به ريبا لصاد او قيرى لتزيل
سمنح يشا كل حسنه احسانه لا تعتربه ملالة المسؤول
يلقى الارامل واليتامى ان نأت عنهم عشرتهم بكف (١) كفيل
ويبيحهم من حبه وحبائه ما يحمل المثرى على التطفيل
هذا الفخار ومن يكن ذا وصفه فالمدح فيه كقطرة في النيل
وعلى اولي الالباب طرا ان يروا بذل النفوس له اقل قليل
فعله من ذي المرش كل تحية وعلى صحابته ذوي التفضيل
ما امرع (٢) الروض الحيا وتضوعت ريبا نسيم في الغدو عليل
وقوله وذكر شهر مولده صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ،
ومجد وعظم : (كامل)

اعلمت انك يا ربيع الاول تاج على هام زمان مكلل

(١) وفي بعض النسخ د بغير

(٢) وفي بعض النسخ د ابدع

مستعذب الالمام مرتقب اللقا كَلَّ الفضائل حين تقبل تقبل
ما عدت إلا كنت عيداً ثالثاً (١) بل انت احلى في القلوب واجل
شرفاً بولد مصطفى لمّا بدا اخفى الاهلة نوره المتهلل
وحويت مذاصحت ظرف زمانه ظرفاً به في برد حسنك ترفل
وملكت انفسنا بلطف شمائل بنسبها نفس العليل تعلل
واذا حدا الحادي (٢) بمنزلة الحمى فالقصد سكان الحمى لا المنزل
فطلّ الشهور علا وفاخرها فان شمت باطولها فانت الاطول
واستن منها ليلة القدر التي بثنائها نزل الكتاب المنزل
واصنح لقول الله فيها انها من الف شهر في الانابة افضل
واستكمل البشرى فانك لم تزل لك في القلوب مكانة لا تجهل
لنم لا وعشرك واثنائه اريتنا قمره به شمس الضحى لا تعدل
ومن العجائب بدز تم يستوي لتام عشر واثنين ويكمل
ويفوت اعمار السماء لانها للنقص من بعد الزيادة تنقل
وكمال هذا البدر لا يعزى الى نقص ولا عن حاله يتحول
بل نوره يزداد ضعفا كلما طفق المحاق سنى البدور يبدل

(١) فى بعض النسخ « ثانيا »

(٢) فى بعض النسخ « شدا الحادى » والتصحيح عن المدخل لابن الحاج ٢ - ص ٤٤

ويقي غنارَ الغيِّ وضـاً شـاً ، ويبين من سبل الهدى ما يشكِلُ
وتُراع افئدة العداة له كما يرتاع من شاكي السلاح الاعزلُ
فمتى تحيط بوصف بدر نبوة وافى وليل الكُفْر داج أليلُ
فجلا عن الآفاق غيَّبها كما يجلو صدا العضب الحسام العيقلُ
وهدى إلى كفّ النجاة سراجهُ فعشا المُحقّ به وضلّ المُبطلُ
وتظافرت ايدي الرفاق فصيرت شيع النفاق وضعفهنّ مدللُ
وشدت بألسن حالها الاكوان من طرب له هذا النبي المرسلُ
هذا الذي هو للمناصب علقم ولماحض الودّ الرحيق السلسلُ
وعلى الأرامل واليتامى إن خشوا أن تبدو الصفحات ستر مرسلُ
وإذا اتنى الأقران عن وقع القنا فهو الملاذ لمن كبا والمعقلُ
وهو الشفيع المستجار بجاهه والأمّ عمن ارضته تذهلُ
قبساً برسله إلينا رحمة إني عليه معولٌ وممّولُ
لا ادعى علما ولا عملا ولـكنني بجاه محمد أتوسلُ
فلربما صدّ الكريم حياؤه ان كان في ندمائه متطفلُ
صلى عليه الله ما هبت صبا لئلا وما تفتت سحيراً شمألُ
وعلى صحابته وصفوة آله ما لاح برق او ترنم بلبلُ

فأقمنا بالمهدية يوم الوصول اليها وهو يوم الاثنين الثاني عشر
من صفر كما تقدم ، وارتحلنا عنها من الغد فنزلنا بمدينة سوسة ومنها
يوم الاربعاء الى الفلاحين ثم منها يوم الخميس الى رادس ومنها
صبح يوم الجمعة الى الوطن تونس حرسها الله تعالى ، فكان أمد الغيبة
عنها من يوم الخروج الى يوم الدخول اليها عامين اثنين وثمانية
اشهر وأياما التي هي بحسب كمال الاشهر ونقصها تسعمائة يوم
وخمسة وسبعون يوما

وهنا انتهى الغرض المقصود من هذا التقييد والحمد لله أولا وآخرا
وباطنا وظاهرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
تسلما كثيرا طيبا مباركا

ورأيت أن اخته بقصيدة كنت نظمتها بطرابلس لما طال بنا
هنالك أمد المقام ، أمدح بها النبي ، محمدا صلى الله عليه وسلم خير
الانام ، وأتوسل به الى الله تعالى في تيسير المرام : (كامل)

كم أنت في اللذات ذو استغراق ونذير شيك مؤذنب بفراق
ولقما يجدي المتاب إذا أتى داعي الحيام وقيل هل من راقبي
يا صاح دعوة ناصح لك مشفق والنصح يُقبل من ذوي الإشفاق
بادر إل التقوى بدار مسارع وانهض إلى الطاعات نهض سباق
واغنم من الأيام مهلة ساعة قبل التفاف السبق منك سباق

حَدَّثَ نَفْسَكَ بِالْبَقَاءِ وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِيَبْقَى بَاقِي
كُلِّ بِهَا فَاَنْ وَمَنْ قَرَضَ وَلَا بَقِيَا لِغَيْرِ الْوَاحِدِ الْخَالِقِ
وَاتْرَكَ اناساً آثَرُوا لذَاتِهِمْ وَاسْتَمْتَعُوا مِنْ دَهْرِهِمْ بِخُلُقِ
عَلَقَتْ نَفْسَهُمْ بِنَزْرِ عَاجِلٍ فَاسْتَبَدَلُوهُ بِأَنْفُسِ الْإِعْلَاقِ
عَوَاضَ كَلَا عَوَاضٍ وَيَعِ كَلَّهُ غُبْنٍ وَسَعِي ظَاهِرِ الْإِخْفَاقِ
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ كَدْحًا وَأَنْتَ لَمَّا كَدَحْتَ مَلَاقِي
وَالْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا هُوَ فَاعِلٌ وَجَزَاؤُهُ جَارٌ عَلَى اسْتِحْقَاقِ
فَنِعْمَ ذِي الطَّاعَاتِ غَيْرِ مَكَيِّفٍ وَعَذَابِ ذِي الْعِصْيَانِ غَيْرِ مَطَاقِ
لِلَّهِ أَقْوَامٌ اطَّاعُوا رَبَّهُمْ وَوَفَوْا بِمَا أَغْطَوْهُ مِنْ مِثَاقِ
عَظُمَتْ لَهُمْ هِمَمٌ وَعَزَّتْ نَفْسٌ فَسَمَتْ بِهِمْ نَحْوَ الْمَحَلِّ الرَّاقِي
قَوْمٌ لَوْ اطَّلَعَ الْمَلُوكُ عَلَيْهِمْ لَسَعَوْا لِيَخْدُمَتَهُمْ عَلَى الْإِحْدَاقِ
مِنْ كُلِّ بَدْرٍ أَفْقُهُ مِحْرَابُهُ لَا يَخْتَشِي أِبْدَأَ لِحَاقِ مِحَاقِ
يَسْمُونَ إِذَا نَامَ الْإِنْسَانُ نَوْرَدُهُ فَيَعُودُ مِنْهُ اللَّيْلُ إِذَا إِشْرَاقِ
خَطَبُوا النِّعِيمَ بِيَذْلِهِمْ لِنَفْسِهِمْ وَالخِطْبُ لَا تُعْطَى بِغَيْرِ صِدَاقِ
لَمْ تَحْصُلِ الْآخِرَى لَهُمْ إِلَّا وَقَدْ خَرَجُوا عَنِ الدُّنْيَا خُرُوجِ طَلَاقِ
أَنْ لَمْ أَكُنْ بِالْفِعْلِ مَلْتَحِقًا بِهِمْ فَالْحُبُّ فِيهِمْ مُقْتَضٍ لِلْحَاقِي

يا ربّ بالهادي الذي ارسلته نوراً افضت سناه في الآفاق
هاد اتى والجهل قد عمّ الورى والكفر قد غطاهم بسرواق
فَجَلَّ لَهُم سَبِيلُ الْهُدَى وَأَمَّا لَهُمْ مِنْ غِرَّةٍ كَانَتْ بِهِمْ وَشِقَاقِ
وَلَقَدْ حَبَّاهُ اللَّهُ كُلَّ فَضِيلَةٍ وَأَنَالَهُ الْعِلْيَا عَلَى الْإِطْلَاقِ
بَنَزُولِ طُسْتٍ فِيهِ طَهَّرَ فُؤَادَهُ وَعُرُوجِ جَسْمٍ وَامْتِطَاءِ بُرَاقِ
وَكَفَى لَهُ شَرَفًا بَانَ اللَّهُ قَدْ أَثْنَى عَلَى مَا حَازَ مِنْ اخْلَاقِ
يَسِّرْ لَنَا فِيمَا بِهِ كَلَّفْتَنَا عَوْنًا لِنَمُتِلَ امْتِثَالِ وَفِئَاقِ
وَأَمْنُنْ عَلَيْنَا بِتِ الْوَصُولِ لِقَبْرِهِ فَهُوَ الشِّفَاءُ لِقَلْبِي الْمَشْتِاقِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي سَاعِيَا فِي شَدِّ اِكْوَارِ وَحُدُودِ نِيَاقِ
فَلَکُمْ تَوَخَّرَ عَزْمَتِي الْاِقْدَارِ مِنْ فِرَاقِ تَسِيرِ لِقَبْرِهِ وَرَفِئَاقِ
قَسَمًا بَعِزَّتِهِ وَرَفْعَةً قَدِيرِهِ إِنِّي لَزُورْتَهُ لِبِالْاَشْوَاقِ
لَكِنِّ سَيِّئٌ مَا جَنَيْتُ أَقْرَبْنِي عَنْهُ وَقَيْدَ عَزْمَتِي بُوْثَاقِ
لَا هُمْ إِنَّا لَا نَذُورُ بِجَنَاهِهِ فَهُوَ الشِّفِيعُ لَنَا وَأَنْتَ الْوَاقِي
صَلِّ عَلَيْهِ اللَّهُ مَا هَبَّتْ صَاصِبَا وَتَرَنَّمْتِ وَرُقَّ عَلَى اأُورَاقِ



الفهارس

تنبيه

النهائس الابجدية التالية شاملة لا في الاصل والتعليقات

فهرس

اسماء الرجال والقبائل

- أ -

آدم ٢٦٧ - ٣٨٧ - ٣٨٩

آل سالم ٢٢٠

آل غالب ٣٠٩

ابراهيم بن عبد الله ١٢٥

ابراهيم بن قسراتكين (سلاح دار) ١١٢ - ١١٤ - ١٣٨

ابراهيم بن محمد الصنهاجي ٩٦ - ٩٧ - ٣٣٠ - ٣٣١

ابراهيم بن مطرف (ابوزدارة) ١٩٧

ابراهيم بن يوسف بن زيري ٩٦

الابراهيميون ٢١٧

ابن الابرار ٨٤ - ١٠٦ - ٢٧٠ - ٢٧٢ - ٢٧٨ - ٣٦٥ - ٣٧٥ - ٣٧٦

ابن ابي حفص ابو علي بن ابي موسى (انظر: ابو علي)

ابن ابي حفص، ابو محمد عبد الله بن عبد الواحد (انظر: ابو محمد عبد الله)

ابن ابي حفص ابو محمد عبد الواحد (انظر: ابو محمد عبد الواحد)

ابن ابي الحواجب للمهدوي ٣٧٠

ابن ابي سلام (ابو عبد الله بن ابي بكر بن ابي زاكي البلوي) ٢٢٨ -

٢٩٨ - ٢٩٩

ابن ابي زيد (انظر : ابو محمد)

ابن ابي عامر (انظر : ابو حفص عبد الله)

ابن الاثير ١١ - ١٤ - ١٥ - ٢٤ - ٩٢ - ١٢٤ - ١٣٥

ابن الاغلب ٢٣ - ٢٤ - ٨٠ - ٨٥ - ٢٢٠

ابن باديس ٢١

ابن بديل ٣٢٤

ابن البراء التنوخي (انظر : ابو القاسم بن علي ٠٠)

ابن البراء المهدوي (انظر : محمد بن البراء)

ابن بزريق ، ابوبكر (انظر : ابو بكر)

ابن بزريق ، ابويحيى (انظر : ابو يحيى)

ابن بسام ١٦ - ٢٢

ابن بشكوال ٥٥ - ٧٩

ابن بشير (انظر : محمد بن بشير)

ابن بلبل (انظر : حسن بن بلبل)

ابن بياضة (انظر : مفرج بن بياضة)

ابن اليساني (انظر : الفاضل اليساني)

ابن البيطار ٣١٤

ابن تافراجين ١٠٦

ابن تغري بردي ١١

ابن الجلاب ٢٥٦

ابن الحاج (صاحب المدخل) ٣٩١

ابن حبيب (انظر : محمد بن حبيب)

ابن حجّاج ٧٩

ابن حجري الاشبيلي (انظر : ابو الحسن)

ابن الحداد (ابو الحسن علي بن محمد) ٣٣٢

ابن الحذاء (انظر : ابو عمر)

ابن حسّينة (انظر : ابو ابراهيم)

ابن حشرون المهدوي (انظر : عثمان بن ابي القاسم)

ابن الحكيم الزندي ١٦٤ - ١٦٥

ابن حمّاد (انظر : محمد بن علي بن حماد)

ابن حمدون (انظر : مطرف بن علي)

ابن حمدون ' ميمون (انظر : ميمون)

ابن حندين الصقلّي ٩٥

ابن حَيَّان الأوسِيّ ، ابو عبد الله محمد بن احمد ٢٧٩

ابن حَيَّون (انظر : محمد بن حيون)

ابن خالد (انظر : احمد بن خالد)

ابن الخباز اللواني ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن علي)

ابن خُرَّاسان ٣٤١ - ٣٤٦

ابن الخُرَّاط ٣٤٧

ابن خزررون (انظر : سعيد بن خزررون)

ابن الخطيب ٢٥٧

ابن خلدون (المؤرخ) ٥ - ٢٠ - ١١١ - ١١٣ - ٢٦٥ - ٣٥٠

ابن خلفون الحسّاني (انظر : ابو عثمان)

ابن رأس الحجلة ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن عمر)

ابن رشيد (انظر : محمد بن رشيد)

ابن رشيّق ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ -

٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨١ - ٣٦٦

ابن الرومي ٤٠

ابن زنون ، ابو عبد الله ١٥٧

ابن زُهر ٨٤

ابن زناد الفادعي (انظر : محرز)

ابن سعد (صاحب الطبقات) ١٢٥

ابن سعيد (صاحب خزانة الادب) ٥٢

ابن سعيد، ابو الحسن (صاحب كثر المطالب) - (انظر علي بن موسى)

ابن السمّاط، ابو علي ٢٦٠

ابن السمّاط البكري المهدوي، ابو يعقوب (انظر: يوسف بن علي)

ابن السكّك، ابو بكر (انظر: ابو بكر)

ابن السّيرافي ٦٤ - ٦٥

ابن الشّباط ١٦٢

ابن شبرين الجذامي السبّتي ١٦٤ - ١٦٨ - ١٧٠

ابن شدّاد ١٤ - ١٥ - ٣٤١ - ٣٤٦ - ٣٤٧

ابن شرف ٢٩ - ٣٣ - ٧٩ - ٨٣

ابن صخر، (انظر: ابو الحسن)

ابن الصّفير الازدي ٨٩

ابن الصّفار السوسي (انظر: علي بن احمد)

ابن الضابط (انظر: ابو عمرو عثمان)

ابن عبّاد (المعتد) ١٩٧

ابن عباس ٨ - ٩

ابن عبد البرّ، ابو عمّر ٢٦

ابن عبد الحكم ١١

ابن عبد السلام الكومي ، (انظر : محمد بن عبد السلام)

ابن عبد الكريم الرجراجي (انظر : محمد بن عبد الكريم)

ابن عبد الكريم النماري (انظر : عبد الله بن عبد الكريم)

ابن عبد الكريم العوفي (انظر : ابو يحيى)

ابن عبدون السوسي (محمد) ٣٨ - ٤١

ابن عبّيد ، ابو فارس (انظر : ابو فارس)

ابن عدي ، (انظر : ابو احمد)

ابن عذاري ١٢ - ٢٨

ابن العربي ٢٥٦

ابن عرية القيسي ، ابو عمرو (انظر : عثمان)

ابن عصفور ٣٥٥

ابن العطار القرطبي ١٧٨

ابن عفيف ٢٧٢

ابن علوان الصخري (مالك) ٣٣١

ابن عُمَر ٣١

ابن عُميرة (انظر : ابو المطرف)

ابن العنبر ٦٢

ابن عيينة ٨٧

ابن الغطاس السوسي ٣٧

ابن الغليظ الكومي (أبو زكرياء يحيى بن محمد) ٣٧٦

ابن فاضل البكري الافريقي (انظر : محمد بن فاضل)

ابن فتح الغماري النزاوي (انظر : ابو بكر بن فتح)

ابن فرج الكومي . ابو عبد الله محمد (انظر : محمد بن الفرغ)

ابن فرج الهواري الطرابلسي . ابو مسلم (انظر : مؤمن بن فرج)

ابن فرسان (انظر : عبد البر)

ابن فطيس (محمد) ٢٧٢

ابن قائد الكلاعي (انظر : الكلاعي)

ابن قتيبة ٨٧

ابن القطبان (أبو الحسن) ٨ - ٩

ابن قطن ١٣

ابن كلدين ١٢٥

ابن لبابة (انظر : محمد بن عمر)

ابن اللمطي (انظر : علي بن اللمطي)

ابن لقمان ٩٦

ابن ماكولا ١٤٢

- ابن المثنى (انظر : ابو الحسن)
ابن مثنى (انظر : عبد الله بن ابراهيم بن مثنى)
ابن مجبر ، ابوبكر ١٣٧ - ١٣٩
ابن مرزوق السالمي (انظر : غلبون)
ابن مطروح التيمي (ابويحيى) ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٥
ابن معاوية اليحصبي ، ابو الفضل (انظر : ابو الفضل)
ابن معاوية اليحصبي ، ابو القاسم (انظر : المعاوي)
ابن معمر ، ابو موسى ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٧٤ - ٢٨٠
ابن معمر الهواري الطرابلسي ، ابو علي (انظر : الحسن بن موسى)
ابن معين ٩ - ٣٢
ابن ملجوم (انظر : ابو القاسم)
ابن المناصف ٢٥٧
ابن المنمر ٢٥٠ - ٢٥٧ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٣١٧
ابن ميخائيل القرشي ٣٣ - ٣٤
ابن ميمون ، علي (انظر : علي بن ميمون)
ابن ميمون ، محمد ، (انظر : محمد بن عبد العزيز)
ابن نخيل ١٠٨ - ١٤٧
ابن نزار (انظر : ابو زيد)

ابن هانش الطرابلسي ، ابو محمد ٢٦٣

ابن هشام ٥٩

ابن هود ٣٦٤

ابن يعيش ، ابو عبد الله محمد ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٣٠٣ - ٣٠٤

ابن يغمور الهنتاتي ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن يغمور)

ابن يملول ، ابو العباس احمد بن محمد ١٦٣ - ٢٣٩

ابن يوجاق (انظر : ابو زيد)

ابو ابراهيم احمد بن الاغلب ٢٦

ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم بن حُسَيْنَة ١٥٦ - ١٧١ - ١٨٩ - ١٩٢

٢٠٤ - ٢٣١ - ٢٣٢

ابو احمد بن عَدي ٨ - ٩

ابو اسحاق (السيد ابو اسحاق) ١٣٦

ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن علي بن سالم الجينياني ٦٧ - ٦٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٣

ابو اسحاق ابراهيم بن سعيد ٥٤

ابو اسحاق الاجدابي (انظر : الاجدابي)

ابو اسحاق الرقيق (انظر : الرقيق)

ابو البركات بن ابي محمد بن ابني الدنيا ٢٥٣

ابو بكر الصديق (الصهر) ٢١٩ - ٣٨٥

ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب ٦٦

ابو بكر بن بزريق ٢١٩

ابو بكر بن عبد الرحمن اللبيدي ٨٣

ابو بكر بن عبد العزيز بن السكك ٣٥٥

ابو بكر بن فتح الغماري النفاوي ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٣ - ١٥٤

١٧٣ - ١٧٤

ابو بكر بن مجير (انظر: ابن مجبر)

ابو بكر بن محمد بن احمد بن شبرين الجذامي السبتي (انظر: ابن شبرين)

ابو ثابت عامر بن عبد الله المريني ١٩٧ = ١٩٨

ابو جبارة عبد السلام بن موسى ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٧

ابو جعفر المنصور ٢٠٩

ابو الجيش محمد بن ابراهيم الاندلسي البسطي ٢٥٧

ابو حامد الفزالي ١٤٣ - ٢٥٥ - ٢٥٦

ابو حازم الكلبي ١٣٥

ابو الحجاج ١٥٥

ابو الحجاج يوسف بن زيري ٢٤١ - ٢٤٢

ابو الحسن بن ابي محمد عبد الوهاب ٢٦٢

ابو الحسن بن ابي مروان ٢٧٦

ابو الحسن بن حجرى الاشيلي ٣٥٩

ابو الحسن بن السيد ابي محمد ٣٦١

ابو الحسن بن صخر ٥٤ - ١٢٥

ابو الحسن بن الميثى ٥٤

ابو الحسن بن يحيى بن تميم بن المعز (انظر: علي بن يحيى)

ابو الحسن البارزى ٢٤٩ - ٢٥٠

ابو الحسن حازم بن محمد بن حازم (انظر: حازم بن محمد)

ابو الحسن السيقاطى ٢١٩

ابو الحسن الشاطبى ٣٤٧

ابو الحسن الفريانى ٧٥

ابو الحسن القابسى ٢٦٦

ابو الحسن علي بن ابراهيم التجانى ٢٥٨ - ٢٧٠

ابو الحسن علي بن احمد بن الحبيب (انظر: علي بن احمد)

ابو الحسن علي بن ابي بكر بن بلال ٢٧١

ابو الحسن علي بن الحسن بن الحسين الهنائى . كُراع ٢٦٣

ابو الحسن علي بن محمد بن المنر الطرابلسى القرظى (انظر: ابن المنر)

ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد (انظر: علي بن موسى)

ابو الحسن علي بن محمد بن الحداد (انظر: ابن الحداد)

ابو حفص (جد الحفصيين) ٢٠٣

ابو حفص بن مكى ٢٦٢

ابو حفص عبد الله بن محمد بن عامر بن ابي عامر ٢٧٢

ابو الحكم الحسن بن عبد الرحمان بن عدرة ٩٢

ابو حمراء ٢٧٥

ابو حنيفة ٣١٣ - ٣٦٩

ابو حيان ٢٧٢

ابو الخيبري ٣١١ - ٣١٢

ابو زُرارة (انظر: ابراهيم بن مطرف)

ابو زكرياء ٧ - ١١٩ - ٢٦٣ - ٢٦٧ - ٢٦٩ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٣٦٣

٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧

ابو زكرياء البرقي ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٣٦٨ - ٣٧١

ابو زكرياء بن ابي الحسن علي التجاني ١٩٠ - ١٩١

ابو زكرياء بن يعقوب ١٧٩ - ٢٠٤

ابو زكرياء يحيى بن محمد الغليظ (انظر: ابن الغليظ)

ابو زياد المغربي ١٥

ابو زياد محمد بن عثمان بن يغمُراسين بن زياد ١٩٨

ابو زيد بن السيد ابي حفص ١٠٤ - ٢٤٣ - ٢٨٢ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤

٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨

ابو زيد بن يوجاق ٣٦٣

ابو زيد عبد الرحمان بن ابي القاسم بن نزار السهمي ١٣٩ - ١٤٠ - ١٨٩

ابو ساكن عامر بن محمد بن مكّي بن كامل بن جامع ١٠٢

ابو سالم (بن ابي يعقوب المريني) ١٩٧

ابو سعيد بن ابي حفص ١٠٥ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣

ابو سفانة (انظر : حاتم الطائي)

ابو سليمان الخطابي ٨٠ - ٢٠٨

ابوشامة ١٥

ابوشنّب ١٢

ابو صبيرة مسعد بن الازرق الضريسي ١٠٤

ابو الصلت أمية بن عبد العزيز ٤٢ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤

٩٨ - ١٢٥ - ٣٣١

ابو طالب محمد بن عبد الله الانصاري ٢١

ابو الطاهر بن ابي اسحاق الجبلي ٨١

ابو الطاهر السلفي ١٦١

ابو الطيب المتني ٦٣ - ٧٢

ابو العباس الاعجمي ٢٥٧

ابو العباس الشيعي ٢٤٠

ابو العباس اللحياني ١٩٣

ابو العباس محمد بن الاغلب بن ابراهيم بن الاغلب ٢٦

ابو عبد الله بن ابي يعقوب يوسف ٢٦٧

ابو عبد الله الخشاب ٢٥٠

ابو عبد الله الخبّاري ٢٤٨

ابو عبد الله الشيعي ٢٤٠

ابو عبد الرحمان يعقوب بن يوسف بن محمد الهرغي ٢٦٧ - ٢٦٨

٢٦٩ - ٢٧٠

ابو عبد السلام مفرج بن ياضة (انظر : مفرج بن ياضة)

ابو عبّيد ١٣٥

ابو عبّيدة ٣١١

ابو عثمان بن خلفون الحساني ٢٥٠ - ٢٥١

ابو العرب محمد بن احمد بن تميم ١٢ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢

ابو العلاء (الموحدي) ٣٦٣ - ٣٦٤

ابو العلاء العمري ٦٠ - ٦١ - ٦٣

ابو علي بن ابي موسى ابن ابي حفص ٢٧٥

ابو علي القالي ٦١ - ١٨٣

ابو علي النفطي ١٤٣

ابو عمر بن الحذاء ٧٩

ابو عمران بن عيسى بن عمران (انظر موسى بن عيسى)

ابو عمرو عثمان بن ابي بكر بن حمود الصدفي (ابن الضابط) ٧٨ - ٨٠

ابو عيسى (سهيل) ٢١٣

ابو عيسى العموري ١٣٢

ابو غرارة (سلام) ١٨٠ - ١٨١

ابو فارس عبد العزيز بن عبد العظيم بن عبّيد ١٠٦ - ٢٥٤ - ٢٥٦

٢٥٨ - ٢٦٢ - ٢٨٠ - ٣٠٦ - ٣٠٧

ابو الفتح زيان الصقلي (انظر : زيان)

ابو الفتوح بن محمد ٣٥

ابو الفتوح بن يحيى بن تميم ٧٣

ابو الفرج احمد بن علي ٦٦

ابو الفضل بن معاوية اليحصبي ٣٧٦

ابو الفضل محمد بن علي التجاني ٨٨ - ٢٢١ - ٢٨٠ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٩٥

ابو القاسم (القائم العبّيدي) ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٤٠ - ٢٤١

٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧

- ابو القاسم بن أبي عبد الله محمد الخباز ٣٦٨
ابو القاسم بن بشكُوال (انظر ابن بشكُوال)
ابو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء التنوخي ٣٦٧
ابو القاسم بن محمد بن ملجوم ٣٠٠ - ٣٠١ -
ابو القاسم السهيلي ٥٩
ابو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله الجوهرى (انظر : عبد الرحمان)
ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد الحضرمي اللبيدي ٦٧ - ٦٩ - ٨٣
ابو القاسم نصر بن احمد الخُبَزْأُ رُزِي (انظر : نصر)
ابو قيس (سعد بن مالك) ٢٨٣
ابو لبابة الانصاري ٩١ - ٩٢ - ٩٤
ابو محمد بن أبي البركات بن ابي الدنيا الصدفي (انظر : عبد الحميد
ابن أبي البركات)
ابو محمد بن أبي زيد ٢٥٠ - ٢٦٥ -
ابو محمد بن شبرين الجذامي السبتي (انظر : ابن شبرين)
ابو محمد بن يعقوب ١٣٦
ابو محمد عبد الله بن ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص ٥٢

ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ١١٠ - ١٢٠ - ٢٤٠ - ٣٥٧ - ٣٦٠

٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣

ابو محمد (مؤلف هذا الكتاب) - (انظر : عبد الله التجاني)

ابو المجد الصوفي المهدي ٢٧٨ - ٢٧٩

ابو مروان بن مكّي ١٧٨

ابو مطرف بن عميرة ٩٠ - ٩١ - ٩٢

ابو المعالي ٢٥٥ - ٢٥٧

ابو موسى عيسى بن ابراهيم السوسي ، القطان ٣٦

ابو نزار خطاب البرقي ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥١

ابو نعيم الحافظ ٧٨ - ٧٩

ابو نواس ٣٤

ابو الوليد الباجي (سليمان بن خلف) ٢٧٦

ابو يحيى زكرياء بن اللحياني (انظر : مخدومنا)

ابو يحيى (الممريني) ١٩٧

ابو يحيى بن ابي بكر بن بزريق ٢١٨

ابو يحيى بن عبد الكريم العوفي ٣٧٠

ابو يحيى بن مطروح التميمي (انظر : ابن مطروح)

ابو يحيى عتيق بن ابي عمرو (انظر : عتيق)

ابو يزيد مغلد بن كيداد النكارى ، صاحب الحمار ٢٢ - ٢٤ - ٢٥

٢٧ - ٢٨ - ١١٩ - ٢٠٨ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٣٢١ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥

٣٢٦ - ٣٢٧

ابو يعقوب بن عبد المؤمن ٢٤٣ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٦١

ابو يعقوب الحساب ٢٦٠ - ٢٦١

ابو يعقوب الطري ١٤٣ - ١٤٤

ابو يعقوب المريني ٤ - ٥ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٢٠

ابو يوسف الدهمانى ٥٦

الاثبج (قبيلة) ١٨ - ٧٠

الاجدابى ، ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل ١٤١ - ٢١٦ - ٢٦٢ -

٢٦٣ - ٢٦٤

احمد (اخو المؤلف) ١٩٨

احمد باشا باى ٨

احمد بن ابراهيم الفسانى ٣٧١ - ٣٧٤

احمد بن ابراهيم القيسي اللباني ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٤

احمد بن أفلح ٢٨

احمد بن حنبل ٩

احمد بن خالد ٢٧٢

احمد بن دياب بن ربيعة بن زغب ١٣٤

احمد بن زريق البغدادي ٢٦٥

احمد بن عبد الله الرصافي ٢٩٩ - ٣٠٠

احمد بن عبد السلام الأموي التاجوري ٨٣ - ٢١٧ - ٢٥٤ - ٢٥٨

٢٧٠ - ٣٠٨

احمد بن علي بن سالم ٨٠

احمد بن عيسى الفماری ٢٥٧

احمد بن محمد بن يملون (انظر : ابن يملول)

احمد بن يحيى ٢٧١

احمد الواعظ ٦٦

الادريسي (الشريف) ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣

الارموي (انظر : تاج الدين)

أسد بن القسرات ٢٦

اسد الدين شركوه ١١١

اسرائيل بن روح الساحلي ٦٦

اسكندر آصاف ٣٤

اسماعيل بن حصن ٦٦

اسماعيل الشيعي (المنصور بن القائم) ٢٨ - ٣٢٧ - ٣٢٨

اسماعيل بن ربّاح ١٢

الاشبيلي (انظر : ابو الحسن بن جبري)

الاصابع (قبيلة) ١٣٤

الاصولي (عبد الرحمان بن ابراهيم) ٢٦٩ - ٣٧٨

الاعجبي (انظر : ابو العباس)

الاعمى الفهمي ١٣٨

الامير الازدي (انظر : ابن الصغير)

ام سالم بن مرغم ٢١٥

ام محمد بن سخنون ٦٩

ام موسى ٣٧٠

أمية بن ابي الصلت ٣١٤

أنس بن مالك ٦ - ٢ - ٣١

اولاد سهيل ٢١٢

أيوب بن خيران الزويبي الككاري ٢٤ - ٢٥

- ب -

الباجي ، ابو الوليد (انظر : ابو الوليد الباجي)

باديس بن يوسف بن زيري (باديس بن المنصور) ٩٦ - ١٨١ -

١٨٢ - ٢١٨

البارزي (انظر : ابو الحسن البارزي)

البخاري ١٤٢ - ٢٥٦ - ٢٥٨

برغواطية (قبيلة) ٩٦

البرقي ، ابو زكرياء (انظر : أبو زكرياء)

بُشْرِى الصقلبي ٢٤ - ٢٥

الْبَكْرِي ، ابو عبيد (صاحب السالك) ٦ - ٧ - ٨ - ١٠ - ١٣ - ٢٨

٥٧ - ٨٩ - ٩٤ - ٩٦ - ١٥٥ - ٢٤٧ - ٢٥٩ - ٢٧١ - ٣٢٢ - ٣٢٦

الْبَكْرِي ، ابو يعقوب يوسف بن السباط (انظر : يوسف بن علي)

الْبَلَوِي ابو عبد الله بن ابي سلام (انظر : ابن ابي سلام)

بنو ابي زاكي ٢٣٠

بنو احمد ١٣٤ - ١٤١

بنو أسد ١٦٠ - ١٦١

بنو الاغلب ١٣ - ٨١ - ٢٤٩

بنو أمية ٢٣٩

بنو تاسا ٢١٦

بنو التجاني ٢٥٦

بنو تميم (انظر : تميم)

بنو تيجان ٢٢٨ - ٣٠٦

بنو جارية بن وشاح ٢٠٦

بنو جامع ٥٥ - ١٠٠ - ١٠٢ - ١٦٣

- بنو حَسَيْن ٢١٧
بنو خُرَاسَان ٣٤٥
بنو خَزْرُون ٢٤١
بنو خَطَاب الهَوَارِيُون ١١٢
بنو خِيَار ٨٥ - ٣١٦
بنو دَبَّاب ٨٥
بنو دَبِير ١٦٠
بنو دَلَّاج ١٥
بنو رِحَاب ١١٨
بنو رِزْق ٢١٧
بنو الرُّنْد ١١٤
بنو زِيرِي ١٧ - ٣٢٨
بنو سَلَام ٢١٧
بنو سَمُون ١٢٣
بنو سِنَان بن عَامر ٨٦ - ٢١٤
بنو سَهْم ١٤٠
بنو صَلْتَان ٢٢
بنو عَامر الصَّنَهَاجِيُون ٩٦

بنو عامر بن صَفَصَمَةَ ١٨

بنو عبد السيد ٣٤٥

بنو عبد المؤمن ١١٣ - ١١٤

بنو عَبِيد ١٦ - ٢٥٣ - ٢٦٦ - ٣٢٨

بنو عبید الله ١٩

بنو عزو ١٢٣

بنو عشرة ٣٤٤

بنو عَنُوف بن سَلِيم ١٥ - ٨٥

بنو عيسى ٣١٠

بنو فارة ٣١٦

بنو فَقْمِص ١٦٠ - ١٦١

بنو قَرِيظَةَ ٩٢

بنو لُقْمَانَ الكَتَامِيُونَ ٩٦

بنو مالك بن النجار ١٢٤

بنو مجريس ٢١٦

بنو مُنْدَلِج ٢٣٩

بنو مِدْنِين ٢١٧

بنو مِرْدَاس ١٦٣

بنو مزبلة ٢١٧

بنو مطروح ٢٣٧

بنو مَناد ٧٠ - ٩٩

بنو نِفزاو ١٤٣

بنو نقاد ٢٦٤

بنو وشاح بن عامر ٨٦ - ١١٨

بنو وُلول ٢١٠

بنو يزيد ١٣٤

البهلول بن راشد ٣٢

البيساني (انظر : الفاضل البيساني)

- ت -

تاج الدين الازموي ٣٦٨

التاجوري ، ابو العباس احمد بن عبد السلام الاموي (انظر : احمد

ابن عبد السلام)

التاجوري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحسيني (انظر : محمد بن

عبد الله)

تاسا (زوجة وخيم) ٢١٦

التاسيون (قبيلة) ٢١٦

تاشفين بن غازى ٢٤٥

التجاني ، ابو الحسن (انظر : ابو الحسن علي)

التجاني ، ابو الفضل (انظر : ابو الفضل)

التراب السوسي ٤٣

التركي ٧٠ - ٧١

تقي الدين (الملك المظفر) ١٠٣ - ١١٢ - ١١٣ - ١٤١

تمام بن المبارك ٢٤٠

تميم (قبيلة) ٣٠٧

تميم بن المعز ٢٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٩٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠

٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣

تميم بن الحسن (الصنهاجي) ٣٤٢

التوخني ، ابو القاسم بن البراء (انظر : ابو القاسم بن علي)

توران شاه بن ايوب ١١٢

تيجاز ١٦٥ - ٢٢٨

- ث -

ثقة الدولة (يوسف بن عبد الله) ٣٨ - ٣٩ - ٤٠

الثريّات عبد الله بن الحارث بن أمية الاصغر بن عبد شمس ٦٠

الثعالبى ٤٢ - ٥٤ - ٩١

- ج -

جابر بن مالك ٢١٧

جارية بن وشاح بن عامر ٢٠٦ - ٢١٢

جالوت ١٤٣ - ١٦٠

جبارة (أخو الميورقي) ٣٥٧

جبارة بن كامل بن سرحان بن الغين الفادعي ٣٠ - ٤٣ - ٤٧ - ٥٠

جبريل ٣٨٦

جبران العمود ٦٠

الجزجرائسي ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢

جرجى بن مخائيل الانطاكي (جرجير) ٢٤١ - ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٤٠

٣٤١ - ٣٤٢

جرجير (صاحب سيطلة) ٥٨

جرير ٧٢

الجزري ، ابو عبد الله محمد (انظر : محمد الجزري)

جعفر بن حبيب ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ٢١٨

جعفر بن شرف ٥٣

جعفر بن يوسف بن عبد الله ٣٨ - ٣٩ - ٤٠

الجلندي (ملك قرطاجنة) ٨

جواب ٢١٢

الجوّاري (شاعر) ١٣٧

الجوّاري (قبيلة) ١٠٤ - ١١٨ - ١٧٩ - ١٨٧ - ١٨٨ - ٢٠٦ - ٢١٣

٢١٧ - ٣٠٧ -

الجوّاروبة ١١٨ - ٢١٢ - ٢١٣

الجوهري ، ابو القاسم (انظر : عبد الرحمان)

- ح -

حاتم الطائي ٢٠٣ - ٣١١ - ٣١٢

الحاجب الموفق (انظر : مجاهد بن عبد الله)

حاجبي خليفة ٣٣

الحارث (صاحب بونة) ٣٤٤

حازم بن محمد بن حازم ١٨٤

الحافظ العبدي ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٤٤

الحاكم (العبدي) ١٨٢

حبر قضاة (انظر : ابن الابار)

حسان بن ثابت ١٦١

حسان بن النعمان الفسّاني ٦ - ١٠ - ١١ - ٥٧ - ٥٨ - ١٦١ - ١٦٢

الحسّاني . ابو عثمان (انظر : سعيد بن خلفون)

حسن بن بُلْبُل ٣٦

الحسن بن علي بن يحيى ٧٤ - ٩٩ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ -

٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٨ - ٣٤٩

الحسن بن زيد بن الحسين بن علي بن ابي طالب ٢٠٩

الحسن بن عبد الرحمان بن عذرة (انظر : ابو الحكم)

الحسن بن العزيز ٣٤٤

الحسن بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٧

٢٧٨ - ٢٧٩

حسن حسني عبد الوهاب ٦ - ٥٦

الحسين بن علي بن ابي طالب ٣٢٤

الحسيني ، ابو عبد الله التاجوري (انظر : محمد بن عبد الله)

حصن (قبيلة) ٦٥

حفص بن حميد الجزري ١٢

حكيم (قبيلة) ٥٥ - ٦٥

الحكيم بن عمر البهراني الاعمى ٦٢

الحكيمي ، ابو محمد (انظر : عبد الجليل)

الحكييون ٢١٩

حنّادي المالقي ٣٥٨

الْحَمَارِثَةُ (قَبِيلَةٌ) ١٣٤

حُمُرَانُ بْنُ جَابِرٍ ١٣٤

حَمَزَةُ بْنُ حَمَزَةَ ٣٤٥

حَمُو بْنُ مَلِيْلِ الْبَرْغَوَاطِيِّ ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٩٧ - ٣٣٠

حَمِيدُ بْنُ جَارِيَةَ ١٠٤ - ٣٠٧ - ٣٠٨

الْحَمِيدِيُّ ٥٣ - ٥٤ - ٧٩

حَنَشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّنَعَانِيُّ ١٢٤ - ١٢٥

حَنَشُ بْنُ عَلِيِّ الصَّنَعَانِيِّ ١٢٤ - ١٢٥

الْحَنْفِيُّ ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ (انظر : الزناتى)

- خ -

الْحَارِجِيُّ (انظر : محمد الحارجى)

خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ ٣١

الْخُبْرَاءُ زُرِّي (انظر : نصر بن احمد)

الْخُرَاجَةُ (بطن من بنى يزيد) ١٣٤

خَزْرُونُ بْنُ خَلِيفَةَ ٢٦٧

الْحُثَابُ (انظر : ابو عبد الله)

الْحُثَابُ (انظر : ابو يعقوب)

الخَضِر (عليه السلام) ٢٤٨ - ٨

خَطَّاب البرقي (انظر : ابو نزار)

الخطابي (انظر : ابو سليمان)

الخطابيون ٢١٧

الخليل (ابراهيم عليه السلام) ٣٠٨

الخليل بن احمد ٨٧

خليل بن اسحاق ٢٤١ - ٢٤٦ - ٢٥٣ - ٣٥٤

الخليلي (انظر : محمد بن عبد الله الحسيني)

الخياري (انظر : ابو عبد الله)

داود (عليه السلام) ١٤٣ - ١٦٠

داود بن ابي داود ، ابو سليمان ٨٤

دباب بن ربيعة بن زغب ٨٥ - ١١٣ - ١٣٤ - ١٤١ - ١٨٠ - ٣١٠

الدبابيون (قبيلة) ٨٦ - ١٠٤ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣ - ١٤١ - ٢١٣

الدبناغ (صاحب معالم الايمان) ٥٦ - ١٢٤

الدَّعِي ، ابن ابي عمارة ١٠٤

دلاج (قبيلة) ١٦ - ٥٥

- ٤٢٩ -

- ذ -

ذبيان (قبيلة) ٩١

ذو الرمة ٣١٣

- ر -

رافع بن مكى بن كامل ٩٥ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ٣٣٣ - ٣٣٤

ربيعة ١٤١

رَجَّار (انظر : لجار)

الرجراجى (انظر : محمد بن عبد الكريم)

رحاب بن محمود بن طنوق بن بقيّة بن وشاح ١١٨

الرُّشَاطَى ٢٦ - ٦٦ - ٨٣ - ٨٦ - ١٤١

رُشَيْد بن مدافع بن جامع ٩٥

الرشيذ ٢٣٩

الرصافى ابو العباس (انظر : احمد بن عيد الله)

الرقيق (ابو اسحاق ابراهيم بن القاسم) ٦ - ٧ - ١١ - ٣٢ - ٨٣ -

٢٤١ - ٣٢٠

رويفع بن ثابت الانصاري ١٢٤ - ١٢٥

ريناح (قبيلة) ١٨

الرياحيون ١٥ - ١١٣

الريفى ٢٧٣

- ز -

الزبير بن أبى بكر الزبيرى ٢٦٤

زعب الاصغر ١١٣ - ١٤١

زعب الاكبر ١٤١

الزعيون (زعب ، قبيلة) ١٤١ - ١٤٢

زغبة (قبيلة) ١٨ - ٢٦٧

زكرياء بن قادم ٢٤٠

زناتة (قبيلة) ١٤٣ - ٢١٦ - ٢٦٧ - ٣٢٧

الزناتى ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن ابراهيم)

الزناتيون ١٨٣ - ٢٤١

زهير بن قيس البلوى ٥٧

الزوارى (انظر : عبد الرحيم الزوارى)

زيادة الله بن الاغلب ٢٤٠

زيان الصقلبي ٢٤٠

زيد بن ثابت ٦ - ٧

زيري بن مناد الصنهاجى ١٦ - ١٧ - ٣٢٨

- ۴۳۱ -

- س -

ساکن بن عامر ۱۰۲

سالم بن رافع ۱۳۴ - ۲۲۰

سالم بن مرغم ۱۷۹ - ۱۸۳ - ۲۰۶ - ۲۱۵

سالم الفتی ۳۶۱

سبا بن یسجب بن یعرب بن قحطان ۲۵۵

سجبان وائل ۳۸۶

سخنوز بن سعید ۵۶ - ۶۹ - ۲۵۱

سعد بن معاذ ۹۲

سُعدی ۳۷۳

السعید خلیفہ مراکش (علی بن یوسف بن تاشین) ۸۲ - ۸۴

سعید بن خزرون ۲۶۷

سعید بن خلفون الحسانی ۲۴۹ - ۲۵۰ - ۲۵۱

سفیان بن عیینة ۳۰ - ۳۲

سیلاح دار (انظر: ابراهیم بن قراتبکین)

سلام بن فرحان ۱۰۱

سُلیم ۱۱۵ - ۲۰۶

سلیمان بن خلف (انظر: ابو الولید الباجی)

سليمان بن رافع بن دباب ١٣٤

سليمان بن محمد المهدي الصقلي ٥٣

سَمْدُونَة ٢٥١

سنان بن عامر بن جابر ٢١٣

سهل الوراق ٢٨

سُهَيْل بن عبد العزيز بن مروان ٦٠

سهيل (انظر : ابو عيسى)

سهيل (انظر : اولاد سهيل)

السهيلى (انظر : ابو القاسم السهيلى)

السِّيَاطِي (انظر : ابو الحسن)

السيوطى ، جلال الدين ١١ - ١٤١

- ش -

الشاطبي (انظر : ابو الحسن)

شرف الدين (انظر : قراقوش)

الشريف الادريسي (انظر : الادريسي)

شَرِيكَ العَبْسِي ١١

الشعاب (انظر : عبد الله الشعاب)

شُكْر الصَّقْبِي ٢٥٤

الشماع بن ضرار ١٨٣

شمس الدولة (انظر : الملك المعظم)

شهبان بن عيسى بن عامر .. بن دباب ٣١٠ - ٣١١

- ص -

صاحب الحمار (انظر : ابو يزيد مخلد)

الصدفي (انظر : عبد الحميد بن ابي البركات)

الصفاوى ٢٧٣

صفوان بن ادريس ٣٧٧

صلاح الدين يوسف بن أيوب ١٤ - ١٠٣ - ١١١ - ١١٢ -

١١٣ - ١١٤

صنهاج بن لمنط ٢١٦

صنهاجة ١٦ - ٣٠ - ٦٩ - ٩٥ - ٩٦ - ٣٢٧ - ٣٣٣ - ٣٤٤

الصنهاجيون ٢٤١

صهيب بن جابر .. بن دياب ١٣٤

الصهبة ١٣٤

الصهر (انظر : ابو بكر الصديق)

- ٤٣٤ -

- ض -

ضريس بن الاصفر بن نيزاو (جالوت) ١٤٣
ضريسة (قبيلة) ٣٢٥

- ط -

طرفة ٣١٣

طبرود (قبيلة) ٥٥ - ٦٥

الطري (انظر: ابو يعقوب)

طتي (قبيلة) ٣١١ - ٣١٢

- ظ -

الظاهر العبيدي ٢١

- ع -

عاد ١٢٣

عاصم ٦٠

عامر (ابو قبيلة وشاح) ٢١٤

عامر بن محمد بن مكى بن كامل بن جامع (انظر: ابو ساكن)

عباد بن كثير ٣١

العباس بن الاحنف ٤١

عبد الله ٣٣

عبد الله (التجاني المؤلف) ١٣ - ٩٢ - ١٤٠ - ١٥٠ - ١٦٥ - ١٦٨

١٧١ - ١٨٩ - ١٩٠ - ٢٣٠ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٨١

٢٨٥ - ٢٩٤ - ٢٩٦ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠٣ - ٣٠٦ - ٣٨١

عبد الله بن ابراهيم بن أبي مسلم القابسي ٢٥٧

عبد الله بن ابراهيم بن المثني ٣٦٦

عبد الله بن ابي الطاهر الجبنياني ٨١ - ٨٢

عبد الله بن أبي مسلم ٢٤٦

عبد الله بن احمد بن زياد ٦٦

عبد الله بن احمد الازدي العسيلي (ابو محمد) ١٣٠ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦

عبد الله بن الاغلب ١١

عبد الله بن دباب ٢١٤

عبد الله بن دينار ٣١

عبد الله بن الزبير ٢٧ - ٥٨ - ٢١٢

عبد الله بن سعد بن ابي سرح ١٣ - ٥٨ - ٦٥

عبد الله بن عبد الرحمان بن علي الفرياني ٨٣ - ٨٤

عبد الله بن عبد الكريم الفماری ٢٥٧

عبد الله بن عبد المؤمن ١٠١ - ٣٤٥ - ٣٤٧

عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن هانش الطرابلسي (انظر : ابن هانش)

عبد الله بن محمد بن عبد الكريم ٣٥٣ - ٣٥٤

عبد الله بن محمد بن عامر بن أبي عامر (انظر : أبو حفص)

عبد الله بن محمد العطار ٧٣

عبد الله الشَّابَّ ٢٤٧ - ٢٤٨

عبد الله الميورقي ٢٤٤

عبد البر بن فرسان ١٠٦ - ١٠٨ - ٢٤٤

عبد الجليل الحكيمي (ابو محمد) ٢١٩

عبد الحق (طاحب الاحكام) ٨ - ٩

عبد الحق بن عثاير الكومي ٣٠

عبد الحق يحيى بن عبد الحميد الحماني (انظر : يحيى بن عبد الحميد)

عبد الحلیم بن عبد الواحد بن عبد الحميد السوسي ٤٢

عبد الحميد بن أبي البركات بن عمران بن أبي الدنيا الصدي ٢١٨ - ٢٥٢

٢٥٣ - ٢٥٧ - ٢٧٢

عبد الرحمان بن ابراهيم الأصولي (انظر : الاصولي)

عبد الرحمان بن حبيب ٢٣٩

عبد الرحمان بن زياد بن انعم الافريقي ٣١ - ٣٢

عبد الرحمان بن عبد الله الجوهرى ٢٦٥ - ٢٦٧ - ٣٧٢

عبد الرحمان بن عتاب ٨٠

عبد الرحمان بن عمر القرىانى ٧٦

عبد الرحمان بن محمد الحضرمى اللبىدى (انظر : ابو التاسم عبد

الرحمان)

عبد الرحمان بن عيسى ٣٦٦

عبد الرحمان النصرانى (الصقلى) ٣٣٣ - ٣٣٥ - ٣٣٦

عبد الرحيم الزوارى ٢٠٧ - ٢٠٩

عبد الرفيع ٣٥٥

عبد السلام بن عثمان الفيتوزى ٢١٩ - ٢٥٩

عبد السلام الكومى ٣٤٥

عبد السيد بن عبد السيد ٣٤٥

عبد السيد الزمىدينى ٥٦

عبد العزيز بن مروان ٦

عبد العزيز القمودى ٣٤٥

عبد العزيز بن عبىد (انظر : ابو فارس)

عبد العزيز بن عمار ٧٤

عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بن الظاهر (انظر : الحافظ العيىدى)

عبد الملك بن مروان ٦ - ٧ - ١٣ - ٥٧ - ٥٨ - ١٦١ - ١٦٢
عبد المؤمن ٣٠ - ٧٦ - ١٠٠ - ١٠١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤

٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٦١

عبد الواحد (المخلوع) ٣٦٣

عبد الواحد بن ابي حفص (انظر : ابو محمد عبد الواحد)

عبد الواحد بن ابي يَغمور الهتاتي ١٧١

عبد الوهاب بن خلف بن القاسم السوسي (انظر : ابن الفطاس)

عبد الوهاب بن محمد الهنزوتي ٢٥٦

عبد الوهاب القيسي ٢٥٩ - ٢٦٢

عيد الله الشيعي (المهدي) ٥٦ - ٢٤٠ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ -

٣٢٤ - ٣٢٦

العبيديون ٢٤١ - ٣٢٠

عتيق بن ابي عمرو (ابن عربية) ٣٧٩

عتيق بن المنصور ٣٤٥

عثمان بن ابي القاسم بن عبد الرحمان بن حشرون المهدي ٣٦٦

عثمان بن عتيق بن عثمان القيسي (ابن عربية) ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٩

عثمان بن عثمان ١٠ - ٥٨

عدي بن حاتم ٣١١

عدي (قبيلة) ٧٠

العرجاء ، أم صنهاج ٢١٦

العزير بالله ٣٨

العُسَيْلي ، ابو محمد عبد الله بن احمد الازدي (انظر : عبد الله)

العطار ٧٩

عقبة بن نافع القرشي ١٦١ - ١٦٢

علي بن ابراهيم التجاني (انظر : ابو الحسن علي)

علي بن ابي طالب ٩١ - ٢٠٨

علي بن ابي بكر بن بلال (انظر : ابو الحسن علي)

علي بن احمد (ابن الصفار السوسي) ٣٤

علي بن احمد بن الحبيب ٢٥١

علي بن أحمد بن خراسان ٣٤٦

علي بن اسحاق الميورقي ١٤ - ١٥ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٦٢

علي بن حبيب التنوخي ٦٨ - ٧٦

علي بن الحسن (الصنهاجي) ٣٤٢

علي بن حسن بن الحسين الهنائي ... كراع (انظر : ابو الحسن علي)

علي بن رزق الرياحي ٢٧١

علي بن زياد ٢٧١

علي بن سالم (جدابي اسحاق الجبنياني) ٦٩ - ٨٠

علي بن عبد الكريم بن ابي غالب ٣٦٦

علي بن الغازي ٣٥٦ - ٣٥٨ - ٣٥٩

علي بن اللمطي ٣٥٧

علي بن محمد بن المنمر (انظر : ابن المنمر)

علي بن المديني ١٢٥

علي بن مغيث ، ابو الحسن ٢٦٤

علي بن موسى بن سعيد ٢٥٢ - ٣٠٨

علي بن ميمون ٣٣٥

علي بن يحيى ٧٤ - ٩٨ - ٩٩ - ١٢٥ - ٣٣٣ - ٣٣٤

علي بن يوسف بن تاشفين ٣٣٤ - ٣٣٥

عماد الدين الاصفهاني ٤٣ - ١٠١ - ١٠٦ - ٣٦٧

عمار بن علي بن الحسين ٢٢

عمر بن أبي الحسن الفرياني ٧٥ - ٧٦

عمر بن أبي ربيعة ٦٠

عمر بن الخطاب (الفاروق) ٩ - ٣٨٥

عمر بن عبد السيد ٣٤٥

عمر بن عيسى بن الشيخ أبي حفص ٣٦٣ - ٦٤

عمر بن المغز بن باديس ٩٧

عمران بن حصين ٣١

عمران بن موسى بن معمر الهواري الطرابلسي (انظر : ابن معمر ،
ابو موسى)

عمر و ١٤٦ - ٢٠٣

عمر و بن العاص ٢٧ - ٢١٢ - ٢١٥ - ٢٣٩ - ٢٤٥

عَمُور بن وشاح ٢١٢

العَمُور (قبيلة) ١١٨ - ٢١٢ - ٢١٣

العَمُوري ، (انظر : أبو عيسى)

عوف ٣١٣

العوفى (انظر : أبو يحيى بن عبد الكريم)

عيسى (المولى ، اخو يوسف) ١٠٠

عيسى بن أحمد ١٣

عيسى بن جعفر ٨٧

- غ -

الغازي بن اسحاق الميورقي ٣٥٥

الغبريني (صاحب عنوان الدراية) ١١٦

الغزّ ١١٣ - ١٣٧ - ١٤٧

الغزالي (انظر : ابو حامد)

الغزولي (صاحب مطالع البدور) ٥٥

الفساني ، ابو العباس (انظر : احمد بن ابراهيم)
غلبون بن مرزوق السالمي ٢٢٠
غليّام بن أُجّار ٧٥
الغماري ، ابو محمد (انظر : عبد الله بن عبد الكريم)
الغماري ، ابو العباس (انظر : احمد بن عيسى)

- ف -

الفادعي (انظر : جياره بن كامل)
الفادعي (انظر : مُحَرِّز بن زياد)
فارس بن النيث ٣٢٩
الفاروق (انظر : عمر)
الفاضل البيسانى ١٤ - ١٥ - ١٤٧ - ٢٤٣
الفتح بن محمد ٣٥٧
الفرزدق ٧٢ - ٧٣ - ١٦٠
فرعون ١٤٢
الفريرياني (انظر : عبد الله بن عبد الرحمان)
الفريريانيون ٨٣
فضل بن أبي المنبر ١٢
الفضل بن ابى يزيد صاحب الحمار ٣٢٥
الفضل بن أبى على المرديسى ٣٢٩ - ٣٣٠

الفضل بن يحيى ٣٤

الفضيل بن عياض ٢٥١

الفضيلي ، ابو عبد الله (انظر محمد بن يحيى)

فلنل بن سعيد الزناتي ١٨٣

- ق -

قائد بن العزيز ٣٤٣

القائم ، ابو القاسم الشيعي (انظر : أبو القاسم)

القابسي ، ابو الحسن (انظر : أبو الحسن)

القابسي ، ابو محمد (انظر : عبد الله بن ابراهيم)

قاضي بن محمد الصنهاجي ٩٦ - ٩٧

القاضي عياض ٢٥٦

قدامة ٣٣

قرّة بن شريك ١١

قراقوش الارمني (المظفري ، او الناصري) ١٥ - ١٠٣ - ١٠٤

١٠٥ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١٣٦ - ١٤٧

٢٤٣ - ٢٤٤

القروي ٢٥٤

القرويون ٢٥٣ - ٢٥٥

قَرِيظَة ٢٨

قِرَاح ٦٣

القَضَاعِي (انظر: ابن الابار)

القَطَّان (انظر: ابو موسى عيسى)

القَلَانِسِي (انظر: محمد بن حبيب)

القياد ٢١٧

قيس بن ذريح ٧٢

- ك -

الكاهنة (كاهنة لواتة) ٥٧ - ٥٨

الكتاميون ٢٢ - ٣٢٥

كُرَاع (انظر: ابو الحسن علي)

الكلاعي (ابو القاسم بن أبي محمد بن علي بن قائد) ٣٨١

- ل -

اللبيدي (انظر: ابو القاسم عبد الرحمان)

لجَار ١١ - ٧٤ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣ - ٢٤١

٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠

لحيان (قبيلة) ١٦١

لسان الدين بن الخطيب ٣٨

اللُّبِّيَّانِي (انظر : احمد بن ابراهيم القيسي)

لنط ٢١٦

النَّبَوَاتِي ' ابو عبد الله ، ابن الحجاز (انظر محمد بن علي)

لُويْسُ شِيخُو ٣١٤

لَيْثُ بن أَبِي سَلِيم ٣١

- م -

مالك بن أنس ٦٦ - ٢٠٩

مالك بن علوان الصخري (انظر : ابن علوان)

المتنبي (انظر : ابو الطيب)

المتوكل على الله (انظر : محمد بن عبد الكريم)

مُجَاهِد ٣١

مجاهد بن عبد الله (الحاجب الموفق) ٨٢

مجريس ٢١٦

المجريسيون ٢١٥ - ٢١٦

المحاميد - ١٠٤ - ١١٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٩٧ - ٢٠٥ -

٢٠٦ - ٢١٢ - ٢١٣

مُحَرِّزُ بْنُ خَلْفٍ ٢٥١ - ٣٢١

محرز بن زياد الفادعي ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣

محمد (الخارجي) ٣٤٥

محمد (رسول الله - المصطفى - احمد - الهادي - النبي صلى الله

عليه وسلم) ٣ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ٣١ - ٣٢ - ٥٠ - ٩٤ - ١٤٦

١٥٠ - ١٥٣ - ١٩٦ - ١٩٧ - ٢٥٣ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٧٤

٣٦٤ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٧ - ٣٩٠

٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٥

محمد بن أبان بن صالح ٨

محمد بن ابراهيم بن جامع المرداسي ١٥٥

محمد بن ابراهيم بن عثمان الزناتي (الحنفي) ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١

محمد بن أبي بكر البلوي (انظر: ابن ابي سلام)

محمد بن أبي تميم المعز بن سليمان ٦٩

محمد بن أبي الحسن التجاني : (انظر: ابو الفضل)

محمد بن أبي عمران بن عيسى بن عمران ٢٦٨

محمد بن أبي القاسم القيسي الازدي ٣٧٠

محمد بن أبي محمد عبد الوهاب القيسي ٢٦٢

محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري (انظر: البخاري)

محمد بن الاغلب (انظر: ابو العباس محمد)

محمد بن البراء المهدوي ١٤

محمد بن بشير ٩٩ - ٣٣٤

محمد بن حبيب (القلاسي) ٣٢٩ - ٣٦٦

محمد بن الحسين بن أبي الفتح (انظر : ابن ميخائيل القرشي)

محمد بن الحسين الازموي (انظر تاج الدين)

محمد بن حيون ١٥٤

محمد بن خطاب بن عبد الله ١١٢

محمد بن رشيد ١٠٠ - ٣٤٠

محمد بن سحنون ٦٩

محمد بن عبد الجبار الرعييني ٥٢

محمد بن عبد السلام الكومي ٣٥٢

محمد بن عبد العزيز بن ميون ٣٣٩ - ٣٤٧ - ٣٤٨

محمد بن عبد الله بن أبي عامر (انظر : المنصور)

محمد بن عبد الله الحسيني التاجوري ٣٠٨

محمد بن عبد الله الكاتب ٩٩

محمد بن عبد الله الهواري ٢٢٧ - ٢٣٠ - ٢٩٥ - ٢٩٨

محمد بن عبد الكريم الرجزاجي ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٦

محمد بن العطار القرطبي (انظر : ابن العطار)

محمد بن علي بن ابراهيم بن الخباز اللواتي ٣٦٧ - ٣٦٨

محمد بن علي بن حماد ١١٦

محمد بن علي التجاني (انظر : ابو الفضل)

محمد بن علي المصري ١٣٥

محمد بن عمر بن رأس الحجلة ٣٠١

محمد بن عمر بن لبابة ٢٧٢

محمد بن فاضل البكري الافريقي ٢٦٣

محمد بن فرج الكومي ٣٤٩

محمد بن فطيس (انظر : ابن فطيس)

محمد بن محمد المزدوري الهنتاتي ٨٦

محمد بن يحيى العدل ٢٦٩

محمد بن يحيى الفضلي ٢٧٦ - ٢٧٧

محمد بن يعيش (انظر : ابن يعيش)

محمد بن يعمور الهنتاتي ٣٦٠ - ٣٦٣

محمد الجزري ، ابو عبد الله ٣٠٢

محمود بن طوق بن بقية ٣٠٤

محمود مقديش ٣١

مخلد بن كيداد (انظر : أبو يزيد)

مَخْدُومُنَا ، (ابن اللحياني ، السلطان الحفصي) ١٢٩ - ١٤٧ - ١٥٠

١٥٥ - ١٦٣ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٩١ - ١٩٣

١٩٨ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١٣ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢٧ - ٢٥٥

٢٨٠ - ٢٨٨ - ٣٠٦ - ٣١٦ - ٣١٧

مُدَافِعُ بْنُ رَشِيدٍ ١٠٠ - ١٠١

مُدَامُ (الخادم) ٢٦

مُدَلِجٌ ٢٣٩

المُدَلِجِيُّ ٢٣٩

المَرَاغِمَةُ ٢٥٦ - ٢١٧

مَرَبَعٌ ٧٣

مَرْنَمُ بْنُ صَابِرٍ ٢١٧

مُرْنَاقٌ ١٠ - ١١

مُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ٧

المُرَيْثِيُّ (انظر : ابو يعقوب)

المَزْدُورِيُّ ، ابو عبد الله محمد (انظر : محمد بن محمد المزدوري)

مُساوِرُ بْنُ هِنْدٍ ١٦٠ - ١٦١

المُسْتَنْصِرُ (العيدي) ٢١

المُسْتَنْصِرُ (الحفصي) ٩٠ - ١١١ - ٢٧٣ - ٢٧٥ - ٢٧١

- مستوية النكارى ٢٢ - ٢٣
مسعود بن رُمَّان ١١٣
مُسلم بن حجاج القُشَيْرِي النِّسابوري ٢٥٥
المسيح (عيسى عليه السلام) ٣٨٩
المشاركة ٢٠٦ - ٢٢٠ - ٢٦٥ - ٣٠٦ - ٣١٦ - ٣١٧
المشْرِقِيَّون ٢٦٤
المصاميد ١٤٣
مضر بن تميم الفَرَّازي ٧٧
مطرف بن عبد الله ٣١
مطرف بن علي بن حَمْدون ٣٤٠
مظفَّر بن علي ٧١ - ٧٢
المعاوى (ابو القاسم بن معاوية اليحصبي) ٣٧٦
معاوية (بن ابي سفيان) ١٢٤ - ١٦١
معاوية بن حديج ٢٦ - ٣٢
معاوية بن عبد السيد ٣٤٥
مَعَدَّ بن اسماعيل (انظر: المعز لدين الله)
معروف الكَرَّخِي ٨٤
المَعْرِي (انظر: ابو العلاء)

مُعَلِّمُ الْقِتْيَانِ ٣٢١

المعز لدين الله ١٦ - ١٧ - ٣٢٨

المعز بن باديس ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٨ - ٢٩ - ٧٠ - ٩٦

٩٧ - ١٢٥ - ٣٢٤ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠

المعز بن محمد الصنهاجي ٩٦

المغاربة ٢٢٠

المِفْرَبِيَّونَ ٢٦٤

مفرج بن يَاضَة ١٣ - ٢٤٩

المفرجي (انظر : ابن العطار القرطبي)

المَقْدَمُون ١٨٧

المَقْرِي (صاحب نفع الطبيب) ٩٠

مكي بن كامل الرياحي ٧١ - ٩٧

الملثم ٣٣٩

الملثمون ٣٣٤

الملك المعظم ، شمس الدولة ١١٢

الملك الناصر (انظر : صلاح الدين)

المتصر بن خزرون ٢٦٧

المنصور العبيدي (انظر : اسماعيل الشيعي)

المنصور (يعقوب بن يوسف) الموحدى ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٤ - ١٣٦

١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٢ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٦١

المنصور بن ابى عامر (الحاجب) ٢٧٢

منصور بن اسماعيل ٣٤٥

المنصور بن ماواس ٩٦

المنصور بن مليل البرغواطى ٧٠

المنصور بن الناصر ٠٠ بن حماد ١١٥

المهدوى (انظر : ابن أبى الحواجب)

المهدوى (انظر : أبو المجد الصوفى)

المهدي (ابن تومرت) ١٢١ - ٢٤٥

المهدى العيذى (انظر : عبيد الله الشيعى)

المَمَوَّارِقَة ١٣٦ - ١٦٢

الموحدون ٧٦ - ٩٥ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١١٠ - ١٣٦

١٤٧ - ٢٣٧ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٤ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥٣

٣٥٥ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٣

موسى (عليه السلام) ٨ - ٣٧٠

موسى بن عيسى بن عمران ٢٦٨

الموفق (انظر : مجاهد بن عبد الله)

مؤمن بن فرج الهواري الطرابلسي ٢٦٥ - ٢٦٦

مؤنس بن يحيى الهلالي ٩٦ - ٩٧

ميمون بن حمدون ٣٤٢ - ٣٤٣

الميسورقي ٧٦ - ٨٥ - ١٠٣ - ١٠٥ - ١١٠ - ١١٣ - ١١٤ - ١٢٠

١٣٦ - ١٤٧ - ١٨٠ - ٢١٥ - ٢٤٤ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦

٣٥٧ - ٣٦٢

- ن -

النايفة الذبياني ٩١

ناصر (مملوك الناصر) ٣٥٩

الناصر (الخليفة الاموي بقرطبة) ٢٧٢

الناصر (الموحدى) ١١٠ - ١٤٧ - ١٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩

٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢

الناصر بن عتّاس بن حماد ١١٥

نائل بن عامر بن جابر (جد قبيلة النوائل) ٨٦ - ١١٨ - ٢١٤

نيل ٣٦٠

نصر بن احمد الخبزأرزي ٥٤

النضير ٢٨

النفاتيون ١٨٨

نَفْزَاو ١٤٣

النَّفْطَى (انظر : ابو علي)

نَفُوسَةٌ (قِيلَةٌ) ٢٣٩

النَّقَاد ٢٦٤

النَّكَارِي (انظر : ابو يزيد مخلد)

النَّكَارَى (النَّائِرُ عَلِي الْمَعْرَبِ بْنِ بَادِيس) ١٢٥

النَّوَائِل ٨٦ - ١١٨ - ٢١٤

نُوح (عَلَيْهِ السَّلَام) ١٦١

نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ زُنْكَي ١١١

هَرَاغَةٌ ٣١٦

هَرْتَمَةُ بْنُ أُعَيْن ٢٣٩

الهِرَغِي (انظر : أبو عبد الرحمان يعقوب)

الهِرَوِي ١٣٥

الهَلَالِيون ٩٥

الهُنَائِي (انظر : ابو الحسن علي)

الهِتَاتِي ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن محمد المزدوري)

الهنزوتى ، ابو محمد (انظر عبد الوهاب)

هوارين المثنى بن المسورين يخصب ٢١٦

هواره ٨٥ - ٢١٦ - ٢٢٩ - ٣٢٧

الهواري ، ابو عبد الله (انظر : محمد بن عبد الله)

الهواري ، ابو على (انظر : الحسن بن موسى)

الهواريون ٢١٦

- و -

الواثق بن المستنصر ٢٧٥

والد التجاني المؤلف (أبو عبد الله محمد التجاني) ١١٧ - ١٢٩ - ١٩٤

١٩٨ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٨١ - ٢٩٤ - ٢٩٦

وخبيغ ٢١٦

الورانيز ٣١٦

الوردانيون ٥٦

الورغمييون ١٨٢

وشاح بن عامر ١١٨ - ٢٠٦ - ٢١٤

الوشاحيون ٢١٢ - ٢١٤

الوليد بن عبد الملك ٢ - ٨ - ١١

- ي -

الْيَازُورِيُّ ٢١ - ٩٦ - ٣٢٨

ياقوت (نائب قراقوش) ١٤٧ - ٢٤٤ - ٢٤٥

ياقوت الحَمَوِيُّ ٤٩ - ٥٥ - ٨٧

يانس الصقلِي ١٨١ - ١٨٢ - ٢١٨

يحيى بن اسحاق الميروقي ١٤ - ١٥ - ٥٩ - ١٠٤ - ٢٦٢ - ٢٤٤ - ٢٤٥

٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٥٨

يحيى بن تميم ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤ - ٩٧ - ٩٨ - ٣٣٠ - ٣٣٣

يحيى بن الحسن (الصنهاجي) ٣٤٢

يحيى بن عبد الحميد الحماني ٨

يحيى بن العزيز صاحب بجاية ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤

يحيى بن المعز بن باديس ٣٣٩ - ٣٤٠

يعقوب بن أبي حفص بن عبد المؤمن ١٣٦ - ١٦٢

يعقوب بن أبي يعقوب الهزغي (انظر : ابو عبد الرحمان يعقوب)

يعقوب بن عطية امير المحاميد ١٧٩ - ٢٠٥ - ٢٠٦

اليعشي (انظر : ابن يعيش)

يوسف المستنصر ٣٦١

يوسف مولى محمد بن رشيد ١٠٠

يوسف بن أبي موسى عمران ٢٧٦

يوسف بن زيري ١٧

يوسف بن زيري ، ابو الحجاج (مؤلف الكافي في الوثائق) (انظر :

ابو الحجاج)

يوسف بن عبد الله (انظر : ثقة الدولة)

يوسف بن عبد المؤمن (انظر : ابو يعقوب)

يوسف بن علي بن عبد الملك بن السمّاط (انظر : ابن السمّاط ،

ابو يعقوب)

يوسف بن المنصور (انظر : الناصر الموحدي)

يونس بن السمّاط (انظر : ابن السمّاط ، ابو علي)

يونس بن الشيخ ابي حفص ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢

يونس بن محمد الورداني ٥٦

فهرس

اسماء البلدان والمعالم

أ -

أبارزلوا ٣٥٠

الأبرق ٤٣

أبو الخير ٢٠٥

أبو سهيل ٨٥

أوفهتر (رياض) ٣٧٥

أبو نصر (انظر : منزل ابي نصر)

أجأ (جبل) ٣١٨

أجاس (قرية) ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ٢٠٦ - ٣١٩

الأجرع ٣٧٨

الأجم (الجم) ٥٧ - ٦٥ - ١٦١

أجيم ١٢١

الاسكندرية ١٥ - ٢٣ - ٣٠ - ٣٣٩ - ٢٤٣ - ٢٤٥ - ٣٦٧

اشينلية ٨٤ - ٣٦٣ - ٣٦٤

أصنمات ٧٨

الاصنام (بالقروان) ١١٨

الاصنام (بين قبلي والحامة) ١٧٧

اطرابلس (انظر : طرابلس)

افريقيّة ٨ - ١٠ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ٢٠ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨

٣٠ - ٣٢ - ٣٣ - ٥٣ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦٥ - ٧٦

٨٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٦ - ٩٨ - ١١٠ - ١١٢ - ١١٦ - ١١٩ - ١٢٢

١٢٤ - ١٢٦ - ١٣٦ - ١٤٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣

١٨٢ - ٢١٢ - ٢١٦ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٩ - ٢٦٥

٢٦٦ - ٢٧٥ - ٣٢٨ - ٣٤٠ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٥١ - ٣٥٤ - ٣٥٦

٣٦٠ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٩

اقليبية ١٣

أم الاصابع ٦٦ - ٦٧

الاندلس ٩ - ٤٢ - ٥٣ - ٥٩ - ٦٠ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٣ - ٢٦١

٣١٤ - ٣٤٣ - ٣٥٩ - ٣٦٠

انطاكية ٩ - ٣٣٣

افريقيّة ٢٤ - ٢٥

أوثان ١٨٥

أوجلة ١١٢

الائلة ٩

إيوان كسرى ١١٢

- ب -

الباب الاخضر (بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥ - ٢٤٦

باب البحر (بطرابلس) ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٥٢

باب البحر (بصفاقس) ٧٥

باب الجزيرة (بتونس) ٣٥٥

باب الحديد (بالمهدية) ٣٢١

باب زناتة (بطرابلس) ٢٦٤

باب السُّوَيْقَة (بتونس) ٣٥٥

باب عبد الله (بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥

باب قرطاجنة (بتونس) ٣٥٥

باب المنشر (بتوزر) ١٥٨

باب النساء (بقرطاجنة) ١٠

باب هَوَّارة (بطرابلس) ٢٤٥ - ٢٦٤ - ٢٦٨

بايل ٨٠

باجة ٢٤ - ٢٥ - ٢٧٥ - ٣٤٥ - ٣٦٢ - ٣٦٣

الباطن (بطرابلس) ٣١٨

بِالزُّمُو ٣٨

بئر الزكرة ٣١٩

بئر الشهداء ١٦٢

بئر طُشَّانَة ٣١٠

بئر العقلة ٢٠٥

بئر الكاهنة ٥٨

بئر الكنود (بئر أبي الكنود) ٢٥٩

بئر ينوت ٣١٢

بجاية ١١٦ - ١١٩ - ١٦٢ - ٢٧٥ - ٣٣٩ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٦

٣٥٦ - ٣٦٤

البحيرة (برادس) ٧

البحيرة (بتونس) ٣٥٢ - ٣٥٥

بحر رادس ٨ - ٩

بحر الزقاق ٢٣

البحر المحيط ١٨٥

بندر ٩١

برشانة ٦٧

برفة ٩ - ٥٨ - ١٢٤ - ١٦١ - ١٨٢ - ١٨٥ - ١٩١ - ٢٢٠ - ٣٤٤

بِرْكَة الخَدَم ٢٤٥

بَسْطَة ٣٦٣ - ٣٦٤

بِشْرِي ١٤٢ - ١٥٣ - ١٧٣

البَصْرَة ٥٤ - ٥٥ - ٨٧

البَطْحَاء (بِقَابِس) ١٧٨

بَفْدَاد ٨٤ - ٢٥٧ - ٣٤٤ - ٣٦٨

بَنُو يُوْسُف ١٥٣

بَوْلَاق ٣٥٠

بَوْنَة ١١٩ - ٣٤٤ - ٣٥٤ - ٣٦٤

الْبَيْت الْحَرَام ٥٠ - ١٧٠

بَيْش ٣٣١

- ت -

تَاخْرَا ١٢٠ - ٣٥٧ - ٣٥٨

تَاخْوَرَة ١٥٣ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٦

تَاذَر ٢٠٦

تَايْرَا ١٧٧

تاغیرت ٣١٨

تاكرت ١٥٤ - ١٥٦ - ١٧٢ - ٢٠٧

تامسنا ٣٤٩

تبرسق ٣٧٧

تسٲ٤ ٣٥٤

تلبو ١٧٩

تبوك ٩٢

تجفت ١٣٣

ترشيش (تونس) ١٥٢ - ٢٠٣

ترنوط ٣٢٦

تفاضلات ٢٠٧

تلنسان ١٩٨

تليل ٢١١

تودرنت (انظر: عين ودرس)

توزر ١٠٣ - ١٢٧ - ١٣٤ - ١٣٧ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨

١٥٩ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٧١ - ١٧٢ - ٢٠٧ - ٢٣٨

تونس ٤ - ٥ - ٦ - ٨ - ١٠ - ١١ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٥

١٦١ - ١٤٧ - ١٣٦ - ١١٣ - ١٠٤ - ٨٦ - ٥٩ - ٥٦ - ٥٣ - ٥٢

٢٤٣ - ٢٣٤ - ٢٠٤ - ١٩٤ - ١٩٢ - ١٧٩ - ١٦٩ - ١٦٥ - ١٦٤

٢٧٤ - ٢٧٣ - ٢٧٠ - ٢٦٩ - ٢٦٨ - ٢٦٧ - ٢٦١ - ٢٥٨ - ٢٥٦

٣٤١ - ٣٢٠ - ٣٠٨ - ٣٠٦ - ٢٩٤ - ٢٩٢ - ٢٨٥ - ٢٧٦ - ٢٧٥

٣٥٧ - ٣٥٦ - ٣٥٥ - ٣٥٤ - ٣٥٢ - ٣٤٧ - ٣٤٦ - ٣٤٥ - ٣٤٢

٣٩٣ - ٣٨٠ - ٣٧٧ - ٣٦٣ - ٣٦٢ - ٣٦٠ - ٣٥٩

- ج -

الجامع الاعظم (بتونس) ٢٧٣

الجامع الاعظم (بطنابلس) ٢٥٣ - ٢٦٤ - ٢٦٦

الجامع الاعظم (بالمهدية) ٣٢٣

جامع قابس ٩٤ - ١٧٨

الجبل الاحمر ٣٥٥

جبل درن ١٨٥

جبل دمر ١٤٧ - ١٨٥ - ١٨٩ - ٢٠١ - ٣٥٧

جبل الرحمة ٣٧٧

جبل الرصاص ٢٣

جبل زيري ٣٤٤

جبل سُهَيْل ٥٩

جبل الفتح ٢٦١

جبل كيانة ٣٢٧

جبل المُعَسْكَر ٣٨

جبل مَمَطُور ٣٢

جبل نفوسة ١١٣ - ١٨٥ - ٣٥٦

جبل وسلات ٣٢

جنيانة ٨٠ - ٨١

جربة (جزيرة) ٤ - ٥ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩

١٣١ - ٢١٥ - ٢٦١

جربة القديمة (مدينة) ١٢٣ - ١٢٧ - ١٢٨

الجرداء (سبخة) ٢٣

الجُرف ١٢١

الجريد (البلاد الجريدية) ٤ - ١٠٥ - ١١٩ - ١٢٨ - ١٣٤ - ١٤٧ - ١٥٣

١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٧٢ - ٢٤٤ - ٣٢٠ - ٣٥٤

الجزائر ٥ - ٢٠ - ٢٤ - ٣٢ - ٥٦ - ٣٢٦ - ٣٤٣ - ٣٥٠

الجِزْع ٣٧٨

جزيرة الأحاسي ٣٣٥ - ٣٣٦

جزيرة باشو ١٥ - ٢٤٩

جزيرة جربة (انظر : جربة)

الجزيرة الخضراء ٩

جزيرة شريك ١١ - ١٣ - ٢٣

جزيرة العرب ٥٩

جزيرة قوسرة ١٣

جمال ٥٥ - ٥٦

جمّة (المهدية) ٣٦٨ - ٣٧١ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨

جنوة ٣٣١

جيان ٣٦٤

- ح -

العامة (انظر الحمة)

حامة الجزيرة (انظر حمام الالف)

الحجاز ٧٩ - ٢١٦

حجاي ٣٢٠

الحجر ٣٩

الحرم ٣٦٥

الحرمّان الشريفان ٣٦٧

حَزْن عَزَة ٦١

حَزْوَى ٣٧٨

حَسَان (قرية) ٢٤٩

حصن تليل ٣١٩

حصن الخليل ٣٠٨ - ٣٠٩

حصن سلمة ٣١٨

الحضرة (تونس) ٥ - ١١١ - ١٢٦ - ١٢٨ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٥ - ٢٨٠

٢٨٥ - ٢٨٨ - ٣٠٦ - ٣١٧ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٧١ - ٣٧٧

الحضرة (طرابلس) ٢٥٨

الحضرة (القيروان) ٨٢

الحضرة (مراكش) ٣٤٤ - ٣٦١ - ٣٦٢

حلق الوادي ٣٤٥ - ٣٥٢ - ٣٥٥

حمام الانف (حامة الجزيرة) ١٠

الحمامات ٢٣

حصص (بالشام) ٧٢

حصص (اشيلية) ٣٦٥

الحنّة (حمة مطماطة) ١٠٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٦٢

١٧٧ - ٣٥٦

حمة البهايل (حمة توزر) ١٣٤

حمى زويلة ٣٢٤ - ٣٧٧

الغنايا ٥٧ - ٣٤٥

حيدر ان ١٨ - ٢٠

- خ -

خربة جميل (بالمهدية) ٣٢٥

الحرية ٨٧

خنافس ٣١٩

الخوزنق ١١٧

خبيبر ١٢٤

- د -

دار الاشراف (بتونس) ٢٧٦

دار الصناعة (براديس) ٧

دار الصناعة (بالمهدية) ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٤٨

دار لحيات ٢٦١

دار المحاسبات (بالمهدية) ٣٢٣

دار ين ١٢٩ - ١٩٤ - ٢٩٩

درن (انظر : جيل درن)

دمر (انظر : جيل دمر)

دمشق ١٤ - ٥٨ - ٨٦ - ١٠٢ - ٣٠٩ - ٣٦٩

دير الزجاج ٢٤٥

دير سمعان ٤٩

- ذ -

ذات البان ٣٧٨

ذو سلم ٤٤ - ٤٩

- ر -

رادب ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١٣٦ - ٣٩٣

رأس تاجرا (جيل) ١٢٠

رأس المنخبز (مرسى) ٣١٩

رامة ٣٧٨

الرجيع ١٦١

رخرخان ٣١٣

رقادة ٢٤٠ - ٣٢٣

الرقعة ٦٦

الرملة (بطرابلس) ٢٣٨
الروضة (بالمدينة) ٣٨٩
الرياض (بطرابلس) ٢٣٧

- ز -

الزارات ١١٩

زاوية اولاد سنان ٢١٤

زاوية اولاد سهيل ٢١٢

زَمْدِين ٥٥ - ٥٦

زُرَيْق ١٠٠ - ١٨٠

زَلَّة ١١٢

زَمْزَم ٥٠

زَنْزُور ١٨١ - ١٨٢ - ٢٠٦ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢١٩ -

٢٢٠ - ٢٢١ - ٣١٩

زَوَارَة ٥٩ - ١٢٠ - ١٨٧ - ٢١٠ - ٢١١

زَوَارَة الصغرى (وطن - وطن المرابطين) ٢٠٧ - ٢١٠ - ٣١٩

زَوَارَة الكبرى (كوطين) ٢١٠

زَوَاغَة ٢١١ - ٢١٢

زَوَيْلَة (بالمهدية) ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٣١ - ٣٣٥ - ٣٤٠ - ٣٤٧ - ٣٤٩

زويلة بنى الخطاب ١١٢

- س -

السايرية ٢١٢

الساحل ٦٥ - ٦٦ - ٢١٤

ساحل البر (بجربة) ١٣١

ساحة عنبر (بقابس) ٨٨

سَبْتَة ١٧ - ٢٣ - ١٦٤ - ٢٢٠ - ٣٥٩

الستارة (سور بطرابلس) ٢٤٠ - ٢٤٥

سجلماصة ٢٤٠

السدير (قصر) ١١٧

سطيف ٣٤٤ - ٣٤٧

سلا ٣٤٤

سلقطة ٥٧ - ٥٩

سلمى (جبل) ٣١٨

سترية ١١٢

سواني خلف الله ١٣٢

السوس ١٨٥

- ٤٢٣ -

سوسة ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧

٣٨ - ٤١ - ٤٣ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٥ - ٣٢٧ - ٣٩٣

سوق الاحد ٣٢٥

السويق ٩١

سوفجيين (انظر : فحص سوفجيين)

سيقطة (مسجد) ٢١٩

- ش -

الشام ١٤ - ٦٣ - ٧٩ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٦٠ - ٢٥٣ - ٣٣٣

شيكس ٣١٨

- ص -

صبرة (صبراتة بطرابلس) ٢١١

صبرة (بالقيروان) ٣٢٨ - ٣٢٩

صرمان ٢١٢ - ٣١٩

صعيب ٨٥

صعيد مصر ١٦ - ١٨

الصفا ٥٠

صفاقس ١٥ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦

٧٧ - ٧٨ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٩٧ - ٢٤١ - ٣١٦ - ٣٢٠

٣٣٠ - ٣٥٤

صيفين ٣٤

صقلية ٢٦ - ٢٩ - ٣٠ - ٣٨ - ٧٥ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٦٠ - ٢١٢ - ٢٤١

٣٣٣ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤٨ - ٣٤٩

صناتن ٢٢ - ٢٣

صنعا الشام ١٢٥

صنعا اليمن ١٢٥

صيبار ٣١٠

طبرية ٣٤٥

طيرة ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٥٣ - ١٧٣ - ١٧٧ - ٣٥٦

طرابلس ٨٣ - ٨٥ - ١٠١ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٣ - ١١٤

١١٩ - ١٢٤ - ١٥٣ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٥ - ١٩١

٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩

٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤

٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤

- ٢٦٦ - ٢٦٥ - ٢٦٤ - ٢٦٣ - ٢٦١ - ٢٥٩ - ٢٥٨ - ٢٥٧ - ٢٥٥
- ٢٧٧ - ٢٧٤ - ٢٧٣ - ٢٧٢ - ٢٧١ - ٢٧٠ - ٢٦٩ - ٢٦٨ - ٢٦٧
٣٩٣ - ٣٥٤ - ٣١٩ - ٣١٨ - ٣١٦ - ٣١٤ - ٣٠٨ - ٣٠٦ - ٢٨٠

طرابلس الشام ٢٧١

طليطلة ٧٩

طُنْبُذَة (المحمديّة) ٨

الطواحين ١٣٣

طِبَّة ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٩

طِبِينَة ٨٤

- ظ -

الظاهر: (بالجنوب التونسي) ١٧٧

الظاهر (بطلرابلس) ٣١٨

- ع -

عبد رب (ارض) ٣٠٧

العُذَيْب ٣٧٢

العراق ٧٩ - ٨٠ - ٢٥٧

العروسان (بقابس) ٩٥ - ٩٧ - ١٠٤ - ١١٥ - ٣٢٠

العروسان (بقلعة بني حماد) ١١٥ - ١١٦

عسقلا٣٣

المقبة ٩١ - ١١٢

المقلة ١٨٣

العقيق (انظر : وادي العقيق)

عَمْرَةَ (واقعة عمرة) ١٣٦ - ١٦٢

عين الامير (بقابس) ٨٩

عين تاميدنت ٣١٢

عين تاوَزغا ١٥٣

عين سَلام (بقابس) ١١٥

عين سلام (بقلعة بني حماد) ٨٩ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧

عين طُرَّة ١٤٢ - ١٥٣

عين فارة ٣١٥

عين ودرس (تودرست) ٣١٦

الميون (بطرابلس) ٢٤٦

عيون رحال ١٤١

- غ -

غافق ٣٠٩

غانية ٢٦٥ - ٣١٧

الغرب ٢٢٠

غرناطة ١٦٤

غُمراسن ١٧٩ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٧ - ١٩١ - ٢٠٤ - ٢٠٦

- ف -

فاس ١٩١

فحص سُوْفَجِين ٢٥٩

فَران ١١٨

فَران ١١٢

الفسطاط ٥٤

فَسِي ٢٠٥

الفلّاحين ٢٣ - ٣٩٣

فلسطين ١٦٠

قابس ٥٨ - ٦٨ - ٧١ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٣ - ٩٤

٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤

١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٠ - ١١٥ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٢٤

١٣٥ - ١٣٧ - ١٦٠ - ١٦٣ - ١٧٢ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠

١٨١ - ١٩٨ - ٢٤٤ - ٣١٦ - ٣٢٠ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٣ - ٣٣٤

٣٤٠ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧

القاهرة ٣١٤ - ٣٦٧

قبلي ١٧٧

قرطاجنة ٨ - ١٠ - ٢٣ - ٥٧ - ٥٨ - ٣٢٠ - ٣٥٢

قرطبة ٨٠

قرقنة ٦٧ - ١٢٢

قرقوزة ٢١٤

القرن ٣٣

قرية حسان (انظر: حسان)

القسنطينية ٧٩

قسنطينة ١١٩ - ٣٤٤ - ٣٥٤

القشيل ١٢٦ - ١٢٨

القَصَبَة (بتونس) ١٣ - ٢٦٨ - ٢٧٠ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٦٣

القَصْبَة (بَطْرَابِلْس) ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٥٣ - ٢٥٥ - ٢٨٠

قَصْبَة جَرِبَة ١٢٧

قَصْبَة الحَامَة ١٣٦

قَصْبَة قَابِس ٩٤ - ٩٥

القَصَار ٢٠٥

القَصْر (بالمهدية) ٣٤١ - ٣٥١ - ٣٥٢

قَصْر أَبِي القَاسِم (بالمهدية) ٣٢٣

قَصْر بَنِي خِيَار (انظر : قَصُور بَنِي خِيَار)

قَصْر الدِيمَاس ٣٣٦

قَصْر زِيَاد ٦٧

قَصْر صَالِح ٢٠٦

قَصْر طَارِق ٣٨ - ٣٩

قَصْر عِيدِ اللَّهِ المَهْدِي (بالمهدية) - القَصْر العِيدِي ٣٢٣ - ٣٣٢ - ٣٧٧

قَصْر العُرُوسِين (انظر : العُرُوسَان)

قَصْر عَيْسَى بَن جَعْفَر ٨٧

قَصْر فَارَة ٣١٦

القَصْر القَدِيم (بزنزور) ٢١٥

قَصْر قِرَاضَة ٣٥٤ - ٣٥٩

قصر كَتَاة ١١٩

قصر مَلِيَّة ٥٩

قصور بني خيار ٨٥ - ٣١٦

قصور بني عشرة ٣٤٤

قصور حسان (ببرقة) ٥٨

قصور المباركة ٨٥ - ٣٢٠

قصور الوردانيز (انظر : الوردانيز)

قصور الوردانيين (انظر : الوردانيين)

قطيس ٢٤٤

قفصة ١١٤ - ١٣٦ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٧ - ٣٥٣ - ٣٥٦ - ٣٥٧

الْقُلُّ ٣٥٤

القلعة (قلعة بني حمّاد) ١١٥ - ١١٦

قلعة حَمْدُون ١٨٥

قلعة نَفِيق ١٨٥

قماطة (شغراء) ٣١٧

قَمُونِيَّة (المنستير) ٣١

القيروان ١٨ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٩ - ٣٣ - ٣٨ - ٧٩ - ٩٩ - ١٠٠ - ١١٨

١٤٧ - ٣٥٣ - ٣٦٦ - ٣٢٤ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٣١ - ٣٥٤ - ٣٥٦

- ك -

الكانم ١١١

كتانة ١١٩ - ١٣٤

كليكل ١٥٣ -

كنبريج ٣١٣

كوطين (انظر : زوارة الكبرى)

الكوفة ٣٠٩

- ل -

لاآة (قيصور) ٣٥٣

لبيدة (لبيدي) ٨٣

لُك ٧٦

لُليانة ٣٧١

لماية ٢١٤

اللوي ١٩٨

ليزيك ٣٣ - ٣١١

ليدن ٣٦٨

مارث ١٨١

مآلقة ٥٩ - ٨٣

المباركة (انظر : قصور المباركة)

متيجة ٣٤٣

المجاز (بترابلس) ٢٥١

مجاز الجرف ١٢١

مجاز سبة ٢٢٥

مجزم ١٤١

المحرس ٨٥ - ٣١٦ - ٣٢٥

محرس على (المحرس الجديد) ٦٩

مُحسِن (بترابلس) ٢٤٤

المحمدية ٨ - ٩

المدرسة المنتصرية (بترابلس) ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣

المدفون (قصر) ٢٤

المدينة ٩١ - ٢٥٩

المدينة البيضاء (طرابلس) ٢٣٧ - ٢٦٨

مراكش ٨٣ - ٨٤ - ١٠٤ - ٢٤٥ - ٢٦٨ - ٣٠٩ - ٣٤٤ - ٣٥٩

٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٣

الميزبند ٥٤ - ٥٥

مرسى البرج ٣٥٣

المترصد ٢٣ - ٢٥

مُزْنِاق ١٠

مسجد ابن فرج (بطنابلس) ٢٦٥

مسجد البارزى (بطنابلس) ٢٤٩

مسجد الجدود - او الجدة (بطنابلس) ٢٤٩

مسجد خطاب (بطنابلس) ٢٤٨

مسجد سيقاطة (انظر : سيقاطة)

مسجد الشباب (بطنابلس) ٢٤٧ - ٢٥١

مسجد العشرة (بطنابلس) ٢٣٧

مسجد غانم ٥٦

مسجد المجاز (بطنابلس) ٢٥١

مَسْرَاتة ٣١٧

مَسْلَاتة ١٥ - ١٣٤ - ٢٦٥ - ٣١٨

المشرق ٤ - ٥ - ٦ - ٦٠ - ٧٠ - ٧٨ - ٩٤ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٧٩

١٨٥ - ٢٠٤ - ٢٠٦ - ٢٤٠ - ٢٤٣ - ٢٤٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٧٢

٢٧٣ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣٣٣ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧٩

مِصْر ٦ - ١١ - ١٦ - ١٧ - ٢١ - ٧٩ - ٩٤ - ٩٦ - ١١١ - ١٢٤

١٢٧ - ١٨١ - ١٨٢ - ٢١٦ - ٢١٨ - ٢٣٩ - ٢٤١ - ٣٠٩ - ٣١٤

٣٢٨ - ٣٣٣ - ٣٤٠ - ٣٤٢ - ٣٦٧

المصلى (بشري) ١٥٤

المصلى (بتوزر) ١٦٣

المصلى (بظرابلس) ٢٤٦

المصلى (بالمهتية) ٣٢١ - ٣٢٦ - ٣٧٧

المصيصة ٣٢

المعلقة ٣٤١

المغرب ٤ - ٨ - ١٣ - ٣٢ - ٥٩ - ١٠٤ - ١١٢ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٥

١٣٦ - ١٦٠ - ١٨٥ - ٢٠٦ - ٢١٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٣٠٨ - ٣٠٩

٣٣٤ - ٣٣٩ - ٣٤٢ - ٣٤٩ - ٣٦٠ - ٣٦٢

المغرب الاوسط ٣٢٨ - ٣٤٣

المغرب الاقصى ٣٤٣

المقام (بكرة) ١٧٠

مكة ١٤٢ - ٢٤٩ - ٢٦٢ - ٢٦٥ - ٣٨٠ - ٣٨٩

ملعب سوسة ٤١

مليانة ٣٤٣

مَنْطُور (جبل) ٣٢

المنار (بقابس) ٩٤ - ١١٥

المنار (بقلعة بنى حماد) ١١٥ - ١١٦

المنارة ٢٣

منزل أبى نصر ٣٦٠

منزل باشو ١٣ - ١٤

المنستير ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٦٩ - ٣٧٨

المنصورية (انظر : صبرة)

المهدية ١٥ - ١٨ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٠ - ٤٢ - ٧٠ - ٧٢ - ٧٤ - ٧٦

٩٦ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٣٦ - ١٨١ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٧٤ - ٢٧٥

٢٧٧ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨

٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٩

٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٤ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠

٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠

٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٥

٣٧٧ - ٣٨١ - ٣٩٣

المهديتان ٣٣١ - ٣٤١ - ٣٧٧

الموصل ٣٦٩

موقف الغنم (بطرابلس) ٢٤٥

مَيُورِقَةُ ٢٤٤ - ٣٥٤

- ن -

نَبْشُ الذَّئْبِ ٣١٩

نجد ٤٩ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٨

نخيل فِرْعَوْنِ ١٤٢

نِفْرَاوَةُ ١٢٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٧ - ١٥١ - ١٥٣ - ١٥٤ - ٣٥١

١٥٦ - ١٧١ - ٣٠٨ - ٣٥٦

نِفْطَةُ ١٢٠

نِفُوسَةٌ (انظر جبل نفوسة)

نقطة ٨٤

النيل ١٨ - ١٩

- و -

وادي إِضْمِ ٤٩

وادي جِراوة ١١٥

وادي الجوى ١١٦

- وادی الرمل (بتونس) ٢٣
وادی الرمل (بترابنس) ٣١٠ - ٣١٢ - ٣١٨
وادی الزرکین ٣٢٠
وادی زرود ١١٨
وادی عباس ٧٥
وادی العقیق ٣٨١ - ٣٨٤ - ٣٨٥
وادی الفجاء ١٢٠
وادی القرى ٤٩
وادی القصر ٨٧
وادی مجسر ١٢٠ - ١٣٣
وادی ملیان ٩
ودان ١١٠ - ١١١
ودرس (انظر : عين ودرس)
وذرف ٨٦
الوردانیین (قصور) ٥٦
الورانیز (قصور) ٣١٦
وزدر (قصر) ٢٠٩
وطن - وطن المرابطين (انظر : زوارة الصفري)

- ٤٨٨ -

ونول ٢١٠ - ٢١١ - ٣١٩

- ي -

ياسك ١٥٣

الياقوتة (بالمستير) ٣٢

يثر ٣٦٥

يغمراسن (انظر : غمراسن)

اليمن ١١١ - ١١٢ - ١٢٥

فهرس

اسماء الكتب

- أ -

آثار السحابة في أ شمار الصحابة : لابن عرية ٣٧٥

الاحكام : لعبد الحق ٨ - ٩

اخبار ابي اسحاق الجبنياني ٦٧ - ٦٩

الادوية : لابن البيطار ٣١٤

الارشاد : لابي المعالي ٢٥٧

اسد الغابة ٩٢ - ١٢٤

الاشارات : لعبد السلام الفيتوري ٢١٩ - ٢٥٩

اعمال الاعلام ٣٨

الاجاني : للاصبهاني ٦٠ - ٨٢ - ٣١٣

اقتباس الانوار : للرشاطي ٦٦ - ١٤٢

الإكمال : لابن ما كولا ١٤٢

الإكمال على صحيح مسلم : للقاضي عياض ٢٥٦

أمثال ابي عبيد (انظر كتاب الامثال)

أمثلة الغريب : لابي الحسن الهنائي ٢٦٣

الامالي : لابي علي القالي ٦١

الانجيل ٣٨٩

انساب قريش : للزبير بن أبي بكر ٢٦٤

الانموذج : لابن رشيق ٣٣ - ٣٤ - ٣٦ - ٧٦ - ٧٨ - ٨١ - ٣٦٦

الانواء (انظر : كتاب الانواء)

- ب -

البخلاء : للجاحظ ١٦١

البرهان : لابي المعالي ٢٥٧

بغية الوعاة : للسيوطي ١٤١ - ٢٦٣

البيان المغرب : ١٢ - ٢٨

- ت -

تاريخ ابن خلدون ٥ - ٢٠ - ٢٥ - ١١١ - ٢٦٥ - ٣٥٠

تاريخ ابن شداد : ١٤٠ - ٣٤٦

تاريخ ابن شرف ٣٣ - ٥٣ - ٨٢

تاريخ ابن نخيل : ١٠٨ - ١٤٧

تاريخ أبي الصلت : ١٢٥

- تاريخ ابي الطاهر السلفي : ١٦١
تاريخ الرقيق ٦ - ٧ - ٣٢ - ١٢٥ - ٢٤١ - ٣٢٠
تاريخ الزركشي ٢٥٢
تاريخ الفاضل (انظر : ميناومنة ابن البيهاني)
تاريخ معلم الفتيان ٣٢١
تبييت الناقد : لعبد الرحمان بن ابراهيم الاصولي ٣٧٨
تثقيف اللسان : لابي حفص بن مكى ٢٦٢
تُحفة القادم : لابن الابار ٨٤ - ١٠٦
التفريع : لابن الجلاب ٢٥٦
التكملة : لابن الابار ٢٧٢
التنوير (شرح سقط الزند) ٦٠ - ٦١ - ٦٣
التهذيب ٢٥٦ - ٢٩٦
التوراة ٣٨٩

- ث -

ثمار القلوب : للثعالبي ٩١

- ج -

جذوة المقتبس : للحميدى ٥٣

جلاء الالتباس في الرد على نفاة القياس : للصدفي ٢٧٣

جوامع الكلم النبوية : لابن عريية ٣٧٥

- ح -

الحاصل : لتاج الدين الازموي ٣٦٨

الحديقة في شعراء الاندلس : لابني الصلت ٤٢

حسن المحاضرة ١١

الحصار في علم الحساب ٢٥٧

الحلة السيرة : لابن الابار ٣٦٥

الحلل السندية ٤١ - ٧٨ - ١٦٥

الحيوان : للجاحظ ١٦١

- خ -

خريدة القصر ٤٣ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٦ - ٣٦٧

خزانة الادب : لابن سعيد ٥٢

- د -

الذر النظيم (للمؤلف) ٣٦٦

ديوان ابي نواس ٣٤

- ٤٩٣ -

ديوان أمية بن أبي الصلت ٣١٤

ديوان حاتم (الطائي) ٣١١ - ٣١٢

ديوان حسان بن ثابت ١٦١

ديوان ذي الرمة ٣١٣

ديوان عمر بن عيسى بن أبي حفص ٣٦٤

- ذ -

الذخيرة: لابن بسام ١٦

- ر -

رسالة أبي علي النطفي ١٤٤

رسالة أبي يعقوب الطري ١٤٣

رسالة الحول: للاجدابي ٢٦٣

الروض الأنف: للسهيلى ٥٩

الروضة الموشية فى شعراء المهديّة ٣٦٦

- ز -

الزهرة فى مسند العشرة: لابن عريية ٣٧٥

- ٤٩٤ -

- س -

سنن القوم في آداب الليلة واليوم : لابن عريية ٣٧٥
السيرة النبوية : لابن هشام ٥٩

- ش -

الشرح والتفصيل لمسائل المدونة : لليدى ٨٣
شرح العكبرى على المتنبى ٦٣ - ٧٢
الشعر والشعراء : لابن قتيبة ٨٧
شعراء النصرانية : للاب شيخو ٣١٤
الشقراطية ١٦٢ - ٣٧٦

- ص -

صحيح البخارى ٢٥٨

صحيح مسلم ٢٥٥

الصلة : لابن بشكوال ٥٥ - ٧٩

صلة ابن شرف لتاريخ الرقيق (انظر : تاريخ ابن شرف)

صلة السبط : لابن الشباط أبى عبد الله محمد بن على المصرى ١٣٥

- ٤٩٥ -

- ط -

الطبقات : لابي العرب ١٢ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٢٧١
طبقات ابن سعد ١٢٥

- ع -

العقيدة الدينية : للصدفي ٢٧٣
عنوان الدراية : للغبريني ١١٦ - ٢٥٢

- غ -

غريب الحديث : للخطابي ٨٠
غريب الهروي ١٣٥

- ف -

فتوح مصر ١١ - ٦٦
الفصيح ٢٦٣

- ق -

القرآن (الذكر الحكيم) ١ - ٩ - ٢٦ - ٨١ - ١٣٨ - ١٦٠ - ٢٧٣
٣٦٣ - ٣٨٨ - ٣٨٩

قصائد المِمدَح ومصائد المِمنَح (ديوان) : لابن عريية ٢٧٥

- ك -

الكافي في الفرائض : لابن المنر ٢٥٧ - ٢٦٥

الكافي في الوثائق : لابي الحجاج يوسف بن زيري ٢٤٢

الكامل : للجرجاني ٨

الكامل : لابن الاثير ١١ - ١٤ - ١٥ - ٢٤

كتاب الامثال : لابي عبّيد ١٣٥

كتاب الأنواء ٦٠

كتاب في الرد على ابي حفص بن مكى في تثقيف اللسان : للاجدابي

٢٦٢

كتاب الروضتين ١٥

كتاب في ما آخره ياء مشددة : للاجدابي ٢٦٢

كتاب في العروض : للاجدابي ٢٦٢

الكشاف : للزمخشري ١٣٥

كشف الظنون ٣٣ - ٣٦٨

كفاية المتحفّظ : للاجدابي ١٤١ - ٢٦٢

كنوز المطالب : لابن سعيد ٣٠٨

- ٤٩٧ -

- ل -

لسان العرب ١٨٣ - ٣١٣

- م -

المحصل : لابن العربي ٢٥٦ - ٣٦٨

المختار : لابن حشرون ٣٦٧

مختصر في الانواء : للاجدابي ٢٦٣

مختصر لكتاب أنساب قريش : للاجدابي ٢٦٣ - ٢٦٤

المدخل : لابن الحاج ٣٩١

المُدونة ٨٣

مذكر القواد في الحض على الجهاد ٢٧٣

المذهبة : لابن المناصف ٢٥٧

المسالك : لابي عيد البكري ٦ - ٧ - ١٠ - ١٣ - ٢٨ - ١٥٥ - ٢٧١

٣٢١ - ٣٢٦

المستصفي : للنزالي ٢٥٦ - ٢٥٧

المستوفي في رفع أحاديث المستصفي : لابن عريية ٣٧٥

مطالع البدور ٥٥

معالم ابي سنيان الخطابي ٢٠٨

- المعالم الفقهية : لابن الخطيب ٢٥٧
المعالم الدينية : لابن الخطيب ٢٥٧
معالم الايمان : للديباغ ٥٦ - ١٢٤ - ١٢٥
مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ : لياقوت ٤٩ - ٥٥ - ٨٧
المنتخبات التونسية : لحسن عبد الوهاب ٦
منتهى السؤل في امتداح الرسول ٩٢
المِياومة : لابن اليساني ١٤ - ١٥ - ١٤٧ - ٢٤٣
ميزان الاعتدال ٣١ - ١٢٥

- ن -

- الناسم : لابي الفضل التجاني ٢٢٣ - ٢٢٤
النبد المحتاجة في اخبار صنهاجة ١١٦
النجوم الزاهرة ١١
نزهة المشتاق : للادريسي ١١ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٣
نُزهة النظار ٣١
نفسح الطيب : للمقري ٩٠
نقعات النسرين في مخاطبة ابن شبرين : للمؤلف ١٦٤
نقائض جرير والفرزدق ٧٢

- ٤٩٩ -

النهاية : لابن الاثير ١٣٥ - ٢٤٦

- و -

الوتريات : لابي الحسن بن بلال ٢٧١ - ٢٧٢

الوفاء ، بيان فوائد الشفاء (شرح الشفاء : للمؤلف) ٣٨١

الوهم والايهام ٨

- ي -

يتية الدهر : للثعالبي ٤٢ - ٥٤

فهرس

موضوعات الكتاب

الموضوع	صحيفة
مقدمة استاذ الجيل العلامة ح - ح - عبد الوهاب	٣ م
الخروج من تونس	٤
الحديث عن رادس	٥
الحديث عن حامة الجزيرة (حمام الانف)	١٠
الحديث عن مرناق	١٠
الحديث عن جزيرة شريك	١١
الحديث عن منزل باشو	١٣
الحديث عن الزحفة الهلالية	١٦
الحديث عن قرية صلتان	٢٢
الحديث عن اهريقلية (هرقلة)	٢٤
الحديث عن سوسة	٢٥
الحديث عن المنستير	٣٠
الحديث عن شعراء سوسة	٣٣
الحديث عن الوردانيين وصالحها ابي محمد يونس الورداني	٥٦
الحديث عن قصر الجسم	٥٧
الحديث عن زيتون الساحل	٦٥
الحديث عن جزيرة قرقة	٦٧
الحديث عن صفاقس	٦٨
الحديث عن ولاة صفاقس	٧٠
الحديث عن شعراء صفاقس وعلمائها	٧٦
الحديث عن جبنيانة وصالحها ابي اسحاق الجبنياني	٨٠
الحديث عن قرية لبيدة وشيخها ابي القاسم اللبيدي	٨٣
الحديث عن المحرس	٨٥

الموضوع	صحيفة
الحديث عن قابس	٨٦
الحديث عن الصحابي ابي ليابة	٩١
الحديث عن ولاة قابس	٩٦
الحديث عن جزيرة جربة ، سكانها ومذاهبها	١٢١
الحديث عن حصن القشتيل	١٢٨
الحديث عن حامة قابس	١٣٤
الحديث عن طرة (قاعدة نفاوة)	١٤٢
الحديث عن بشري	١٥٣
الحديث عن سبخة تاكرت	١٥٤
الحديث عن توزر (قاعدة الجريد)	١٥٧
الحديث عن نمراسن	١٨٥
الحديث عن زوارة الصغرى	٢٠٧
الحديث عن زوارة الكبرى	٢١٠
الحديث عن زواغنة	٢١١
الحديث عن زنزور	٢١٤
الحديث عن طرابلس	٢٣٧
الحديث عن ولاة طرابلس	٢٣٩
الحديث عن فضلائها وعلمائها	٢٥٤
الحديث عن تاجورة	٣٠٧
في طريق الرجوع	٣١٧
الحديث عن المهديّة	٣٢٠
الحديث عن ملوك المهديّة وولاتها	٣٢٤
الحديث عن شعراء المهديّة وعلمائها	٣٦٦
فهرس أسماء الرجال والقبائل	٣٩٩
فهرس أسماء البلدان والمعالم	٤٥٩
فهرس أسماء الكتب	٤٨٩
فهرس الموضوعات	٥٠١
جدول التصويبات	٥٠٣

